

عبد الوهاب بن منصور
عضو اكاڤيمية المملكة المغربية

اعلام

المغرب العربي



الجزء الخامس

(احمد)

المطبعة الملكية - الرباط

1410 هـ - 1990 م

عبد الوهاب بن منصور
عضو اكاڤمفة المملكة المغربية

اعلام المغرب العربي



الجزء الخامس

(احمد)

المطبعة الملكية - الرباط

1410 هـ - 1990 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(1371) أحمد بن علي بن عبد الرحمان الفشتالي القصير ، قاضي مغربي منسوب إلى قبيلة فشتالة الجبلية الكائنة مساكنها بإقليم تاونات شمال فاس ، واشتهر بين الناس بلقب القصير .

توفي يوم الجمعة 29 ربيع الاول عام 802 (I)

(1372) أحمد بن عبد الخالق المجاصي ، شاعر من اهل المغرب الأقصى منسوب الى بطن مجاصّة من قبيلة غياثة الكائنة مساكنها قرب مدينة تازة ، رحل الى المشرق ونزل في صوفية سعيد السعداء بالقاهرة ، ذكر السخاوي في (الضوء اللامع) انه كان شاعراً ماهراً طاف البلاد وتكسّب بالشعر ، وله مدائح وهاجي عديدة ، وقال المقرئ انشدني الكثير من شعره وشعره كثير .

مات بالقاهرة في شهر ربيع الثاني عام 802 وقد ناهز الثمانين ، وهو غير أحمد بن عبد الرحمان اليفرنى المجاصي الشهير بالمكناسي متقدّم الترجمة (4 : 329 ع 1324) (2) .

(1373) أحمد بن علي القبائلي ، احد حُجّاب الأسرة الملكية المرينية المتملكة بالمغرب ، ينتمي الى بيت تولّى رجاله الكتابة والوزارة والحجابة من عهد الأسرة الملكية الموحدية ، وكان أحمد هذا فقيها كاتباً اديباً برع في الحساب ومهر في الخدمات السلطانية بذّاً في ذلك الأقران ، وتفوق على

(1) الف سنة من الوفيات ص 230 ودرّة الحجال I : 60 ع 82

(2) انباء الغمر 4 : 152 ودعوة الحق ص 17 ع I ص 63 والضوء اللامع I : 324

الأعيان ، بدأ خدمته المخزنية صغير السن في عهد السلطان علي (ابي الحسن) المريني ، وما زال جاهه يعظم ونفوذه يقوى حتى صارت له الكلمة العليا في الدولة ، تولّى الحجابة للسلطان احمد بن ابراهيم المريني متقدم الترجمة (4 : 411 ع 1369) ، وقام بعد وفاته بأمر ابنه السلطان عبد العزيز بن احمد فكان حاجبه ، ثم تولى حجابة اخيه السلطان عثمان بن احمد الذي كان على يده مهلكه .

ولم يكن يعاب على المترجم به الا ايثاره لذوي قرياه ، فكان يختصهم دون سواهم بالمناصب العالية ويُسند اليهم الخدمات المفيدة ، الشيء الذي شحن عليه القلوب بغضاً وحقداً ، واكثر فيه السعيات ، وعدد الأراجيف والشايات التي ساقته في النهاية الى حتفه .

وكان من خبّر مهلكه انه تخاصم مع عبد الله الطريفي صاحب السقيف ومساهمه في الخدمات السلطانية في قضية بسيطة تتعلق بفتح ابواب الحضرة واغلاقها ، فتخلّف عن الحضور الى القصر السلطاني ، فاستعطفه السلطان عثمان فلم يعطف ، وكانت له دالة عليه ، فبعث اليه برسالة امضاها بخط يده يلاطفه بها ويزيل ما صدره من الموجدة والغضب ، فأجابته عنها برسالة غليظة اقسام فيها ان لا يطل بساطاً فيه فارح" بن مهدي احد خواص السلطان المقربين منه المتمتعين بثقته ورضاه ، فلما وقف على جوابه غضب غضباً شديداً وامر بالايقاع به في الحين ، فسيق هو وولده عبد الرحمان آتي الترجمة الى مصرعهما وقتلا ذبحا .

وكان ذلك بفاس يوم الخميس 30 شوال عام 802 هـ (3)

(1374) احمد بن آدم الشقثوري ، فقيه اندلسي ، اخذ عنه محمد محمد المجاري بفرناطة وذكره في برنامجه ووصفه بالشيخ الفقيه النحوي

(3) الف سنة من الوفيات ص 228 والاعلام ، بمن حل مراكنش وأغمات من الاعلام 2 : 221 ع 194 والاستقصا 5 : 86 وجذوة الاقتباس ص 125 ع 58 وروضة الشريين ص 38 - 40 - 41 والضوء اللامع 2 : 47

الفرضي ذو العقل الراجح والمذهب الصالح ، وقال سمعت عليه النصف الأول من كتاب سيبويه والنصف الأول من قوانين ابن ابي الربيع تفقيهاً وبعض تسهيل ابن مالك وجميع تلخيص ابن البنا وفرائض التلقين وحظاً وافراً من المدونة الكبرى وبعض ألفية ابن مالك كل ذلك بالتفقه والمباحثة .

توفي عام 803 هـ (4)

1375) احمد بن يوسف ابن مزني الأثبجي ، خامس شيوخ بني مزني رؤساء منطقة الزاب بالمغرب الاوسط ، تنتمي اسرته الى مازن من قبيلة فزارة ، والصحيح انهم من الأثبج احدى قبائل بني هلال على ما اكده ابن خلدون ، وانما عدلوا عن نسبهم الحقيقي لما ضعف الأثبج وصاروا يؤدون الجبايات والمغارم ، وكانت هذه الأسرة التي نشأت في اعقاب الأسرة الموحدية الملكية تتقلب في الطاعة بين اسرة بني مرين الملكية بفاس تارة واسرة بني حفص الملكية بتونس تارة اخرى حسب قوة احدهما أو ضعفها .

تولّى احمد المترجم به مشيخة قبيلته يوم وفاة ابيه يوسف بن منصور ، وهو يوم عاشوراء 10 محرم سنة 767 هـ ، ولم يكن سخياً الخلق كأبيه ، بل كان متحذلقا كثير الكلام ، الا انه كان شديد الرغبة في الاستقلال متطلّعا الى ممارسة الحكم دون تبعية لأحد ، فامتنع عن اداء الخراج لبني حفص وجعل الاعراب بيئته وبينهم سداً منيعاً ، فنهض اليه السلطان أحمد بن محمد بن ابي بكر الحفصي متقدماً الترجمة (4 : 415 ع 1370) سنة 786 وأعادته الى جادة الطاعة والزمه كلمة الاستقامة ، ولما عادت لميسه الى عثرها في بداية القرن التاسع زحف اليه السلطان عبد العزيز الحفصي ودخل عليه بسكرة عاصمة الزاب يوم السبت 7 جمادى الاخرى سنة 804 ونقله معه أسيراً الى تونس فمات بها مسجوناً بعد مدة قصيرة (5)

(4) لقط الفراند ص 231 (في كتاب الف سنة من الوفيات) ، وبرنامج المجاري

ص 35 و 125

(5) تاريخ ابن خلدون ج 6 (صفحات كثيرة) ، وتاريخ الدولتين ص 128 وتاريخ الجزائر العام 2 : 56 - 84 ومعجم اعلام الجزائر ص 293 والضوء اللامع 2 : 251 والسلطنة الحفصية (صفحات كثيرة) .

(1376) احمد' الموقّت ، احد كبار الموقّتين بفاس ، وصفه احمد ابن القاضي بالامام المعدّل ، ونعته بالفضل .

توفي سنة 807 (6)

(1377) احمد بن الحسن ابن قنّذ القسطنطيني ، فقيه اخباري من اهل مدينة قسنطينة بالمغرب الاوسط ، واصل سلفه من مدينة طبنة ، وكانت اسرته تعرف في الاول ببني قنّذ ، ثم لما ولي جده وابوه الخطابة صاروا يعرفون ببني الخطيب ، فلذا نجده يدعو نفسه ابن قنّذ تارة وابن الخطيب تارة اخرى .

ولد بقسنطينة في حدود عام 740 ونشأ في بيت علم وثناء متأثراً بأفكار جده لأمه يوسف بن يعقوب الملاري احد المتصوفة المشهورين في ذلك الوقت ، وتلقى مبادئ العلم من شيوخ بلده كالحسن بن خلف ابن باديس ، وابن عمه وخالته الحسن بن ابي القاسم ابن باديس ، ولما شب عزم على الرحلة للاستزادة من العلم ، فرحل سنة 759 مغرباً ، فمرّ بتلمسان واخذ بها عن محمد بن احمد الشريف التلمساني ، ودخل المغرب الأقصى آخذاً عن جلة العلماء من اهله او من علماء الاقطار المغربية الذين كانوا يقيمون به ويتولون المناصب الرفيعة فيه كمحمد بن احمد ابن مرزوق التلمساني خطيب سلاطين بني مرين وحاجبهم ، ومحمد ابن الخطيب السلماي الغرناطي ، واحمد بن قاسم القباب الفاسي (4 : 386 ع 1357) ، وموسى بن محمد ابن مُعطي العبدوسي ، وعبد الرحمان بن سليمان الجايي ومحمد بن احمد الشريف السبتي شارح مقصورة حازم ، وعبد الله الزجندي قاضي الجماعة بمراكش ، الخ .

وخلال مقامه بالمغرب الاقصى الذي طال ثمانية عشر عاما اتم ابن قنّذ تكونه العلمي والتربوي ، وزار عدداً من المدن والقرى والجبال النائية

(6) الف سنة من الوفيات ص 234 وجذوة الاقتباس ص 126 ع 59 ودرة الحجال 1 : 60 ع 83

كسلا ، ومراكش ، وآسفي ، وتينمل ، واعتنى بقاء الصالحين الذين منهم الشيخ احمد بن عمر ابن عاشر دفين سلا (4 : 345ع1338) وتولى القضاء بقبيلة دكالة سنة 769 ، ولما قضى وطره من المغرب الأقصى وقرر الرحيل عنه سنة 777 عاد ادراجه مشرقا ، ولعله لم يقم ببلده قسنطينة بعد رجوعه ، وانما عرج عليها وهو في طريقه الى تونس حيث اخذ بها عن الفقيه الشهير محمد ابن عرفة الورغمي والفقيه محمد بن احمد البطرني ، لان الكتب التاريخية لا تتحدث عن عودته الى قسنطينة الا في سنة 786 تسعة اعوام بعد خروجه من المغرب الأقصى ، وكيفما كان الامر فان الرجل بعد عودته الى بلده كان قد اتقن فنونا كثيرة واصبح من الشيوخ الذين يشار اليهم بالبنان لكثرة تحصيله ووفرة من لقي من العلماء ، فتولى به خططا عديدة كالخطابة والافتاء والقضاء ، وجلس بالمساجد وعكف على التأليف والتصنيف ، ونفع الناس بماله وعلمه ، واستمر على ذلك الى ان ادركته الوفاة .

وقد اجمع من كتبوا عن ابن قنفذ او اشاروا اليه انه كان فقيها مبرزاً ، وباحثا ممتازا ، ومتصوفا مشهورا بالفضل والصلاح ، واخباريا يعتني بتقبيد الوقائع التاريخية وتسجيل سير الرجال ووفيات الاعلام ، وحسباً ميقاتيا يتقن الفلك والهيئة والتعديل ، لكن بمراجعة آثاره يظهر ان الخرافة كانت تعشش في دماغه ، وان كتابته التاريخية فجة لا تتسم بتحليل ولا تحليل ، وان المعلومات التي يوردها تنقصها الدقة والتثبت ، وانه انما كان نسخة طبق الاصل لفقهاء وقته الذين يعيدون ما سبقهم من قبلهم الى فهمه وقوله ، وعلى ذلك تبقى كتبه مراجع يستأنس بها كل من يكتب عن احداث عصره واعلام زمانه لما تتضمنه من الفوائد التاريخية وتورده من اسماء اعلام واوصاف رجال وتواريخ وفيات لولاهما لضاعته اخبار واخذت آثار .

ولاين قنفذ مؤلفات عديدة في الفقه والنحو والحساب والفلك والتاريخ ، ذكر جلها في ثبت كتبه عام 807 اي قبل وفاته بسنتين ، ونثبها فيما يلي مع الاشارة الى اماكن وجودها ان كانت موجودة ، فمنها :

I - الأبراهيمية ، في مبادئ العربية ، مختصر في قواعد النحو والصرف ، ألفه برسم أمير حفصي اسمه إبراهيم على شاكلة المختصرات العلمية التي كانت تؤلف في ذلك العهد . 2 - وانس الحبيب عند عجز الطبيب ، موضوعه الطب والتداوي كما يظهر من اسمه ، ذكر في (الثبت) ان احداً من المتقدمين لم يهتد الى مثله . 3 - وانوار السعادة ، في اصول العبادة ، شرح به حديث (بني الاسلام على خمس) ، وقال عنه ان في كل قاعدة من القواعد الخمس أربعين حديثاً وأربعين مسألة . 4 - وارجوزة في الطب ، لم يذكرها ابن قنذ في ثبت مؤلفاته ، ولكنها موجودة في الجزء الثالث من مجموع محفوظ بالمكتبة القومية بباريس تحت رقم 2942 في عشرة اوراق ، واخال ان هذه الارجوزة هي لمحمد ابن الخطيب السلماي وانها انما نسبت الى ابن قنذ بسبب شهرته بابن الخطيب ، او ربما كانت هي التي سماها في ثبته (انس الحبيب) الذي تقدم ذكره . 5 - وانس الفقير ، وعز الحقيير ، كتاب مفيد في ترجمة الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الانصاري الملقب بالفوثن دفين قرية العباد بظاهر تلمسان (2 : 15 ع 314) وتراجم اصحابه وعدد آخر من رجال التصوف ، وقد طبعته كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1965 بتصحيح الاستاذ الوزير السيد محمد الفاسي ، والاستاذ ادولف فور . 6 - وايضاح المعاني ، وبيان المباني ، شرح به ارجوزة الفقيه محمد بن عبد الرحمان المراكشي الضرير في المنطق . 7 - وبغية الفارض ، من الحساب والفرائض . 8 - وبسط الرموز ، شرح به قصيدة عبد الله بن محمد الخزرجي الاندلسي في عروض الشعر المسماة بالخزرجية . 9 - وتلخيص العمل ، في شرح الجمل ، شرح به (جمل) محمد بن محمد الخونجي في المنطق . 10 - والتلخيص ، في شرح التلخيص ، كتاب شرح به كتاب (تلخيص المفتاح) في البلاغة ، تأليف الخطيب محمد بن عبد الرحمان القزويني ، توجد منه نسخة خطية بالمكتبة القومية بتونس . II - وتحفة الوارد ، في اختصاص الشرف من قبل الوالد ، نفى به الشرف عن ليس ابوه شريفاً ولو كانت امه شريفة ، توجد منه نسخ بتونس والقاهرة . 12 - وتحصيل المناقب ، وتكميل المآرب ، شرح به كتابه (تسهيل المطالب)

الآتي ذكره ، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط عددها 512 ب . I3 - وتفهم الطالب ، لمسائل اصول ابن الحاجب ، ألفه بفاس سنة 770 ايام قراءته على الفقيه عبد الحق الهسكوري بمسجد البليدة منها .

I4 - وتقريب الدلالة ، في شرح الرسالة ، شرح به رسالة عبد الله ابن ابي زيد القيرواني في اربعة اسفار . I5 - وتقبيدات في مسائل مختلفة .

I6 - وتسهيل المطالب ، في تعديل الكواكب ، كتيب في اوراق يوجد بالخزانة العامة بالرباط وخزانة الزاوية الحمزية بالمغرب ، شرحه بكتاب تحصيل المناقب المتقدم . I7 - وتسهيل العبارة ، في تعديل السيارة . قال عنه ابن قنفذ انه في اربعين بابا وستين فصلا . I8 - وثبت ذكر فيه 27 من مؤلفاته يوجد بالخزانة العامة بالرباط والمكتبة القومية بتونس (رقم 2464) .

I9 - وحط النقاب ، عن وجوه اعمال الحساب . شرح به تلخيص احمد ابن البناء الأزدي المراكشي (4 : 262عI26) يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2429 ورقم I678 في 245 صفحة . 20 - وطبقات علماء قسنطينة ، ظن بعض المؤرخين المحدثين انه يوجد ببعض خزانات مدينة قسنطينة ،

21 - والمسافة السنوية ، في اختصار الرحلة العبدرية . اختصر به (الرحلة المغربية) لمحمد بن محمد العبدري الحيحي آتي الترجمة في حرف الميم .

22 - ومعرفة الرائض ، في مبادئ الفرائض . شرح به ارجوزة ابراهيم بن ابي بكر التلمساني (I : IO7 ع III) في الفرائض المسماة (التلمسانية) .

23 - وعلامة النجاح ، في مبادئ الاصطلاح . 24 - والفارسية ، فسي مبادئ الدولة الحفصية . ألفه برسم السلطان عبد العزيز بن ابي بكر الحفصي في تاريخ اسرته ، انتهى من تأليفه بقسنطينة اوائل سنة 806 وهو مختصر جداً لكنه لا يخلو من فوائد ، طبعته الدار التونسية للنشر سنة 1968 بتحقيق الاستاذين محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد الزكي . 25 - والقننذية ، في ابطال الدلالات الفلكية ، شرح بها منظومة علي ابن ابي الرجال القيرواني في النجوم ، وله شرح آخر على هذه الارجوزة سيأتي اسمه ، ولعل الاسمين لسمى واحد . 26 - وسراج الثقات في علم الأوقات ، رسالة صغيرة توجد منها نسخة مخطوطة بالمكتبة القومية بتونس محفوظة تحت عدد 4.620 ورد في نهايته تسمية المؤلف نظما هكذا :

.....
من احمد بن حنبل الخطيب
من حصن طبنجة فقتلك داره
بفاس الكبرى من ارض المغرب
اتى بهذا الرجز المهذب

27 - وسنى الطالب ، اشرف المطالب ، وهو كتاب في الوفيات بدأه بوفاة رسول الله (ص) في السنة الحادية عشرة من الهجرة وانها ' بوفاة الفقيه الحافظ محمد بن عبد الرحمان المراكشي الضرير المتوفى سنة 807 ، ويقال ان (سنى الطالب) غير (الوفيات) ، وان الاخير ذيل للأول ، وقد طبع الكتاب لأول مرة سنة 1911 في كلكتا بالهند بعناية مولوي محمد هداية حسين ، وطبع طبعة ثانية بمصر سنة 1939 بعناية هنري بريس ، وطبع طبعة ثالثة ببيروت سنة 1971 بتحقيق عادل نويهض ، ثم طبع طبعة رابعة بالرباط سنة 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجي . 28 - شرح منظومة علي ابن ابي الرجال القيرواني في النجوم ، ألفه برسم احد وزراء بني مرين ، توجد منه نسخ خطية متعددة بخزائن تونس والخزانة العامة بالرباط ، وخزانة المتحف البريطاني بلندن رقم 977 ، ولعله وكتاب (القنفذية) المتقدم ذكره اسمان لمسمى واحد . 29 - شرف الطالب ، اسنى المطالب . كتاب في انواع الحديث شرح به قصيدة (غرامي صحيح) لأحمد بن فرج اللخمي الاشبيلي متقدم الترجمة (4 : 231 ع 1234) ، توجد منه نسخ خطية عديدة بخزائن تونس والرباط وبالمكتبة القومية بباريس ودار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهو غير كتاب (سنى الطالب) المتقدم في الوفيات . 30 - وهدي السالك ، في بيان ألفية ابن مالك . 31 - ووقاية الموقت ، ونكاية المنكت ، في التوقيت . 32 - ووسيلة الاسلام ، بالنبي عليه الصلاة والسلام . في السير ، ربما كان اسما ثانيا لكتاب (شرف الطالب) المتقدم ذكره .

ولابن قنفذ انظام على طريقة الفقهاء ، فمنها قوله لما بلغ الحادية والثمانين من عمره .

مضت ستون عاماً من وجودي
وقد اصبحت يوم حلول احدى
فكم لابن الخطيب من الخطايا
وما امسكت عن لعب ولهو
وثامنة على كسل ولهو
وفضل الله يشملُه بعفو

وقوله في الفقه :

الفقه ان فكرت فيه رايته قد دار بين قواعد متالييه
فاطلبه في القرآن او في سنّة واعضده بالاجماع واترك تاليه

توفي بقسنطينة ليلة الجمعة 12 ربيع الاول عام 809 هـ (7)

(1378) احمد بن عبد الرحمان النقاوسي ، فقيه من اهل مدينة بجاية
بالمغرب الأوسط ، يعرف بنسبته الى مدينة نقاوس احدى مدن الزاب .

اخذ عنه الشيخ 'عبد' الرحمان بن مخلوف الثعالبي ببجاية لما
دخلها عام 802 وقال عنه هو شيخنا الامام 'المحقق' الجامع 'بين علمي'
المنقول والمعقول ، ذو الأخلاق المرضية ، والأحوال الصالحة السنية .

له شرح " على قصيدة يوسف ابن النحوي المسماة (المنفرجة)
سمّاه (الأنوار المنبلجة ، في بسط اسرار المنفرجة) يقع في مجلد عرف
فيه بالناظم وبيّن بهر القصيدة .

توفي عام 810 هـ (8) ، وتقدّمت ترجمة احمد بن العباس النقاوسي

(4 : 288 ع 1281)

(7) ألف سنة من الوفيات المقدمة وص 136 - 236 (فيها وفاته سنة 810)
وانس الفقير ، وعزّ الحقير . المقدمة وص 1 - 75 - 81 - 117 والإعلام للزركلي
1 : 117 والإعلام ، بمن حل مراكز وأعمات من الإعلام 2 : 224 ع 195 وإيضاح المكنون
صفحات كثيرة . والبهستان ص 309 والثقافة (مجلة جزائرية) ع 8 ص 58 وجذوة الاقتباس
ص 154 ع 103 وجواهر الكمال 1 : 44 - 46 والحلل السندسية 1 : 583 - 623
- 639 - 640 ودرة الحجال 1 : 121 ع 150 وكشف الظنون ص 63 ومعجم اعلام
الجزائر ص 268 ومعجم المؤلفين 2 : 205 ومعجم المحدثين والمفسرين ص 47 ومعلمة
القرآن والحديث ص 146 ونشر المثاني 1 : 4 ونيل الإبتهاج ص 75 ونفح الطيب 6 : 292
- 494 و 7 : 270 - 272 والفارسية (المقدمة) . وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة
في الخزانة العامة برياط الفتح 2 : 189 - 190 - 262 وفهرس الفهارس 2 : 973 وشجرة
النور الزكية 1 : 250 ع 903 وهديّة العارفين ص 117 والوفيات (سنى الطالب) المقدمة .

(8) تعريف الخلف ، برجال السلف 2 : 102 والجديد ، في ادب الجريد ص 55
وكشف الظنون ص 1347 ومعجم اعلام الجزائر ص 332 ومعجم المؤلفين 1 : 252 ونيل
الإبتهاج ص 76 وهديّة العارفين 1 : 118

(1379) احمد بن علي الحسني ، فقيه من اهل فاس مغربي الأصل
مكي الاستيطان ، ولد عام 754 هـ وعُني في صغره بطلب العلم ولقاء الشيوخ ،
فبرع في عديد من العلوم بذق فيها اقرانه ، لاسيما الأدب والوثائق ، سمع من
عز الدين ابن جماعة وأبي البقاء السبكي وغيرهما ، ذكره ابن حجر في
(انباء الغمر) ، وقال اجاز لي ودرس وأفتى وحدث قليلا ، وباشرَ شهادة
الحرم نحواً من خمسين سنة .

مات يوم 11 شوال عام 819 هـ ، وهو والدُ تقيّ الدين الفاسي قاضي
المالكية بمكة (9) .

وهذا الفقيه انما ذكرته لنسبته الفاسية ، اذ لم تتأكدْ عندي ولادته
بالمغرب ، ويرجحُها عندي قولُ ابن حجر : الفاسي ثم المكي .

(1380) احمد بن محمد المغراوي ، فقيه من المغرب لا اعرف الى
أي اقطاره ينتسب ، وما ذكره الأستاذ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه
(تاريخ الجزائر العام) من انه منسوب الى قبيلة مغراوة الجزائرية لا دليل
له عليه ، فمغراوة التي اشتهر المترجمُ به في المشرق بالنسبة اليها موجودة
في جهات عديدة من كل قطر من اقطار المغرب ، ويترجّحُ عندي انه من
مغراوة المغرب الأقصى ، فاني رايت احمد ابن القاضي يضيفُ في (لقط
الفرائد) نسبه المصمودي الى نسبه المغراوي ، ومصمودة من اكبر قبائل
المغرب الأقصى واشهرها .

كان من كبار فقهاء المذهب المالكي ، عالماً بالأصول بارعاً في
النحو والعربية مشاركاً في غيرهما من الفنون ، حضر دروس الفقيه محمد
ابن عرفة الورغمي بتونس ، ودخل مصر والشام ، ودخل دمشق سنة 814
ونزل المدرسة الزنجيلية واخذ عنه الطلبة ، وعُين مرةً للقضاء فلم يتمَّ
ذلك ، وكان شديد الاعتداد بنفسه ، عارض ابن خلدون وناظره

(9) انباء الغمر 7 : 229 وتوشيح الديباج ص 54 ع 18 وكفاية المحتاج ص 120
(نسخة مرقونة) ، وفيل الابتهاج ص 76

وافتنى عليه ، يحظى باحترام علماء وقته وتقديرهم ، حتى قال في حقه ابن قاضي شبهة (ما تركت بمصر والشام في المالكية مثله) ، الا انه كان حاد الطبع ، لا يجامل رجال الدولة ولا يتردد عليهم ، فناله منهم أذى ، وآثر في خاتمة حياته الخمول .

مات بالقاهرة في 19 شوال عام 820 وقد قارب السبعين (10) ، وهذا الرجل لا تزال جوانب عديده من حياته مجهولة ، ولعل ما في الزوايا من خبايا تكشفها عندما تظهر هي الى الوجود ، فتكون له حينئذ ترجمة أوسع .

(1381) احمد بن سليمان ابن فركون القرشي ، اديب اندلسي كبير من بيت نبيه بغرناطة ، ولد بها في شهر ربيع الثاني عام 747 هـ واخذ العلم من شيوخ بلده ، واستجازهم له والده كما استجاز له كبار العلماء والأدباء غيرهم ، وتآدب على الخصوص بمحمد ابن الخطيب السلماني وزير ملوك بني الأحمر الشهير ، اذ كان ربيبه يعيش معه تحت سقف بيته ، وتستلذ جفونه الكرى قرب سرير نومه ، فهو الذي غذاه بعلمه ، وقوم قناته بتربيته ، ونمى فيه ملكة الطلب ، واخرج من برعومه زهرة الأدب ، واطلق بالعشرة الطويلة والخلطة القريبة لسانه بقول الشعر الرفيع ، وكتب الانشاء البديع ، وجعله ناسخ كتبه بين يديه يبل حلقه من ينابيعها ، ويروح نفسه من بيانها وبديعها ، ويزيد وينقص من ابوابها وفصولها .

وقد ظهر نبوغ ابن فركون مبكراً ، ففاق لداته وبذ أقرانه ، فأنشأ من الرسائل ونظم من القصائد ما يعجز عن عمل مثله من كان في مثل سنه ، يعينه على استيعاب الفنون والعلوم واستحضار التواريخ والأخبار فكر ذكي وذهن وقاد ، ويميزه بين الكتاب خط رائق انيق لاتملك العين

(10) تاريخ الجزائر العام 2 : 136 وتوشيح الديباج ص 58 ع 25 ودره الحجال 1 : 63 ع 91 ولقط الفرائد ص 241 (من كتاب الف سنة من الوفيات) ، ومعجم اعلام الجزائر ص 307 والموسوعة 3 : 166 وفيل الابتهاج ص 76 والضوء اللامع 7 : 283 وشذرات الذهب 7 : 145

رؤيته ، الشيء الذي دفع مربيّه ابنَ الخطيب الى ترشيحِه للكتابة بالديوان السلطاني على حداثة سنّه .

والعجيب من امر ابن فركون انه اساء الى وليّ نعمته وموقد جذوته ابن الخطيب اساءة صارت مثلاً يضرب في جحود النعم وكفران الأيادي وعقوق الأولياء ، فانه كان من المحرضين عليه لما فارق مخدومه السلطان الغنيّ بالله واوى الى المغرب ، مثله في ذلك مثل محمد ابن زمرك وعلي النباهي ، فلذاك تحدث عنه ابن الخطيب في ايام نِعْمَتِه بغير ما تحدث عنه في ايام محنتِه ، ففي الأولى وصفه بشعلة الذكاء والادراك ، ومجموع الخلال الحميدة ، وفي الأخرى وصفه بجرورٍ محقور في جلدة كلبٍ عقور ، وقردٍ لا ينطبق وصف اللؤم الا عليه ، وسفيهٍ يقال عنه ذكره : كفاك الله شرّاً من احسنت اليه ... بل بلغَ من حنقِه عليه ان قال وهو يعدهُ مثالبه ويذكرُ نكرانه للمعروف هذه الجمل القاسية : (وعدلُ الله تعالى كليلٌ باتّباعِه ، وقصّ باعِه ، ومجازاة خنثه ، واهداء كبده اليّ من بعد قتله ، ليجعل متنّها على العضة الدامية ، ويشوى باقيها على النار الحامية) ... كما امر بحذف ترجمته من كتابه (الاحاطة) .

ولم يستجب الله لابن الخطيب ما تمناه ، بل مات مقتولا وعاش عدوّه ابن فركون بعده نحو خمسين سنة او تزيد .

وتكاد تنقطع اخبار المترجم به بعد وفاة ابن الخطيب ، فالمصادر التاريخية لا تتحدث عنه بشيء اكثر مما تحدث عنه به في (الاحاطة) و (الكتيبة الكامنة) ، ولكن العثور اخيراً على ديوان ابنه ابي الحسين مكننا من ان نعرف انه كان قاضياً ببرجة سنة 799 وانه سار الى موضع قضائه عام 820 ، كما مكننا من التعرف على عدد من قصائده وموشحاته مدح بها السلطان يوسف الثالث النصري الذي تولى ملك غرناطة من سنة 811 الى سنة 820 .

وبقراءة القصائد الواردة في ديوان ابنه يُتَبَيَّنُ ان احمد ابن فركون المترجم كان طويل النفس غزير المادة اللغوية رائق المعاني لدرجة يُعَدُّ معها من اكبر الأدباء المجيدين الذين انجبتهم الاندلس الاسلامية وهي تلفظ انفاسها الاخيرة .

فمن شعره قوله يمدح السلطان يوسف الثالث النصري :

منازله احسن بها ومنازله
تنال لديه كل ما انت آمله ؟
تقول بدور الأفق من ذا يماثله ؟
تدل على خصل السباق مخايله ؟
توالى له قطع الفلا وتواصله
يسائل مولى لا يخيب سائله
مهذلة والروض تندى خمائله
بدت مرسلات في الطروس رسائله
فمن ذا يسامي درها او يساجله ؟
الى كل علم واضحات دلائله
يسائل عن بحر الندى اين ساحله ؟
وماتحه في الصالحات وبائله
به قامت الدنيا ، فمن ذا يعادله ؟
بمنزلة الحثف المقدر نازلته
ولم تعرف الاغفاء ليلا غوائله
ينزله عن مستحث يعاجله
فلا سائل تلقى لديه وسائله
ونصرية انسابه وقبائله
مساجلة ما اسلفته اوائله
سماء سماح لا تغب نوافله
ينغديه مشغوفاً به وينغازله

وقوفك بالربع الذي انت سائله
اما ملك الاسلام يوسف الذي
اما بهجة الايام يوسف الذي
اما فارس الميدان يوسف الذي
اما شرف الاملاك يوسف الذي
تحل لديه والنوى بركابها
هل القيظ مما يتقى ؟ وظلاله
ازاهره من خط يمناه كلما
يلوح عليها ما يناسب ملكه
هو الملك الهادي صباح علومه
فكم صادر قد عاد عن جود جوده
اليه مال المال ، وهو مبيده
ومن حيث تمهيد البلاد فعدله
ومن شأنه يوم الوغى ان بطشه
على حين عاد اليوم بالحي داجياً
وفي اخذه من عفوه اي وازع
وان حلمه او بأسه قد تعارضا
سماوية انتصاره وسيماته
واعماله في الآخرين كأنها
علاء ارتقاء لا يطاول افقه
ورأي به لحظ الغزاة مُصْبِح

وقد راقته من مظهر الملك أهله
لدى ملك عمّ البرية نائله
الى أمدٍ دلّت عليه مخايله
تحكم في حزب الصليب عوامله
تنازعه علياءه وتنازله
انارت نواديه بهم ومحافلّه
فله بدرٍ اطلعته منازلّه
يلوذ بجند الصبر والصبر خاذله
كما حاد عن جمر الغضى متناولّه
فجاءت بهيات الشمال شمائله
تبادر حزب الملقى وتعاجله
ورامحه يلقي السلاح وتبايله
وعاذرّه يرجو رضاك وعاذله
لمعتصم كافيّه انت وكافلّه
اناملُ قد جادت بما اناءمله

ليلقى الثنايا غير محتجب السنّا
تنال المعالي مرتقى وإنالته
بيوسف ارتاحت خيول جهاده
سوايق للأبطال بالعمل الذي
وتطمح للأفق المنير كأنها
بيوسف انجابت عن النقع اوجه
هم انجم حفت بيوسف هالة
كأن بعدو الدين طوع انهزامه
يحيد عن المشبوب من نار حربيه
ويوسف مولانا قد ارتاح عطفه
تثير سجال الحرب عزمته التي
ستلفي ولي الكفر يناصر الهدى
ويسأل منك العفو بدأ وعودة
وهل انت الا عصمة الله اهديت
يقول الذي يُمناك قبّل هذه

وقوله يمدحه بهذا الموشح :

ما بين صبح الى أصيل
الا على وجهك الجميل

والله ما اعتلت النواسم
كلا ولا افتتت المباسم

* * *

أقل شيء من الأسم
خافقة البند والعلم
لأنه عصمة الأمم

إذا اشتكت ذاتك الكريمه
تذيع في صبرنا هزيمة
والله ما للشفاء قيمه

* * *

كانما ساجع' الحمائم
والزهر' في القضبِ والكمائم
* * *

حتى بطاح الرياض أبسدت
والأرض' فرشَ الربيع مدت'
والزهر' والزهر قد 'أعبدت'
* * *

لو نبذل' الأنفسَ الكرائم
واحتفلَ الدهر في الولائم
* * *

ما خلق' الراح حين تسري
بين التيثامِ وريق ثغر
الا وفيها على ابن نصر
* * *

أيامه كلها مواسم
وقد بدت' للمهدى مراسم
* * *

أيديك الله من خليفه
سعود' آفاقها منيفه
لابرحت ذاتك المنيفه
* * *

دانت' لك السبعة' الأقاليم
ودامت' الأنجم' العواتيم
* * *

على الشفا يسمع الهديسل
للثم يملك تستميسل
* * *

ثغرَ الحباب المقبّسل
على سبيل التجمسل
لمجتنِ او لمجتسل
* * *

لملك الكافل الكفيسل
لكانَ من حيزِ القليسل
* * *

أرق من نسمة الزهر
ونغمة الطير في السحر
عجائب' السمع والبصر
* * *

وروضه في روضنا ظليل
واضحة' النص' والدليل
* * *

خلائف' الملك في يديه
ملقية' نورها عليه
ودهرنا ناشد' ليديه :
* * *

والبيت' والقدس' والخليل
باسطة' كف' مستنيسل
* * *

ومن شعر احمد ابن فركون قوله على لسان من يرمى بالداء
العضال في فرج عبد الوزير محمد ابن زمرك :

قالوا كلفتَ به غلاماً حالكا فأجبتهم في فيه ما يرضي المهج
مهما جُننتُ بحسنه وبحبِّه علقتُ فوقه منه حرزاً من سبَج !

وقوله وهو مما كتب به الى ولي نعمته محمد ابن الخطيب
السلماني قبل ان يسوء ما بينهما ، وفيه لزوم ما لا يلزم :

امولاي عذراً عن مغيبتي فلم اكن
يراعي في الكراس طوراً ركوعه
ولكن طرفي لم يغب عنك لحظة
وهل انا الا غرس انعمك التي
فبرئيتها فيه شفاء ورحمة
فما ذا عسى أنهيه من شكر منعم
لأغفلَ عن طرس لديك أجيده
وطوراً بمحراب الدواة سجوده
يفارقني طوع اشتياقي هجوده
غيوث الهدايا كل يوم تجوده
وبحريتها مما يعزُّ وجسوده
يؤلفُ بين الضبِّ والنون جوده

لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً سنة 820 (II) ، وله ولد اسمه
أبو الحسين ستاتي ترجمته ، وتقدمت ترجمة جده احمد بن محمد بن احمد
ابن فركون (4 : 277 ع 1269) .

1382) أحمد بن عبد السلام الصقلي الحسيني ، طبيب تونسي
شريف النسب ، اشتهر في تونس بمهارته في الطب خلال النصف الثاني من
القرن الثامن والربع الأول من القرن التاسع ، علم الطب في جامع الزيتونة ،
واشتغل في المارستان الذي انشاه السلطان عبد العزيز الحفصي .

كان عصبي الطبع حاد المزاج ، ذكر تلميذه احمد المغازلي الحميري
انه كان اشد الناس خلقاً ، واكثرهم انحرافاً وأحدهم مزاجاً ، سريع

(II) الاحاطة I : 221 وديوان ابن فركون (المقدمة) ، والكتيبة الكاملة ص 305
ومظهر النور الباصر (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ، ونفح الطيب 7 : 787

الغضب ، الا انه كان يتكلف' الرياضة في مزاجه ويستعمل السكونَ ويخفض' الجناح على جهة التطبّع الى ان صار له ذلك مزاجاً سيما فيما يرجع' الى معالجه ، حتى انه كان كثيراً ما يصبر' على جفوة الأعراب وغلظ طباع البداءة وخصائص ذوي الأقدار ، وكان يقول : العادة طبيعة مستفادة ، والغضب يروض نفسه حتى يرجع حليماً ... وعلى ذلك كان محبوباً مرغوباً فيه منتفعاً به حتى قال ابن عرفة : بلد" لا يسكنه الصقلي لا تحل السكنى به .

أخذَ عنه ابنه محمد ، والفقير محمد بن عرفة الورغمي ، وعمر بن محمد القلشاني ، ومحمد الرصاع صاحب الفهرسة ، واحمد الخميري الذي ذكرنا ما وصفه به من انحراف المزاج وحدة الطباع .

له مؤلفات' في الطب ، منها :

1 - كتاب الأدوية المفردة ، وهو أهم' كتبه ، يشتمل على عشرين باباً . جمع فيها الأمراض التي تُصيب' جميع أعضاء البدنِ من قمة الرأس الى أخمص القدم من غير أن يذكر أسبابها وأعراضها ، وانما يقتصر على ذكر المرض ويصف الأدوية التي يعالج بها ، فهو أشبه' بمعجم للعقاقير ، توجد منه نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية باستنبول محفوظة تحت عدد 3716 ونسخ أخرى بتونس وباريس وهولاندة وبغداد (مكتبة' الأوقاف) .

2 - وشرح' أرجوزة ابن سينا في الطب ، يقع' في ثلاثة اجزاء وثلاثة وعشرين باباً ، الجزء الأول في الاركان والحيوان والنبات والمعادن ، والثاني في حفظ الصحة بالغذاء ، والثالث في العمل وهو العلاج ، توجد منه نسخ كثيرة بتونس ، ونسخة في جزاين بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 650 ك ونسخة بمكتبة إستنبول محفوظة تحت عدد 3614 مكتوبة بخط' مشرقى .

3 - كتاب حفظ الصحة ، ويسمى ايضا الطب الشريف ، ألفه للسلطان عبد العزيز الحفصي ، وقسمه الى قسمين ، قسم" في امراض النفس ومداواتها ، وقسم" في حفظِ صحةِ الجسم ، توجد منه نسخ" عديدة بتونس وإستنبول وبرلين وباريس .

4 - وفهرسة محفوظات الخزائن العامة بالرباط تحت عدد 16 ك .

توفي عام 822 هـ (I2)

(1383) احمد بن محمد ابن سرحان السلمي ، فقيه تونسي سمع من محمد بن احمد البطرني المسلسل ، وقرأ عليه الشاطبيتين والرسالة واجاز له ، وعرضها ايضا على عيسى الغبريني وتفقه عليه وسمع صحيح البخاري من لفظه ، وترجمه زين الدين بن رضوان وقال انشدني لنفسه قصيدة في جميع اصول الحلال .

كان حياً في صفر عام 822 ذكره في (الضوء اللامع) ولم اقف على وفاته (I3)

(1384) احمد بن عيسى الصنهاجي ، فقيه من اهل المغرب قدم مصر لطلب العلم بجامع الأزهر فاستقر بها ولقب بشهاب الدين .

كان ماهراً في الفقه والعربية بارعاً في القراءات ، متصدياً للقراء بالليل والنهار ، فانتفع به خلق كثير منهم شمس الدين القرافي .

توفي بالقاهرة في 7 محرم عام 827 (I4)

(1385) احمد بن احمد المغازلي الحميري ، طبيب تونسي كبير ، ينسب الى جبال الحمير بتونس ويصحف بعضهم النسبة فيقولون الحميري بالحاء ، تتلمذ على الطبيب احمد بن عبد السلام الصقلي متقدم الترجمة في مجالس اقرائه بجامع الزيتونة واخذ غير الطب عن غيره من علماء الوقت ،

(I2) الف سنة من الوفيات ص 241 والإعلام للزركلي I : 150 وقاربخ الطب العربي التونسي ص 97 وتراجم المؤلفين التونسيين 4 : 241 ع 315 وكشف الظنون ص 1412 والمخطوط ص 63 ع 110 ومعجم المؤلفين I : 273 وفهرسة الرصاع ص 160

(I3) الضوء اللامع 2 : 74 ع 220

(I4) انباء الغمر 8 : 50 والضوء اللامع 2 : 59

وكان طبيباً حاذقاً نكياً ماهراً لبيبا ، ألف كتابا في الطب سماه (تحفة القادم)
يشتمل على مقدمة وستة ابواب اهداه الى السلطان احمد بن محمد الحفصي
متقدم الترجمة (4 : 415 ع 1370) ثم الى خلفه السلطان عبد العزيز ، توجد
منه نسخ عديدة في مكتبات كثيرة ، منها نسخ ' المكتبة الوطنية بتونس ،
ونسخة ' دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم 1198 ف 1052

لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 827 (15)

(1386) احمد بن عبد الرحمان ابن الأستاذ الغدرومي ، فقيه من اهل
ندرومة ، وهي بلدة صغيرة تقع بجبال ترارة بين تلمسان ومرسى الغزوات ،
اخذ عن محمد ابن مرزوق الحفيد ، ورحل الى القاهرة فتصدّر بها للتدريس
ولقّب بشهاب الدين ، وكان عارفا بالمنطق ومن مشاهير فقهاء المذهب المالكي
في وقته .

له كتاب كفاية العمل . شرح به كتاب شيخه ابن مرزوق المسمّى
نهاية الأمل ، في شرح الجمل ، جمل محمد الخونجي في المنطق .

كان حياً بعد سنة 830 هـ (16)

(1387) احمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين الحكمي شيخ
قبيلة حكيم احدى قبائل بني حصن بن علاق السلّمية الذين كانت مساكنهم
بين مدينتي سوسة والأجم بالقطر التونسي ، يكنى ابا صعنونة ، وبكنيته
اشتهر ويذكر ، آلت اليه الرئاسة بسوسة الى ان طرده منها السلطان احمد
الحفصي ، فبقي وقومه ينتجعون البوادي ، تارة يطيعون السلطان وتارة
يخالفون عن امره ، واخباره كرئيس قبلي تذكر بكثرة في مدة تتجاوز خمسين
سنة من حكم الأسرة الحفصية .

(15) تاريخ الطب العربي التونسي ص 116 - 118 وتراجم المؤلفين التونسيين
2 : 241 ع 167 والمخطوط ص 64 ع 111 وهدية العارفين ص 115 وفهرس المخطوطات
المصورة (العلوم) 2 : 40

(16) البستان ص 44 وتعريف الخلف ، برجال السلف 1 : 31 و 2 : 36
وتوشيح الديباج ص 51 ومعجم اعلام الجزائر ص 329 ومعجم المؤلفين 1 : 150 وكشف
الظنون ص 602 و 1986 وكفاية المحتاج ص 125 ونفح الطيب 5 : 428 ونيل الابتهاج
ص 80 .

قتل بصحراء طرابلس عام 833 هـ قتله صاحبها نبيل ابن ابي قطاية ،
ويظهر انه عُمَر طويلا (17)

(1388) احمد بن محمد الشماع الهنتاتي . فقيه تونسي اصله من
قبيلة هنتاتة المغربية الكائنة مساكنها بجبال الأطلس الكبير خلف مدينة
مراكش ، انتقل منها سلفه مع بني حفص سلاطين تونس الذين ينتمون اليها
ايضاً ، ويتونس ولد المترجم به نشأ وقرأ على كبار المشايخ كمحمد بن
عرفة الورغمي .

وكان فقيهاً مُحققاً مشاركاً دينا فاضلا ، بلغ المرتبة العليا في
معرفة الفقه المالكي واستيعاب احكامه ، غير انه لم يشتهر اشتهار رفقائه
الذين درسوا وياهم على ابن عرفة ، كمحمد بن خليفة الوشتاتي الأبي واحمد
بن محمد البرزلي وقاسم بن عيسى ابن ناجي لأنه كان منشغلا عن الوسط
العلمي والفقهي بالقضاء وملازمة باب السلطان ، وقد تبوأ مكاناً عاليا عند
السلطان عبد العزيز (عزوز) بن احمد الحفصي ، فكان قاضي محلته ،
وخطيب جامع القصبية بجوار قصره ، والامام الذي يُصلي به مع الجماعة ،
والأستاذ الذي يظاھر به اذا غشي قصره وجوه العلماء من المغرب
والأندلس ، كما كان جليس اسمازه ، ورفيق اسفاره ، يقيم في الحاضرة
باقامته ، ويظعن اذا سافر الى جهة من الجهات بظعنه ، وهو الذي قرا
بجامع تلمسان الكبير بيعة أهله لما دخلها يوم 13 جمادى الأخرى
عام 827 هـ (18) بحضور فقهاء الكبار كابن مرزوق والعقباني وابن الامام
وابن النجار ، وكان السلطان المنكور يعرف قدره ويسني جائزته ، ويشهد
له بحوز قصب السبق والتقدم في العلم على من عداه من الفقهاء والعلماء ،
ومن مظاهر عنايته به وتقديره اياه انه جعله ناظراً على جميع قضاة المحال

(17) تاريخ ابن خلدون ج 6 صفحات كثيرة ، وتاريخ الدولتين ص 107 - 111

128 - 126 - 132 -

(18) ذكر ابن ابي دينار القيرواني في المونس ص 154 ان الذي قرأ البيعة هو
محمد الشماع - يريد ابن المترجم به - ولعل ذلك خطأ من النسخ او من المطبعة .

وقضاة الكور وعدولها ، وانه كان يُعِينُهُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن اخباره مع هذا السلطان ما حكاه ولده محمد عن والده المترجم به قال : استدعاني السلطان لصلاة الصبح بغلّس ، وكان من عادته ان يصلي الصبح بغلّس ويركب فرسه في مأربه ، فلما فرغنا من صلاة الصبح ركب وسار مع جنده ، قال : فبقيتُ في مكاني الذي صليتُ فيه وانا افكرُ في اعادة الصلاة ، لانه وقع عندي شك في طلوع الفجر ، وهل وقعت الصلاةُ في وقتها ام لا ؟ قال : واذا به قد رجع منفرداً من جنده الى ان وصل الي ، فقال لي : يافقيه احمد ، ما نُصلي بعد هذا اليوم ان شاء الله حتى نتبينَ طلوع الفجر .

وكما كان أحمد الشماع أثيراً عند السلطان عبد العزيز كان أثيراً عند ابنه ووليِّ عهده الأمير محمد ، فلما توفي هذا الأمير بظاهر طرابلس عشية يوم الأحد 22 رجب عام 833 هـ تولّى غسله وتكفينه وحزن عليه حزناً شديداً ، ولم يلبثُ بعده الا اشهرًا قليلة ومات ، وقال السلطان عبد العزيز لمن جاء من اسرة الشماع يُعزيه فيه : كنت اعلمُ انه سيلتحق به في اقرب وقت من شدة وجده عليه .

وكان للشماع صلاتٌ ودٌ وثيقةٌ مع بعض اصدقائه الذين درسوا معه على ابن عرفة ، كييعقوب بن يوسف الزعبي ، ومع بعضهم الآخر خصومات وعداوات خرجت احياناً عن نطاق اللباقة والادب حتى اصبحت هجواً صريحاً وسباباً مقذعا ، مثل الذي حدث بينه وبين الامام البرزلي في مسألة العقوبة بالمال هل هي جائزة باق حكمها ام هي منسوخة ؟ واللف في ذلك احدهما يردُّ على صاحبه ، واسمُ الرسالة التي ردَّ بها الشماع على البرزلي (مطلع التمام ، ومنجاة الخواصِّ والعوام ، في رد القول باباحة غرم ذوي الاجرام) .

وللمترجم شعراً قليل أكثره في مدح مخدومه السلطان عبد العزيز ،
فمن ذلك قوله من قصيدةٍ عددُ أبياتِها 76 بيتاً :

أياذاك الامامُ ومَن إليه	تناهى العزُّ والشرفُ الخطيرُ
ومَن عظمتُ وقائعُه وجلَّتْ	صنائعُه ، فتمَّ به السرورُ
على أساسِ مجدك في البرايا	وجدِّك والتَّقَى نُصبَ السريرِ
شددتَ الملكَ بالتقوى فتمتْ	خصالُ المجدِ وانتظمَ النفيرُ
وشيدتَ المنابرَ إذ بناها	بنو حفصٍ فعزَّ لك النظيرُ
غزوتَ بنصرةٍ عند الأعادي	ظفرتَ وسدتَ واللهُ النصيرُ
عقدتَ العزمَ في تركِ الخطايا	فمثلك لا يُجارُ ولا يجورُ
فوفَّ بما عقدتَ ولا تماطلُ	فما تدري متى ياتي السِّفيرُ
ولا تتبعُ هوى مَن لا يُبالي	بما يؤذيك ، فالمولَى غيورُ
وقد وضعَ السبيلَ لمن ارادا	وبان الحقِ وانتظمَ المسيرُ
وان الحقَّ لا يعتاضُ عنسه	ولا معه مثيلٌ أو نفيرُ
حدودُ الله كافيةٌ لجزر	ومَن قد قال لا تكفي كفورُ

ومن ذلك قوله من قصيدةٍ يحتُّ فيها على الجهادِ عددُ أبياتِها
59 بيتاً رفعها الى وليِّ العهد الأمير محمد الملقب بالمنصور ابن السلطان عبد
العزيز :

تروح ليالي النصر فينا وتغتدي	بحرمة ذي الجاهِ العظيم المُمجِّدِ
واشرف خلق الله اصلاً ومحتداً	وخير نبيٍّ ضمَّه الحشرُ والندى
وأشرف مبعوثِ واكرم مرسل	واقضل آتٍ بالهداءِ لمُهتدي
فشدهً مطايا العزمِ واقصدُ محمداً	نبيك يا عبد العزيز بنَ احمد
حباك إليه العرشُ سعداً مجدداً	ونصراً على مرَّ الزمانِ المجددِ

وفيها يقول مخاطباً الأميرَ محمد وليَّ العهد :

وياعدةً التوفيقِ والفضلِ والهدى	وخير مليكٍ للزمانِ مؤيدِ
تلقَّب بالمنصور في البأسِ والندى	وفي الفضلِ كهف المسلمين محمدِ

شددت القوى والعزم من خير ملكه
فضوئك يهوي في الهبوط الى الثرى
اذكرك الله الذي عزَّ شأنه
افديك من برِّ على البرِّ مسعد
وجدك في خير خروف مسعد
وسلطانه من سيد وابن سيد
الى ان يقول فيها :

واسألك اللهم ذا الطول آية
تخصُّ بها عبد العزيز ونجله
بحرمة كهف العزِّ والمصطفى الذي
محمد المحمود في كل مشهد
عليه سلام الله ما دامت الدنيا
من النصر تستولي على كل معتد
واعوانهم في الحق من كل مهتد
رفعت بناه فوق كل مشيّد
 واصحابه من راعين وسجّد
وما ذكر الرحمان في كل مسجد

ولا خفاء بما في هذه الأنظام من ركافة الفاظ وتفاهة معاني ، ولا
عجب ، فالرجل كان فقيها ولم يكن من الشعراء .

اخذ عنه عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي ، ونقل الونشريسي
في (المعيار) بعض فتاويه .

توفي بتونس في 30 شوال عام 833 (19) ، وهو والد محمد بن احمد
الشماع صاحب كتاب (الأدلة النورانية ، في مفاخر الدولة الحفصية) ،
وتقدمت ترجمة احمد بن محمد ابن الشماع الأوسي قاضي مراکش
(4 : 391 ع 1358) .

1389) احمد بن علي ابن منصور الحميري البجائي ، فقيه نحوي
من أهل بجاية بالمغرب الاوسط ، رحل الى المشرق واستقر في القاهرة ،
واخذ عنه بها برهان الدين اللقاني ، له شرح على الأجرومية اوله : الحمد لله
الذي نحت نحوه قلوب اصفياه .

(19) الأدلة النورانية ص 16 وتاريخ الدولتين ص 128 وتكميل الصلحاء
والاعيان ص II و 309 والحلل السنديسية 2 : 191 والمؤنس ص 154 والمعيار المعرب
5 : 358 ونيل الابتهاج ص 76 وفهرسة الرصاع ص 108 وشجرة النور الزكية I : 244ع 876

توفي عام 837 (20)

1390) احمد بن محمد المصمودي التاجري ، كذا كتبت نسبه في (الدستان) لمحمد بن ابي مريم المليتي وهو بلديه ، وكتبت النسبة في كتب اخرى كـ (فهرسة ابن غازي) هكذا (الماجري) ، فان صحت النسبة الأولى فهو منسوب الى تاجرة او تاجورة قرية واقعة على ساحل البحر الأبيض بتراب قبيلة بني عابد من حوز ندرومة بولاية تلمسان ، وهي القرية التي ولد بها الخليفة' الموحدى عبد المومن بن علي ، وان صحت الثانية يكون أصله من بني ماجر ، وهم بربـر" مصموديون قوم أبي محمد صالح دفين مدينة آسفي .

تفقّه بتلمسان على محمد ابن مرزوق العجيسي وبتونس على عمر بن محمد القلشاني ، ورحل الى المشرق وحجّ وسمع من محمد بن احمد الكازروني بالروضة الشريفة من الحرم النبوي عام 827 ، وكان من كبار فقهاء المالكية في وقته .

اخذ عنه عبد الله بن عبد الواحد الورياكلي ومحمد بن يحيى ابن جابر الغساني وغيرهما .

توفي بمكة في جمادى الأخرى عام 838 هـ ، وزعم صاحب (معجم اعلام الجزائر) ان المترجمَ به عاد الى تلمسان ودرس بها ، ولا اعرف على اي كتاب اعتمد في ذلك (21)

1391) أحمد بن' قاسم بن سعيد العقباني ، فقيه" من أهل تلمسان ، وأسرة' العقباني من اسرها النبيلة التي اشتهرت' بالعلم والفضل ، وهم'

(20) الضوء اللامع 2 : 44 و 255 ونقله في معجم اعلام الجزائر ص 33

(21) انباء الغمر 8 : 360 والبستان ص 51 وتعريف الخلف 2 : 34 وتوشيح الديباج ص 62 ع 32 ودعوة الحق ع 251 ص 26 - 28 (غشت 1985) ومعجم اعلام الجزائر ص 64 ونيل الابتهاج ص 78 والضوء اللامع 2 : 156 و 220 وفهرسة الرصاع ص 192 وفهرسة ابن غازي ص 115 - 116 - 117 - 118

ينتسبون الى قرية عُقْبَان بالأندلس ، هاجروا منها الى المغرب واستقروا
بتلمسان فنبهوا بها وظهر منهم علماء ، وعقبهم موجود" بها الى اليوم .

تولّى المترجمُ به قضاءَ تلمسان ، وبها توفيَ سنة 840 (22) ،
وستاتي ترجمة ابيه قاسم وغيره من علماء اسرته .

1392) احمد بن ابراهيم البجائي ، فقيه" من اهل بجاية ، كان من
اكابر فقهاء المذهب المالكي في وقته .

توفي بعد عام 840 (23)

1393) احمد بن محمد الداودي البجائي ، اديب" من اهل بجاية ،
له كتاب (حدق' المقلتين ، في شرح بيتي' الرقمتين) ، شرح به البيتين
الشهيرين اللذين يُلغزُ بهما :

راتُ قمرَ السماء فذكرتني لياليَ وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمرًا ، ولكن رايتُ بعينها وراتُ بعيني
ذكر فيه 4I معنى لهما !

مات عام 84I (24)

1394) احمد بن محمد الماواصي ، فقيه مغربي أصله من قبيلة
بطوية ، كان معروفَ الفضل باديَ الصلاح ، ويقال فيه أيضاً ابن ماواس .

توفي بفاس عام 842 (25)

22) الاكليل والتاج (مصور مخطوط) ص 8 وألف سنة من الوفيات ص 248
والبستان ص 5I وتعريف الخلف : 2 : 77 ودرة الحجال : I : 63 ع 92 ومعجم اعلام الجزائر
ص 236 ونيل الابتهاج ص 78

23) الضوء اللامع : 2 : 209 ونقله في معجم اعلام الجزائر ص 32

24) الاعلام للزركلي : I : 227 وكشف الظنون ص 635 ومعجم اعلام الجزائر
ص 33 وهدية العارفين : I : 126

25) الاكليل والتاج ص 10 وألف سنة من الوفيات ص 14I و 248 وجذوة الاقتباس
ص 126 ع 60 والموسوعة : 3 : 138 ونيل الابتهاج ص 78 وسلوة الانفاس : 3 : 245

1395) احمدُ بن عيسى البطيوي ، فقيه " موثق " عدل " من اهل تلمسان ، كان يتقن علمَ الأصول ، تولّى الافتاءَ والقضاء بتلمسان ، نقل الونشريسي في المعيار قصةَ خصامه مع ابي الفرج بن عبد الرحمان (أبي يحيى) الشريف التلمساني وفتوى الفقيه أحمد بن محمد ابن زاغو في المسألة وهي طويلة .

كان حياً سنة 843 (26)

1396) احمدُ بن محمد بن عيسى الجايي ، فقيه مغربي من أهل فاس منسوب" الى قبيلة لجاية الواقعة مساكنها باقليم تاونات شمالي مدينة فاس ، ويقال في هذه القبيلة أيضاً جاية بحذف اللام ظنا بان اللام جزء من أكل التعريف ، فلهذا يكتب من ينتسب الى هذه القبيلة للجايي تارة والجايي تارة اخرى تخفيفاً .

ولد بفاس في شهر رمضان عام 792 واخذ عن أبيه علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ، وتفقه به وبالخطيب عبد العزيز التازغدي ، وناب عن والده في قضاء بلده خمس عشرة سنة ، ثم عرض عليه القضاء استقلالاً فأباه ، فلما ضيقَ عليه لقبوله نجا بنفسه وسافر الى المشرق بقصد الحج ، فدخل مكة بعد سنة 830 بيسير ، وتردد بينها وبين المدينة المنورة للزيارة ، ثم سافر الى مصر فلقِيَ بها المقرئ وغيره ، واقام بها مدة وهو ينوي ان يعود الى وطنه ، فلما قضى منها وطره ركب البحر راجعاً الى المغرب فأسره قرصان النصارى وذهبوا به الى جزيرة رودس احدى جزر بحر ايجة ، فبقي بها اسيراً الى ان فدّيه بمال جمع لفدائه من القاهرة ، فرجع اليها واستوطنها وطارت بها شهرته وعرفت براعته ومهارته ، حتى عرض عليه قضاؤها بعد محمد بن أحمد البساطي فامتنع .

26) البستان ص 51 وتعريف الخلف 2 : 74 وكفاية المحتاج ص 122 ومعجم اعلام الجزائر ص 67 والمعيار المغرب 2 : 540 - 541 والموسوعة 2 : 125 ونيل الابتهاج ص 78

وكان فقيهاً كبيراً ونحوياً متقناً عارفاً بقواعد اللغة درسها والفقهاء بالمغرب والحرَمَيْنِ ومصر ، وحضر مجالسَه الأَكْبَرُ وشهدوا له بالبراعة وقوة العارضة وسعة الاطلاع حتى قال عنه ابن ابي اليُمْنُ انه لم يرَ من العلماء اعظمَ منه ، وانه بحرٌ لا يُجَارَى في العربية والفقهِ وعلوم الأدب والقراءات مع حسن الخلق وكثرة التواضع واللطافة .

ومن اخباره ما ذكره المقرئزي - رواية عنه - في (العقود الزاهرة) انه في سنة 823 كثرت الأمطار والسيول في اعمال فاس ، فظهر انسانٌ طوله ذراع في عرضٍ شِبْرٍ .

اخذ عنه عديدٌ من الرجال ، منهم محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالكفيف ، وبرهان الدين اللقاني ، ونقل عنه ابن غازي في (تكميل التقييد) وأحمد الونشريسي في (المعيار) .

دخل في آخر عمره صحراء التكرور ، واقام بها سنةً يُفسرُ لأهلها القرآن ويُعلمهم الدين ، ثم أدركه بها الموت عام 843 (27)

1397) أحمد بن محمد ابن زاغو الخزري المغراوي ، أحد مشاهير فقهاء تلمسان وعلمائها في القرن التاسع الهجري ، وبيتُ بني زاغو بيت بها نبيهٌ شهير ، ولا يزال عَقِبُهُم بها الى الآن .

ولد بها عام 782 واخذ عن كبار علمائها وفقهائها كسعيد العقباني وعبد الرحمان بن محمد الشريف المشهور بكنية أبي يحيى ، وكانت العلوم والفنون التي أخذها عنهم وبرع فيها وصار فيما بعد من كبار حُفَظَها

(27) توشيح انديباج ص 62 ع 30 وجذوة الاقتباس ص 122 ع 53 والمعيار 1 : 325 و 7 : 305 و 311 وقد كتب فيه البجائي خطأ بدل اللجائي ومعجم المحدثين والمفسرين ص 17 ومعلمة القرآن والحديث ص 28 ونيل الابتهاج ص 62 و 78 ونفح الطيب 5 : 419 والضوء اللامع 2 : 163 وسلوة الانفاس 1 : 304

ومدرسيها والمؤلفين فيها هي التفسير والحديث والفقه والعربية والحساب والتصوف ، وسنذكر بعض ما ألفه فيها فيما بعد .

وكان دمث الأخلاق حسن الرفقة مواظباً على العبادة وتدريس العلم ، غير أنه كان يميل الى العزلة وينفر من مخالطة الناس ، وينشد في مجافاتهم أشعاراً كقول بعضهم :

رايت الانقباضَ أجلَّ شيء وأدعا في الأمور الى السلامة
فهذا الخلقُ سالمهم ودعهم فخلطتهم تقود الى الندامه
ولا تُعن بشيء غيرَ شيء يقود الى خلاصك في القيامة

وقول آخر وكان يستحسنه :

أنست بوحدي ولزمت بيئي فدام الأنس لي ونما السرور
وإدبني الزمان فما أبالي هُجرت فلا أزار ولا أوزر
ولست بسائل ما دمت حياً أسار الجند أم ركب الأمير

وهذا يدل على شذوذ طبع وتشاؤم نفس وسوء فهم للحياة .

درس بالمدرسة اليعقوبية التي بناها السلطان أبو حمو الثاني أكبر سلاطين بني عبد الواد وأشهرهم وقد سبقت ترجمته (I:399ع29I) ، وكان يقسم العلوم التي يدرسها بها على الفصول والأيام ، ففي فصل الشتاء كان يدرس التفسير والحديث والفقه ، وفي فصل الصيف يدرس العربية والأصول والبلاغة والحساب والفرائض والهندسة ، ويختص يوم الخميس والجمعة بقراءة التصوف وتصحيح تأليفه .

وصفه أحمد بن علي البلوي في (الثبت) بالامام العلامة الصوفي الراوية المحدث المتفنن الفرضي الحسابي ، ووصفه تلميذه علي بن محمد القلصادي بشيخنا وبركتنا الفقيه الامام المفتي المصنف المدرس المؤلف ،

وقال عنه في رحلته المسماة (تمهيد الطالب ، ومنتهى الراغب ، الى اعلا المنازل والمناقب) المطبوعة حديثاً تحت اسم (رحلة القلصادي) ما نصه : اعلمُ الناس في وقته في التفسير ، وافصحهم في التعبير ، اخذَ بمذهب الامام مالك ، وفاقَ على نظرائه واقرانه في دلائل السبيل والمسالك ، التي سبقَ في الحديث والأصول ، وقدمَ راسخة في التصوف ، مع الذوق السليم والفهم المستقيم ، وبه يضربُ المثلُ في الزهد والعبادة ، وعند كلامه تقف الفتيا في الإنكار والارادة ، مقبلٌ على الآخرة معرضٌ عن الدنيا ، عارٍ عن زخرفها ، الا ما يتخذُه من ثوب حسن او هيئة فيها جمال ، اكرمه المولى بتلاوة القرآن ، وشرفه بملازمة قراءة العلم والتصنيف والتدريس والتأليف ، له نسبٌ اشهر من الشمس في السماء ، وحسبٌ كاتساق عقْد النجوم في نحر الظلماء ، وخلقٌ أندى من الزهر واسوغٌ من الماء ، ونزاهةُ الهمة العالية ، والمشاركة المباركة للخاصة والعامّة من هذه الأمة ، مع اثار الخلوة واجابة الدعوة (28) .

اخذ عنه عديدٌ من الطلبة ، مثل يحيى ابن يدير ، ويحيى بن ادريس المازوني صاحب النوازل ، ومحمد بن عبد الجليل التنسي ، واحمد ابن زكري ، واشهرهم عليُّ بن محمد القلصادي الذي انتفع به كثيراً لما ورد على تلمسان سنة 840 ولازمه طيلة مقامه بها .

من تأليفه I - مقدمة في التفسير . 2 - وخاتمة في التفسير سماها التذييل ، في ختم التفسير . 3 - وتفسير سورة الفاتحة وصف بأنه كثير الفوائد وفي غاية الحسن . 4 - ومنتهى التوضيح ، في عمل الفرائض من الواحد الصحيح ، استوفى فيه طريق القرشي واستنبط اشياءَ ظهرت له ولم يسبقَ إليها . 5 - واختصار الكتاب المتقدم . 6 - وشرح التلخيص لموالده . 7 - وشرح التلمسانية في الفرائض . 8 - وشرح الحكم العطائية . 9 - واجوبة فقهية توجدُ مخطوطة بمكتبة تمكروت محفوظة تحت عدد I525

فرائض . وله فتاوي عديدة" في انواع العلوم اثبتت جملة" منها في نوازل المازوني ومعيار الونشريسي .

وتوفي بتلمسان موبوءاً عصرَ يوم الخميس 14 ربيع الاول عام 845 وصلِّيَ عليه من الغد بعد صلاة الجمعة بالجامع الكبير ، وأقبر خارجَ البلد بطريق العباد قرب عينٍ وانزوتة ، وشهد جنازته الخاصُ العامُ وأسفَ الناسُ لفقده أسفاً كبيراً (29)

1398) احمد بن محمد بن عيسى زروق البرنسي ، فقيه متصرف من اهل فاس ، واصل أسرته من قبيلة البرانس التي توجد مساكنها بالقرب من مدينة تازة ، وعرفت أسرته بزروق لأن اباه محمد بن عيسى كان أزرق العينين ، وهو والد الشيخ احمد زروق دفين مسرارة من ارض ليبيا آتي الترجمة توفي بفاس يوم الثلاثاء 27 محرم عام 846 (30)

1399) احمد بن محمد المقرئ فقيه نحوي وصفه مترجموه بالمالكي المغربي وذكروا انه يلقب بشهاب الدين .

شرح الفية ابن مالك بكتاب سماه التحفة المكية .

توفي بعد عام 847 هـ وهو العام الذي أتم فيه تأليف كتابه المذكور ، وهذا الرجل انما اثبتته لنسبته المغربية ، ولعله واحد من آل المقرئ التلمسانيين هاجر الى المشرق وانقطعت به اخباره (31)

(29) الاعلام للزركلي I : 227 والبستان ص 41 وقاربخ الدولتين ص 140 وتوشيح الديباج ص 62 ع 33 والثبت للبلوي ص 105 و 313 و 425 والحال السندسية I : 655 و 2 : 197 ودرة الحجال I : 63 ع 93 ودعوة الحق (مجلة) س 16 ع 3 ص 159 ورحلة القلصادي ص 32 و 47 و 102 ولقط الفرائد ص 250 ومعجم اعلام الجزائر ص 156 ونيل الابتهاج ص 78 والمعيار المعرب صفحات عديدة ، والفكر الساسي 2 : 257 وشجرة النور الزكية I : 254 ع 921

(30) الكناش ص 11

(31) الازهرية 4 : 122 والاعلام للزركلي I : 227 ومعجم اعلام الجزائر ص 309

1400) أحمد بن سعيد الجريري المرادي ، فقيه" مالكي من اهل المغرب الأدنا يُعرفُ بنسبته الى قرية ابن جريير القريبة من القيروان ، وبها ولد عام 810 هـ وقرأ القرآن برواية نافع ثم انتقل الى القيروان فأخذ بها الفقه على عمر المسراتي ، ثم ارتحل الى تونس فأخذه عن أبي القاسم البرزلي ولازمه اربعاً وعشرين سنةً وبه كان جلُّ انتفاعه ، وعن أبي القاسم العبدوسي وعمر القلشاني وعنه أخذ أيضاً العربية والمنطق والأصليين والمعانسي والبيان ، ومن شيوخه أيضاً محمد الطبلبي ومحمد ابن مرزوق وابو القاسم العقباني ويوسف التونسي واحمد الشماع متقدم الترجمة (5 : 23 ع 1386) ولما اتمَّ تعلّمه تجردَ للعبادة وسافرَ بحراً للحج في اواخر ربيع الثاني عام 844 فدخل القاهرة بعدما تعرض المركبُ الذي سافر فيه لأحوال وأخطار ، ثم وصل مكة في رمضان فحج وزار قبرَ الرسول (ص) بالمدينة المنورة واستوطنها وصاهرَ قاضيها ، وبقي على طريق السياحة الى ان اقترح عليه الاشتغال ، فانشرح صدره للتدريس ، واقبل على اقرء العربية والفقه ، فوقع عليه اقبال" كبير" من الطلبة واجمع الناس' على فضله ولهجوا بذكره ، ومع ذلك لم يخلُ من حاسد يشتمه وحاقدٍ يهجوّه ، كابراهيم بن عمر البقاعي الذي قال فيه :

وثعبانٍ بدا في زيِّ حبّـلٍ لأجعلّه جريراً للبعير
يخادعُ كالجريري كلُّ كسر فقلتُ لحاك ربّي من جريري

من نظمه قوله :

ياسيّدي يارسول الله ياسندي يا عمدتي يارجائي منتهى أملي
أنت الوجيه' الذي ترجأ شفاعته كنّ لي شفيعاً غداً يا خاتمَ الرسل

وقوله وهو مما أنشدَ ابا يحيى ابن عقيبة القفصي :

أزفَ الحِمامُ وانتَ ساهٍ معرض عن كلِّ خطبٍ فما لئيمٌ يعرض ؟
يا ويح من ركب البطالة واغتنى يشتدُّ في طلب الخصام وينهض

مات بالمدينة المنورة صباحَ يوم الخميس 30 رمضان عام 849
ودفن في مشهدٍ عظيمٍ لم يتخلف عنه احدٌ من اهل السنة (32)

1401) احمدُ بن عيسى الداوودي الأوراسي ، فقيه من المغرب
الأوسط ، ولد بجبال الأوراس سنة 804 هـ وحفظ بها القرآن برواية ورش
ورسالة ابن ابي زيد القيرواني ، ثم انتقل الى تونس لاكمال معارفه ، فقرأ
فيها القرآن برواية نافع بكماه ، وتفقه بأبي القاسم البرزلي وسمع البخاري
علي العبدوسي ومحمد ابن مرزوق وبحث عليه في الأصول والمنطق والمعاني
والبيان ، ووضع حواشيَ على الكتب التي قراها على شيوخه ، ثم سافر الى
المشرق بقصد الحج ولقي به محمد السخاوي .

وكانت وفاته بعد عام 849 (33)

1402) احمد بن علي الغرناطي ، شاعر اندلسي او من اصل
اندلسي كما تدلّ على ذلك نسبته الى غرناطة ، لا نعرف عن حياته شيئاً ولا من
أشعاره الا الموشحة التالية التي قالها عام 849 إثر قفوله من الحج :

حيّاكَ بالأفراح داعي الصبّاح قم لاصطبّاح
فالنومُ في شرع الهوى لايبّاح
والصبحُ قد جُرد منه حسام بادى القسام
تضحى وجوه الزهر منه وسام ذات ابتسام
وحامُ جنح الليل قد عاد سام مما يُسام
وخافقُ البرق بدا بالنيـاح سامى اللـيـاح
وأدمعُ المزن به في انسيـاح

(32) الضوء اللامع 1 : 305

(33) الضوء اللامع 2 : 59 ونقله في معجم اعلام الجزائر ص 24

والروض' من ذاك الهتونِ البليل
يفدو نسيم' الزهر منه عليل
وساجع' الببليل يبدي أليل
لما راي تلك الغياضَ الفساح
وكادَ يُزري بالطيور الفصاح
غنى وصباح

انبي بذكري للتصابي أطيب
كأنما تذكاره لي مطيب
حتى إذا ما قمت' فيه خطيب
رايت' مدحي للمصفات الملاح
فلم' أصيخ' فيه الى قول لاح

عن كل' طيب
غصن' رطيب
بما يطيب

اما ترى ابن البارزِي استمال
غيث' ولكن ليس فيه انهمال
بدر' ولكن' ليس الا كمال
له بأفق المعلوات التماح
وشأنه البذل' وفرط' السماح

قلبي فمال
الا بممال
ثمَّ الجمال

قد حاز خصلَ السبق بين الوجود
تهوي السُّماكانِ اليه سجد
وذاتُه العلياء' روض' مجود
شذاه بالممامول والسُّؤل راح
ومورد' العافين منه قَراح

حليماً وجود
حينَ يجود
عالي النجود

بمثل هذا الذئخر يشفى الغرام
فانه فخر' القضاة الكرام
وجاهنه أزرى بكل' احترام
مما يُسرام
بلا انصرام
صعب المرام

رجوده في الناس ضافي الجناح بالامتناح
فهل على مدّاحيه من جنساح
وهاكها مولاي ذات اعتقال كما يقال
ترجو ندى يقضي بحل العقبال للانتقال
وها انا عارضت فيها مقال من كان قال
بنفسج الليل تذكّي وفّاح فوق البسطاح
اظنّنه يسقى بماء وراح

ولا خفاء ببراعة هذا الموشح .

وهذا الشاعر الوشاح انما ذكرته لمجرد التذكير ، ولتذرة الآداب في هذه العقود الاخيرة من حياة الاندلس الاسلامية ، وعسى ان تكشف لنا الايام في المستقبل عما نجعل الآن من حياته وادبه .

توفي بعد عام 849 (34)

1403) احمد بن الناصر بن ابي حمو الزياني ، امير" من اسرة بني عبد الواد الزيانية المتملكة بتلمسان ، ثار على عمه السلطان احمد الملقب بالعاقل ابن السلطان ابي حمو الثاني ، دخل عليه تلمسان ليلة 27 رمضان عام 850 والتفتّ حوله طائفة من اهلها ونادوا بنصره وهولوا بطبول ومزامير فلم يتم لهم ما صرخوا من تملكه ، فقبض عليه وجيء به الى عمه السلطان احمد آتي الترجمة فأمر بقتله .

ذكره الحافظ التنسي في كتابه (نظم الدر والعقيان) وزاد ان السلطان احمد امر بعد هذه الفتنة ببناء سور عظيم ادير على قصره وما اضيف اليه والحق به (35)

(34) ديوان الموشحات الاندلسية 2 : 575 و 766 نقلا عن العذاري المائسات من 18

(35) نظم الدر والعقيان في طبعة المسماة تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ص 53

1404) احمد بن يحيى بن عيسى الصنهاجي ، فقيه مغربي هاجر الى المشرق وتلقب فيه بشهاب الدين ، سمع (التيسير) للداني على الفوي ، ودرس بالأزهر وغيره وانتفع به الناس .

وصفه السخاوي في الضوء اللامع بالمقريء ، وفي التبر المسبوك بالامام الفاضل المفتي ولم يجزم بولايته قضاء طرابلس الغرب .

توفي يوم الاحد 9 ربيع الاول عام 855 (36) ، ولعله ابن أخي أحمد بن عيسى الصنهاجي متقدم الترجمة (5 : 22 ع 1382) ، ولست أدري أهو مغربي الولادة ام مغربي النسب فقط ؟

1405) احمد بن صالح ابن خلاصة الزواوي ، فقيه جزائري هاجر الى مصر ونزل الجامع الأزهر واقام به مدة ، واخذ عن ولي الدين العراقي وشرف الدين ابن الكويك وكتب عن ابن حجر في الامالي وغيرها ، ثم رحل الى الحجاز وجاور بالمدينة المنورة .

اجاز لمحمد بن عبد الرحمان السخاوي

توفي بالمدينة في شهر ربيع الأول عام 855 عن نحو سبعين سنة (37)

1406) احمد بن محمد نور الله الفشتالي ، فقيه مغربي أصله من قبيلة فشتالة الجبلية الكائنة مساكنها باقليم تاونات شمال مدينة فاس ، كان مقرئاً صالحاً يُعلم القرآن بكتاب له بحومة الطالعة من فاس .

توفي عام 856 ذكره الشيخ احمد زروق آتي الترجمة في (الكناش) وقال انه اخو جدته ام ابيه (38)

(36) التبر المسبوك ص 356 والضوء اللامع 2 : 243 و 258 و 264

(37) الضوء اللامع 1 : 315 ونقله في معجم اعلام الجزائر ص 160

(38) الكناش ص 17

1407) احمد بن عبد الله ابن العجل الزروالي ، فقيه" مغربي منسوب الى قبيلة بني زوال الكائنة مساكنها باقليم تاونات شمال مدينة فاس ، ويقال ايضاً في نسبته اليها الوزروالي ومعناها ابن الزروالي لأن (الواو) في اللهجات البربرية تعني ما تعنيه كلمة (ابن) في اللغة العربية .

كان فقيهاً مقرئاً نحوياً متصوفاً ، دخل فاس واشتغل بنسخ الامهات وتدريس كتاب (التهذيب) للبرادعي بمدرسة الصهريج ، وتولى قضاء المحلة للسلطان وقضاء فاس الجديد ، وناب عن قاضي فاس القديم .

توفي بفاس بالطاعون المعروف بوباء عزونة في شهر رمضان عام 856 هـ (39)

1408) احمد بن يحيى العوكلي ، فقيه مالكي من اهل قسنطينة بالمغرب الأوسط ، رحل الى المشرق واستقر بمكة وتولى بها مشيخة رباط الموفي ، وكان موقتاً وماهراً في آلات التجارة .

توفي بمكة في شهر ربيع الآخر سنة 860 هـ (40)

1409) احمد بن محمد الأبيذي البجائي ، فقيه من اهل بجاية ، واصل سلفه من مدينة ابنة الأندلسية القريبة من جيان ، وبالنسبة اليها كان يعرف ، اخذ ببلده بجاية عن محمد بن يحيى بن عبد الله البويوسفي ومحمد بن محمد القماح الأندلسي ، ورحل الى مصر فحضر دروس القاياتي وابن قديد وعز الدين بن عبد السلام ، وحج فأخذ بالمدينة المنورة عن جمال الدين الكازروني

(39) ألف سنة من الوفيات ص 254 وفيها ابن عجلان وهو خطأ والبحث العلمي (مجلة) 2 : 219 والتبر المسبوك ص 375 وجذوة الاقتباس ص 128 ع 64 والكناش ص 19 وكفاية المحتاج ص 25 والمعيار المعرب II : 46 ونيل الإبتهاج ص 80 والضوء اللامع 2 : 259 وقضاة فاس (نسخة مرقونة) 3 : 7

(40) الضوء اللامع 2 : 243 و 264 ونقله صاحب معجم اعلام الجزائر ص 246 مع زيادات من عنده .

وغيره ، ثم عاد الى مصر فاستقرَّ بها وتصدى للتدريس بجامعة الأزهر ، ولما سكن المدرسة الباسطية تصدى للتدريس بها الى ان مات .

وكان متقدماً في الفقه والنحو والصرف والمنطق والعروض ، ولاسيما في العربية التي قلَّ مَنْ كان يدانيه فيها من اهل زمانه ، متواضعاً بشوشاً بعيداً عن الشر قليل التردد على اهل الدنيا ، راغباً عن الوظائف الحكومية ، عرض عليه قضاء' المالكية بعد وفاة السنباطي فاعتذر بضعفه ، وكان يلقب من الألقاب المشرقية بشهاب الدين .

اخذ عنه محمد بن عبد الرحمان السخاوي وترجم به في (الضوء اللامع) .

له شرح " مفيد " على ايساغوجي توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت رقم IO32 د ، وله كتاب (بيان كشف الألفاظ التي لا بد للفقهاء من معرفتها) ، وكتاب (الحدود النحوية) كلاهما محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

توفي بالقاهرة في شهر رجب سنة 861 ودفن بترية الصلاحية ، وقيل توفي في السنة التي قبلها (41)

1410) احمد البفرتي ، فقيه تونسي لعله من اهل مدينة بنزرت لاشتهاره بالنسبة اليها ، ارسله السلطان عثمان بن محمد بن عبد العزيز الحفصي في شهر جمادى الاخرى عام 860 في سفارة الى السلطان عبد الحق المريني ، فدخل فاساً وقضى بها غرض سلطانه ، وعاد الى تونس في اوائل شهر صفر عام 862 ومعه رسول سلطان فاس وهدية ، ورسول سلطان تلمسان احمد بن ابي حمو الزياني وهدية .

لم اقفُ على تاريخ وفاته (42)

(41) الاعلام (للزركلي) I : 229 ومعجم اعلام الجزائر ص 34 والضوء اللامع 180 : 2 وفهارس الخزانة العامة بالرباط 2 : 242

(42) تاريخ الدولتين ص 149 - 150

1411) احمدُ بنُ عليّ بنِ صالحِ الفيلاحي السجلماسي ، فقيه متصوف من اهل المغرب الأقصى ، اصله من مدينة سجلماسة وبالنسبة الى اقليمها الفيلاحي عرف واشتهر ، وكان يسكن بقرية بني يزناسن القريبة من فاس الواقعة على بعد ثلاثة اميال منها ، رحل الى المشرق للحج ولقي به جماعة .

ذكره الشيخ احمد زروق في (الكناش) ووصفه بالفقيه الصالح القدوة المعظم عند الكافة ، ذي الدين المتين واليقين الثابت ، حسن المعاشرة والملاقة ، وقال انه لم يجتمع به ولم يره على التعيين ، ولكنه كان يسمع كثيراً من اخباره من شيخه محمد القوري الذي كان صديقاً له ومن ابنائه الذين كانت له مع بعضهم صحبة ومع بعضهم الآخر اخوة ومجاورة .

ونقل زروق عن شيخه القوري ان علياً والد المترجم به كان يصلي بركن جامع القرويين فعلم فيه بعض الناس عقداً بذلك ، ثم احضره القاضي فكلّمه ، فقال : انا مقرّ بفعال ما في هذا العقد ، قال : ولم تفعل ؟ قال انا عارف بعلم النجوم ، وقد اداني اجتهادي الى ان القبلة في الموضع الذي اصلي به ، وإن كان ثمة من يعرف شيئاً نتكلم معه ! فاما ان يرجع اليّ واما ان أرجع اليه ، فقال له القاضي : اما سمعت قول الناس : اخطيء مع الناس ولا تصب وحدك . فقال والد المترجم : كذلك قيل لأبي بكر رضي الله عنه حين اسلم وحده واخطأ الناس كلهم ! فتركه القاضي وقال لأصحابه الى هذا ابلغتمونا ! أو ما في معنى هذا الكلام .

توفي بفاس سنة 862 ودفن خارج باب فتوح (43)

1412) احمدُ بن محمد بن عبد الله القلشاني ، فقيه كبير من مشاهير حفاظ المذهب المالكي بتونس ، وبيته بيت علم وفقه نبيه ، اصله من باجة ، ونسبته الى قلشان او قلشانة مدينة او ناحية بالقطر التونسي .

(43) جذوة الاقتباس ص 155 ع 104 والكناش ص 24 وكفاية المحتاج ص 127 ونيل الابتهاج ص 80 والضوء اللامع 2 : 47

ولد عام 779 واخذ عن والده الفقيه محمد بن عبد الله القلشاني وعن عيسى بن احمد الغبريني ومحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي وغيرهم .

وكان اماماً حافظاً متثبتاً عمدة ، ذاع علمه وشهرته باتقان الفقه ، وسلم له معاصروه حتى لقبوه بامام المغرب وحافظ المذهب ، لقيه عليّ القلصادي واخذ عنه وذكره في فهرسته المسمّاة (تمهيد الطالب) ووصفه فيها بالشيخ البركة الفقيه الامام المفتي المدرس المصنف القاضي ، وقال في حقه : لم اَرَ اَعْرَفَ منه بمذهب الامام مالك ولا مَنْ يستحضر النوازل والأحكام مثله .

ولي قضاء قسنطينة سنة 822 وابوه حي ، وبقي فيه زمناً طويلاً ، ولما توفي قاضي الجماعة محمد بن محمد ابن عقاب ولاه السلطان قضاء الجماعة والتدريس بمدرسة سوق الفلقة يوم الثلاثاء 2 جمادى الأخرى سنة 851 فبقي يتولّى الخطبة الى أن ارسل السلطان عثمان بن محمد الحفصي مزواره سعيد الزيزر اليه يوم السبت 15 رجب عام 858 فخيرّه بين ان يبقى على خطبه او يتولّى خطابة جامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة خلفاً للشيخ محمد البحيري ، فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه يوم 27 رجب باختيار الخطابة والفتيا والاستعفاء من قضاء الجماعة ، فأعفاه السلطان وكتب له بذلك في اوائل شعبان ، وكتب له المدرسة الشماعية ، وعيّن بدلته في قضاء الجماعة ابن اخيه محمد بن عمر بن محمد القلشاني ، فاستمرّ يخطب بالزيتونة ويدرس بالمدرسة الشماعية المذكورة الى ان توفي .

ومن اخباره امتحانه من طرف السلطان عثمان بن محمد الحفصي بسبب مقالة نسبت اليه ، فأحضره يوم الجمعة 21 محرم عام 846 في مجلس عقده بالقصبة وحضره شقيق المترجم به القاضي عمر القلشاني والفقيه محمد ابن عقاب والفقيه عبد الله البحيري ، ومفتي بجاية الفقيه منصور بن عثمان الجبائي ، ولما عرض السلطان المقالة المنسوبة اليه افتى ابن عقاب باعتقاله فاعتقل بجامع الجبيلة من القصبة دون قيد

مدة شهرين ثم سرح ، ويظن ان المقالة التي اتهم بسببها هي نقله - في شرحه لرسالة ابن ابي زيد القيرواني - كلام بعض المفسرين في قصة ادم ، وكان اكبر ناقديه والمثمنين عليه في نقلها هو قاضي الجماعة ابو القاسم القسنطيني الذي افتى بقتله .

اخذ عنه محمد بن قاسم الرصاع التلمساني صاحب الفهرسة .

له شرح على رسالة ابن ابي زيد القيرواني توجد منه نسختان من جزء منفرد ممتور محفوظتان بدار الكتب الوطنية بتونس تحت عدد I2.25I ومجلدان منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة محفوظان تحت عدد 24030 ، وله أيضاً شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي في سبعة أسفار الفقه لما كان قاضياً بقسنطينة بأمر والده ، قال عنه احمد بابا التنبكتي في (نيل الابتهاج) : وهو حسن مفيد ، وفيه ابحاث مع ابن عرفة وغيره ، الا انه اختصر اوائله جداً ه . وللمترجم به أيضاً شرح على المدونة .

توفي بعد غروب شمس يوم الأحد 8 شعبان عام 863 وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة ودفن بالزللاج ، وحضر جنازته السلطان عثمان الحفصي فمن دونه (44)

1413) احمد بن قاسم بن محمد القسنطيني الوشقاتي ، فقيه تونسي يعرف بنسبته الى قسنطينة احدى حواضر المغرب الأوسط ، وكانت في عهد المترجم به تحت حكم بني حفص سلاطين تونس ، ولد عام 823 واخذ عن والده قاسم القسنطيني قاضي الجماعة وعن الفقيه يعقوب المصمودي لما قدم على تونس سنة 842 راجعاً الى المغرب من الحج .

(44) اتحاف اهل الزمان 7 : 64 والاعلام للزركلي 1 : 229 وتاريخ الدولتين (صفحات كثيرة) ، وتراجم المؤلفين التونسيين 4 : 101 وتاريخ معالم التوحيد ص 61 وتوشيح الديباج ص 63 ع 35 والحلل السنديية (صفحات كثيرة) ، ودرة الحجال 1 : 81 ع III ورحلة القلصادي ص 115 ونيل الابتهاج ص 78 والضوء اللامع 2 : 137 وفهرسة الرصاع (صفحات عديدة) ، ومسامرات الظريف 1 : 107 وشجرة النور الزكية . 258 ع 943 . 1

تولّى بتونس قضاء الانكحة والخطابة بجامع باب السويقة .

اخذ عنه محمد بن ابراهيم الزركشي مؤلف كتاب (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) .

توفي يوم الأحد 22 شوال عام 864 (45) ، وتولّى بعده قضاء الانكحة القاضي محمد الزنديوي ، والخطابة الفقيه محمد البيدموري .

1414) احمد بن عمر المزجلدي ، فقيه كبير من اهل فاس واصلته من قبيلة بني مزجلدة الواقعة مساكنها بالقرب من مدينة وزان ، وبالنسبة اليها كان يُعرف .

اخذَ عن محمد بن عبد العزيز التازغدري وبه تفقّه ، وعن عمر الرجراجي ويوسف الغزاوي وعيسى بن علال المصمودي وغيرهم .

وكانَ حافظاً لفقهِ مالك بن انس عارفاً بأحكامه مطلعاً على أمهات كتبه ، مستحضراً نصوصه ذاكراً سيرَ رجاله ، مُميزاً بين ما اتفقوا عليه وبين ما اختلفوا فيه ، مع زهد وهيبة وصلابة في الحق وتجاوفاً عن اهل الدنيا .

اخذ عنه محمد ابن غازي المكناسي ، حضر دروسه بالمدرسة المصباحية ولازمها مدة ، وذكره في فهرسة شيوخه المسماة بـ (التعلل برسوم الاسناد ، بعد انتقال اهل المنزل والناد) ، ووصفه بالشيخ الفقيه الحافظ المحصل المحقق النظار المشاور الحجة الأكمل ، وقال في حقه : ما ادركنا بمدينة فاس أعلمَ منه بالمدونة ، كانتُ نصبَ عينيه يستظهرُ نصوصها ويمليها عند الحاجة اليها سرّداً ، واذا قعد لاقرائها تسمعُ منه السحرَ الحلال ، ينقلُ عليها كلامَ شارحها بالفاظهم بلا تكلف ، ثم يكرهُ على ابحاثهم فيُبينُ من أين اخذوها منها ، ويقول انهم فهموها ففسروا

45) احمد بن مخلوف الشاهبي (كتاب) ص 37 وتاريخ الدولتين ص 135 - 152

وفهرسة الرصاع ص 126 - 129

بعضها ببعض ، وضربوا أولها بأخرها وآخرها بأولها ، وكلُّ الصيد في جوف الفرا ، ولم يكن يقرر في مجلسه إلا الفقه الساذج ، ولا اذكرُ اني سمعته يلحن قط ، ولا سمعتُ مَنْ يقرر الفقه مثل تقريره أو يُحرره كتحريره ، هـ

توفيَ بفاس عام 864 (46)

1415) احمد عسيبة التونسي ، صوفي صالح من اصحاب الشيخ الشهير احمد ابن عروس ، توفيَ مقتولا بسبحة سيجوم من تونس يومَ الأربعاء 5 جمادى الاخرى عام 865 هـ . قتله رجلٌ مختلٌ العقل يدعا الرياحي فقتلته العامة ، ودفن بالزلاج ، ورثاه شيخه ابن عروس بقصيدة من الشعر الملحون ، وله زاوية في تونس بضاحية راس الطابية قرب شارع بيروت بباردو (47) .

1416) احمد بن محمد بن عبد الله ابن كحيل التجاني ، قاضي شهير من قضاة تونس في العهد الحفصي ، واصلُ اسرته من المغرب الأقصى من قبيلة تجانة القريبة مواطنها من مدينة مراكش ، نزحتُ منها الى تونس مع بني حفص الهنتاتيين في القرن السابع ، وهو على ما يظنُّ من حفدة الأديب الكبير عبد الله بن محمد التجاني صاحب الرحلة القيمة الشهيرة .

ولدَ بتونس في شهر ربيع الأول عام 802 هـ ونشأ بها وأخذ عن كبار أساتذتها ومشايخها كعيسى الغبريني وهو اكبر شيوخه ، وبه كان جلُّ انتفاعه ، ومحمد بن خلفه الأبى الوشتاتي واحمد البسيلي واحمد الشماع

46) توشيح الديباج ص 53 ع 17 وجامع القرويين 2 : 503 وجذوة الاقتباس ص 127 ع 62 ودرة الحجال 1 : 86 ع 117 والمعيار المغرب 7 : 310 و 8 : 93 ونيل الابتهاج ص 81 والضوء اللامع 2 : 265 والفكر السامي 2 : 259 وفهارس علماء المغرب ص 178 وفهرسة ابن غازي ص 76 وسلوة الانفاس 3 : 246 وألف سنة من الوفيات ص 146 و 258

47) تاريخ الدولتين ص 152 والحلل السندسية 3 : 90 وفهرسة الرصاع ص 206

ومحمد البرزلي ويعقوب الزعبي وعبد العزيز العبدوسي الفاسي نزيل تونس ،
ويظهر ان المترجمَ به رحلَ في شبابه الى تلمسان وفاس واخذَ عن علمائهما ،
لان من بين شيوخه محمد ابن آجروم الصنهاجي ومحمد ابن مرزوق
الحفيد وأبا الفضل ابن الامام وَابا القاسم العقباني ومحمد الشريف
التلمساني .

وكان فقيهاً مُتفناً متصوفاً صالحاً طلقَ اللسان حسنَ العبارة .
عيّنه السلطانُ عثمان الحفصي سنة 846 قاضياً لركب الحاج التونسي ،
ودخل في وجهته المشرقية هذه القاهرةَ واجتمعَ فيها بالحافظ أحمد ابن
حجر العسقلاني وأُنشده البيتين التاليين ارتجالاً منوّهاً به وبكتابه فتح
الباري :

قد فرتمُ بين الأنام ، وحزتمُ رهنَ السباق بنشر (فتح الباري)
فأثتمُ يكلؤكم ويُبقي مجدكم ويحوظكم من أعين الأغيار

ثم ولاء السلطان المذكور قضاء المحلة (48) والتدريس بزاوية
باب البحر ، فنهض بأعبائهما الى ان صرفته عن القضاء والشهادة فسي
أواسط شهر جمادى الأخرى سنة 856 وعيّن بدله القاضي محمد الزنديوي ،
ولما صرف هذا القاضي عن القضاء المذكور ، قضاء المحلة ، بعدَ سنة
أعيد اليه المترجمَ به ، فبقي يتولّى القضاءَ والاشهادَ الى ان اعفيَ منها
ومن التدريس بزاوية باب البحر في شهر رجب سنة 865 وقدم بدله القاضي
محمد الرصاع ، وقصيرَ هو على العدالة والافتاء بالقلَم .

له كتاب (المقدمات) في الفقه ، وكتاب (الوثائق العصرية) في
الوثائق ، وكتاب ثالث في التصوف سمّاه (عون السائرين الى الحق) .

(48) المحلة في الاصطلاح العسكري المغربي القديم تعني الجيش المقيم وعكسها
الحركة بسكون الراء وتعني الجيش الضارب .

لقِيَّه محمد السخاوي في القاهرة وسمع منه فوائد كثيرة وترجمته
التي اثبتتها في كتابه (الضوء اللامع)

توفي بتونس في آخر شهر ذي الحجة عام 865 (49)

1417) أحمد بن أبي حمو الثاني الزياني ، أحد أمراء أسرة بني
زيان سلاطين تلمسان ، كان يعرف بالعاقل ، ثم تلقب بعد تملكه بالمعتصم
بإله ، وكان من خبر تملكه ان السلطان عبد العزيز الحفصي سلطان
تونس غزا تلمسان وملكها سنة 834 فلما أراد الرجوع الى تونس عاصمة
ملكه قلب النظر فيمن يوليه امرها نيابة عنه ، فوقع اختياره على
الأمير احمد المترجم به ، فأجلسه على كرسي حكمها يوم الجمعة 1 رجب
عام 834 وعاد الى تونس ، فشرع الأمير احمد يندبر امرها بحكمة
ويسوس رعيته برفق ، وأنشأ ورمم كثيراً من مبانيها ومرافقها العمرانية
وأحیی ما اندثر من أوقافها ووظائفها ، وكان له اعتقاد في الصلح
والمعتدين ، سيما الحسن بن مخلوف الملقب بأبركان ومعناه الأسود بلهجة
البربر ، فكان يكثر من زيارته ويقتبس من اشارته ، ومدار أكثر أموره عليه ،
كما يقول الحافظ محمد بن عبد الجليل التنسي في كتابه (نظم
الدر والعقيان) .

وقد اظهر الأمير أحمد المترجم به كثيراً من اليقظة والحزم
والعناية بأمر الرعية في بداية حكمه ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى كل ووهن
وظهر منه العجز ، ولعل من اسباب ذلك ثقته الكبرى بأدعياء الولاية
والمتظاهرين بالزهد والصلاح الذين هم أبعد الناس عن السياسة وأجهلهم
بقواعد الحكم لانقطاعهم عن الخلق ، فزالت من النفوس هيئته ، وكثر

(49) الاعلام (للزركلي) 1 : 230 وتاريخ الدولتين ص 145 - 147 - 152
وتوشيح الديباج ص 57 ع 23 والحلل السندسية 1 : 631 ودرة الحجال 1 : 88 ع 121
ورحلة التجاني (المقدمة) ص 30 - 31 ولقط الفرائد ص 261 ومعجم المؤلفين 2 : 123
وتيسل الابتهاج ص 81 والضوء اللامع 2 : 136 وشجرة النور الزكية 1 : 258 ع 945
والورقات 3 : 174 - 177 ويصحح ما في (الضوء اللامع) و (توشيح الديباج) من
انه توفي عام 869 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
 عن ابي عبد الله ائمه المسلمين العظمى بالله من العلم (عنوان مولانا ابي) السلام على مولانا ابي الحسين
 اربع الله تعالى ونعم وسئله العلي الحسين وسئله
 عيسى ائمه

على مولانا ابي هو ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله وسئله ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله
 ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله وسئله ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله
 وسئله ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله وسئله ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله
 وائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله وسئله ائمه ائمه الله تعالى عليه وسئله

22992 سجل

صورة مطابقة لأصل ظهور مُتلاش صدر عن السلطان أحمد بن أبي حمو الزياني ملك
 تلمسان يوم 14 شوال عام 843 هـ. يوجب به احترام أسرة ابن القائد الساكنة بوجدة (أصل الظهير
 محفوظ عند أسرة ابن القائد بوجدة، ومنه نسخة مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط،
 سجل 22.992 محفوظة وجدة) .

الثوار' في البلدان الموكول اليه حكمها من قبيل بني حفص ، بعضهم من اسرته ، وآخرون من شيوخ القبائل ، ومن اشهر هاؤلاء اخوه الأمير أبو يحيى بن ابي حمو الثاني الذي ملك وهران من عام 840 الى عام 852 وابن اخيه الأمير أحمد بن الناصر بن ابي حمو الثاني متقدم الترجمة (37:55ع1403) الذي ثار بتلمسان ليلة 27 رمضان عام 850 فلم يتم له بها امرٌ واعتقل وقتل ، ومنهم الأمير محمد بن أبي ثابت المتلقب بالمستعين بالله الذي انطلق من تونس سنة 841 فاستولى على الجزائر والمدية ومليانة وتونس .

وكانت علاقة الأمير أحمد المترجم بسلاطين بني حفص تتقلب بين مدّ وجزرٍ حسب قوته او ضعفه ، فعندما يقوى جانبه يجنح الى الاستقلال بأمره والانفراد بحكمه ، وعند ما يضعف يظهر لهم الودّ ويؤكد الولاء ، فيضرب السكة باسمهم ويامر الخطباء بالدعاء لهم على المنابر ، وكانت علاقته بهم طيبة في سنوات حكمه الأخيرة ، ويذكر المؤرخون أن رسوله وصل الى تونس في أوائل صفر من عام 862 ومعه هدية الى سلطانها عثمان الحفصي ، وأن هذا أرسل اليه هدية في اواخر شهر ذي القعدة حملها اليه بتلمسان رسوله إبراهيم بن نصر بن غالية .

وفي سنة 866 زحف اليه الأمير محمد المتوكل بن الأمير محمد المستعين بالله المتقدم ذكره ، ففتح مستغانم ومزغان وهران ، وسار حتى وصل تلمسان فحاصرها يومين ثم تغلب عليها يوم الاثنين فاتح جمادى الاولى ، فالتجأ الأمير أحمد الى ضريح الشيخ ابي مدين الغوث الواقع بقرية العباد من ظاهرها واستجار به ، فلم يعرض له محمد المتوكل بسوء ، واذن له بالرحيل الى الأندلس ، فذهب اليها ، ثم اجتاز منها البحر في السنة التالية وظهر بنواحي تلمسان ، فاجتمع عليه عديد من العرب والبربر ، فحاصره بهم المدينة مدة اربعة عشر يوماً ، ولكنه توفّي فجأة وهو بمنزله من باب الطبول من ظاهرها يشرف على الحصار ، وكان ذلك عشية يوم الاثنين 13 ذي الحجة عام 867 وجيء بشلوه الى الأمير محمد المتوكل فدفنه بالعباد .

وتجدرُ الإشارةُ الى ان السلطانَ عثمانَ الحفصي لما بلغه خبر زحف الأمير محمد المتوكل على تلمسان قرراً انجاده حليفه الأمير أحمد المعتصم بالله ، فخرجَ من تونس يوم 7 شوال عام 866 قاصداً تلمسان بجيش كبير ، ولما كان في الطريق قدمَ عليه وفدُ سلطانِها الجديد الأمير محمد المتوكل بيّعتِه فقيلَها وعادَ الى تونس يوم الأربعاء 7 صفر عام 867 (50).

(1418) أحمد بن محمد (حمو) الشريف ، فقيه" من اهل تلمسان ، وصفه الونشريسي في وفياته بالفقيه الخطيب الصالح ، وابنُ القاضي في درة الحجال بالفقيه الخطيب .

توفي عام 867 هـ (51) وستأتي ترجمة ابيه القاضي محمد الشريف التلمساني المعروف بحمّو في حرف الميم .

(1419) أحمد بن عبد الله ابن عروس الهواري ، مجذوب" تونسي للناس فيه اعتقاد" وبه افتتان ، كان يدعي النسبَ في عرب تميم ، وامته من مسراته ، ولدَ في حدود عام 781 بالجزيرة القبليّة المعروفة بالمزاتين بوادي الرمل ، وفرّ في صغره الى تونس فجودَ بها القرآن وحضر مجالس الفقيه عبد الله الباجي ، ثم انصرفَ الى المغرب فلزمَ ضريح الشيخ أبي مدين الغوث (2 : 15 ع 314) الكائنَ بقرية العباد من ظاهر تلمسان ، ودخلَ فاساً ومراكش وسبتة وأقام بالمغرب الأقصى سنين طويلة ، ولما عاد الى تونس سكنَ فندقاً من أملاك المخزن كان مجمعا لأهل الفجور والفسوق ، فأقام ببيت من بيوته أغلقه عليه مدةً ثلاثين شهراً ثم ظهر فجأة على

(50) انباء الغمر 3 : 455 وتاريخ الجزائر العام 2 : 190 وتاريخ الدولتين ص 129 - 131 - 150 - 152 وتاريخ الدول الإسلامية 1 : 61 والحلل السندسية 2 : 193 ودرة الحجال 1 : 87 ع 11 ومعجم الانساب ص 119 ومعجم اعلام الجزائر ص 213 ونظم الدر والعقيان (تاريخ بني زيان) ص 247 وما بعدها ، والضوء اللامع 1 : 292 ووفيات الونشريسي ص 147 و 260

(51) الف سنة دن الوفيات ص 146 و 260 ودرة الحجال 1 : 87 ع 118 والبستان ص 122 .

سطحه عام 841 وقد تمّ جذبُه واكمل جنونُه ، فأقام فوق السطح مدةَ سنةٍ لا يحولُ بينه وبين الحرِّ والقرِّ حائل ، فلفتَ أنظارَ العامة والخاصة بهذه الحال وتخيّلوه ولياً واعتقدوا انه من اهل الصلاح واخذ بعضهم ينقل الى بعض اخبار مناقبه وكراماته ويزيد فيها ، وفي سنة 865 نزلَ لمخالطة الناس مخرباً للعادات مخلا بالعبادات ، فكان يعترضُ النساء والفتيات ويخاطبهن بما يؤول اليه امرهن بزعمه ، ويتجاهرُ بترك الصلاة وغيرها من الواجبات الدينية ، فلم يكن ذلك ليُشككَ الناسَ في امره أو يضعفَ ايمانهم بصلاحه وولايته ، بل بلغَ من حسن ظنِّ السلطان محمد المنتصر به أن بنى له زاويةً في محل الفندق الذي كان يعيشُ به .

وقد التّف عمر بن علي الجزائري الراشدي كتاباً في مناقبه وكراماته سماه (ابتسامُ الخروس ، ووشى الطروس ، في مناقب قطب الأقطاب احمد ابن عروس) طبع بمطبعة الدولة التونسية سنة 1303 هـ في 517 صفحة ، كما التّف عبدُ السلام الأسمر الطرابلسي كتاباً في اسنائه سماه (الأنوار التّف عبدُ السلام الأسمر الطرابلسي كتاباً في اسنائه سماه (الأنوار السنية ، في اسنائد الطريق المروسية) ، وتنسبُ اليه انظام "هيّ في الغالب من وضع مريديه .

توفي بتونس صباحَ يوم السبت 8 صفر عام 868 ودفن بزوايته التي دفن بها فيما بعدُ عددٌ من الملوك والوزراء ، وصارت منذ وفاته ولا تزال مقصداً للزائرين من تونس وكل الأفاق ، ولم يحضر السلطان جنازته لمرضه وحضرها جميع ابنائه (52)

(52) اتحاف اهل الزمان I : 238 والادلة النورانية ص 120 والاعلام للزركلي I : 169 والاعلام للمراكشي 2 : 226 ع 196 وتاريخ الدولتين ص 155 وتكميل الصلحاء والاعيان ص 314 والحلل السنديّة صفحات عديدة ، وجامع كرامات الاولياء I : 536 ودعوة الحق (مجلة) س II ع 9 - 10 ص 123 والضوء انلامع 2 : 259 وفهرسة الرصاع ص 193 وشذرات الذهب 7 : 311

وقد ترجمت بهذا الرجل وان كان ليس على شرطي لسبب وحيد ،
هو افتتان الناس به واعتقادهم في بره وتقواه رغم انه لم يعرف بعلم نافع
ولا عمل صالح ، ومثل ذلك افعله مع من هم على شاكلته من المشاهير .

(1420) احمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي ، فقيه من اهل
تلمسان يعرف بأبيه ، وينسب الى قرية العباد الواقعة خلف تلمسان حيث
ضريح الشيخ شعيب بن الحسين الشهير بأبي مدين الغوث .

توفي عام 868 هـ نكره السخاوي في (الضوء اللامع) ، ونقله
صاحب (معجم اعلام الجزائر) وزاد انه كان من اكابر فقهاء المالكية في
وقته وانه ولي الافتاء بتلمسان واخذ عنه جماعة من علمائها ، ولا اعرف
المرجع الذي نقل منه هذه الزيادة ، وستأتي ترجمة أخيه العلامة محمد بن
العباس العبادي المعروف بالكبير ، ولست ادري هل مترجمنا هو الذي
يلقب بأحمد بن العباس المريض الذي نقل الونشريسي بعض فتاويه
في المعيار ام هو غيره (53)

(1421) احمد بن محمد بن يعقوب العبادي العجيسي ، كاتب اديب
من اهل تلمسان ، شهر بالعبادي نسبة الى قرية العباد من ظاهرها ، وصفه
احمد ابن القاضي في (لقط الفرائد) بالكاتب ، ووصفه احمد الونشريسي
في (الوفيات) بصاحب القلم الأعلام بتلمسان ، وهو غير احمد بن العباس
العبادي المتقدم قبله (54)

توفي بتلمسان سنة 868

(53) الضوء اللامع 1 : 322 ومعجم اعلام الجزائر ص 66

(54) انبستان ص 44 وتعريف الصلف برجال السلف 2 : 79 و 102 ودرة الحجال
1 : 87 ع 120 ولقط الفرائد ص 267 ونيل الإبتهاج ص 80 ووفيات الونشريسي ص 148

1422) احمدُ المُنَسْتِيرِي ، فقيه" تونسي ، أدركَ محمد بن عرفة ، اخذ عنه علي القلصادي بتونس لما ورد عليها سنة 848 ووصفه في رحلته بالشيخ الفقيه الامام النحوي المُقْرِيء اللغوي ، وقال به كان انتفاع طلبية أهل تونس ومَن يردُ عليها بالنحو في زمانه ، وبعد ان ذكر الفنون التي قراها عليه قال لمُ أَرَّ احفظَ منه لكلام ابن عصفور ولا مَن يستحضرُ نصوصَ المتقدمين من النحاة مثله .

لم يذكرُ مَن ترجموا به تاريخ وفاته ، ورايتُ في (تاريخ الدولتين) لمحمد الزركشي وفاة شيخ صالح اسمه احمد بن محمد بن عبد الرحمان بالمُنَسْتِير سنة 869 ولست ادري اهو المترجمُ به ام هو غيره (55)

1423) احمد القروي ، متصوف من اهل المغرب لا ادري الى أي اقطاره ينمى ، واحسبه من القيروان نظراً للنسب الذي اشتهر به ، كان يرحل الى المشرق ولقب فيه بشهاب الدين ، لقبه به محمد السخاوي وذكره في (الضوء اللامع) وقال انه كان ياتي بركبٍ من المغرب للحج كل سنة فيبجلُّ ويرعى لاعتقاد خيره ، سلك طريقَ الشاذلية وترك مخالطة الملوك والأمراء ، وقال انه وردَ في آخر سني حياته بيتَ المقدس للزيارة وسافرَ مع الركب الشامي فماتَ بعد الزيارة فجأةً بالجديدة وهو متوجهُ "لمكة" في آخر سنة 869 (56)

1424) احمد بن سعيد الحبّاك القيجميسي ، ويقال في نسبه ايضاً الورزيخي ، اما النسبُ الأولُ فالى بني قَيَجَمِيسُ فريق من البربر ، واما النسبُ الثاني فالى ورزيغة قرية بظاهر مكناس مشهورة بحداثتها وجناتها وغلاتها اللذيذة المتنوعة ، كان يسكنها قبل ان ينتقل الى فاس فنسبه الناس اليها .

(55) تاريخ الدولتين ص 155 ورحلة القلصادي ص 116 ونيل الإبتهاج ص 78
وشجرة النور الزكية I : 258 ع 944
(56) الضوء اللامع 2 : 257

ولد بمكناس عام 804 هـ واخذ بها عن أخيه محمد بن سعيد الحبّاك ،
ومحمد ابن جابر الغساني وعلي بن يوسف التلاجدوتي المعروف بسيدي
علي بن يشو ، ومحمد بن عبد العزيز التازغذري ، وعبد الله بن محمد
العبدوسي وغيرهم .

كان فقيهاً متصوفاً شاعراً ظريفاً نبيلاً حافظاً للأدب سريع الفهم
حسن الادراك ، تولى خطابة الجامع الكبير بمكناس ، ثم نقل منه الى فاس
للخطابة بجامع القرويين ، ثم اعيد الى الخطابة بمكناس ، ومنها ردّ الى
فاس للخطابة مرة اخرى بجامع القرويين فاستمرّ يخطب به مدة الى ان عزل
وعُيّنَ للامامة بجامع الأندلس فامتنع وقال ان كان عزلي لجرحة فلا يحلّ
تقديمي ، وان كان عن غير جرحة فقبولي من قلة الهمة ، لأن الخطابة
بجامع القرويين اهمّ من الامامة بجامع الأندلس .

درس القرآن بالمدرسة المتوكلية العنانية المعروفة بطالعة فاس ،
ومن اشهر تلاميذه الشيخ محمد بن احمد بن غازي ، ووصفه في الاستدعاء
بالمفقيه الأنبل ، الذكي الخطيب المصقع الأكمل ، وقال عنه في فهرسته :
لازمت مجالسته واستفدت منه كثيراً ، وقرات عليه نحو ثلث شرح
ابن عقيل على الألفية تحقيقاً وتدقيقاً ولاسيما شواهد الشعرية ، وكان نظم
بيوع الشيخ ابن جماعة التونسي محررة بما وضع عليها الامام احمد
القباب في رجز عذب بليغ أجاد فيه ما شاء ، فقراتُه عليه قراءة تحقيق
وتدقيق وبحث وتغلغل كانت سبباً في رجوعه عن بعض أبيات الرجز
المذكور وتبديلها بغيرها (57)

وللمترجم به انشادات وافادات كثيرة ، وله اشعار قليلة متوسطة
كاشعار الفقهاء ، منها قوله :

(57) فهرسة ابن غازي المطبوعة المسماة (التعلل برسوم الاسناد) ليس
فيها شيء من هذا ، ونحن ننقل الفقرة من كتاب (سلوة الانتفاس) ، فلعل هناك نسخة
من الفهرسة أوفى من المطبوعة .

خضرة آس وجمع ناس
راح" لها في القلوب قدما
من يد ساقِ واي ساق
فاسكرَ القومَ دون كاس
وصفوا راح فمن عذيري
محضُ سرور وفيضُ نور
قدس في الحسن عن نظير
وكان سكري من المديسر

وقوله :

بلغت آمالا ونلت مقاصدا
بهرت محاسنك الأنام فأصبحت
برعت علاك وحزت كل فضيلة
برقت عيون الحاسدين ونالهم
وغدوتَ ترجى في الأنام وترهب
أخبارُ جودك عن سعودك تُعرب
وظفقتَ من فلك المعالي تقرب
من روع عزك ذلةً وتغلب

توفي بفاس في محرم عام 872 هـ (58) وله اخ " اسمه محمد ستاتي
ترجمته في حرف الميم ، وولد" اسمه عثمان كان من عدول فاس سنحاول
التعريف به في حرف العين .

وينبغي ان نشير الى ما وقع من خلطٍ ولبسٍ في ترجمة هذا الرجل ،
والسبب في ذلك تعدد نسبه ، فهو الحبّاء والمكناسي والقيجيميسي
والورزيغي واحمد بن سعيد حتى حسبه بعض المترجمين - كابن القاضي
وابن زيدان - شخصين او ثلاثة ، ومثل ذلك وقع في تاريخ وفاته ، فهو عند
بعضهم توفي عام 870 وعند بعض ثان توفي حوالها ، وعند فريق ثالث توفي
في محرم عام 872 وبالمقارنة رجحت ما اثبتته .

58) الاعلام للزركلي I : 131 واتحاف اعلام الناس 3 : 313 و 315 وتوشيح
الديباج ص 51 وجذوة الاقتباس ص 127 ع 63 و 128 ع 65 ودرة الحجال I : 88 ع 182
و 89 ع 123 والروض الهمتون ص 16 و 60 والكناش ص 20 وكفاية المحتاج (نسخة
مرقونة خاصة) ص 128 ولقط الفرائد ص 262 و 237 و 263 و 149 ومعجم المؤلفين
1 : 234 ونيل الابتهاج ص 81 والفكر السامي 2 : 260 وسلوة الانفاس 3 : 246 وشجرة
النور الزكية I : 264 ع 972

1425) احمد بن الحسن الغماري ، صالح شهير اصله من قبيلة بني عروس الغمارية الشهيرة بشمال المغرب ، وبالنسبة الى غمارة عُرف ، مرّ بتلمسان وهو راجع" الى وطنه من احدى حجاته فأعجبه حسن موقعها وجمال منظرها واستهواه كثرة من دفن فيها من العلماء والزهاد فقرر ان يستوطنها ، واقبل فيها على العبادة بالذكر وتلاوة القرآن فطارت شهرته واستحسننت طريقته ، وعظّمه الخاصة والعامة ورجب الملوك في صحبته والتبرك بقربه ، واستعملوه في الشفاعات والوساطات ، وهو الذي ترأس الوفد الذي ارسله سلطان تلمسان محمد بن محمد بن ابي ثابت الزياني الى سلطان تونس عثمان بن محمد بن عبد العزيز الحفصي لعقد الصلح معه ، فوجده في الطريق اليها لنجدة حليفه اميرها السلطان احمد بن ابي حمو متقدم الترجمة ، فالتزموا له ببيعة صاحبهم له ودخوله في طاعته ، فقبل السلطان الحفصي شفاعتهم وما التزموا به له نيابة عن موفدهم وعاد ادراجه الى تونس يوم الاربعاء 17 صفر عام 867 هـ

وكان للمترجم به اتباع وانصار افتتنوا به في الجبال القريبة من تلمسان ، لأنه كان يخرج كثيراً الى ندرومة ومرسى هنين ويصلي الجمعة غالباً في جامع الحنايا ، فكان اهل تلك الجهات يرون من زهده وورعه وانصرافه الى عبادة ربه ما يراه اهل تلمسان فيزدادون له محبة واجلالا .

وتنسب العامة له كرامات وخوارق لا يصدقها الا جاهل بالدين او ذو فهم سقيم ، ذكر بعضها محمد ابن سعد في كتابه (روضة النسرين ، في ذكر الاشياخ الاربعة المتأخرين) ومحمد بن مريم المليتي في كتابه (البستان ، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان) .

ومن اشهر تلاميذه ومريديه جدي الشيخ عبد الله بن منصور الحسني الحوتي دفين قرية عين الحوت الآتية ترجمته في حرف العين .

توفي بتلمسان يوم 12 شوال عام 874 هـ ودفن بخلوته الكائنة شرق
الجامع الكبير (59)

(1426) احمد بن يونس الحميرى القسنطيني ، فقيه من اهل
قسنطينة ، ولد بها عام 813 ونشأ بها آخذاً عن مشايخها وغيرهم ، ومن اشهر
شيوخه محمد الزنديوي اخذ عنه العربية والحديث والأصليين والبيان والمنطق
والطب وغيرها من العلوم العقلية والنقلية وبه كان جل انتفاعه ، وابو القاسم
البرزلي سمع منه انموطاً ، وقاسم بن عبد الله الهزميري ، وابن غلام الله
القسنطيني ، ومحمد ابن مرزوق التلمساني الحفيد اخذ عنه شرحه للبردة
وغيره لما قدم عليهم ، وحُبب اليه من صغره التجارة فكان يتكسب بها الى
جانب ممارسته للعلم أخذاً وعطاء .

وفي عام 837 سافر الى المشرق بقصد الحج فأخذ عن عبد السلام
القدسي وسمع من البساطي شيئاً من العقليات ، وبعد ما ادى الفريضة عاد
الى بلده واشتغل كمادته بالتدريس والتجارة ، ثم سافر بعد عام 840 مرة اخرى
الى المشرق بقصد الحج فسمع من شيوخ كثيرين ، وصار يتردد بعد ذلك بين
بلده وبين الحرمين ، مرة يقيم مجاوراً ومرة يعود الى قسنطينة الى ان استوطن
مكة بصفة نهائية وتزوج بها واقبل على تدريس مختلف فنون العلم فأخذ
عنه العديد من اهلها والقادمين عليها ، وانتقل الى المدينة المنورة اخيراً
وجاور بها واقراً كما كان يفعل بمكة ، وخلال إقامته بالحرمين زار القاهرة
والقدس والشام ، وكف بصره فجزع لذلك جزعاً عظيماً ثم عاد له نور
احدى عينيه فخف حزنه .

(59) البستان ص 31 وتاريخ الدولتين ص 153 وتعريف الخلف 3 : 54 والذئب
للبلوي ص 416 وجامع كرامات الاولياء 1 : 536 وكفاية المحتاج ص 127 ولقط الفوائد
ص 264 ومعجم اعلام الجزائر ص 65 والدوسوعة 3 : 96 ونيل الإبتهاج ص 80 والضوء
لللامع 1 : 280 وشجرة النور الزكية 1 : 268 ع 991 ووفيات الوتشرسي ص 149

لقية السخاوي بمكة والقاهرة واسمعه بعض الدروس الحديثية وسمع هو منه كثيراً من فوائده ونظمه ، وذكره في كتابه (الضوء اللامع) وقال عنه : كان اماماً في العربية والحساب والمنطق ، مشاركاً في الفقه والأصليين والمعاني والبيان والهيئة مع المام بشيء من علوم الأوائل ، عظيم الرغبة في العلم والاقبال على اهله .

له رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي (ص) في الصلاة وغيرها ، واجوبة عن اسئلة وردت عليه من صنعاء سماها (رد المغالطات الصنعائية) ، وله ديوان شعر منه قصيدة في مدح الرسول عليه السلام مطلعها :

يا أعظم الخلق عند الله منزلة ومن عليه الثنا في سائر الكتب

أخذ عنه الشيخ أحمد زروق الفاسي ونور الدين السمهودي وشمس' الدين التتائي ونقل عنه في باب الحج من شرح المختصر .

توفي بالمدينة المنورة في شهر شوال عام 878 ودفن بالبقيع (60)

1427) احمد بن شبنان ابن ابي الجود الحصيبي ، فقيه من اهل الجزائر ينتمي الى قبيلة حصين العربية التي كانت بطون منها تسكن بالقرب من مدينة الجزائر ، وتسكن اليوم منها بطون تسمى باسمها بضواحي مدينة سلا المغربية : قال محمد السخاوي عنه في (الضوء اللامع) : شيخ فاضل مفنن ، قدم علينا القاهرة فقرأ عليّ ألفية العراقي بحثاً وسمع

60) تاريخ الادب الجزائري ص 219 وتاريخ الجزائر العام 2 : 276 وقرآجم المؤلفين التونسيين 4 : 84 (خلط مؤلفه بينه وبين احمد بن قاسم القسنطيني قاضي الانكحة بتونس المتوفى بها عام 884 هـ) وتعريف الخلف برجال السلف 2 : 106 وتوشيح الديباج ص 65 ع 40 والثقافة (مجلة جزائرية) ع 18 ص 61 وكفاية المحتاج ص 128 ومعجم اعلام الجزائر ص 260 ومعجم المؤلفين 2 : 51 ونفح الطيب 5 : 428 ونيل الابتهاج ص 82 والضوء اللامع 2 : 252 وشجرة النور الزكية 1 : 259

مني في الأمالي وغيرها ، وكذا قرأ على ابن قاسم وغيره ، ثم رجع الى غزة فأقام بها يسيراً عند قاضيها وغيره .

توفي بغزة مطعوناً عام 881 هـ (61)

1428) احمد بن عبد الله الجزائري ، فقيه صالح من المغرب الاوسط ، أصله من جبال زواوة وبها ولد عام 800 هـ وبعد ما حفظ القرآن واخذ مبادئ العلم انتقل الى مدينة الجزائر فسكنها واخذ بها عن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وكان نظيره علماً وعملاً ، وأقام بها طوال حياته حتى اشتهر بالنسبة اليها .

كان متقناً للفقه وعلم الكلام ، صالحاً ورعاً محققاً ، وصف بظريف العارفين ، قال في حقه الشيخ احمد زروق : كان شيخنا احمد الجزائري من اعظم العلماء اتباعاً للسنة واكبرهم حالاً في الورع ، وكان يُشير علينا بأنه ينبغي لمن وسَّع الله عليه في الدنيا ان يظهر عليه اثرُ نعمة الله تعالى باستعمالها على وجهٍ يباحُ ولا يخلُ بالحقِّ ولا بالحقيقة .

اخذ عنه الشيخ احمد زروق الفاسي دفين مدينة مسرارة والشيخ محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان ولقيه محمد القلصادي بمكة عام 851 هـ ثم بالقاهرة في السنة بعدها واخذ عنه .

له قصيدة مشهورة في التوحيد تعرف بالجزائرية نسبة اليه واسمها الحقيقي (كفاية المرید في علم التوحيد) عدد أبياتها اربعمئة ، مطلعها :

الحمد لله وهو الواحد الأزلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل

61) الضوء اللامع 1 : 3 : 2 ونقله صاحب معجم اعلام الجزائر ص 212 مع زيادة من عنده .

توجد منها نسختان بالخزانة العامة بالرباط محفوظتان تحت عدد I203 د و I227 د شرحها الشيخ محمد السنوسي في كتاب سماه (المنهج السديد ، في شرح كفاية المرید) ، توجد ثلاث نسخ من هذا الشرح محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت اعداد I676 د و 22I3 د و 2076 د كما شرحها عبد الرحمان بن محمد الجزولي المناري قاضي سوس المتوفى عام I060 شرحا توجد منه نسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع عدده 2079 د ، وعهدي بشاب اردني كان يطلب العلم بدار الحديث بالرباط بحقق هذه القصيدة ويعدها للطبع .

له اشعار كأنظام الفقهاء ، منها القصيدة ' التالية' في الحث على الأنابة الى الله تعالى :

ياراقدَ الليلَ لمْ يدرِ له خبراً
ارجعْ الى الله واقرعْ بابَ رحمةِ
ولا تقلْ ليس لي وجهٌ اراه به
وحسنَ الظن أن الملكَ متسعٌ
وخذْ من الليل ورداً كالذي اخذوا
وقلْ لملاك في وقت السجودِ له
مولاي مولاي حالي انت تعلمه
مولاي ما لي سوى الاقرار معذرة
فما رايتُ كريماً رداً سائلنه
بعز وجهك بالمختار من مضر
اصفحْ بفضلك يامولاي عن زلتي
ثم الصلاة على المختار من مضرٍ

أفي البطالةِ تفني هكذا العُمرا ؟
فالبابُ ويحك مفتوحٌ لمنْ نقرأ
فقد محا ذنبَ مَنْ قد جاءَ مُعتذرا
ما اكرمَ الله ان يعفو كما سترنا
وادعُ الى الله اخلاصاً كما امرنا
والنفس قد خشعت والقلب قد حضرا
أنتَ الغنيُّ وقد اتيتُ مفتقرا
ظلمتُ نفسي وكان الأمرُ قد قُدرنا
وانت اكرمُ مسؤولٍ بغيرِ مِرا
بالاسم الاعظمِ بالحقِّ الذي ظهرا
اذ كنت جهلاً لقبح الذنب محتقرا
ما اوضح الشمس من أنوارها غمرا

ومنها قوله يقرظ شرحَ الشيخ محمد السنوسي لقصيدته في التوحيد المسماة (كفاية المرید) :

شرح' الكفاية أيها المتدين'
تجلو معانيه القلوبَ من الصدا
ما هوَ إلا الروضُ يحسنُ منظراً
ياناظريه وكاسبيه بغبطة
يجزي مؤلفه الاله' بجنّة

تحصيله فرض' عليك معين'
وتنيرها واللفظ' سهل' بين'
من ذا يرى حسناً ولا يستحسن'
فأعزّه من ثمن النفيس المئمن'
دارِ النعيمِ بها تقرُّ الأعين'

وقوله يرثي شيخه عبد الرحمان الثعالبي آتي الترجمة :

لقد جزعتُ نفسي لفقد أحبتي
ألمَ بنا ما لا نطيق دفاعه'
جرى قدرُ المولى بانفادِ حكمه'
فلا تعجبين' الا لغفلتنا التي
قلوب' قست' ما إن تلين' وانها
وان فناءَ الخلقِ حتماً وانما
ومن بعده' هولُ القيامةِ واللّقا
فدع' عنك دنيا لا تدوم' وانها
ودع' عنك آمالاً' فقد لا تنالها
وبادر' لتقوى الله ان كنتَ حازماً
وشمّر' لأخرى واستمع' قول ناصح
فأين' خيار الخلقِ رُسلاً وأنبياء
فليس ذهب الخيّر الا بفقدهم
ولا خير في الدنيا اذا لم يكن بها
ليو شِك قبض' العلمِ عنا بقبضهم
لقد بان أهل العلمِ عنا واقفرت'
كما بان عنّا شهمنّا العالم الذي
أبو زيدٍ المشهور' بالعلم والتقى
هو العالم الموصوف بالنفع للورى

وحق لها من مثل ذلك تجزع
وليسَ لأمر قدّر الله مرجع'
ومن حكمه أننا نطيع' ونسمع'
دهمتنا فصرنا لا نخاف ونسمع
لتعلم' أن القبر متّوى ومضجع'
دوام' البقا حقاً الى الله يرجع'
فياهول' ما نلقى وما نتوقّع'
وان اظهرت' حسنا يروق' ستخدع
وان نلّتها نلّت الذي ليس ينفع'
هي العروة الوثقى بها النار تدفع
وحاذر' هُجوم الموت ان كنت تسمع
وأين رِواة العلمِ في اللّحد أو دعوا
وتشتيت شمل العلمِ قل كيف يجمع
شموس' بأنوارِ الشريعة تسطع
كما قاله خير' الأنام المشفع
منازلهم انّا الى الله نرجع'
سنّاه' بأنوارِ الحقيقة يسطع
له العلمَ فينا والمقام المرفّع
به عنهم خطب' الحوادث يرفّع

فما إن يراه المرء الا ويخضعُ
وهم هالةُ دارتُ به حين يطلعُ
ضياءُ "نفيسُ الدرِّ" بل هو ارفعُ
لها عند اهل العلم والفهم موقِعُ
تعودُ ولكن ما مضى ليس يرجعُ
سِهامُ" بها يرمي القلوبُ فنخسِعُ
تَنْفَرُ عَن فِعْلِ القَبِيحِ وتَرَدُ
لهم من جوار الشيخ لحدٌ ومضجعُ
ومن يجميل الصبر نرجو سيجمعُ
فقلبك اشجى للفراقِ وأوجعُ
ويلهمنا الصبر الجميل ويوسعُ
سَلْوَةً قَلِيْبٍ من فراقك يوجعُ
حوتُهُ سُويْداءُ الفؤادِ وأضلعُ
فانِّي برؤيا الروح في النوم اقعُ
ومن ذا الذي يرجو البقاء ويطمعُ
عسى بفراديسِ النَّعِيمِ سنجمعُ
ننالُ بها الفوز العظيم ونرتعُ
لعلَّ بها في حوضه العذب نكرعُ
ومن كان للاحسان والحق يتبعُ
ورحمة مولانا الكريم تشفَعُ

صبور" كريم النَّفْسِ يَكْسَى مهابةً
اذا ما بدا كاليدِ بين صحابه
بِمَجْلِسِهِ نورٌ ورائقُ لفظِهِ
فوائدُهُ تترى عليهم وكلُّها
مجالسُ علمٍ قد مضتُ فلو أنها
نتيجة إخلاص وصدق كأنها
ويلمَعُ في اثنائها بمواعِظِ
فله قبرُ الشيخ طوبى لمعشرِ
أعزِّي ابا عبد الاله مُحمداً (62)
ونحن وان كنا جميعاً نحبهُ
أصبنا به فانه يُعظمُ أجرنا
فيا سيدي اني رثيتك راجياً
ولي فيك حبٌ زائدٌ متمكِّنٌ
لئن كان حظُّ العين منك فقدته
على أنني بالاثر لا شك لاحقٌ (63)
فنساله سبحانه بنبيِّه
ويغمرنا والسامعين برحمةِ
وأهدي صلاتي للنبيِّ مُحمداً
وأصحابه الغرِّ الكرامِ وآله
عليكم ابا زيد الامام تحيةً

ومنها قوله :

الفاظه حسنتُ بحسنِ جناس
يغنيك عن اثباته بقياس

ياناظماً للدرِّ في قرطاس
أثبتت أصلاً في البلاغة نصك

(62) ابن عبد الرحمان الثعالبي

(63) توفي بعده بثمانى سنوات

توفي بمدينة الجزائر يوم 10 محرم عام 884 هـ (3 ابريل سنة 1479 م) (64)

(1429) احمد بن عمر المسراقي ، فقيه تونسي ، أصله اسرته من القيروان ووالده عمر هو اول من استقر منها بتونس .

لا يعرف شيء على نشأته وطلبه ، وربما كان لوالده عمر اثر في تربيته وتعليمه ، ويظهر ان الرجل كان على جانب كبير من العلم والفقه ، فقد وصفه صاحب (تكميل الصلحاء والأعيان) بالامام العالم العامل ، وذكر انه تولى التدريس وامامة جامع الزيتونة .

اما التدريس فان الكتب التاريخية لا تذكر أين كان يياشره ولا الفنون التي كان يتقنها ويتولى تدريسها ، والغالب انها لم تكن تتجاوز الفقه وعلم الكلام وما في معناها ، واما امامة جامع الزيتونة فقد تولاهما في اوائل صفر من عام 861 خلفاً للفييه علي الجباس ، كما تولّى الخطابة به يوم 19 شعبان من عام 863 خلفاً لاحمد بن قاسم القسنطيني متقدم الترجمة . وهو الذي صلّى على الشيخ احمد ابن عروس متقدم الترجمة يوم دفنه .

توفي بتونس عام 889 هـ (65) ، ودفن بالجلاز ، وستاتي ترجمة والده عمر في مكانها من حرف العين ، وترجمة اخيه محمد في مكانها من حرف الميم .

(64) الاعلام للزركلي 1 : 160 والاصالة (مجلة جزائرية) ع 14 - 15 : 271 والنبت للبلوي ص 439 وكشف الظنون ص 1501 و 1539 (وفيها وفاته عام 899 وهو خطأ) ولقط الفرائد ص 267 وكفاية المحتاج ص 129 ومعجم اعلام الجزائر ص 96 ومعجم المؤلفين 1 : 286 والموسوعة 3 : 111 ونيل الابتهاج ص 82 والضوء اللامع 1 : 374 وفهارس الخزائن العامة بالرباط 1 : 145 و 3 : 95 و 105 و 250 وشجرة النور الزكية 1 : 205 ع 979 وهدية العارفين ص 136

(65) اتحاف اهل الزمان 7 : 64 وقاربخ الدولتين ص 150 و 151 وتكميل الصلحاء والاعيان ص 22 و 314 والحلل السندسية 1 : 608 - 609 و 3 : 86 ومسامرة الظريف ص 103 و 104 والضوء اللامع 2 : 59

(1430) احمد بن محمد ابن فاكهة الليثي ، فقيه" من المغرب الأوسط ، ولد بليانة احدى قرى الزاب عام 846 هـ وتحول منها طفلاً صغيراً الى مدينة بسكرة القريبة منها ، فحفظ بها القرآن واخذ مبادئ النحو والفقه عن شيوخ العلم بها ، ثم ارتحل الى تونس وأقام بها خمسة اعوام لازم خلالها الشيخ ابراهيم الأخضرى متقدم الترجمة (I : 141 ع 142) قرأ عليه الفقه والأصول والتفسير والحديث ، وارتحل اليها مرة أخرى ، ومن شيوخه ايضاً بتونس محمد الآومي ومحمد الواصلي ومحمد الرصاع واحمد النخلي واحمد السلّوي وغيرهم ، واخذ في بجاية عن سليمان بن يوسف الحسناوي وعيسى بن احمد الحنديسي الخ

حج عام 889 ولقي بالقاهرة محمد السخاوي وسمع منه المسلسل وغيره ، وقرأ عليه في الصحيحين والموطأ وأمدّه بعناصر ترجمته التي اثبتّها في (الضوء اللامع) .

لم اقف على تاريخ وفاته (66)

(1431) احمد بن ابي بكر ابن عوانة الحسيني ، وجيه تونسي اصله من القيروان وولد بتونس يوم 10 محرم عام 829 ونشأ بها ، ذكره محمد السخاوي في (الضوء اللامع) وقال عنه : كان كثيرَ المحاسن عاليّ الهمة مع مَنْ قصده ، لا يهاب ملكاً ولا غيره ، كريماً شهماً متودداً متجملاً في ملبسه ومركبه ... ومقاصده شريفة وخصاله منيفة .

قدم القاهرة ومنها حج عام 858 هـ وصحب خطيب مكة فنوه به وجمعه بالأكابر من امراء وغيرهم ، واهتمّ الناس به لما شاع بينهم انه شبّيه برسول الله (ص) .

مات بالاسكندرية يوم 1 محرم عام 891 (67)

(66) الضوء اللامع 2 : 145 واختصره في معجم اعلام الجزائر ص 42

(67) الضوء اللامع 1 : 248

1432) احمد بن ابي القاسم الرصافي ، فقيه أندلسي من اهل
غرناطة ونزل مكة ، قال عنه السخاوي في (الضوء اللامع) : اثنى عليه
ابن عزم بالسكون والديانة والتحري وسلامة الصدر المؤدية للغفلة مع المام
بالفقه وتصور جيد له .

مات بمكة في شهر جمادى الثانية عام 892 عن بضع وتسعين سنة
ودفن بتربة المغاربة من المعلاة (68)

1433) احمد بن عبد الرحمان (ابي يحيى) الشريف القلمساني ،
فقيه علامة من أهل تلمسان ، وبيتته بها بيت علم وفضل ، لا يزال بها عقبهم
الى اليوم ، ومنه فرع" هاجر الى فاس في القرن الثالث عشر واستوطنها
واحترف الوراقة .

وصف في كتب كثيرة بالامام العلامة المحقق المفسر الفقيه الفهامة .

اخذَ عن محمد ابن مرزوق الحفيد ووقعَ بينهما مراجعة" وبحث"
في مسألة المتبَيِّمَ يدخل في الصلاة ثم يطلع' عليه رجل بالماء .

ذكر انه تولّى قضاء الجماعة بغرناطة ، وعندني في ذلك نظر .

اخذ عنه محمد بن علي ابن الأزرق وقال انه ممن عمّر .

له كتاب في مناقب جده محمد الشريف التلمساني قاضي الجماعة
بغرناطة اختصره الاستاذ المرحوم العابد بن عبد الله الفاسي ، وفتاوي
عديدة" منشورة" في (المعيار) للونشريسي .

توفي بتلمسان عام 895 هـ (69)

68) الضوء اللامع 2 : 63

69) ازهار الرياض 3 : 317 وألف سنة من الوفيات ص 158 و 275 والبستان
ص 44 وتعريف الخلف 2 : 96 وتوشيح الديباج ص 62 ع 29 ودرة الحجال 1 : 124ع89
(فيها وفاته عام 894 وهو خطأ) وكفاية المحتار ص 130 ومعجم اعلام الجزائر ص 77
والمعيار المغرب (الاجزاء 2 و 3 و 4 و 7 و 11) ونفح الطيب 4 : 418 ونيل الابتهاج
ص 80 والضوء اللامع 2 : 243 (فيه انه حي عام 896 وهو خطأ) ، وشجرة النور
الزكية 1 : 207 ع 985 وفهرس مخطوطات خزانة القرويين 1 : 17

وستاتي ترجمة ابيه عبد الرحمان (ابي يحيى) واخيه عبد الله
وجده محمد .

1434) احمد بن محمد ابن المريني ، فقيه مغربي تولى قضاء المالكية
بدمشق وناب عن ناظر مارستانها وعن قاضي المالكية بالقاهرة ايضاً ، قال
السخاوي عنه في (الضوء اللامع) : ويذكر بمشاركة في الفقه والعقليات
مع سلامة فطرة وعفة ، وقال عنه عبد القادر النعيمي في (الدارس) ، في تاريخ
المدارس) : أتى الى دمشق بعد الستين وثمانئة فقيراً ، له بعض اشتغال
بالعلم ، فاستعان به قاضي القضاة جمال الدين الباعوني في البيمارستان
النوري فظهرت امانته وديانته ، فكان السبب في ترقيته .

توفي ببلدة القرعون قرية معروفة بالبقاع يوم 9 ذي الحجة عام 896 هـ
وحمل منها الى دمشق فأقبر بها وكانت جنازته مشهودة (70) .

1435) احمد بن مخلوف الشابي الهذلي ، احد كبار رجال التصوف
بتونس في القرن التاسع ومؤسس الطريقة الشابية بها ، ولد بالشابة قرية
بالساحل قريبة من صفاقس عام 835 ترجيحاً ، وبعد ما حفظ بها القرآن
انتقل الى تونس صغيراً فسكن المدرسة المنتصرية واقبل على طلب العلم ،
فأخذه عن جماعة منهم محمد الرصاع التلمساني ومحمد البيدموري واحمد
بن محمد القلشاني (5 : 14 ع 1412) واحمد بن قاسم القسنطيني
(5 : 4 ع 1413) وطالت اقامته بها ثمانية اعوام اتصل
خلالها ايضاً ببعض المجاذيب مثل احمد بن عروس الهواري
والمصوفة مل الشيخ عبد الوهاب الهندي الذي صحبه مدة
اقامته بالبلاد الافريقية ورافقه الى الحج ، وفي سنة 861 خرج من تونس
خائفاً يترقب بسبب لطمه لأحد جنود السلطان رآه يضرب رجلاً ضرباً مبرحاً ،
فذهب الى قريته الشابة ، ثم ذهب في السنة التالية الى قصور الساف حيث

(70) الدارس ، في تاريخ المدارس 2 : 23 والموسوعة 3 : 151 والضوء اللامع
218 · 2 وقضاة دمشق ص 263

خدم سيدي علي المحجوب ثمانية اعوام ، ومنها انتقل الى سكنى القيروان عام 870 استجابةً لرغبة شيخه المذكور فأمّ بأحد مساجدها وعلم القرآن بكتاب من كتابيها ، ولم يغادرها الا مراتٍ قليلةً ذهب في احداها الى الحج عام 878 وتردد في اخرى على قبيلة الحنانشة التي تقع موطنها بين تبرسق على ضفة نهر مجردة بتونس وبين جبال الأوراس جنوبي ولاية قسنطينة ، ولما عاد من الحج الى القيروان شرع في تأسيس الطريقة الشاذلية ودعوة الناس الى الدخول فيها مستعيناً بداعيتيْن داهيتيْن ، احدهما احمد التباسي والآخر نصر بن احمد المقنعي الحنّاشي ، فأمكن بفضلهما لفتٌ عددٌ كبير من الأعراب حوله بينما لقيتْ دعوتُه معارضةً شديدةً من فقهاء القيروان .

اما طريقته فأصولها لا تختلف عن أصول الطرق الصوفية الأخرى ، اذ ما من مؤسس لطريقة من هذه الطرق الا ويدّعي أن طريقته مبنية على الكتاب والسنة والتوحيد والأخلاق ، ولو كانت معتقداتُ اتباعها واعمالهم مخالفةً للكتاب والسنة ماُتنافيةً مع الأخلاق الحميدة والطباع البشرية القويمة ، وقد الّف في الردّ على هذه الطريقة بالخصوص والتشريع عليها الفقيه عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني كتاباً سماه (الرد على الشاذلية) وصفه احمد بابا التنبكتي بأنه كتابٌ حافلٌ مدّ فيه النّفْسَ بما يُعلمُ منه انه من اهل التصوف .

وصفه العديد من اتباعه والمتعاطفين معه بالبراعة في الفقه وعلم الكلام ، واجازه محمد الرصاع ومحمد البيدموري واحمد القسنطيني قاضي المحلة .

من مؤلفاته كتاب (الجامع) في التوحيد والفقه والتصوف ، و (منهاج الصادقين ، وردع المعترضين) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الناصرية بتامجروت (المغرب) محفوظة تحت عدد 1946 منسوخة بخط مغربي عام 1006 هـ وله (مجموع الفضائل ، في منافع الرسائل ، في بداية

الطريق ، لأهل التحقيق) ، جمعه احد مردييه وأثبت فيه عدداً من الرسائل التي كان يوجهها الى اتباعه ، وهي تدل على نفَس أدبي إضافةً الى انها تحدد المبادئ التي يقوم عليها مذهبُه الصوفي من الناحيتين النظرية والعملية .

توفِّي بالقيروان عام 898 هـ او في العام الذي يليه ودفن في مقام سيدي عبد الله بن ابي زيد (71)

وللمترجم ابن اسمه عرفة ، تولَّى مشيخةَ الطريقة من بعده ، واسس دولة سياسية بالقيروان قضى عليها الاتراك العثمانيون عام 965 هـ وستاتي ترجمته في حرف العين .

1436) احمد بن عبد الرحمان حلولو الميزليتي ، فقيه مالكي شهير من اهل بيت قيرواني عريق في المجد ، ولد حوالي عام 815 هـ (72) واخذ عن مشاهير فقهاء تونس كأبي القاسم البرزلي وابي القاسم ابن ناجي وعمر القلشاني وقاسم العقباني التلمساني ، فتخرج على ايديهم في الفقه والأصول وصار معدوداً من كبار الحافظين لفروع المذهب المالكي ، الا ان عربيته كانت ضعيفةً وغيره كانَ أمكناً منه في التحقيق .

وليَ قضاءَ طرابلس الغرب ، ولما عزل منه ذهب الى تونس فأسندت اليه مشيخةُ مدارسها العلمية ، ولاسيما المدرسةَ العظيمةَ المنسوبةَ للقائد نبيل التي تولَّى ادارتها خلفاً للشيخ ابراهيم الأخضري .

اخذ عنه الشيخ أحمد زروق الفاسي دفين مصراتة وعلي القلصادي وعبد الرحمان الثعالبي واحمد بن حاتم بن محمد السطي الصنهاجي الفاسي

(71) احمد بن مخلوف الشابي (كتاب) وتراجم المؤلفين التونسيين 3 : 121 ع 262 وجامع كرامات الاولياء 1 : 534 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتامجروت ص 125 والمجلة التاريخية المغربية ع 13 - 14 : 55

(72) انفراد صاحب (اعلام ليبيا) وصاحب (دليل المؤلفين العرب الليبيين) بذكر ولادته في بلدة زليطن الطرابلسية ، ولا اعرف المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك الا ان تكون نسبة الميزليتي .

قرأ عليه بطرابلس ، كما لقيته بها عبد الجبار بن احمد الفجيجي والقي عليه
سبعة أسئلة اجابه عنها واجاز له شرحه لجمع الجوامع وروايته .

من مؤلفاته (I) شرح صغير في جزائرن لمختصر الشيخ خليل بن
اسحاق في الفقه المالكي ، (2) وشرح كبير للمختصر المذكور في ستة اجزاء
سماه (البيان والتكميل ، في شرح مختصر خليل) قال عنه احمد بابا
التبكي في (نيل الابتهاج) : حسن مفيد ، فيه ابحاث وتحريير ، يعتني بنقل
التوضيح وابن عبد السلام وابن عرفة ويبحث معهم وينقل الفقه المتين ،
(3) وشرح التنقيح للقرافي المسمى (التوضيح ، في شرح التنقيح) طبس
بتونس عام 1328 هـ على هامش التنقيح ، (4) وشرح جميع الجوامع لابن
السبكي سماه (الضياء اللامع ، في شرح جمع الجوامع) طبع طبعة حجرية
بفاس عام 1326 هـ بهامش كتاب (نشر البنود ، على مراقبي السعود) ،
(5) وشرح الورقات للبايجي ، (6) وشرح عقيدة الرسالة لابن ابي زيد القيرواني
(7) واختصار " جيد " لفتاوي شيخه ابي القاسم البرزلي .

وهذه الكتب مخطوطها ومطبوعها معروفة متداولة ، لهذا لا نشير
الى الخزانات التي توجد بها شرقا وغربا .

توفي بتونس عام 898 (73) ، وستاتي ترجمة اخيه محمد في مكانها
من حرف الميم .

(I437) احمد بن محمد ابن الخلوف (74) الحميري ، ابن المغرب
حقا واديبه صدقا ، فاسي الأصل ، قسنطيني الولادة ، تونسي الدار
والأقبار ، ينتمي الى اسرة عربية هاجرت من فاس الى قسنطينة ، وبهذه المدينة

(73) الاعلام للزركلي I : 147 واعلام ليبيا ص 37 وتراجم المؤلفين التونسيين
2 : 165 ع 140 وتكميل الصلحاء والاعيان ص 7 - 11 - 13 - 140 وتوشيح الديباج
ص 52 ع 14 والثبوت للبلوي ص 398

(74) ويقال ايضا الخلوف

ولد يوم الخميس 3 محرم عام 829 هـ (15 نونبر سنة 1425 م) ، وسافر به ابوه وهو في المهد الى مكة فأقام معه فيها اربعة اعوام ، ثم تحول الى بيت المقدس فسكنه وحفظ به القرآن ومتوناً عديدةً في فنونٍ شتى ، ولازم محمد النويري في الفقه والعربية والأصول وغيرها وبه كان جلُّ انتفاعه ، كما روى عن احمد بن أمين الدين ابن رسلان الرملي المقدسي وعبد السلام بن داود المقدسي الملقب بالعز القُدسي وماهر بن عبد الله بن تميم ابو الجود الأنصاري ، ورحل إلى القاهرة فأخذ عن عبد السلام البغدادي النحو والصرف والمنطق وعلوماً اخرى وعاد الى القدس فأقام به الى ان توفي والده عام 859 هـ فانتقل الى القاهرة ومنها عزم على الرجوع الى وطنه الأول فشدَّ اليه الرحال ، ولما وصل تونس - وكان سلطانها يومئذ عثمان بن محمد بن عبد العزيز الحفصي - اتصل بولي عهده الأمير محمد الملقب بالمسعود بالله ومدحه ومدح أباه ، وكان هذا الأمير من انجب الأمراء وانبههم واحبهم الى ابيه الذي لقبه لمضائه وجدواه بذى الوزارتين ، فألحقه بخدمته وزاحمَ به كاتبه وشاعره محمد الخير المالقي ، فنشأ بينهما من الخيرة والمنافسة ما ينشأ عادة بين كاتبين ادبيين يخدمان اميراً واحداً يسعى كلاهما ان يكونَ احظا لدينه من الآخر ، فتعارضا بالنظم وغيره ، وصار كلُّ منهما يغضُّ من صاحبه ، واستمرا على ذلك مدة الى ان خرج الخلوف من تونس سنة 877 هـ لأمر اوجب خروجه سنعرفه عند ما نطلع على النص الكامل لكتاب (الروض الباسم) ، فقد ذكر مؤلفه عبد الباسط بن خليل الملائكي انه سيذكره في محله في متجددات سنة 877 هـ ويظهر - ريثما نطلع على النص المذكور - ان خروجه من تونس كان بأمر السلطان الذي ضاق ذرعاً بالعلاقة الحميمة التي نشأت بين ابنه وبين الخلوف وما كان يبلغه عنهما من ميل الى اللهو والشراب ، فذهب الى القاهرة بحراً وحج في موسم تلك السنة وعاد الى مصر فأقام بها اربعة اعوام ، ثم بدا له ان يعود الى تونس فوصلها في ربيع الثاني سنة 881 هـ واكرم ولي العهد الأمير محمد المسعود بالله نزلته واحسن مثواه واعاده الى الخدمة بعد ان كان الكاتب المالقي متقدماً الذكر انفرد بكتابته والاختصاص به ، فشبَّ من جديد بيذه وبين الكاتب

المالقي ما خمد من الحسد والتشاجر الى ان اختلَّ عقلُ المالقي وتجرد من ثيابه ، ويظهر ان علاقة ابن الخلوف بالأمير المسعود اضطربت بعد ذلك ، فقد اغتتم الأميرُ احدى رحلاته الى الحج فاستكتبَ رجلاً كان في خدمته بدله ، (وانعزل عن الخلوف وابعده عنه معرفةً حتى حصل له القهرُ الذي ما عنه من مزيد ، ثم بلغني ان المسعود رضيَ عنه واعاده لما كان عليه بعد ان ذاق ذلاً وهواناً ، واظن ذلك بسبب ذلك المسكين الخيِّر) حسب قول عبد الباسط بن خليل (75) .

هذا مجمل حياته وتنقلاته من مولده الى وفاته ، اما عن إنتاجه العلمي والأدبي فان الرجلَ كان دون شك واحداً من فحول الشعراء وبلغاء الكتاب القليلين الذين عرفهم الغرب الاسلامي في القرن التاسع الهجري سواء من جهة وفرة العطاء او من جهة الجودة والابداع ، فقد مال من صغره الى الأدب ومطالعة دواوينه وحفظ احسن نصوصه حتى تفتحت قريحته وتنامت موهبته وصار قلمه يجري بالشعر الرائق والنثر الفائق ولقبه معاصروه بذي الصناعتين ، وقصائده طويلة اكثرها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والسلطان عثمان بن محمد الحفصي وولي عهده محمد المسعود بالله ، ويغلب على شعره التشبيهُ المحكم والبديعُ الرائق والعبارة المنمقة واللفظُ المنسجمُ والمعنى الرقيق ، الا انه كان يعيبه الولوع بافتتاح القصائد والموشحات بالوصف والنسيب ، وتلك طريقةٌ معروفةٌ للشعراء القدامى ، ولكن ابن الخلوف تجاوز شأوهم فيها الى حد ان بعض قصائده يفوق فيها الوصف والنسيب - كما - الغرض الذي نظمت القصيدة فيه ، كما يعيبه الافراطُ في البحثِ عن المشبّهات واثباتها الى حد الاسفاف ، وعدم احترام قواعد اللغة ووصف ممدوحيه ومنهم الرسول عليه السلام بالغلظة وشدة البأس حتى ليخيَّلُ للمرء ان اكبرَ همِّهم كان سفكَ الدماء وازهاق الارواح ، على ان - منظومه ومنثوره - لم يكن الا واحداً من الفنون

التي برع فيها ، فقد كان يتقن علومَ اللغة والفقه على اختلافها من نحو وصرف
وبلاغة وعروض وفرائض وأف فيها .

وكان الخلوف انيقَ الشكل حسن البزة باديَ النعمة والأبهة ،
ظريفاً طلق اللسان بليغ الكلام ، وهي صفات تجعل المتصف بها عادة محبباً
الى النفوس ، مرغوباً في مجالسته من طرف الامراء والوزراء ، ولكنها تعرضه
في الوقت نفسه لكثير من المشاكل والمكاييد من طرف المحرومين منها .

وله مؤلفات" وانظام" علمية وادبية كثيرة ، منها (I) نظم' المغني
في النحو . (2) ونظم التخليص في المعاني والبيان . (3) وبديعية" ميمية
سماها (مواهب البديع في علم البديع) اولها :

أَمِنْ هَوَى مَن ثَوَى بِالْبَيَانِ وَالْعِلْمِ هَلَتْ بِرَاعَةٍ مِزْنَ الدَّمْعِ كَالْعَنَمِ
أَمْ مِنْ بَرُوقِ بَرُوقِ الْحَيِّ إِذْ لَمَعَتْ تَمَتْ مِمَاتِلَةُ الْأَحْشَاءِ لِلضَّرَمِ

تقع' في 226 بيتاً توجد في مخطوط بدار الكتب الوطنية من الخزانة
الاحمدية بتونس رقمه I3429 . (4) وشرحها . (5) و(جامع الأقوال ، في صيغ
الأفعال) رجز" فيه تصريف' الأسماء والأفعال . (6) و(عمدة الفارض ، في علم
الفرائض) ، توجد منه نسخ عديدة بمكتبات باريس ولندن وبرلين وبطرسبورغ .
(7) و(تحرير' الميزان ، لتصحيح الأوزان) في العروض . (8) و(جنى
الجننتين ، في مدح خير الفريقين) ديوان شعري اختصه بمدح رسول
الله صلّى الله عليه وسلم ، توجد منه نسخة بدار الكتب القومية بتونس ،
واخرى بمكتبة العلامة المؤرخ الأستاذ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي
بالجزائر ، وعن هذه النسخة الأخيرة يقول الاستاذ الجيلالي : « له ديوان
شعر خاص بمدح الحضرة النبوية على صاحبها افضل' الصلاة والسلام
توجّه' بمقدمة حافلة تدل على رسوخ قدمه وتمكنه من ناصية اختصاصه
وتعلقه الشديد بالجناب النبوي الشريف ، ولقد أبدع والله في منظومه ومنثوره
ايما ابداع ، وجاء بما لم يوفق اليه غيره من أئمة هذا الشأن كالبوصري

واضرابه من شعراء المديح ، فان قصائده كلها عيون ، وكلها تتدفق طبعاً وسلاسة ، وان أقصر قصيدة فيه لا تقل عن مئات الأبيات .

ولابن الخلوف ديوان بدأ طبعه ببيروت سنة 1873 م وكمل بدمشق في السنة التالية ، ثم قام الدكتور هشام بوقمرة بجمع ما استطاع الوصول اليه من اشعاره وطبعها سنة 1988 بتونس في ديوان عنوانه (ديوان شهاب الدين ابن الخلوف) تبلغ صفحاته 472 وهو يشتمل على ابواب المدح والثناء والغزل والخمريات والوصف والأغراض المختلفة ، اما ديوان (جنى الجنتين) الخاص بمدح الرسول (ص) فقد جعله الدكتور بوقمرة الجزء الثاني من عمله ووعد بطبعه .

أخذ عن ابن الخلوف جماعة بالقاهرة والاسكندرية وتونس ، ولقيته محمد السخاوي صاحب (الضوء اللامع) واحمد السلوي وقال انه احفظ من لقيه .

من شعره قوله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم من بحر الكامل :

رقص القضيبُ لنغمة الورقاء	بمعاطفٍ كمعاطفِ الهيفاء
وافترَّ ثغرُ الزهرِ عن قطر الندى	فبكتُ جفونُ السحبِ بالأنواء
وجلا الرياضُ عروسه في حلّةٍ	قد كُلتتْ بجواهر الأنداء
ونضت يدُ الاصباح من غمِّ الدجا	سيفاً فمزق دولةَ الظلماء
والشمس سربلها الشعاعُ كأنما	خودٌ بدتْ في حلّةٍ حمراء
والقطرُ في ثغرِ الأقاح كأنه	شهدٌ جرى من مرشف اللعساء
والنهر يجري في الرياض كما جرت	سنةُ الكرى في المقلّةِ الوسناء
والجوُّ عطره النسيمُ بعرف من	ركب البُرّاق الى ارتقا العلياء
طهّ الذي أبدى الهدى لنا محاً	ليل الضلالةِ باليَدِ البيضاء
وهو الذي ملأ القلوبَ بحكمه الـ	محمود من خوفٍ له ورجاء

وشماله في شدةٍ ورخاءٍ
ومضى وحكمُ السيفِ في الأعداءِ
كمُهَنْدٍ في حدةٍ وصفاءِ
كالبرِ بين كواكبِ الجوزاءِ
ولسانه عجبٌ لذي الآراءِ
لحصارِ أعمارٍ وسفكِ دماءِ

وهو الذي قسمَ الندى بيمينه
فبدأ وحكمُ الفضلِ في أصحابه
تلقاه في جودٍ وبأسٍ رافلاً
وتراه من بين الأسنّةِ سافراً
في شأنه وبئانه وجنانه
صلّى عليه الله ما سنّ الظبى

وقوله أيضاً في الجناب النبوي :

ولم يكُ غير نحو الباري يُصرف
لظى سقرٍ وبالفردوس أسعف
لظى سقرٍ وبالفردوس أسف
واتبعه وظفّره وشرف
وارسلها واعملها واوقف
إذا ما الدهرُ نكّر ما تعرّف

الى باري الورى وجّهتُ وجهي
وقمتُ ببابه عبداً ذليلاً
ولدتُ بجاه طه كى اوقى
فكم ضال هدى ونهى واهدى
وكم عين شفى وكفى وأغنى
هو الغوثُ المرجى وهو حسبي

وقوله يمدحُ السلطان عثمان بن محمد بن عبد العزيز الحفصي :

ومناصلٌ أم مقلّةٌ وطفاء
وغزالةٌ هاتيك أم أضواء
وزلالٌ ريقٌ ذاك أم صهباء
وغزالةٌ هاتيك أم اسماء
في جفنها ، ان الجفونَ ظباء
مع شعرها الاصباحُ والامساء
بجنى الحديث حديقةٌ غناء
يصفُ الذي اهدتُ له الأنواء
والزهرُ زهرٌ والرياضُ سماء

أذوابلٌ أم قامةٌ هيفاء
وخمائلٌ مخضرةٌ أم سالفٌ
وهلالٌ افق طالعٌ أم واضحٌ
وأساودٌ أم تلك سودٌ نواجبٌ
خود صوارمها الجفونُ ومعجزٌ
في شكلها اندرج الزمانُ فثغرها
راضعتها ندى الوصالِ وبيننا
في روضة أضى النسيمُ لسانها
حيثُ الحمى فلكٌ تروج بوجهه

باللحن تُعربُه له الورقَاء
أدباً وترفعُ سَجْفَهَا الظلماء
غشَّاه من وجهِ المليك سناء
فوجدته جسماً وهم اسماء
فيداه أرضٌ سمحةٌ وسماء
ق غِنَىٌ ومنها للعدوِّ عناء
يُرْضِيكَ منه الأخذُ والاعطاء
من حزمه الاحكامُ والامضاء
فعلاه فيه الصعدةُ السمرء
وشفى الصدورَ فما بهنَّ اذناء
من شأنِه الضراءُ والسراء
مدتُ بيارقِ عدلِه الأضواء
أدمُ الهلالِ لاصمِيكَ حذاء
وضياءُ خطبِ قد علاه دجاء
بمواهبِ سارتُ بها الأنواء
ذكراكِ إِيَّايَ أم الاغناء
بشَّرٌ ولم يبلغْ رجاهِ مَدَاء
رقصَ القضيْبِ وغنت الورقاء

والطلُّ في الأوراقِ يثبتُ ما غدت
والأيكُ تخفضُ للنسيم رؤوسها
والأفقُ أشرقَ نوره فكأنما
ملكُ رايت الشُّهبَ ثمَّ رايتُه
غيثٌ يعودُ لآلِ حفص فخره
عمتُ مواهبُه فمناها للصيدِ
ملكٌ لما ملكتُ يدها مفرق
وليَّ الأمورَ بعزَّةٍ فسداها
فثنى العدوُّ اليه حكمَ لوائه
ملاً العيونَ فما بهنَ غضاضة
ياخائفاً من حادثِ الدهر الذي
لا ترهبينَ دجى الحنادسِ بعد ما
مولاي ياعثمانُ عشُ مترقيا
لله انت صلاحُ أمرِ فاسد
لم ادر اذ لم تنسني وذكرتني
ايَّ اليديْنِ أجلُّ عندي نعمة
فانَّه يوليك الذي لم يولاه
وبقيتَ للمداحِ يامولاي ما

وقوله يمدحُ وليَّ العبدِ الأميرَ محمدَ المسعودَ بالله من بحر

الطويلِ وبداهُ بالغزلِ والوصفِ كعادته :

فخلت شعاع الشمس يعلوه غيبه
بتنزيهها عن ذاك طرفي يكدب
بدور سناها بعدما كاد تغرب
تروع نيفاراً وهي للأنس تنسب ؟

ترأعتُ لعيني وهي بالشعر تحجب
ولم تحتجب بعد الظهور وانما
وما هي الا الشمس في الأفق اشرفت
مهاةً رعت حبَّ القلوب ، فما لها

فأصبحت منها خائفاً أترقب (76)
ولم أدر أنني بالتعيم أعدب
الم تره بالهدب قد عاد ينقب
فكندن ، واما ثغره فهو كوكب
وراح بهاتيك الحكاية يعرب
أليس رأها جمره تلهب
تري عسجداً باللزوردي يكتب
والا عن الصهباء بالمسك ترسب
وظلعتة والشعر صبح وغيب
ومقلته والصدغ سيف وعقرب
وخمر اللمى عندي الذئ وأعدب
فلله عقل بالمفصض مذهب
لما راقني ثغر من الكاس مذهب
وللى وفرع الليل بالصبح أشيب
لقلنا كناس والحمام ربرب
دنابير في وسط الدراهم تضرب
اذا ما جرت فيها تخوض وتلعب
فتنظر من طرف خفي وتهرب
بتير المحيا للحميا تذهب
تطرق بالمسك الذكي وتخضب
كما حف للمسعود بالسمر موكب
على كل عود كيف يدعو ويخطب

وكلمت الأحشا بموسى لحاظها
وعذب قلبي دلها بينعيمه
وأبدلت وزن الدمع في القلب جوهرأ
وبي ساحر الأجفان ، أمّا قوامه
حكى حسنه بدر الدجى متكلفا
وظن دخانا مثل حمره خده
أعد نظراً في خده وعذاره
وسل ثغره المعسول عن لعس به
فوجنته والثغر نار وكوكب
وقامته والردف غصن وبانة
حماني اللمي ، فاعتضت عنه مدامة
وانهب عقلي منه ثغر مفصض
واقسم لولا شاقني خمر ريقه
أيازائراً والليل يخضب فوده
لدى روضة لولا فصاحة ورقها
اذا أهدقت أحداق نرجسها تری
كأن بها الأنهار رقص أراقم
تهددها أغصانها برؤوسها
كأن بها النسرین أقداح فضة
كأن بها الريحان نقش أنامل
كأن بها لبان جيشاً يحفها
ملك أفادت سمره كل خاطب

(76) الكلم يسكون اللام والتكليم : الجرح ، والموسى آلة الحلاقة المعروفة
والعامة تستعملها فيما هو اعم ، والشاعر يوري بالنبى موسى وقصته الواردة في الاية 18
من سورة القصص .

كما انهلَّ مِنْ كَفَيْهِ بِالْجُودِ صِيَّبٌ
تَكَادُ بِهَا الْأَرْضُ الْجَدِيَّةُ تُخْصِبُ
وَكَيْفَ يِضَاهِي الصَّيْدُ (77) فِي الْبَأْسِ ثَعْلَبُ
لَهُ فِكْرٌ يَنْجَحُنَّ أَيَّانَ يَذْهَبُ
فَذَلِكَ مَبْذُولٌ وَهَذَا مُحْجَبٌ
فَلِلْجُودِ مِنْهُ وَالْإِجَادَةُ مَذْهَبُ
فَبِشْرَى الْأَمَانِيِّ أَنَّهُ لَا لَيْسَ تَكْذِبُ
بِبَأْسٍ يُعْيِي كُلَّ خُطْبٍ وَيَتَّعِبُ
فَلَوْ رَامَهَا الْأَصْبَاحُ أَعْيَاهُ مَطْلَبُ
وَلِلْجُودِ فَرْقٌ بِالْأَسْنَةِ أَشْيَبُ
وَلِلْمَرْحِ كَفٌّ بِالنَّجِيعِ مَخْضَبُ
جَلَا أَفْقَهَا وَاللَّيْلُ بِالْهَامِ يَلْعَبُ
وَجُوهٌ عِدَاهُ بِالْحَتُوفِ تَنْقَبُ
رَايْتُ وَجُوهَ السُّمُرِ كَيْفَ تَقْطَفُ
يَصْلِي الْعِدَى نَارًا مِنَ الْحَرْبِ تَلْهَبُ
نَسُورٌ عَلَيْهَا ، حَوْمُهُنَّ مُجْرَبُ
إِذَا مَا التَّقَى الْجَيْشَانِ لَا بُدَّ تَغْلِبُ
إِذَا أَصْبَحَ الْخَطِيءُ بِالدَّمِ يَكْتُوبُ
أَلَيْسَ لَهُمْ تَعَزَى الْمَعَالِي وَتَنْسَبُ
وغيرهم فِي الْحَزْنِ يَأْتِي وَيَذْهَبُ
وَبَيْنَ النَّدَى وَالْوَفْرِ بَكَرٌ وَتَغْلِبُ (78)

وبدرٌ له وجهٌ تَهْلَلُ بِالْحَيَا
وغيثٌ له فِي كُلِّ أَفْقٍ مَوَاهِبُ
وليثٌ أَرَادَ اللَّيْثُ يَحْكِيهِ شِدَّةٌ
إِذَا انْصَابَ فِي تَدْبِيرِ رَأْيٍ تَرَادَفْتُ
أَرَانَا طِبَاقَ الْمَالِ وَالْمَجْدِ فِي الْوَرَى
وَجَانَسَ مَا بَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالْقِرَى
إِذَا اسْتَمْسَكَتْ مِنْهُ الْأَمَانِيُّ بِنَاصِرِ
أَذَلَّ خُطُوبَ الدَّهْرِ قَهْرًا فَكَفَّهَا
رَمَاهَا بِعَزْمٍ فَانْجَلَى خُطْبَاؤُهَا
وَلِلنَّقْعِ فَرْعٌ بِالْعِجَاجَةِ أَسْمُ
وَلِلْمَعْضِبِ مَتْنٌ بِالْفُلُولِ مُنْقَشُ
إِذَا دَعَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانَ سِنَانَهُ
وَإِنِ النَّقْتُ الْهَيْجَا الْقِنَاعَ تَبَشَّرَتْ
وَإِنِ ضَحَكَتْ بِبِشْرًا مَبَاسِمَ ثَغْرِهِ
وَإِنِ أُمَّ صَفًّا لِلْقِتَالِ مُكَبَّرًا
وَإِنِ قَادَ أُبْطَالَ الْعَسَاكِرِ حَلَّقَتْ
جَوَارِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنْ جِيوشَهُ
لَهُنَّ عَلَيْهِ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا
مَنْ الْقَوْمِ فَاتُوا النَّاسَ سَبِقًا إِلَى الْعَلَا
كَأَنَّ لَهُمْ فِيهَا طَرِيقًا مُسَهَّلًا
بِعَدْلِهِمْ صَلْحُ الضَّرَاغِمِ وَالظُّبَا

(77) الصيْد من اسماء الاسد

(78) يعني الشاعر ان ممدوحه نشر العدل والامن حتى تصالحت الاسود والغزلان ، وان كرمه جعل ما بين جمع المال والجود به مثل ما كان بين قبيلة بكر وبين قبيلة تغلب من الفتن والحروب .

أيا ملكاً لم يعرف القدر مثله
كتبت بسمر الخط في أظهر العدى
وسننت للأعدا سيوفا كأنها
وقمت مقام الجيش في معرك به
وقلدت نحر الدهر درأ ، سلوكه
وحركت من اسم المكارم ساكننا
سجية أباء كرام ورثتها
ونحو به «الفارسي» ترجمل
لك الله يامولاي من مالك غدا
توقدت ذهنًا واستفضت مكارما
وشيدت حظي بعد ما كان واقعا
وما أنت الا رحمة ساقها الثنا
قدم ، كافل العلياء لسعدك عاضد
وشانيك مفقود ومثلك معدم

وهل هو الا من كمال مركب
سطورا رأينا ضمنها النصر يكتب
اليهم باهداء المنايا تقسرب
سنا البيض يطفو في الغبار ويرسب
سطور لها فوق الطروس تذهتب
لأنك بالأفعال للجود تنصب
حديث وفقه عنه يروي «المهذب» (79)
ونطق به « للمنطقي» تأدب (80)
يلين ويسطو ، فهو يرجا ويرهب
فأعلمت أن الشهب بالغيث تسكب
وغلبت سري بعد ما كاد يذهب
الينا ، وديانا أتت وهي تخصب
وعزمك منصور وجيدك أغلب
وبابك مقصود وبذلك يرقب

وقوله في الغزل من بحر البسيط :

لتهن عين لطيف الضيف ترتقب
يامعرضين بلا ذنب ، وقد عتبوا
صبا صببا للبا اذا شفته الوصب (81)
حتى قضى ، وقضى بعض الذي يجب

(79) المهذب كتاب لإبراهيم الشيرازي في الفقه الشافعي ، وليس بعيدا ان ابن الخلوف كان شافعي المذهب لنشأته وشبابه في الحجاز والشام مع ان الحفصيين ممدوحيه كانوا مالكيين .

(80) الفارسي هو الحسن بن احمد احد مشاهير النحاة ، توفي في بغداد عام 377 اما المنطقي فهو المنسوب الى علم المنطق وليس شخصا بعينه .

(81) الوصب المرض والوجع وتحول الجسم الناتج عن المحافظة على الحب .

ان هبَّ منكم نسيمٌ هزّة الطرب
جفنُ السحابِ ومالت نحوه القضب
احشاهُ وهوَ الذي لم يلوّه النصب
بمهجّةٍ في سبيل الحُبّ تُحتسب
ومدمعي قد روت عن صوبه السحب
تركيّ لَحَظٍ الى الأعرابِ ينتسب
أو لاح فالبدر بالأنواء محتجب
فالمراح في ثغره والمسكُ والضرب
لأنها من لَمَاه العذبِ تكتسب
لكنه من سنا خديّه يلتهب
من أجل ما أنه للثغر ينتسب
لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنّابُ (82)
بدرًا منيرًا به قد عزت الرتب
غادرته في الدجى للنجم يرتقب
عن ناظري ، والحمى والبان والقضب
آل الترجيّي اليه وانتهى الطلب

وله في الرثاء قوله يبكي ولدًا اسمه محمد مات صغيراً من

بحر البسيط :

وقدْ أهضتَ جناحَ المجدِ فاتنِدِ
رميتَ جفنيَ بعد الموتِ بالسَّهْدِ
تترك له أبداً بادرِ إلى الأبدِ

سرتم وفي الحمي ميت قد عجبت له
ناحت على فقده ورقُ الحمي فهمي
طوبى له اذ على الاخلاص قد طويت
في ذمة الوجه عيناً سحّ مدمعها
لا اشتكي نار وجد أحرقت كبدي
ياجيرة البان لي في حيكم رشاً
إن ماس فالغصن بالأوراق مستتر
حدث ولا حرج عن طيب نكهته
أعاهد الراح أني لا أفارقها
وأعشق البدر لا أني كلفت به
وأرقب البرق أننى سار سائره
يابارقا رام يحكي درّ مبسمه
وياهلال الدجى راع سناه تجد
ويا نسيم الصبا سلم عليه وقل
أعزز به شادنًا يحميه ناظره
أقسمت من أدمعي بالمرسلات لقد

(82) الشطر من البيت المشهور :

لقد حكيتَ ولكن فاتك الشنّابُ

يابارقا بأعالي الرقمتين بسدا

اذُ لا تسلّمها الاّ يداً بيد
حرا ، فياليتَ لم تنقصُ ولم تزد
سوى الحداية والخطاف والصرد
كأنك القلبُ مجبولاّ على الحسد
تركتَ زند الندى كفاً بلا عَضُد
أذقتَه طعمَ ثكل الأُمّ للولد
اعضاءَ حسنٍ كمثّل الجوهر النضيد
كما ارتديت بها ثوباً بلا جسد
كما تركت عماداً غير معتمد
وكم تخللت حتى غابته الأسد
من كاسه ، هل أحبّ السكرَ ذو رشد
ان المنيةَ لا تَبْقِي على احد
ما قد جنت من فسادِ جلّ عن عدد
ما عذرُ اشيبَ في العصيان منفرد
مَنْ سرّه اليومُ وافاه اكتباب غد
وكلُّ جارٍ سيلقى غايةَ الأمد
جوزاؤها كاعتلاق القلب بالكبد
ولم يكنْ بالذي اكننتِ من كمد
فالآنَ أجهدُ حتى لاتَ مجتهد
عند التفجع هامَ الغيث لم يجُدد
ولو عدتُ بجواها النجمَ لم يقيد
به الليالي وجلّ الخطبُ عن جلد
من أجل نضيرٍ أو عاجلٍ نكيد
ما بين منعكسٍ منها ومُطرّد
او قلّ صبري فلا لوم لذي نكد
نأي الحبيب ، وقلبٌ ناحلُ الجسد

ناجرتَ في صرف آجالٍ قد اقتربت
كم زدتَ في نقصك العليا جوى كبدٍ
وكم تركتُ ربوعاً ليسَ يعمرها
وكم قطعتَ غصوناً غيرَ فذوتُ
وكم اخذتَ حليفاً للسّخاء ، وكم
وكم تركتَ أباً يبكي على ولد
وكم لحدودِ قبورٍ قدُ نثرتَ بها
وكم توسدتها راساً بلا عنق
وكم تركتَ اميناً غير مؤتمن
وكم ترقيتَ مرقى عزّ مدركه
يامرتد بالشباب الغض منتشياً
لا تغترر بشباب انت تهدمُه
وياأخا الشيبِ لِمَ لاتنهَ نفسك عن
هبِ الشبابَ له عذرٌ بصاحبه
لا تحسبنّ سروراً دائماً أبداً
والعمرُ ميدانُ سبق والحمام مدى
باليلةٍ باعتلاج البرق قد علقتُ
أبديت مثل الذي ادبرتِ من قلق
وكم تصبّرتُ حتى لاتَ مصطبرٍ
عندي شوائب حزن لو رميت بها
وحسرةٌ جادها دمعي فأوقدها
عمري ، لقد غالتنا الرزء الذي طرقت
هي المقاديرُ فاقبلُ ما حبتك به
فللمور مواقيتٌ مقسّدةٌ
ان ليجّ شوقي فلا بدعٌ لذي عجب
عينٌ مسهدة الاجفان ارقها

إذا لجاتُ لصبرٍ فيه لم أجد
على محمدٍ إذْ ولّيتُ ولمْ يعدُ
وكل قلبٍ بنارِ الشوقِ متقد
يكفيه ما حلَّ في احشاه من كمد
عن المنايا فلم تفعلْ ولم تكد
قد نازع القربَ فيه عاملُ البعد
ياليقيني لم أسم بالصبرِ عن شهود
وليتَ شمسه لم تشرق على بلد
فليقتني كنتُ موقفاً على الرصد
سحابِ عفوٍ وغفرانِ مدى الأبد
من حرك الوجدُ فيه ساكنَ الجلد

لهفي ، وهلْ نافعٍ لهفي على ولد
لهفي ولهفَ بني الأيامِ قاطبة
وكل عينٍ بماءِ الدمعِ في غرق
لا اعتبُ الزمنَ المودي بسيدة
فكم طلبتُ الليالي أنْ تغيبه
آهٍ لعطف بيانٍ فيه ذي نسق
بني ليتك لم تخلق لوري بلّا (83)
وليتَ بدرك لم يطلعْ على أفق
ما كان أقصر ساعات بك ارتصدت
سقى الحيا قبرك الزاكي وواصله
وصبرَ الله قلبَ الوالدين على

ومن موشحاته هذا الموشحُ الذي عارضَ به موشح إبراهيم
بن سهل الاشبيلي الذي أوله (هل درى ظبي الحمى ان قد حمى) :

ومحا بالسيف أفق الغلَس
ثوبَ ديباجٍ به الجوِّ كُسي
بيدٍ بيضاء في لَوَّحِ النهارِ
حين نادى الفجر في الشرقِ البِدَارِ
فاختفى من نوره النجمُ وغار
عاطر الزَّهرِ بثغرِ أُلْمَسِ
دمع عينِ العارضِ المُتَجِسِ
يسنا البرق طِرَازاً معلماً
فزمت خدّاً وطابت ميسماً
فبأفق الكأسِ خلنا أنجماً

قابل الصَّبْحِ الدجى فانهزما
وعلى الغيمِ يبرق رقماً
نسخ الصَّبْحِ أحاديثَ الدجى
ولِكهفِ المغربِ الليلُ النُّتْجَا
وجلا الصبحِ جبيناً أبلجاً
وبكى القمريُّ لما ابتسماً
وزها خدُّ الرُّبَا ، فانسجماً
رقمَ الغيمِ على ردنِ النسيمِ
واكتست خود الربي ثوب النعيمِ
فامح بالراح دجى الليلِ البهيمِ

قهوة الريق بمسك اللّعبس
نور بدرٍ جلّ عن مقتبِس
بهرمان الراح في در الكؤوس
أم بروج أشرقت فيها الشموس
أم زهور نضدت فوق الغروس
لشفيا العيِّ وبُرءِ الخرس
مارد الهم يشهب الحرس
بين جفنيه فتور" وفتون
تدعه كن مغرماً بي فيكون
وجنون الناس بالعشيق فنون
فشفى روعي وأحيا نَقَسِي
يالها من نِعَمٍ في خلَس
والحلى والقدّ شمس" وقضيب
واللّمي والريق مسك" وحليب
والطلّي والرديف طّبي" وكثيب
فتحاشى من قدى أو خنَس (84)
قأرى الشمس بليل غلبس
خشية الخسف ، بحجب الغسق
أن يعير الأفق ثوب الشفق
آمنت حقاً بسحر الحدق
بسهام اللحظ قلب الهجس
حسنه من نظرة المختلس

واسأل الساقى لماذا ختما
وعلى الخد بخال وسمما
ياشقيق الروح قل لي من أذاب
أزجاج ما نراه أم شراب
ولأل ما علاه أم حباب
أم ضيا أفق بطرس رسمما
أم سنا نجم سرور رجما
بأبي ، بدرأ ، على غصن علا
ان رأت عيناه ولهاناً سلا
جنّ فيه قيس قبلي ، المبتلى
زاراني في غفلة محتشما
وحباني في اختلاس نِعَمما
لحظه والجفن سهم" وحسام
والسنا والشعر نور" وظلام
والحيا والخد ورد" ومدام
قد زها عيناً وخدأ وفما
وبدا في شعره ملتئماً
لو رأى البدر سناه احتجبا
أو جلا للصبح خدأ لأبسى
منذ رأت هاروت عينيه الطّبا
أوتر الحاجب قوساً ورمى
ونضا في الجفن سيفاً وحمى

(84) الخنَس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة ، وهو من العيوب .

فبخديه البدورُ الطلائع
فبعطفيه الغصونُ الميتع
فبجفنيه الطّبَاءُ الرتّسع

وعجيبٌ جنةٌ في قبس
ثغرهُ الزاهي الزكيُّ النفس

لم يؤمنَ خائفاً من حربيه
وقوادي مُحبسٌ في حبّيه
وهو لاهٍ آمنٌ في سربيه

جار اذ حاز الحشا في الخمس
أمنَ الجائز هدمُ الحبس؟

أفتديه من ظلومٍ عادل
ثم لم يسمحُ ببرد السائل
يالعمري ضاع أجرُ العامل

وبه برءُ الأسى والطّمس
أحرقَ القلبَ بنار الهجس

وبه قد صار في أعلا الرتب
قيّمُ النظام ، شيخُ أهل الأدب
شِعْرَه فاعتزّ عن شِعْر العرب

لا ترى الدخان مثل القبس
لم ينلّها أحدٌ بالهوس

انْ أضا الديجورَ من طلعتَه
أو أرانا الورد في وجنتيه
أو سبا الآسادَ من نظرتيه

أسُ صدغِيه على الورد نما
وبدر في عقيقٌ نظمسا

يالقومي من مجيري من رشا
كيف يُصغي فيه سمعي للوشا
قد غزا سمعي وعيني والحشا

غنم الكل ولمّا قسّمسا
ولأحباس فوادي هدمسا

ظالم في الحكم غصن ذو اعتدالُ
أمرّ الدمع على خدي فسال
وأضاع العمر في قيل وقال

مزق القلبَ ، وللطرفِ عمى
وبدمعي أغرقَ الجفنَ كما

بـ«الخلوف» النظمُ في الأفق الرفيع
شاعرُ الدنيا ، امامُ أهل البديع
قد حبا الله بأزهار الربيع

قل لمن عارضه كنُ فهمًا
ان الله تعالى نِعَمًا

وكتب عنه السخاوي لما لقيه مودعاً عام 881 هـ ما ضمّن فيه قولاً

ابن الأحمر ملك الأندلس ، وهو :

أفاتكةَ اللحظ التي سلبتُ نسكي على أي حال كان لا بدَّ لي منكِ
فاما بذلُ وهو اليقُ بالهوى واما بعزُ وهو اليقُ بالملكِ
فقال الخلوف :

اماط الهوى عن واضحي برقع النسك فوحدت من اهواه عن هوة الشرك
فقلتُ وقد أفتتُ لحاظك بالفتكِ (أفاتكةَ اللحظ التي سلبتُ نسكي
على اي حال كان لا بد لي منكِ)
يميناً بنجم القرط منك اذا هوى وخالِ على عرش بوجنتك استوى
لئن لم تفي لا بدَّ للقلب ما نوى (فاما بذل وهو اليقُ بالهوى
وإما بعزُ وهو اليقُ بالملك)

توفي بتونس عام 899 هـ ودفن بتربة سيدي محرز بن خلف (85)

1438) احمد بن حاتم السطي الصنهاجي ، عالم مغربي منسوب
الى قبيلة سَطَّة الصنهاجية الكائنة مساكنها باقليم تاونات شمالي مدينة
فاس ، ولد بفاس بحي باب الجيسة في شهر جمادى الثانية عام 851 هـ ونشأ
بها فحفظ القرآن وبعض المتون الفقهية والنحوية ، ثم ارتحل الى تلمسان
فأخذ بها عن يحيى بن احمد العقباني ومحمد ابن الجلاب ، وسمع فسي
قسنطينة من أبي القاسم ابن أبي حديد ، وحضر بتونس عند ابراهيم بن
محمد الخدري (I : 141 ع 142) وقرأ بطرابلس على أحمد حلولو (5:68ع1435)،
واخذ بهذه وغيرها عن آخرين كابراهيم الناجي ومحمد التريكي ، وانتقل

(85) الاعلام للزركلي I : 231 وايضاح المكنون 2 : 123 وتاريخ آداب اللغة
العربية لجرجي زيدان 3 : 142 وتاريخ الادب الجزائري ص 98 وتاريخ الجزائر العام 2 : 94
وتراجم المؤلفين التونسيين 2 : 228 ع 161 وتونس وجامع الزيتونة ص 14 والنروض
الباسم ص 22 ومجمل تاريخ الادب التونسي ص 224 (فيه وفاته في حدود عام 910) ،
ومعجم اعلام الجزائر ص 134 ومعجم المطبوعات ص 100 ومعجم المؤلفين 2 : 51 و 118
والمؤنس ص 158 والضوء اللامع 2 : 122 و 251 وفهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية
ص 38 والسلطنة الحفصية ص 640 وشجرة النور الزكية I : 273 ع 1013 (فيه وفاته في
حدود عام 910) .

الى القاهرة سنة 873 واستوطنها واخذ بها وبالإسكندرية عن عدد كبير من المشايخ وحج مرات عديدة ولقي بالحرمين الشريفين عدداً آخر من الفقهاء والعلماء من أهلها والواردين عليهما والمجاورين بهما .

وكان فقيها مشاركا ممتازاً في الطب متقناً فيما يبيديه مستحضراً لكثير من احوال أئمة المغرب مع مزيد عقل وعفة لسان وبدوء صلاح ومعرفة كبيرة بنفسيات الناس وقدرة على مخالطتهم وجلب خواطهم والوقوف الى جانبهم ، فرغب الكبير والصغير في مخالطته حتى كان بعض الامراء يختص به ليالي من الاسبوع لمسامرته والمبيت معه ، وعظم بسيرته الحسنة ومعاملته الطبية جاهه وكثرت امواله .

قال السخاوي في (الضوء اللامع) : ولم يزل يظهر لي كامل التودد والتردد بكل من البلدين ويوهم ما لا يخفى علي ، وربما يقول لي : اذا ذكرتني لأحد فلا تصفني الا بالصلاح دون العلم ، وكأنه علم كساد سوقه في معرفته لشانه عندهم

اقرأ قليلا بمصر ومكة

لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 899 هـ (86)

1439) أحمد بن أحمد زروق البرنُسي ، عالم كبير ، وصوفي شهير من أهل فاس ، ولد بها يوم الخميس 22 محرم عام 846 هـ (87) ، وأصل سلفه من قبيلة البرانس التي توجد مساكنها بأقليم تازة ، من قرية بها تسمى تليوان الواقعة بالقرب من وادي الحضار ، فهذا يقال فني نسبته الحضاري تارة والبرنُسي تارة أخرى ، اما شهرته بزروق فأخذتها

(86) البستان ص 55 والحلل السندسية 1 : 628 و 630 وتوشيح الديباج ص 51 وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة) ص 133 ونيل الابتهاج ص 87 والضوء اللامع 1 : 268 وهو المرجع الوحيد لجميع الذين ذكروه .

(87) ليحذر ما ورد في كتاب اعلام ليبيا ص 65 من انه ولد بمصراتة ، وكذلك ما يتعلق بشيوخه واماكن دراسته فأكثر ذلك خلط وغلط .

اسرته من جده محمد الذي لقبه الناس' بذلك اللقب لزرقة عينيه ولصق' بأبنائه وحفدته من بعده ، وقد كان والده احمد (5 : 34 ع 1398) سماه محمداً إحياءً لاسم أبيه ، فلما توفيَ بُعِيدَ ولادته دعته الأسرة' باسم أبيه أحمد واحتفظ هو بالاسم لما كبرَ لأسبابٍ ذكرها في الكناش .

نشأ احمد زروق يتيماً إذ توفِّيَ أبواه في الأسبوع الأول لولادته بالطاعون المعروف بوباء عزونة الذي ضرب فاساً في ذلك العام ، فكفلته جدته لأمته المسماة' أمّ البنين ، وكانت امرأة' فقيهة' سالحة ، فأدخلته للكتاب (المسيد) ليحفظ القرآن عصمةً لدينه ، كما دفعته لمعلم خزان يتعلم في دكانه الصنعة' عصمةً لديناه ، ولما توفِّيَتْ جدته وهو في العاشرة من عمره واصل التعلم في كتاب القرآن ودكان الخرازة معاً حتى بلغ السادسة عشرة ، فقرر حينئذٍ أن ينصرف إلى طلب العلم ويتخلَّى عن الصنعة ، فانتظم في سلك الطلبة بجامع القرويين والمدرسة العنانية المعروفة بطالعة فاس ، وأقبل بكليته على تعلم علوم اللغة والفقه والأصول والحديث وملازمة شيوخ العلم المعتبرين كأحمد بن سعيد الحباك (5 : 53 ع 1424) وأحمد ابن العجل الزروالي (5 : 40 ع 1407) وعبد الله القوري وعبد الله التجيبي ومحمد بن الحسين السراج واحمد بن علي بن صالح الفيلاي (5 : 42 ع 1411) وأحمد بن محمد الفشتالي الملقب بنور الله (5 : 39 ع 1406) وعبد الله العبدوسي وغيرهم ، ثم ارتحل عن فاس عام 870 هـ لأسباب سياسية على ما يظهر تتعلق بموقفه من الأحداث التي انتهت بمقتل السلطان عبد الحق المريني وانقضاء حكم بني مرين والتي اتهم فيها باليهودية والجاسوسية ، فذهب إلى تلمسان لزيارة ضريح الشيخ شعيب بن الحسين الشهير بكنية أبي مدين ولقب الغوث (2 : 15 ع 314) ولما عاد إلى فاس وجد أصابع الاتهام لا تزال تشير إليه والأعين تنظر إليه شزراً ، فقرر - والحالة هذه - القيام برحلة طويلة أملاً من خلالها انجلاء الغيِّم وهدوء العاصفة ، فذهب أولاً إلى تلمسان عام 873 هـ واخذ بها عن مشاهير علمائها كأحمد بن محمد ابن زكري آتي الترجمة بعده ومحمد بن

يوسف السنوسي واحمد بن الحسن الغماري (5 : 56 ع I425) وهو الذي اشار عليه بالذهاب الى المشرق لأداء فريضة الحج ، فسافر اليه على طريق البرّ ماراً بوهران والجزائر وتونس آخذاً في كل مدينة مرّاً بها عن علمائها وفقهائها كابراهيم اللنتي التازي دفين وهران (I : I37 ع I39) واحمد بن عبد الله الجزائري (5 : 59 ع I428) وعبد الرحمان الثعالبي دفينيّ الجزائر ، ومحمد بن قاسم الرصاع التلمساني دفين تونس ، ووصل الى القاهرة في نفس العام فأخذ بها عن عدد كبير من الشيوخ من اشهرهم الحافظ احمد ابن حجر وتلميذه المؤرخ محمد السخاوي ، وفي العام التالي 874 هـ دخل الحجاز وأدى الفريضة وجاور بالمدينة المنورة ، ثم عاد الى القاهرة عام 876 هـ واستقرّ بها عاماً كاملاً قضاه متردداً على شيوخ العلم بجامع الأزهر وشيوخ التصوف بزواياهم او اماكن سكناهم ، ثم انقلب راجعاً الى وطنه وأواخر عام 877 هـ فمرّ بتونس ويجاية وتلمسان وسار حتى وصل الى مسقط رأسه فاس عام 880 هـ وكانت سمعته العلمية واخبار تنقلاته بالمشرق واجتماعاته بعلمائه وما ألقه خلال تجواله من كتب قد سبقته اليه ، فخرج العلماء والفقهاء لاستقباله ، وكان من بينهم احمد بن سعيد الحباك ومحمد الكراسي صاحب منظومة (عروسة المسائل) ، عما لبني وطاس من الفضائل (88) ، ولكنهم ما كادوا يدخلون خبائه ويشرعون في التذاكر معه حتى حدث بينهم شتآن فانقلبوا راجعين من حيث اتوا مغتاضين من حدة طبعه وجفاء منطقته ، ثم قاموا بعد دخوله المدينة بالدعاية ضده بداعي الغيرة وبسبب موقفه المخالف لمواقفهم من عبد الحق المريني آخر سلاطين بني مرين الذي اعلى كلمة اليهود واسند اليهم الوزارات والوظائف الحكومية والادارية الرفيعة مما عجل بقتله والقضاء على حكم أسرته ، فقاطعه المجتمع واعتزله الناس ، ولم يخلص له الا صديقه الفقيه محمد ابن غازي العثماني الذي ذكر انه دعاه والناس يوماً الى وليمة اقامها لهم فلم يات لشهودها احد سواه .

وينبغي ان نقف هنا لحظة لنشير الى ان احمد زروق لم يقتصر زمن طلبه بالمغرب والمشرق على دراسة العلوم العقلية والنقلية التي كانت تدرس بالمساجد والمدارس كالعلوم الدينية والفنون اللغوية والأدبية ، تلك التي كان الواحد منها او كانت كلها تدعى (علم الظاهر) ، بل انه - بحكم نشأته في اسرة متدينة - كان يميل من صغره الى علم او علوم من نوع آخر تسمى (علم الباطن) ، فصار يتلمذ لادراك هذا العلم الباطني ويختلط - في المغرب والمشرق - بأساتيده من ضعاف العقل ومنتحلي التصوف الذين ينطقون بأقوال وياتون بأفعال ينكرها العقل والشرع ولا يستسيغها الا من شرب ماءهم ونشق هواءهم ، ومن اشهر هذا الصنف من الاساتيد المربين بفاس شيخه محمد الزيتوني الذي ذكر محمد ابن عسكر في (دوحة الناشر) ان زروقاً جاء لزيارته ذات يوم فطرق الباب فسمع الرد بالاذن في الدخول ، فلما خطا الى داخل البيت لم يرب به احداً ، فصعد درجاً الى غرفة بأعلى البيت ففوجيء برؤية شيخه الزيتوني جالساً بين امرأتين منزيتين يدير وجهه الى اليمنى فيقبلها ثم يلتفت الى اليسرى فيفعل معها مثل ما فعل مع الأولى ، فبهت زروق وصار يقول في نفسه ان هذا الرجل لزنديق (89) ومن اشهرهم بالمشرق احمد بن عقبة اليمني المولود بحضرموت عام 824 هـ والمتوفى بالقاهرة عام 895 هـ ، التقى به زروق في مصر عند ايايه من الحجاز عام 876 هـ وقد روى ابن عسكر في (دوحة الناشر) أيضاً قصة عن لقاءهما الأول تشبه في غرابتها قصته مع الزيتوني في المغرب ولكنها دونها استهجاناً فليراجعها من اراد ، ونحن - وان كنا نشك في كل ما يروي عن صلة الشيخ زروق بشيوخ (علم الباطن) مما لم يكتبه هو بقلمه - نعتقد ان هؤلاء كان لهم تأثير على تربيته وسلوكه الروحي مثلما كان لشيوخ (علم الظاهر) تأثير على سلوكه وتوجهه العلمي ، وهو ما جعل عدداً من المترجمين والباحثين يلقبونه بـ (الجامع بين الشريعة والحقيقة) مثلما لقبوه بـ (محتسب الصوفية) لقوة شكيمته في استنكار البدع التي ادخلوها في التصوف او تلبسوا بها اثناء ممارستهم اياه .

ولنمض بعد هذا لنرى كيف قضى احمد زروق المرحلة الأخيرة من حياته ، فبعد رجوعه الى فاس ومقابلته قبل الدخول اليها بما قوبل به ، وتجهنم الوجوه له بعد دخولها رأى انها غير دار اقامة ، وان حياته فيها لا تستقيم ، وقيامه بأي نشاط علمي او صوفي متعذر ، فقرر ان يرحل عنها الى غيرها من ارض الله التي يجد فيها لعلمه تقديراً وأفكاره الصوفية قبولا ، فخرج منها سنة 884 هـ وسار مُشرقاً فدخل تلمسان ثم واصل السير حتى بلغ بجاية التي كان يحظى بعطف اهلها وله من بينهم اصحاب وانصار ، ثم تابع مشيته في آخر العام فوصل القاهرة وقضى فيها بقية العام والعام الذي يليه ، وتصلح فيها مع شيخه اليمني ولقي المشايخ والقى دروساً تجاوز عدد الحاضرين فيها ستة آلاف ، واخذ عنه الناس ، وحصل على اجازة من المؤرخ محمد السخاوي ، ومن تاج المحدثين وامام المسندين محمد بن عثمان الديمي الذي اجاز ايضاً بطلب منه جماعة من علماء فاس وفقهاؤها كمحمد ابن غازي وابنه احمد وعيسى الماوسي واحمد الونشريسي وموسى العقدي ومحمد بن محمد بن عيسى بن علّال المصمودي ، وكان ذلك عام 885 (90) ، ثم انقلب سنة 886 راجعاً الى المغرب فلما بلغ مدينة مصراتة التي تبعد عن طرابلس شرقاً بما يزيد على 200 كلم - وكانت يومئذ بلدة خاملة يسكنها قوم بسطاء يعيشون على الفطرة - رآها اصلح لنشر علمه وبيث افكاره فاستقر بها ، وقد ذكر الشيخ محمد بن ناصر الدرعي في (الرحلة) ان زروقاً سئل مرة عن سبب اختياره مصراتة مستقراً ومقاماً دون سائر بلاد الله ، فأجاب سائله ان ذلك خارج عن قياس النظر ، غير مصحوب بالجزم ولا معقود لشيء نعلمه ، بل اتفاقي ظهر وجوده فلزم موجوده الى ما يقتضيه الحق :

وما انا بالباغي سليمي بديلة⁹¹ بليلى ولكن للضرورة احكام (91)

(90) التعلل برسوم الاسناد ص 128

(91) الرحلة الناصرية 1 : 92

والاستشهاد بهذا البيت يقربنا من فهم الداعي الى هجرته من فاس واستقراره بمصراته ، فهو لم يستبدل الثانية بالأولى طوعاً واختياراً ، لأن من المستغرب ان يتنكر المرء لوطنه ، ويسخى عن منازل احبابه ومراتع صباه وشبابه ، ولكن للضرورة احكام !

اقام زروق بمصراته وتزوج وانجب ، ولم يخرج منها الا مرتين ، الأولى عام 891 ذهب فيها الى الجزائر ، والثانية عام 894 ذهب فيها الى مكة لاداء الفريضة ، وعرج في رجوعه على القاهرة والقى فيها دروساً ثم عاد الى مصراته ف قضى فيها بقية حياته .

كان زروق حسن الخلقة ابيض البشرة قصير القامة في طبعه حدة كانت سبباً في مشكلات كثيرة عانى منها في حياته ما عانى وجفاه من اجلها . بلديوه وذاق من جرائها طعم القطيعة ، ولعل منشأ هذه الحدة - التي يظهر انها خفت قليلا في المرحلة الاخيرة من حياته - هو يتمه وفقره في الصغر ، ثم تمسكه الشديد بأحكام الدين ووقفه عند حدوده واندفاعه الشديد الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا غرو ، فقد أجمع كل الذين تحدثوا عنه او تعرضوا لذكره قصداً او عرضاً عن زهده وورعه وتقواه واعراضه عن الدنيا واقباله على عبادة ربه الشيء الذي اشاع اسمه في كل الآفاق ، وجعل له اتباعاً ومريدين يؤمنون بولايته ، ولا يفترون عن ذكر كراماته وتلاوة احزابه وأوراده ، ويؤلفون حول آرائه ومناقبه خلية مجتمعية تدعى (الطريقة الزروقية) منتشرة في جهات كثيرة من افريقيا المسلمة .

اما عن علمه فقد كان من أكابر علماء عصره وفقهائه ، تدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي بدأ يكتبها عام 870 وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، ولم يتوقف عن كتابتها الا عام 896 قبل موته بثلاثة اعوام ، وقد تطرق فيها لكثير من ابواب العلوم الدينية واللغوية وسواها كالحديث والفقه وعلم الكلام والطب والحساب ، ولاسيما التصوف الذي ابدأ فيه واعاد وصار بما كتب فيه وشرح

مرجعاً معتمداً من جانب كل من جاء بعده ممن يهتم بهذا الفن أو يمارسه ، وتمتاز كتابته ببساطة اللفظ ووضوح المعنى والبعد عن الاطناب والميل الى التركيز مما يجعلها مفهومة من الكبير والصغير ، وقد يباليخ في الايجاز في بعض مؤلفاته حتى يجعلها بعيدة عن ان تكون تأليفاً او شرحاً لتأليف ، ومن اجال النظر فيما سماه شرح صحيح البخاري يدرك ذلك ، ومما يعاب عليه أيضاً انه يكرر افكاره باللفظ الواحد في كثير من مؤلفاته ، ويعيد في مؤلف لاحق ما اودعه في مؤلف سابق ، كما فعل في شرح الحكم العطائية التي يقال انه وضع عليها اكثر من ثلاثين شرحاً ، فهو في هذا شبيه بأبي القاسم الزياتي مؤرخ العصر العلوي بالمغرب (2 : 157 ع 442) الذي كان ينقل في كتاب له ما اودعه في كتاب آخر له عنوان مغاير ، وقد نسب اليه بعض المترجمين اشعاراً لاشك في انها كانت مما يتمثل به او ينشده مريدوه في حلقات ذكرهم فتخيل سامعوها انها من كلامه ، والذي صبح من كلامه الموزون المقفى لا يعدو ان يكون من انظام الفقهاء والمتصوفة الخالية من اي نفس شعري ، وهذا لا يضيره في شيء ، فالرجل لم يدع انه شاعر ولا جعله واحد مما ترجموا به من الشعراء ، بل كانت له مجالات اخرى بها اشتهر واحترمه بسببها الناس .

وآثار احمد زروق كثيرة متنوعة ، اقلتها مطبوع واكثرها ما زال مخطوطاً ، وقد تتبعها الدكتور علي فهمي خشيم في الخزائن المحفوظة بها شرقاً وغرباً فوجدها تنيف على مئة عنوان ما بين مؤلفات وشروح ورسائل وقصيد .

فمن مؤلفاته المطبوعة كتاب (قررة العين) في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري ، طبع الشرح السابع عشر بالقاهرة سنة 1969 بتحقيق الدكتور محمد بن الشريف ثم طبع الشرح السادس عشر منه بتحقيقه على نفقة الشيخ خليفة بن زايد بن سلطان آل نهيان ،

و (شرح صحيح البخاري) طبع بالقاهرة سنة 1973 في خمسة أجزاء ،
و (الكناش) وهو سيرته الذاتية ، طبع طرف منه بتحقيق الدكتور
علي فهمي خشيم بمناسبة مهرجان زروق المقام بمصراته عام 1980 ،
و (النصيحة الكافية ، لمن خصه الله بالعافية) طبع بالقاهرة لأول مرة
عام 1281 هـ (1864 م) ، و (قواعد التصوف) طبع بالقاهرة للمرة
الأولى عام 1900 ، و (شرح عقيدة الغزالي) طبع بالقاهرة سنة 1877 م
على هامش (بداية الهداية) لعبد القادر الفاكهي ، و (شرح أسماء
الله الحُسنى) طبع بالقاهرة للمرة الأولى عام 1294 هـ (1877 م) ،
و (شرح الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني طبع بالقاهرة عام 1332 هـ
(1914) ، و (الوظيفة) طبعت بالقاهرة عام 1294 هـ (1877 م) على
هامش (تنوير الأفتدة الزكية ، في ادلة افكار الوظيفة الزوقية) لاحمد
بن عبد الرحمان الساعاتي .

اما آثاره التي لم تطبع فمنها الكبير والصغير ، ومنها ما يحمل
اكثر من عنوان ، وهي موجودة في الخزانات والمكتبات الخصوصية
والعمومية ، وسنكتفي بذكر اماكن حفظها بأشهر الخزانات المغربية ،
فمنها : (الأنفاس الزكية ، في شرح الحكم العطائية) محفوظ بالخزانة
العامة بتطوان تحت عدد 278 ، ومنها (اصول التصوف) محفوظ بها
تحت عدد 874 ، ومنها (اعانة المتوجه المسكين ، على طريق الفتح
والتمكن) منه نسخة بخزانة جامع القرويين بفاس ، وثلاث نسخ بالخزانة
العامة بتطوان محفوظة تحت اعداد 452 و 871 و 874 ونسخة بالخزانة
العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 1254 د ، و (تحفة المريد ، وفوائد
اهل الفهم السديد) توجد منها نسخة بالخزانة العامة بتطوان محفوظة تحت
عدد 452 ، واخرى بالخزانة الحمزية ، وبالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 519 ،
و (الجامع ، لجمال من الفوائد والمنافع) يوجد بخزانة القرويين ، وبالخزانة
العامة بتطوان تحت عدد 826 وبالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 182 د وفي
مجموع عدده 2207 ، و (حقيقة التصوف) يوجد بدار الكتب الناصرية

بمكروتة (تامكروت) تحت عدد 302I و (خواص أسماء الله الحسنى) يوجد بالخزانة العامة بتطوان تحت عدد 826 وبالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 952 ، ولعله المطبوع بالقاهرة عام 1294 هـ ويشك في أنه من تأليفه كما سيذكر ، و (رسالة في البروج والمنازل) منها نسخة محفوظة بالخزانة العامة بتطوان تحت عدد 485 و (السدرة البهية ، في حل الفاظ القرطبية) ، والقرطبية اسم أرجوزة نظم فيها يحيى القرطبي القواعد الخمس ، توجد منها نسخ كثيرة بدار الكتب الناصرية وخزانة القرويين والخزانة العامة بتطوان ، و (المقصد الأسنى ، فيما يتعلق بمقاصد الأسماء) منه نسخة بالخزانة العامة بتطوان محفوظة تحت عدد 439 و (النصيحة الكافية) منها نسخ عديدة بخزانة جامع القرويين والخزانة العامة بتطوان والخزانة العامة بالرباط ودار الكتب الناصرية بمكروتة (تامكروت) ، و (عدة المرید الصادق من أسباب المقت ، في بيان الطريق القصد وحوادث الوقت) منها نسختان بخزانة جامع القرويين و (سفينة النجا ، لمن أراد الالتجاء) توجد منها نسخة بالخزانة العامة بتطوان عدد 30I و أخرى بدار الكتب الناصرية في مجموع رقمه 2085 و (نظم عيوب النفس) منه نسخة في مجموع محفوظ بدار الكتب الناصرية تحت عدد 302I و (شرح المقدمة الوغليسية) توجد منه نسخ كثيرة بالخزانة العامة بالرباط ودار الكتب الناصرية بمكروتة (تامكروت) و (شرح الحكم العطائية) وقد سبق القول أن زروقاً وضع على حكم ابن عطاء الله أكثر من ثلاثين شرحاً ، وأن الشرحين السادس عشر والسابع عشر مطبوعان ، وفي خزانة القرويين والخزانة العامة بالرباط ودار الكتب الناصرية عدد من هذه الشروح لا نذكر ترتيبها لعدم الاطلاع عليها ، و (شرح المباحث الأصلية ، في الطريقة الصوفية) ، والمباحث المشروحة هي لابن البناء السرقسطي ، توجد منها نسخ بالخزانة العامة بتطوان عدد 2284 د والخزانة العامة بالرباط عدد 768 ودار الكتب الناصرية عدد 20 و (شرح الحقائق والرقائق) والكتاب المشروح هو من تأليف محمد المقرئ التلمساني قاضي السلطان أبي عنان المريني توجد منه نسخة بزواية سيدي

حمزة بجبال الأطلس ، و (شرح حزب البحر) لأبي الحسن الشاذلي توجد منه نسخ كثيرة بخزانة القرويين والخزانة العامة بالرباط والخزانة العامة بتطوان ودار الكتب الناصرية بمكروته (تامكروت) ، و (شرح حديث الدين النصيحة) توجد احدى نسخه بالخزانة العامة بتطوان محفوظة تحت عدد 826 ... الخ .

وتنسب لزروق كتب " وأشعار بعيدة كل البعد على أسلوبه ومذهبه كالكتاب المسمى (الصناعة الكبرى) او (علم السرِّ والصنعة) ، وشرح الدياتية المسمى تارة (المواهب السنية) وتارة اخرى (شرح اسماء الله الحسنى) لأنه عمل يقرب من السحر ويقوم على الاعتقاد بأن لأسماء الله الحسنى قوة " سحرية" يمكن توجيهها لجلب مصلحة ودرء مفسدة وللقضاء على مكائد الخصوم والأعداء (92) .

وتجدر الإشارة الى ان بعض المعجبين بزروق والمعتقدين بولايته وصلاحه شرحوا بعضا من مؤلفاته كمحمد بن علي الخروبي الطرابلسي المتوفى عام 963 هـ الذي شرح كتابه (اصول الطريقة) في كتاب سماه (الدرة الشريفة ، في الكلام على أصول الطريقة) (93) .

ومهما كان الرأي في آثار زروق العلمية ، أسلوبياً وموضوعاً ، وحتى في طريقته نفسها ، فالذي لا يختلف فيه اثنان هو ان الناس افتتنوا به واحبوه وعظموه لا يستثنى منهم الا الشيخ احمد ابن عجيبة احد كبار المتصوفة المغاربة في القرن الثالث عشر الهجري الذي غمزه في غير ما موضع من مؤلفاته ، ويكفي للدلالة على مكانة زروق في النفوس واحترام العلماء له ايراد ما وصفه به عالمان كبيران احدهما من المغرب والآخر من المشرق ، اما المغربي فهو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي الذي وصفه في

(92) احمد زروق والزروقية ص 86 .

(93) توجد من هذا الشرح نسخ بالخزانة العامة بالرباط عدد 2201 والخزانة العامة بتطوان عدد 520 ودار الكتب الناصرية في مجموع عدده 1630 وآخر عدده 2085 .

(الرحلة) بقوله : (ومن الغد ارتحلنا ونزلنا بزاوية الشيخ المحقق ، العالم العلامة ، العارف بالله ، السدال على الله ، صاحب العلمين ، ومحقق النظرين ، ومحصل المذهبين ، ومرضى الفريقين ، مقتدى اهل العلم الباطن ، ومتبوع اهل الظاهر ، وينبوع الاسرار في سائر المظاهر ، قطب مغربنا ، وامام ايمتنا ، سيدي احمد بن احمد زروق البرنسي الفاسي ، حقق الله اليه نسبتنا ، وخلص في محبته سريرتنا ، أمين) (94) واما المشرفي فهو محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى بالقاهرة عام 1031 هـ الذي قال عن زروق في (طبقات الشاذلية) ما يلي : (عابد من بحر العبر يفترف ، وعالم بالولاية متّصف ، تحلّى بعقود القناعة والعفاف ، وبرع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف ، خطبته الدنيا فخطب سواها ، وعرضت عليه المناصب فردها واباها) .

ونورد فيما يلي نموذجاً من انشائه ، نتعرف منه على اسلوبه وافكاره ، قال يتحدث عن اصول طريقته :

« أصول طريقتنا التي تنبني عليها عشرة أشياء : خمسة ظاهرة وخمسة باطنة ، اما الخمسة الظاهرة فأولها ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من اهل الله ، فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل بل ايماناً وتسليم ، الثاني لزوم الخمس في الجماعة بحسب الامكان ، فان كان في الجامع الأعظم فهو أولى ، وتكفي المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين في تحصيل فضلها ، الثالث القناعة بقليل الرزق وكثيره بأي وجه تحصل من الوجوه المباحة ، الرابع اقامة الأوراد الشرعية بحسب ما يكون صالحاً بالانسان في دينه ودنياه ، وذلك يختلف باختلاف الناس ، الخامس ايثار الخمول بترك الفضول وعدم المنازعة والعناد في كل قول وفعل ، وفي ذلك يقول القائل :

وقائله ما لي اراك مجانبا امورا وفيها للتجارة مبرح
فقلت لها ما لي بربحك حاجة فنحن اناس بالسلامة نفرح

وأما الخمسة الباطنة فأولها الاعراض' عما يرجى او يخشى من قبل الخلق ، بأن لا يرجى منهم دفع ولا جلب ولا يتوجه اليهم في طلب ولا هرب ، الثاني الاقبال على الله بأن لا تطلب حوائجك قلت' او جلت الا منه . الثالث اقامة' رسم الشريعة بلزوم الأسباب من غير استناد ولا اعتماد ، بل كما قال ابن عطاء الله : (لا بدّ من الأسباب وجودا والغيبة عنها شهودا فأثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته ، ولا تستند اليها لعلمك بأحدثيه) ، الرابع' الخروج' من الكلفِ بأن تكلفَ ولا تتكلف ، وان جرى لك شيء من ذلك فلا تعدله ، ودع الخلق وما دفعوا اليه ، فمراد الحق ما هم عليه . الخامس ان لا تعمل عملا الا بقصد ونية ، فكل عمل لا تصحبك فيه نية ولا قصد صالح فلا تقربه ، فانه لا فائدة فيه .

وبعد هذه الخمس خمس" لا بد لك منها ، مجاملة الخلق ، ومحاسنتهم في الأمور ، والحذر منهم في عين حسن الظن بهم ، وموافقتهم في كل أمر لا يخالف الشرع ولا يضر بالدنيا ولا ينقص العقل ، واتباع' العلم في كل ورد وصدر ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلم امام العمل والعمل تابعه . وقال صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه : اتق الله حيث كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ، فمن ثم قال الشيوخ : الانسان مبتلى بنفسه ، والوقوع في المعصية لا يقضي بعدم الاستدراك ، فالواجب على المرید أن لا يعزم على محذور ، ولا يفسرط في مأمور ، فان وقع فليبادر بالمعصية بالتوبة والنقيصة بالانابة . والفرق بين المعصية والنقيصة ان المعصية ما فيه اثم كالزنا ، والنقيصة ما فيه عيب كالطمع . وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : اجعل التقوى وطنك ، ثم لا يضرك فرح النفس ما لم ترض بالعيب او تصر على الذنب او تسقط منك الخشية بالغيب اهـ . وهو مدار الأمر وجملتُه ، وبالله التوفيق . »

أخذ عنه جماعة من العلماء والمتصوفة بالمشرق والمغرب منهم
أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى عام 923 ومحمد بن عبد الرحمان
الحطاب وطاهر بن زيان القسنطيني نزيل مكة وأحمد بن يوسف الراشدي
المليانسي الخ .

توفي بخلوة بمصراته يوم الخميس 18 صفر عام 899 هـ (28 نونبر
سنة 1493 م) وبني عليه فيما بعد ضريح يزار ، كما بني مسجد في مكان
خلوته (95) .

1440) أحمد بن محمد ابن زكري المغراوي ، فقيه كبير من اهل
تلمسان ، ولد بها حوالي عام 820 هـ ونشأ يتيماً ، فأدخلته امه وهو صغير
دار طراز (96) يتعلم فيها النسخ مقابل نصف دينار في الشهر ، وحدث ان
الشيخ أحمد بن محمد ابن زاغو متقدم الترجمة (5 : 31 ع 1397) ذهب ذات
يوم الى دار الطراز المذكورة فسمعه يغني فاستحسن صوته وتوسم فيه النجابة ،

95) أحمد زروق والزروقية (كتاب للدكتور علي فهمي خسيم) . والإعلام
للزركلي 1 : 91 وإعلام ليبيا ص 65 وإيضاح المكنون (صفحات كثيرة) والبحث
العلمي (مجلة) 29 - 30 : 226 والثبت للبلوي ص 375 والبستان ص 45 والتذكار
ص 222 وتطوان (مجلة) 8 : 169 مكرر ، وقوشيح الديباج ص 60 ع 27 وجذوة الاقتباس
ص 128 ع 66 وجواهر السماط ص 33 والحلل السندسية 1 : 622 و 614 و 629
و 650 و 671 و 846 والخزانة التيمورية 3 : 121 والخزانة الحمزية ودره الحجال
1 : 90 ع 126 ودليل المؤلفين الليبيين ص 29 ودوحة الناشر ص 33 وذكريات مشاهير
المغرب ع 23 والرحلة الناصرية 1 : 91 والرحلة العياشية 1 : 96 ودليل مخطوطات
دار الكتب الناصرية (صفحات عديدة) وطلبات الحضيكي 1 : 19 والكناش (كتاب)
وكشف الظنون (صفحات كثيرة) ، ولقط الفرائد ص 274 والمطرب ، بذكر بعض
مشاهير اولياء المغرب ص 151 ومعجم المؤلفين 1 : 155 ومعجم المحدثين والمفسرين
ص 16 والمنهل العذب ص 193 ومعلمة القرآن والحديث ص 156 والموسوعة 3 : 190
وتوادر المخطوطات 1 : 321 و 356 والنبوغ المغربي ص 207 ونفح الطيب 2 : 187
و 5 : 204 و 310 و 344 ونيل الإبتهاج ص 130 ع 125 والضوء اللامع 1 : 222 والفكر
السامي 2 : 264 وفهارس الخزانة العامة بالرباط (صفحات كثيرة) ، وفهرس
مخطوطات خزنة القرويين (صفحات كثيرة) ، وفهرس المخطوطات المصورة 3 : 83
(علوم) ، وفهرس الفهارس 1 : 455 وسعلاة الانفاس 3 : 183 وشجرة النور الزكية
1 : 267 ع 988 وهدية العارفين ص 136 .

96) معمل النسيج ، ويسمى في المغرب الدراز

فاتصل بأمه ورغَّبها في أن تصرف ولدها لطلب العلم بدل تعلُّم النسج فقبِلت بعدما تعهَّد لها بأداء ما كان معلمه يُعطيهِ من أجر في كل شهر ، فأقبل مترجمنا من ذلك الوقت على طلب العلم وتحصيله حتى صار من كبار العلماء في وقته ، ومن أشهر الشيوخ الذين أخذ عنهم محمد بن العباس العبَّادي وقاسم بن سعيد العبَّاني وأحمد بن محمد ابن زاغر وإبراهيم بن محمد البرشاني الغرناطي وإبراهيم بن محمد اللنبي التَّسازي (I : 137 ع 139) وأجازهُ عبد الرحمان بن محمد الثعالبي وغيره .

وكان فقيهاً متقناً محدثاً راوية مفتياً ماهراً آلت إليه رياسة العلم بتلمسان ، قال في حقِّه تلميذه أحمد بن علي البَلَوِي في الثبَت : شيخ الاسلام ، وبقيَّة العلماء الاعلام ، بركة المغرب ، وقبلة المشرق في طلب الافادة والمغرب ، البحر الحبر الحافظ الالفاظ ، الاسوة القدوة ، الناقد النافذ ، الامام العلامة المحقق المتفنن المشاور المفتي الراوية المحدث ، الجامع بين المعقولات والمنقولات ، والمبرز في حلبة السباق اذا ارسلت في ميدان الاجتهاد جياده المذكيات .

وقال عنه محمد ابن عسكر في دوحة الفاشر : علامة الزمان ، وشيخ التحقيق والاتقان ، بحر العلوم ، وامام اهل الفهوم ... احد فحول العلماء الذين يضرب اليهم الحداة أباط تحتها ؟ ، لالتماس حظها ويختها ... ولقد سألت يوماً شيخنا ابا عبد الله بن هبة الله عنه فقلت له : ما تقول في الشيخ ابن زكري ومقامه من العلم ؟ فقال : اما ابن زكري فلا يطار تصت جناحه ، وقال لي بعض الفضلاء : كان الشيخ ابن زكري عظيم القدر كبير الهمة ، اذا كان في مجلس تدريسه ويذكر مسألة ينقل ما ذهب اليه فيها الاوائل ، ثم يتعرض للرد والقبول وبسط الأدلة والتصويب والتخطيء ، ولا يقتصر على التقليد لتمكده من آلات الترجيح والاجتهاد ، وعلى الجملة فهو احد الاعلام من علماء الملة ، وممن يقننى به في المشارق والمغرب وتعمل له الرحلة .

له تأليف عديدة ، منها I ارجوزة في علم الحديث . 2) و (بغية الطالب ، في شرح عقيدة ابن الحاجب) توجد منه نسخ خطية عديدة منها

واحدة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 2123 د واخرى بخزانة الأوقاف ببغداد محفوظة تحت عدد 2523 . 3) ومحصل المقاصد ، مما به تُعتبرُ العقائد ارجوزة في التوحيد عدد ابياتها I520 توجد منها نسخ خطية عديدة ، منها واحدة بخزانة الزاوية الناصرية بمكرونة (المغرب) واخرى بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد I066 د ، وعن هذه الارجوزة يقول محمد ابن عسكر في دوحه الناشر : لم يُسبق بمثله ، ونظمه على بحر الرجز ، وهو بكرٌ عذراءُ لم يقدرُ احدٌ على فضٍ خاتمه الى الآن ، ولقد حمله بعض الطلبة في ذلك الزمان الى الشيخ الامام محمد بن يوسف السنوسي وطلب منه ان يشرحه ، فقال السنوسي لا يقدرُ على شرح هذا الا مؤلفه ، ولقد صدق رضي الله عنه ، لأنه يستدعي الكتب التي لا يقدرُ احدٌ على جمعها في الغالب ، ه ، قلتُ وقد بدأ شرحها الفقيه الحسين الورثلاني صاحبُ الرحلة المسماة نزهة الانتظار ، ولكن المسوت عجل اليه قبل اتمام الشرح ، 4) ومنظومه في منازل السنة ، منها نسخة محفوظة بالخزانة العامة بتطوان . 5) وشرحُ الورقات لامام الحرمين في اصول الفقه . 6) وتأليفٌ في مسائل القضاء والفتيا ، وله اجوبة وتقاييد وفتاوي عديدة نقل بعضها تلميذه احمد الونشريسي في المعيار .

اخذ عنه احمد زروق واحمد الونشريسي ومحمد ابن مرزوق (حفيد الحفيد) ومحمد بن العباس العبادي وعبد الله الحسنوي ، وكانت بينه وبين الشيخ عبد الرحمان الثعالبي مراجعات ومشاحنات ، ولكنه رثاه على ذلك لما بلغه خبرُ وفاته ، وسمع منه احمد بن علي البلوي صاحب الثبوت اثناء اقامته بتلمسان واستجازه له ولوالده علي فكتب له مجيزاً ما يلي :

الحمد لله دائماً ، والصلاة والسلام على من لا يزال شرعه قائماً ، باتصال الاسناد ، فلم يزل - ولا يزال - الخلفُ يروي عن السلف بالمسانيد الجياد ، الى ان يرث الله الأرضَ ومن عليها فيبلغ كلٌ بذلك غاية المراد ، ولم يزل الاعتناء بالاجازة من قديم الزمان ، ولا خفاء بشفوف من يقول : حدثني شيخي فلان .

ولما كانت هذه المرتبة في طلب العلم شريفة ، ومنزلة في مقامات العلماء منيفة ، تصدى لها الفقيه' العلم' اللبيب ، المحصل المشارك الأريب ، الأكمل الوجيه ، الدين' الصيّن' الأتم ، كاتب اسمه في الاستدعاء المكتتب هذا عقيبَه ، فمرغوبُه فيه متلقًى بالاسعاف ، ومقابلٌ بالانصاف ، فهو أهل لأن يُحلّى بحلّي الأعلام ، وينظّمَ في السلكِ العلمي الرفيع الانتظام .

وما سأل وطلب مني من الاجازة له ولوالده فقد سوغته لهما بلا غصصٍ ولا جأزة ، وكل ما ذكر من القراءة والسماع صحيح ، فليرويا ذلك عني وجميع ما يجوزُ لي وعني روايته ، وجميع ما ثبت عندهما انه من مروياتي ، وما جمعته او أجمعه ان شاء الله في مكتوباتي ، على الشرط المألوف ، والسنن المعروف ، نفعني الله واياهما بما علمنا ، وارشدنا الى مصالحنا ، والهنأنا بمنته وفضله ، وجوده وطوله ، وصلى الله على نبيّنا ومولانا محمد خير انبياء الله وسيّد رسله ، وعلى آله واصحابه والتابعين لفعله وقوله .

قال ذلك وكتبه عبّيد' الله احمد بن محمد ابن زكري التلمساني خارا' الله له ، وأنجح في رضاه قصده وامله .

وفي اواخر شوال عام ستة وتسعين وثمانمئة عرفنا الله خيرَه ، وكفانا ضميره ، والحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

توفي بتلمسان في صفر عام 899 هـ وقيل توفيّ بعد ذلك وليس بصحيح ، وستاتي ترجمة احمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي مع اعلام القرن الثاني عشر (97) .

(97) ألف سنة من الوفيات ص 153 و 274 والاعلام للزركلي I : 231 والبستان ص 38 وتطوان (مجلة) 8 : 177 وتعريف الخلف I : 38 وتوشيح البيجاج ص 61 ع 28 والنّبت للبلوي ص 418 والثقافة (مجلة جزائرية) ودرّة الحجال I : 90 ع 125 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 116 ودوحة الناشر ص 119 ع 117 وكفاية المحتاج ص 131 وكشف الظنون ص 1159 ومعجم اعلام الجزائر ص 159 ومعلمة القرآن والحديث

1441) احمد بن عبد الله البقني الأنصاري ، من متأخري فقهاء الأندلس وأدبائها ، ومن بيت نبيه بغرناطة ، ولد بها ونشأ ، ودرس بها على والده عبد الله بن احمد وعلى من بقي من مشيختها امثال ابراهيم ابن فتوح العقيلي (I : 140 ع 141) الذي ذكره في احدى فتاويه قائلاً (وقد كان شيخنا سيدي ابراهيم ابن فتوح رحمه الله يستشكل هذه المسألة) (98) ، ولا تتحدث النصوص التاريخية عن صباه ودراسته وشبابه بشيء لأسباب سيشار اليها فيما بعد ، وحتى اخذه عن شيخه ابراهيم ابن فتوح انما استفيد من احدى فتاويه التي ذكره فيها .

ويقول الدكتور محمد ابن شريفة ان المترجم به اكتسب ثقافة متينة ومتنوعة أهلته لتولي عدد من الخط كالمقضاء والفتوى والشورى والكتابة في الدواوين السلطانية ، ويستدل الانسان على ثقافته الفقهية بنسخه مجموعة البيان والتحصيل لابن رشد ، وفتاويه على وجه الخصوص المنقول بعضها في المعيار المعرب كفتواه في ستر الميت بثياب الحرير والذهب ، وفتواه في المخطوبة بغير اشهاد غاب عنها خاطبها وقام ناسها يريدون تزويجها ، هل يعقد لها مع غيره ام تجلس على خاطبها الأول ؟

وفي اواسط شهر رمضان عام 888 هـ كان احمد البقني ضمن المجلس العلمي الذي افق في غرناطة بادانة من خرجوا عن طاعة السلطان ابي الحسن علي بن سعد النصرى وبايعوا ولده ابا عبد الله ، وكان المجلس يتألف من خمسة عشر فقيها نذكر اسماءهم لأنهم آخر الجلة الاعلام بالأندلس المسلمة ، وهم : احمد بن عبد الجليل ، ومحمد المواق ، ومحمد ابن الأزرق ، ومحمد الجعدالكه ، ومحمد الفخار ، ومحمد ابن سرحونة ، ومحمد

ص 131 والموسوعة 3 : 134 والمعيار المعرب (اجزاء عديدة) ، ونزهة الانظار (رحلة الروثاني) ص ج ، ونيل الإبتهاج ص 129 والضوء اللامع 1 : 353 وفهارس الخزائن العامة بالرياض 1 : 146 و 3 : 96 وفهرس مخطوطات خزائن القرويين ع 842 و 1382 ومخطوطات المكتبة العامة بتطوان ص 35 (نسخة مرقونة) والفكر السامي 2 : 264 وشجرة النور الزكية 1 : 207 ع 987

المشدالي ، ومحمد الخدام ، ومحمد ابن فتح الله ، ومحمد ابن عبد البر ،
وابو حامد ابن الحسن ، وعبد الله الزليجي ، وعلي بن داوود البلوي ، وعلي
القليصادي ، واحمد البقني المترجم (99) اما سبب الفتوى وظروفها
فتممكن معرفتها بقراءة السؤال الموجّه الى العلماء المذكورين وجوابهم
عنه .

على ان البقني الذي نراه مع هؤلاء العلماء مناصراً للسلطان
أبي الحسن ضدّ ابنه ابي عبد الله محمد - المحرف اسمه في منطق
الاسبانيين وكتبهم الى (بو عبدل) والملقب لشؤمه وبؤسه بـ (الزغبّي) -
صار فيما بعد نصيراً لهذا الأمير ، فبعد وفاة والده السلطان ابي الحسن
عام 890 هـ صارت غرناطة وما بقي من أراضي الاسلام بالأندلس مسرحاً
لصراع مندمّر بينه وبين عمه ابي عبد الله بن سعد الملقب بـ (الزغل)
الذي معناه الشجاع ، وكان الأمير أبو عبد الله الزغبّي (100) يميل الى
مصالحة النصارى ومحالفتهم ويستعين برجالهم واسلحتهم واموالهم على
محاربة عمه وسائر المناوئين له ، بينما كان عمه ابو عبد الله الزغل قوي
الباس يحاربهم ولا يدهانهم ، وكان البقني المترجم خلال تلك الأيام
العصيبة الى جانب ابي عبد الله الزغبّي وواحداً من الذين سعوا في تسليم
غرناطة للنصارى وتفاوضوا معهم بشأنه كما تشهد بذلك الوثائق القشتالية ،
فتمّة رسائل عديدة" منشورة بالاسبانية تبادلها البقني مع كاتب الملكين
الكاثوليكيين فرناندو وايسابيلا في موضوع الهدنة والتسليم ، ويفهم من
مطالعة تلك الرسائل انه كان أحد ثلاثة اشتركوا في مساعي تسليم غرناطة ،
اما شريكاه في هذه الجريمة فهما ابو القاسم المليح ويوسف ابن كماشة .

(99) ذكر في الفتوى المنشورة في المعيار 11 : 149 هكذا : ابو جعفر
محمد البقني وذلك غلط ، لان كنية ابي جعفر تكون لاحمد لا لمحمد .

(100) الزغبّي تصغير الزغبّي ، المنسوب الى قبيلة زغبية وكانت هذه
القبيلة واختها قبيلة كعب من شر القبائل العربية التي دخلت المغرب وافقرها ،
حتى صار المغاربة يضربون المثل بالمنسوب اليهما في الفقر والشؤم ، فيقولون
حتى الآن : فلان زغبّي كعبّي ، اي بئيس وشريير .

وكانت عاقبة الصراع بين العم (الزغل) وابن أخيه (الزغبي) قدراً محتوماً ، فبعد سقوط مدينة وادي آش في أيدي النصارى يوم الأربعاء 6 صفر من عام 895 هـ (30 دجنبر سنة 1489م) غادر أبو عبد الله الزغل الأندلس مبحراً إلى وهران ومنها توجه إلى تلمسان حيث قضى بقية حياته وتوفي واقبر ، وبعد سقوط غرناطة في أيديهم يوم الاثنين 2 ربيع الأول عام 897 هـ (2 يناير سنة 1492م) غادر أبو عبد الله الزغبي غرناطة إلى أندرش ، ثم عبر البحر إلى المغرب فاستقر بفاس حيث قضى بقية حياته واقبر (101) ، وكان ممن خرج معه منها واستقر بفاس مترجمنا أحمد البقني والفقير محمد ابن قطبة والفقير الأديب محمد العربي بن عبد الله العقيلي الذي كتب إلى محمد الشيخ الوطاسي سلطان فاس رسالة اعتذار على لسان سلطانه أبي عبد الله الزغبي سماها الروض العاطر الأنفاس ، في التوسل إلى المولى الامام سلطان فاس (102) .

واقام البقني في فاس بضع سنين شارك خلالها في الحياة العلمية ثم عاد إلى وطنه ليقتضي فيه بقية حياته تحت راية الكفر بل ليرتد عن الاسلام ويدخل في دين النصارى ، وقد أشار احمد المقرئ في أزهار الرياض إلى مجيئه إلى المغرب ثم رحيله عنه بقوله : وممن خرج بفاس من العلماء الفقيه أبو العباس البقني ثم رجع إلى غرناطة وقضيته معروفة (103) ، وكان على المقرئ ان يبيِّن هذه القضية ويذكر اسباب رجوعه ، لأن القضية اذا كانت معروفة لديته ولدى اهل عصره فانها لم تكن لتعرف لدى اهل العصور التالية ، ولكن التأمل في النصوص الراجعة إلى هذا العصر - سواء كانت نصوصاً تاريخية او نصوصاً فقهية - يفضي إلى فهم بعض الأسباب التي حملته على الهجرة من المغرب إلى الأندلس بعدما هاجر إليه .

(101) توفي عام 940 في معركة بوعقبة التي وقعت بين السعديين والوطاسيين وحمل شلوه إلى فاس فدفن بإزاء المصلى خارج باب الشريعة (المحروق) .

(102) ينظر نصها في نصح الطيب 4 : 529 .

(103) أزهار الرياض 1 : 72

ونحسب في مقدمة تلك الأسباب الحالة السيئة التي وجد المهاجرون الأندلسيون المغرب فيها والمعاملة القبيحة التي عمل كثيرٌ منهم بها منذ نزول أعدادهم الوفيرة بسواحلها واثناء سيرهم الى داخله للاستقرار في مدته وبواديها ، فقد كان الحكم ضعيفاً والأمنُ منعدماً والرفقُ في التسبب لطلب المعاش مفقوداً ، يضاف الى ذلك شماتة الناس بهم ونظرتهم اليهم نظرة استهزاء متهمين اياهم بالجبن والتخاذل والتقصير في الدفاع عن الأوطان ، فاضطراً منهم من لم يصبر الى العودة الى الأندلس والتظاهر بالتنصر فراراً من حياة الهوان ، وكان رجوعٌ من رجع منهم سبباً في سؤال وجهه الفقيه محمد ابن قطبة الغرناطي الى فقيه فاس احمد بن يحيى الونشريسي التلمساني الذي اجاب عنه بتأليف صغير سماه اسنى المتاجر ، في بيان احكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر (104) .

ومن الأسباب التي حملت المترجم - فيما نظن - على العودة الى الأندلس والتظاهر باعتناق النصرانية خلافه مع فقهاء فاس ، وهو خلافٌ بدأ صغيراً ويتعلق بقضية جزئية هي حكم ستر الموتى بالذهب وثياب الحرير ، ثم تطور الى قضية كلية هي قضية البدع ، وقد دار الجدل في البداية بين احمد البقني وبين الفقيه عمر بن عبد الرحمان الجزنائي ثم انتهى الى الفقيه احمد الونشريسي الذي عقب عليهما بجوابٍ مطول بدأه بعد الحمدلة والتصلية بقوله : « ان هذه النازلة التي ابتكر الكلام فيها وأثار الخوض في حكمها عندنا بهذه العُدوة المغربية في هذا الوقت صاحبنا الأخ في الله ، والولي في ذاته ، الفقيه الامام الفاضل ، ابو العباس احمد بن الخطيب البليغ الناصح الصالح الأعراف المفتي أبي محمد عبد الله البقني الغرناطي الأصل ، نزيل فاس المحروسة بالله ، يمن الله قصده ، وأعلا في رتب العلماء مجده ، قد سئل عن حكمها

في اواخر القرن الماضي قبل هذا شيخ شيوخ البلاد الأندلسية الخ ، وتاريخ هذا الجواب « في الخامس لشهر رمضان من عام تسعة وتسعين وثمانئة » ، وقد دافع الونشريسي عن الفقيه عمر الجزنائي ولاحظ على البقنّي انه بالغ في الانحاء عليه مع ان الأمر دون ذلك ، ويظهر ان البقنّي ندم على اثاره هذه القضية فهو يقول : « سألت ، ولو شاء الله ما فعلت ، بعض عدول فقهاء فاس الخ » ويبدو من كلامه انه تأثر غاية التأثر ، بل غضب غضباً شديداً على تصرف الجزنائي وذكر انه بالغ في الاستهزاء به وغالى في التعالي عليه ووصف معاملته بالردالة والسخرية والاستهزاء والنذالة (105) ، ولاشك في ان جواب الونشريسي زاد في غضبه ، فاذا اضيف الى هذا كله ما تخلفه الغربية في نفس المغترب من حساسية ، وما للأندلسيين من عقدة التفوق بالنسبة للمغاربة فهِمنا لماذا أقدم البقنّي الذي كان على جانب كبير من الكبر والاعتداد بالنفس على الرجوع الى بلده وارتداء لباس الكفر فيه .

ومن المؤكد ان هذا الرجوع هو الذي جعل مؤرخي المغرب يهملون ذكره ولا يتحدثون عن بدايته ولا نهايته ، اما المصادر الاسبانية فتحدث عن الخدمات التي قام بها لفائدة الملكين الكاثوليكين ، ثم تنص على انه تقصّر بعد عودته الى الأندلس وتسمّى باسم فرناندو هنريكيث . وكان ذلك في عام 1500 م الذي يبتدىء يوم الأربعاء 29 جمادى الأولى عام 905 الهجري وينتهي يوم الخميس 9 جمادى الثانية عام 906 وهو آخر تاريخ يذكر في حياته .

ويقول الدكتور محمد ابن شريفة الذي امدنا بمعلومات قيمة عن هذا الرجل : وانه لأمر غريب حقاً ان تكون نهاية هذا الفقيه المطلع المتضلع على هذه الصورة ، وهو الذي درس فيما درس البيان والتحصيل وغيره ، واختصر فيما اختصر الاصاطة لابن الخطيب ، ويبدو ان الناس لم يلتفتوا الى عاقبة امره ، فقد وقع تداول اختصاره لدى المؤلفين ،

ومنهم الشيخ أحمد بابا الذي نقل عنه خلال ترجمته لابن خلدون قال :
« قال ابو جعفر البقنني في مختصر الاحاطة : والف (يعني ابن خلدون)
تاريخه المشهور الذي سحر به الخاصة والجمهور ، سماه بكتاب العبر ،
وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، اخترع فيه مذهبا
وطريقاً مبتدعا من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في
الانسان من الاعراض الذاتية والخيالات والحلوم » (106) وهذا التعليق
القصير يدل على قراءته للمقدمة وتنبهه الى قيمتها .

وتوجد من مختصر الاحاطة للبقنني نسخة في مكتبة دير
الاسكوريال كانت في خزانة السلطان زيدان السعدي غرّبت الى هناك
ضمن ما غرّب من مكتبته الشهيرة ، وقد جاء في آخرها ما يلي :

« قلت (والقائل هو البقنني) : هنا انتهى هذا التأليف المسمي
بالاحاطة ، في تاريخ غرناطة ، على سبيل الاختصار ، وتحصل منه ما
اردناه من هذا المقدار ، وهبناه للناظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار ،
بل هي لتحصيله ذات انتظار ، ولما لم يمكنه ان يعرف بمحتنه ووفاته ،
رأيت انا بعده ان اعرف بذلك في مختصري هذا على مهيعه وعادته ،
فاقول ... » ، ثم ساق محنة ابن الخطيب نقلا عن ابن خلدون وختم ذلك
بقوله : « انتهى من السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه وبشيوخه ، رحمة
الله على الجميع ، قلت (البقنني) : وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله
ما اردناه واستوفينا واستلحقناه ، وذلك بفرناطة اقالها الله وصانها ، وعمر
بالعلماء الاعلام وصالحى الاسلام عمرانها ، وبتاريخ اوائل شهر ربيع
الآخر من عام خمسة وتسعين وثمانمئة ، والحمد لله وكفى ، وسلام على
عباده الذين اصطفى » .

والتاريخ المذكور صريح - مع صيغة الدعاء - في ان البقنني
وضع مختصره في تلك الظروف الصعبة التي كانت غرناطة تعرفها .

ثم يقول الدكتور ابن شريفة : اما معرفة اضافات البقنني والحاقاته التي يشير اليها فتحتاح الى تتبع دقيق ومقارنة متأنية بين اصل الاحاطة ومختصرها (107) .

(1442) احمد ابن شقير ، فقيه تونسي رحل الى المشرق واستقر بالقاهرة وعد من علمائها وتلقب فيها بشهاب الدين ، وصفه محمد الغزي في الكواكب السائرة بالشيخ الامام العالم العلامة ، المحقق المتقن الفهامة ، وأنشد من نظمته :

سائلي عن قضيتي في البراغـ يث، خذ الشرح ان اردت التقصي
نحن منها ما بين قتل وقتلـ وهي منا ما بين قرص ورقص

اخذ عنه عبد الرحيم العباسي وغيره .

توفي بالقاهرة يوم الاثنين 6 ذي القعدة عام 909 هـ (108) .

(1443) احمد بن عيسى الماواسي البطويي فقيه مغربي منسوب الى قبيلة بطوية الريفية (109) كان مزواراً الموقتين - اي كبيرهم حسب التعبير القديم - بمنار جامع القرويين بفاس ، وصفه محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس بالشيخ الفقيه العالم العلامة النبيه ، وذكر ان له شرحاً على روضة الأزهار لعبد الرحمان الجديري ، وقال ان محمد بن عبد السلام بناني نبه على وفاته بفاس في شرحه لرجز عبد الرحمان الفاسي في الاسطراب عند قوله فيه :

(107) ازهار الرياض 1 : 72 ورحلة القلصادي ص 29 والمعيار المغرب 1 : 341
344 - 345 - 346 - و 3 : 337 - 338 ونيل الابتهاج ص 251 واغادات الدكتور محمد ابن شريفة القيمة

(108) الكواكب السائرة 1 : 135

(109) بطوية ويقال ايضا بطوية قبيلة كبيرة كانت مساكنها توجد بسواحل المغرب الشمالية حيث توجد الآن مساكن قبيلة يني ورياغل باقليم الحسيمة ، والنسبة اليها بطويي وبطوي ، وهي غير قبيلة يتوية ويقوية ايضا المجاورة لها .

وثلاث ساعة دعاء الفجر لا أكل في ذا القسم للتحري
هذا الذي جرى به بفاس عملنا وقاله الماواسي

وأشار الونشريسي في المعيار المعرب الى قضيته مع صهره محتسب
فاس احمد اللمتوني في نازلة من ساق الى زوجته (IIO) سياقة عند عقده
النكاح على ان يشورها ابوها شورة تقابلها .

توفي بفاس يوم 26 ربيع الثاني عام 9II هـ وقد تقدمت ترجمته
جده احمد بن محمد الماواسي (5 : 29 ع I394) (III) .

1444) احمد بن يحيى الونشريسي ، فقيه كبير من اهل المغرب
الأوسط ، ولد في نحو عام 834 بجبل ونشريس الذي اشتهر بالنسبة اليه ،
وهو جبل " كبير " يقع جنوبي مدينة شلف (الأصنام سابقاً) ممتداً ما بين مدينتي
غليزان وبوغاري ، وانتقل صغيراً الى تلمسان فأخذ بها عن جماعة من
كبار علمائها وفقهائها كقاسم بن سعيد العبباني وولده ابراهيم وحفيده محمد بن
احمد بن قاسم العبباني ومحمد بن العباس العبباني ومحمد بن علي المري
الأنصاري ومحمد بن احمد الجلاب ومحمد بن محمد ابن مرزوق الكفيف واحمد
بن محمد ابن زكري (5 : 97 ع I440) كما حضر بعد وصوله الى فاس
مجالس محمد بن محمد اليفرني الشهير بالقاضي المكناسي ، واجازه
محمد القوري . وكانت العلوم التي درسها عليهم وتلقاها منهم هي العلوم
الرائجة في عصره من تفسير وحديث وفقه واصول وتوحيد ونحو وادب
ومنطق ، الا ان الفقه المالكي غطى على ما عداه من العلوم التي
انقنها وبرع فيها .

(IIO) الزوج من يزوج غيره ، يطلق على الذكر والانثى ، ويبدأ الكاتبون
حديثاً يضيفون الى الكلمة التاء اذا كان مدلولها مؤنثاً للتمييز ، فجاريناهم في ذلك .

(III) الاكليل والقاج (نسخة مصورة) ص 10 وألف سنة من الوفيات ص 156
و 280 وجذوة الاقتباس ص 131 ع 67 ودرة الحجال I : 91 ع 128 والمعيار المعرب
3 : 382 ونيل الإبتهاج ص 134 ع 128 وسلوة الأنفاس 3 : 247

وكان الونشريسي حادّ الطبع قوي الشكيمة في دين الله ، صلبا في قول الحق لا يخاف في قوله لومة لائم ، فلذلك لم يكن له اختلاط بأمرائه ووزرائهم وولاتهم ، بل اغضبت شدته سلطان تلمسان محمد (الخامس) بن محمد بن يوسف الزياني الذي سلط عليه بعض الأشرار فنهبوا داره واتفوا كتبه ، ولم ينج' هو منهم الا بشق النفس ، ففرّ هارياً يوم فاتح محرم عام 874 الى فاس وله من العمر اربعون سنة ، وكانت شهرته العلمية قد سبقته اليها ، ولما وصلها قابله اهله عموما وهيأتها العلمية خصوصا بالحفاوة والترحاب ، واطهروا له من البشر والملاطفة ما انساه هموم الاغتراب ، والبعد عن الأقارب والأصحاب ، فعزم على الاستقرار بها وتصييرها موطناً جديداً له ولولده من بعده .

وكان نزول الونشريسي في البداية بدار صديقه الاستاذ محمد بن الحسين النيجي المدعو الصغير ، ثم انتقل الى سكنى دار حبسية مجاورة للمسجد المعلق الكائن بعقبة الشراطين ، ولم تكد تمضي عليه المدة الضرورية لراحته وضيافته واجتماعه بأمثاله من جهابذة الفقهاء حتى بدأت الفتاوي تنهال عليه وبدأ هو يجيب عنها بما اثر عن فقهاء المذهب ، ولعل سبب ذلك هو ما اشتهر به - وهو لا يزال في تلمسان - من اهتمامه بالأقضية والنوازل وجمع الفتاوي والأحكام الصادرة عن علماء المالكية بالعدوتين المغربية والأندلسية ، ولم يرضيه ان يكتفي بتلقي الأسئلة والأجابة عنها ، بل شرع يلقي دروساً في الجامع المعلق المجاور لبيته - وكلاهما لا يزال حتى الآن على الحال الذي كان عليه في ذلك العهد - ثم صار يدرس في غيره من المساجد والمدارس العلمية ولاسيما المدرسة المصباحية (II2) التي اسند اليه تدريس المدونة على كرسيها المخصص

(II2) المدرسة المصباحية مدرسة تقع امام احد ابواب جامع القروييين بفاس بناها السلطان ابو الحسن علي المريني عام 747 هـ للفقهاء مصباح بن عبد الله الياصوتي المتوفى بفاس عام 750 هـ واليه تنسب المدرسة ، وقد خربت في العقود الاخيرة وتعطلت الصلاة والقراءة فيها ، ثم بدا في عام 1411 هـ (1990 م) اصلاحها بأمر جلالة الملك الحسن الثاني من ماله الخاص .

لها ، وأقبل الطلبة من فاس وكل الآفاق على سماع الدروس التي كان يلقونها والاستفادة منها واعجبوا بطريقته في التدريس لفصاحته وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه وحسن تلقينه وتوسعه في النقل من الأمهات التي كان يستظهر نصوصها ويكشف اسرارها ، فتخرج منهم على يده نخبة صارت فيما بعد من فطاحل الفقهاء وأعيان العلماء ، كابنه الامام عبد الواحد الونشريسي وابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (I : 144 ع 147) وأخيه محمد وأبي عياد ابن مليح اللمطي ومحمد الغرديس التغلبي ويحيى ابن مخلوف السوسي والحسن بن عثمان الجزولي وعلي بن هارون المطغري ومحمد الكراسي قاضي تطوان الخ الخ .

وخلال اقامته بفاس التي استمرت اربعين سنة كان الونشريسي يعيش عيشة الكفاف ملتزماً فيها بما كان يلتزم به في تلمسان من الابتعاد عن الامراء والولاة والامسك عن الخوض في المشاكل السياسية التي اصطلى بحرها الكثير في ذلك العهد ، فنال بذلك احترام الجميع وتركوه وشأنه في تدريس العلم والانصراف الى التأليف .

وللدلالة على اقرار العلماء بفضله واشادتهم بعلمه نورد بعض ما قيل في حقه من معاصريه ومَن جاء بعدهم من العلماء والمؤرخين ، فقد ذكر اذنه مرّة يوماً بالامام محمد ابن غازي العثماني بجامع القرويين ، فقال ابن غازي لمن حوله من الفقهاء : لو ان رجلاً حلف بطلاق زوجته ان ابا العباس الونشريسي احاط بمذهب مالك اصوله وفروعه لكان باراً في يمينه ولا تطلق عليه زوجته ! (113) وقال عنه احمد المنجور في **الفهرسة** : ... وكان مشاركاً في فنون من العلم حسبما تضمنت ذلك فهرسته ، الا اذنه اكب على تدريس الفقه فقط ، فيقول من لا يعرفه انه لا يعرف غيره ، وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره تدريسه يقول : لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه ، او عبارة نحو

هذا (II4) وحسب محمد ابن عسكر الشفشاوني في دوحسة الناشر بهذه النعوت : الشيخ الامام العالم العلامة ، المصنف الأبرع ، الفقيه الأكمل الأرفع ، البحر الزاخر ، والكوكب الباهر ، حجة المغاربة على اهل الأقاليم ، وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عليم (II5) .

وقد ترك الونشريسي مؤلفات عديدة أكثرها في الفقه ، وكانت له طريقة خاصة في تأليفها وصفها ابن عسكر في دوحسة الناشر نقلا عمّن عرف الونشريسي عن كتب فقال : حدثني غير واحد ممن لقيته ان كتبه كلها مورقة غير مسفرة ، وكان له عرصة (II6) يمشي اليها في كل يوم ويجعل حماراً يحمل عليه اوراق الكتب ، من كل كتاب ورقتين او ثلاثا ، فاذا دخل العرصة تجرد من ثيابه وبقي في قشابة صوف (II7) يحزم عليها بمضمة (II8) جلد ويكشف رأسه ، وكان اصلع ، ويجعل تلك الأوراق على حدة في صفيّين ، والدواة في حزامه والقلم في يد والكاغد (II9)

(II4) فهرسة المنجور ص 50

(II5) دوحسة الناشر ص 50

(II6) العرصة في اللغة ساحة الدار والبقة الواسعة بين الدور لا بناء فيها ، ويخصصها المغاربة بالحديقة المغروسة سواء كانت بين الدور او بأطراف المدن ويقال فيها ايضا الفرسة والسافية ، اما ما يكون خارج المدن يزرب او بدونه فهو جنان جمع جنة ، اي البستان .

(II7) القشابة والقشابة أيضا عباءة لا اكمام لها ، وتكون في الغالب من صوف يلبسها المتصوفة والفقراء ، فاذا كانت من قطن او كتان مفتوحة الصدر فهي الدراعية فان كانت مما يلبسه الأطفال والمحترفون كالحلاقين والراقصين في الحفلات الموسيقية فهي الشطاحية .

(II8) المضمة : الحزام والنطاق ، وتكون من جلد غفل او نسيج مطروز بحريز للرجال ، فان كانت مطروزة بخيوط ذهبية (الصقلي) فتكون للنساء يحضرن بها في الحفلات ، وتشد المضمة بابزيم عادي او بابزيم كبير من الذهب يسمى الفكرون لانه يشبه السلحفاة :

(II9) الكاغد والكاغيط ورق الكتابة ، وكان ينقسم الى كاغيط كتابي وكاغيط شطبي وكاغيط الوضينضة ، فالاولان كانا يستعملان في كتابة الرسائل ونسخ الكتب ، ويمتاز اولهما عن ثانيهما ببياض لونه ونعومة ملمسه ، والثالث كان يستعمل في لف الاشياء . ولاشك في ان الكلمة اسبانية :

في الأخرى ، وهو يمشي بين الصفيْن ويكتب النقول من كل ورقة ، حتى اذا فرغ من جلبها على المسألة قيّدَ ما عنده وما ظهر له من الرد والقبول ، هذا شأنه هـ (120) .

واشهر كتبه موسوعته الفقهية الكبرى المسماة المعيار المغرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوي اهل افريقية والأندلس والمغرب ، وهو كتاب كبير يقع في اثني عشر جزءاً جمع فيه كثيراً من الفتاوي التي اجاب بها فقهاء المغرب العربي عن اسئلة استفتاهم بها الناس في ازمئة مختلفة عن نوازل وأقضية دينية ودنيوية يريدون معرفة حكم الشارع فيها ، وقد تكون الفتوى صادرة عنه هو ، ويذكر المؤرخون ان الونشريسي استعان في تأليف المعيار بمكتبة تلميذه محمد بن محمد الغرديس المتوفى عام 897 مطعوناً والذي ينتمي الى اسرة فاسية عريقة تسلسل فيها العلم والرئاسة قروناً طويلة من عهد الأسرة الملكية الادريسية الى عصر الونشريسي فما بعده ولا يزال عقبهم بفاس الى الآن ، فبمكتبة آل الغرديس التي كانت تشتمل على العديد من كتب الفقه ونوازله ووثائقه استعان المترجم في جمع فتاوي علماء الأندلس والمغرب ، اما فتاوي علماء المغربين الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر) فقد اعتمد فيها على نوازل ابي القاسم البرزلي المتوفى سنة 944 هـ (2 : 131 ع 403) ، ونوازل يحيى بن موسى المغيلي المسماة الدرّة المكنونة ، في نوازل مازوفة (121) .

وقد طبع المعيار لأول مرة بفاس عام 1315-14 هـ طبعة حجرية في اثني عشر مجلداً ، ثم اعادت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب طبعه طبعة عصرية عام 1401 هـ (1981 م) بدار الغرب الاسلامي ببيروت تحت اشراف الدكتور محمد حجي في ثلاثة عشر مجلداً خصص مجلداً الأخير للفهارس .

(120) دوحه الناشر من

(121) توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 521 ق واخرى بالمكتبة الوطنية بالجزائر محفوظة تحت عدد 1335 .

ومن كتب الونشريسي عدى المعيار الكتاب المسمى اسنى المتاجر ،
في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، وما يترتب عليه
من العقوبات والزواجر ، وهو رسالة صغيرة اشتملت على سؤال استفهائه
به الفقيه محمد ابن قطبة الغرناطي في شأن المسلمين الذين رضوا بالاقامة
تحت حكم النصارى بعد تغلبهم على بلادهم وجوابه عنه ، وقد وقعت
الاشارة اليه في ترجمة احمد بن عبد الله البقني المتقدمة (5 : 107 ع 1441) ،
وقد ادرجه في المعيار (122) ، ونشر على حدة في صحيفة معهد الدراسات
الإسلامية بمدريد (123) وحمل فيها ناشره الدكتور حسين مؤنس على
الونشريسي متهماً اياه بالجمود وعدم تقدير الظروف ، وكان هذا النقد
مثاراً لنقد معاكس شنه العالم المغربي الأستاذ عبد القادر العافية على صاحبه
الدكتور حسين مؤنس في مجلة المناهل التي تصدرها وزارة الثقافة
بالمغرب (124) .

ومنها ايضاح المسالك ، الى قواعد الامام مالك ، وهو كتاب يضم
مئة وثمانية عشرة قاعدة من القواعد التي سببت تفسيراتها اختلافاً
بين فقهاء المذهب المالكي ، وقد قرضه مؤلفه الونشريسي بهذا النظم
الرخيص الذي نثبته كتمودج من نماذج انظام الفقهاء وهو .

فقد ضمّ أنفاساً نفائسَ واعتلا	عليك بايضاح المسالك اولاً
واحرز اشتات المحاسن واجتلا	وبرز في مجلى الجمال وجيدها
غموضاً ، وقلّ كلّ المناهج ذللاً	وأوضح اشكالا جليلاً فما ترى
ورتب انواع المباني وفصلا	وهذبَ ألقابَ القواعد كلها
وقيّد ما قد كان في الكتب مسجلا	وقربَ ما قد كان ينبو عن الورى
وحاز من السحر الحلال حلائلا	جنى من ثمار العلم ما قد رايتَه

(122) انظر نصه في المعيار 2 : 119

(123) المجلد الخامس - عدد 1 - 2 عام 1377 هـ - 1957 م

(124) المناهل ع 14 ص 316 - 328

عليك بحفظ ما حواه فانه جليل مفيد" قد أبانَ وحصلاً
وتدعو لعبدٍ مذنبٍ متذللٍ عبيد الاله نجل يحيى على الولا
وصلٌ وسلمٌ ثم صلٌ وسلمنٌ على خير رسل الله ثمة من تلا

وقد طبع هذا الكتاب اولا بتونس سنة 1985 بتحقيق السيد محمد بن
قويدر ثم طبع بالمغرب عام 1400 هـ (1980 م) بتحقيق الأستاذ أحمد طاهر
الخطابي .

ومنها الأجوية ، مجموعة أجوبة أجاب بها عن اسئلة وردت عليه ،
توجد منها نسخة مخطوطة في I75 صفحة محفوظة بالخرانة العامة
بالرباط تحت عدد 684 ك .

ومنها الأسئلة والأجوية مجموعة أجوبة أجاب بها من تلمسان
عن اسئلة بعث بها اليه شيخه محمد القوري من فاس ، ادرج بعضها في
المعيار ، توجد منها نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط محفوظة
تحت عدد 2983 ك .

ومنها تعليق على مختصر ابن الحاجب اطلع عليه احمد بابا
التبكتي وذكره 'في نيل الإبتهاج وقال انه في ثلاثة اسفار ، كما ذكره ابن
القاضي في جذوة الاقتباس .

ومنها حل الريقة ، عن اسير الصفقة ذكره محمد ميارة في كتاب
له بهذا الموضوع .

ومنها مختصر احكام البرزلي اختصر به نوازل البرزلي المسماة
جامع الأحكام ، توجد منه نسخ عديدة ، منها واحدة بالخرانة العامة
بالرباط محفوظة تحت عدد I447 د في مجموع ، وثانية عددها 634 ك .

ومنها المنهج الفائق ، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب
الموثق واحكام الوثائق ، كتاب مهم في صناعة التوثيق ، طبع بفاس

عام 1298 هـ طبعة حجرية ، ومنه نسخ مخطوطة كثيرة ، منها واحدة بخزانة جامع القرويين بفاس (21/80) واخرى بالخزانة العامة بالرباط عددها 1354 ك وثانية بها ايضا عددها 889 د ودار الكتب الوطنية بتونس عددها 15093 (2532) احمديّة ، وبمكتبة الأوقاف بطرابلس عدد 695 .

ومنها عدة البروق ، في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق ، وهو كتاب " كبير " الكفّ ليستعان به في حل كثير من المتناقضات الواقعة في المدونة وغيرها من الامهات ، ألفه اولاً بتلمسان وضاعت نسخته مع جميع ما ضاع من تأليفه لما نهيت داره بأمر السلطان محمد بن محمد بن يوسف الزيّاني في فاتح عام 874 هـ ثم اعاد تأليفه بفاس لما هاجر اليها واستقرّ بها ، وكان فراغه من تأليفه يوم 15 ربيع الثاني عام 885 هـ ، وقد طبع الكتاب بفاس طبعة حجرية بدون تاريخ ، ثم درسه وحققه اخيراً الاستاذ حمزة ابو فارس وطبعته دار الغرب الاسلامي ببيروت عام 1410 هـ (1990 م) في 778 صفحة .

ومنها غنية' المعاصر والتالي ، في شرح وثائق ابي عبد الله الفشتالي ، طبع مرتين بفاس طبعة حجرية على هامش وثائق الفشتالي ، ومنه نسخة مخطوطة في مجموع محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1354 د .

ومنها الفهرسة الفها برسم القاضي ابن عبد الجبار الفجيجي ، نقل منها محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس ، وذكرها محمد المنجور في فهرسته وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس والاثبات .

ومن تأليفه القصد الواجب ، في معرفة اصطلاح ابن الحاجب ، ذكره سليمان البغدادي في هدية العارفين ، وهو غير تعليقه على مختصر ابن الحاجب الذي تقدمت الاشارة اليه .

ومنها الولايات كتاب تحدث فيه عن الخطط الشرعية وقسمها الى سبع عشرة ولاية ، طبع بالرباط عام 1356 هـ - 1937 م .

ومنها الوفيات كتاب ذكر فيه وفيات العلماء بدأ بوفاة يحيى اليفرنى المتوفى عام 701 هـ وختاما بوفاة علي بن قاسم الزقاق المتوفى عام 912 هـ طبع بالرباط عام 1396 هـ - 1976 م بتحقيق الاستاذ محمد حجي .

وله عدى ذلك كتب ورسائل وتعاليق صغيرة ادرج بعضها في المعيار ، مثل اضاءة الحلك ، والمرجع بالدرك ، على من افقى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك ، وتنبية الحاذق الندس ، على من سوى بين القرويين والاندلس ، وتنبية الطالب الدراك ، على توجيه الصلح بين ابن سعد والحباك ، والمبدي ، لخطأ الحميدي الخ الخ .

توفي بفاس يوم الثلاثاء 20 صفر عام 914 هـ ودفن بباب الحمراء داخل باب فتوح ، ورثاه صاحبه محمد ابن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي بجملة مقطعات منها قوله :

رايت نجوم الارض تبكي حزينة
فقلت ومن هذا ؟ فقلت مجيبة
اليه انتهت في الفقه كل رئاسة
ومذ غاب عنا اظلم الكون كله
وان عزائي فيه للخلق كلهم
على فقد من قد كان قطب زمانه
على الوثنريسي وحيد اوانه
ومعرفة زينت بحسن بيانه
وصار الضحى ليلا لفقد عيانه
خصوصا ذوي فقه لعز مكانه
وستاتي ترجمة ابنه عبد الواحد في حرف العين (I25) .

I25) ازهار الرياض (صفحات كثيرة) ، ألف سنة من الوفيات ص 4 و 281
والاعلام للزركلي I : 269 والبستان ص 53 والاصالة (مجلة جزائرية)
العدد 83 - 84 وتاريخ الادب الجزائري ص 222 وتاريخ الجزائر العام 3 : 76
وجذوة الاقتباس ص 156 ع 105 وتوشيح الديباج ص 65 والحلل السنديسي
I : 634 ودرة الحجال I : 91 ع 130 وندوة الناشر ص 47 ع 32
وكفاية المحتاج ص 134 (نسخة مرقونة) والموسوعة 3 : 113 و 157 ونيل
الابتهاج ص 130 ع 135 وعدة الفروق (المقدمة) ، والمعيار المعرب (المقدمة) ،
ومعجم اعلام الجزائر ص 343 والفكر السامي 2 : 264 وفهرس مخطوطات القرويين
ع 413 - 446 وفهرس المنجور ص 50 وفهارس الخزائن العامة بالرباط I : 247 - 300 -
324 و 3 : 188 و 218 وفهرس الفهارس والاثبات 2 : 1122 وشجرة النور الزكية
I : 274 ع 1022 وسلوة الانفاس 2 : 153 وهديتة العارفين ص 138

1445) احمد بن يوسف الوتغالي التواتي ، فقيه" وشيخ' طريقة صوفية من اقليم توات ، كان مشهوراً في اقليمه بالعلم والفضل ، غادر قصرَ اولاد ونغال بناحية تيمي عام 919 هـ وذهب الى تينيلان واسس بها زاوية ، وذكر الضابطُ الفرنسي مارتان في كتابه (الواحات الصحراوية) ان له تاريخاً مطولاً عن اصل اهل توات نشر هو ورقة منه عثر عليها في كتاب آخر ، وقال ان التاريخ المذكور الذي كتبتُ منه ثمانى نسخ لم يعثرُ عليه ، ويظهر حسب قوله ان احدى نسخه نُقلت من زولف الى السودان .

ولم أقف على تاريخ وفاته (126) .

1446) احمد بن محمد (الكفيف) ابن مرزوق العجيسي ، فقيه من اهل تلمسان من الأسرة المرزوقية المعروفة فيها بالعلم والفضل الصلاح ، يعرف - مثل محمد ابن عمه حفصة - بحفيد الحفيد تمييزاً له عن بقية افراد الأسرة الآخرين ، اخذ عن والده محمد (الكفيف) بن محمد (الحفيد) ، وعن محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي واحمد بن محمد ابن زكري (5 : 97 ع 1440) وغيرهم ، وكان فقيهاً نجيباً عالماً صالحاً اديباً ، وقع ذكره في فهرسة الامام محمد ابن غازي العثماني المسماة التعلل برسوم الاسناد ، بعد انتقال اهل المنزل والناد ، قال فيها : الكتاب الرابع من الجناح العلمي ، جناب سيدنا ، وسليل علمائنا ، ومصاييح مغربنا ، ومفاخر قطرنا وعصرنا ، سيدي ابي العباس احمد بن محمد ابن مرزوق الخ .

توفي مغبوطا ، في حدود عام 920 (127) .

(126) دعوة الحق (مجلة مغربية) ع 244 ص 21 (سنة 1985 م)

(127) البستان ص 52 وتوشيح الديباج ص 56 ع 22 والثبت للبلبلي (صفحات كثيرة) ونيل الابتهاج ص 136 ع 133 وفهرسة ابن غازي ص 32 - 33 وشجرة النور الزكية I 275 ع 1028

(1447) احمد شقرون بن ابي جمعة المغراوي ، فقيه جزائري من اهل وهران ، واصله من قبيلة مغراوة الكبيرة الشهيرة ، عرف بين الناس بالسيد شقرون الوهراني لشقرة لونه وزرقة عينيه ، وصفه احمد المقري في ازهار الرياض بالشيخ الفقيه الخطيب المدرس ، وروى عن ابنه محمد ان اباه احمد المترجم كان يخطب بخطبة القاضي عياض وانه حفظ الخطبة من خطيب كان عندهم بوهران يسمى محمد بن احمد ابن خرزوزة القيسي .

انتقل من وطنه الى فاس واستقر بها ودرس وصار من فقهاءها الاعلام وكان جهوري الصوت .

له كتاب جامع جوامع الاختصاص والتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان ، توجد منه نسخة مخطوطة في مجموع محفوظ بالمخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 7579 واخرى مخطوطة في مجموع محفوظ بالمكتبة العامة بتطوان تحت عدد 595 وثالثة بخزانة دار الكتب الناصرية بمكرونة (تامكروت) في مجموع محفوظ تحت عدد 918 وبهذه الخزانة الأخير تعزية له في محمد بن احمد ابن غازي يتضمنها مجموع عدده 2088 .

توفي عام 920 هـ حسبما وجدت في جذاذاتي ولا اذكر من ايـن نقلت ذلك ، وفي دوحة الناشر : توفي في العشرة الثالثة (من القرن العاشر) ، وينبغي التنبيه الى ان بعض المؤرخين والمترجمين يخلطون بينه وبين احمد ابن ابي جيدة المديوني الوهراني ويحرفون جمعة وجيدة الى حرة (I28) .

(I28) ازهار الرياض 4 : 79 والاكليل والتاج ص 11 ودوحة الناشر ص 125 ع 124 ودعوة الحق (مجلة مغربية) س 20 ع 5 ص 43 ومعجم اعلام الجزائر 1 : 184 واليواقيت الثمينة 1 : 16 ومعجم المؤلفين 1 : 184 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 67 و 138

(1448) احمد قاسم البجباح الحسني ، فقيه من اهل تلمسان ينتمي الى البيت النبوي ، لقي الاكابر وروى عنهم واستفاد منهم .

قال ابن عسکر في دوحه الناشر : كان فقيها عارفا محصلا حافظا متقنا راوية خيراً فاضلا من اعلام هذه الأمة وشيوخها .

اخذ عنه محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وكان يثني عليه بالخير ويعظمه غاية التعظيم .

توفي بتلمسان في حدود عام 921 هـ (129) .

(1449) احمد بن عيسى العزافي ، فقيه من اهل فاس من بيت بني عزانة الشهير فيها بالعلم والغنى (130) ، وكان لهذا البيت حي يسكنونه بالطالعة الكبرى يعرف اليوم بدرب بني عزاهم (131) ، وكان المترجم استاذاً مشاركاً متفنناً فرضياً حيسوبياً ذا معرفة بالمعاني ، صحب علي بن موسى بن هارون المطغري وكان اسن منه .

من نظمه قوله :

اذا كنت في فاس ولم تك ساكنا بطالعه الكبرى فما انت في فاس
بطريانة طارت همومي كلها اذا شعشع الساقى ودار بأكواس

وعارض بيتي السلطان احمد بن ابراهيم المريني (4 : 411ع1369):

(129) الاكليل والتاج ص 11 (نسخة مصورة) ودوحه الناشر ص 133 ع 135 وفيها توفي والله اعلم في صدر العشرة الثالثة

(130) انظر عن هذا البيت كتاب بيوتات فاس الكبرى ص 35

(131) واصل التسمية بني عزانة ، وقد تخيل العوام انه عزانا (عزائنا) فحرفوه الى عزاهم (عزائهم) تطيرا ، لان العزاء لا يكون في الغالب الا في الموت . وقبيلة عزانة قبيلة بربرية ما زالت بقاياها موجودة باقليم الناظور (ايعزائن) .

ياعاذلي دعْ عنك عدلَ العاذلِ
واذا ذكرتَ عشيةً بمحاسنِ
واخلعْ عذارك في الحبيب الواصلِ
فاذكرْ عشايانا بدارِ العادلِ
بقوله :

لا تلحْ في حبِّها ياأيها اللاحي
وان ذكرتَ عشايا من محاسنها
فهْيَ المنى وهي انفاسي وارواحي
فاذكرْ عشيقتنا في برجِ لواحِ

توفي بعد عام 920 (132)

(1450) احمد بن محمد الدقون الصنهاجي ، من متأخري فقهاء الأندلس وادبائها ، واصل سلفه من قبيلة صنهاجة الحميرية ، ولد بغرناطة ونشأ ، واخذ بها عن الفقيه محمد المواق روى عنه عدة كتب في أنواع من العلوم ، ثم نزح عنها مع والده الى المغرب فيمن نزح من مسلميها واستقرَّ بمدينة فاس ، فقرأ فيها بالسبع على الاستاذ محمد بن الحسين النيجي الشهير بالاستاذ الصغير ولما مات الشيخ المذكور كمل على محمد ابن غازي العثماني .

وكان عالماً مشاركاً محدثاً راوية شاعراً مجيداً حلو الفكاهة يمزج دروسه واحاديثه بدعابة ومزاح ، الا انه كان ضعيفاً في علم الكلام .

درسَ بجامع القرويين واخذ عنه خلائق ، منهم ابو القاسم بن محمد ابن ابراهيم المشنزائي (2 : 138 ع 414) واحمد بن الحسن التسولي ومحمد شقرون ابن ابي جمعة المغراوي وغيرهم .

وتولَّى الخطابة بجامع القرويين خلفاً لشيخه محمد ابن غازي ولما مات هو بعد عامين خلفه ابنُ شيخه المذكور محمد بن محمد ابن غازي الشهيرُ بغازي .

(132) جذوة الاقتباس ص 131 ع 68 ودرة الحجال 1 : 170 ع 209 ودعوة الحق (مجلة مغربية) ص 95 وسلوة الانفاس 3 : 148 وذكره عبد السلام ابن سودة مع الفرضيين في الجزء الرابع من كتاب قضاة فاس .

له كتاب بداية التعريف ، في شرح شواهد الشريف ، في اللغة ،
والشريف الشارح - على ما يظن - هو محمد بن احمد بن يعلا الحسني ،
توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة جامع القرويين بفاس ، وأخرى في مجموع
محفوظ بدار الكتب الناصرية بمكرونة (تامكروت) تحت عدد 796 وثالثة
بنفس الدار في مجموع عدده 1812

من شعره قصيدة خاطب بها اهل فاس يندب بها الجزيرة الاندلسية
وذلك قوله :

الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل
اما بعد ، فيقول خديم اهل الله تعالى احمد بن محمد الأندلسي
الشهير بالمدقون لطف الله به بمنه وكرمه :

انه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء (I33) ، بأخذ الحمراء (I34) ،
قرعت 'باب الندبة' ، لما تقدم من الصبحة ، فقلت 'ابياتاً صدرت' من قلب
كئيب ، مبكية كل لبيب ، وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحاً
لمن رغب فيها ، ولم يرغب عنها ، أو استحسناً شيئاً منها ، ان يحدث بها
عني ، وذلك بعد اتقان لفظها وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ، وان كنت
لا احسن ان اقول ، وربما اعزى بها الى الفضول ، لكني لا اعدم المثل ،
وفي مثل هذا قيل :

ومن ذا الذي تُرجا سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً ان تعدّ معاييه
والله حسبي وعدتي ، وهو مقيل عثرتي ، وهاذا مطلع صباحها ،
ومنبع افتتاحها :

(I33) يريد بها الجزيرة الاندلسية كلها لا ميناء الجزيرة الخضراء احد
موانئها الجنوبية .

(I34) قصر الحمراء قصر ملوك بني الاحمر بغرناطة .

وعشتَ ما بين اعمام واخوال
فالجسمُ مشغولٌ من غير اشغال
من أرض أندلس من أجل أهوال
للمسلمين من أعداء وأنكال
بهم معالمُ أخيار وأقيال
أهل النفاسة في قول وأفعال
وهم معاقلُ قول الله للتالي
يلم بساحتهم يظفرُ بأمال
يسلو عن أهل وأوطان وأموال
وكيف تسألُ عن وصف وعن حال
ولو أكون حليفَ المنزل الخالي
فإنه باقٍ يقي من كل محتال
وباذلاً كلُّ ما قد حازَ من مال
نعم ، وفي عددٍ من رهط أبطال
شرُّ الخلائق مسروراً باقبال
وقبح الصواعقِ في هدًى وزلال
والوصف يعجزُ من يدعا بقلقال
إلف النحوس وتغيير وترحال
يخشى المغيث بسهلٍ أو بأجبال
قلوبهم وأبوا تسديد أخلال
والكلُّ منصرفٌ عن نصر أبطال
والطيرُ يرجو البقا مع كيد قتال
أضحى يدافع عن روح بأوصال
كدودة القز في نسجٍ لسريال
قال الصدي : لستَ ذا رمح ونبال
ففارق الجبح من تدخين نحال

أمنتَ من عكس آمال واحوال
ولا ابتليتَ بما في القلب من نكد
وكيف لا ويقاعُ الدين خاليةً
عمت فغمت قلوب المسلمين فيا
جاست بها من جيوش الكفر ما درست
أهل الشجاعة أهل العلم أهل تقي
عنهم وفيهم أحاديث النبي بدت
رهبان ليلٍ وفرسان النهار فمَن
لا عيب فيهم سوى أن المضاف لهم
فهل ترى بعد هذا النفس سائلة
تالله لا زال ما في القلب من أسف
أو يفتح الله في نصر يمنٌ به
قد رام إطفاء نور الله مجتهداً
سطا بجيش كموج البحر في عدد
مؤيداً باجتماع المصر يتبعه
يسبى المسامع بالأنفاط مشبهة
يني ليهدم ما الاسلام شيدته
فهو المقاتل في الأبراج منتقل
فاستوطن المرج لا ينوي الرحيل ولا
والمسلمون من الاضغان قد ملئت
والحق مختلفٌ والحمق مؤتلف
وهم لديه كطير وهو ينتفه
إذا تجرد من ريش يطيرُ به
سدوا مسالك أرزاق ومنفعة
ثم استغاثوا : ألا فرسان عادية
والصيف ضيعتَ ما أملت من لبن

من قبل وضعك في قيديرٍ وأغلال
بعد اختلاف على تأمين أزدال
حَسْبِ الحصيد ونصرَ الله والآل
فهل على طللٍ ترمي بأبطال ؟
ونحن لانشتكي تنكيدَ ضلال ؟
به وقد أيسست من فتح أبدال (135)
كمثل عادٍ ، وما عاد بأشكال
وقد سبأ عده من أيدٍ أو عال (136)
إذ عمَّروها بناقوس وتمثال
للأمر والنهي أو تذكير آجال
تتلو القرآنَ بأسحارٍ وأصال
آه إذا صدرت من قلب بطَّال
تعلَّق القلبُ في تصحيح إلال
لاحت بنقلة نِسوان وأطفال
فالدهر ذو دول فاسمع لأمثال
حقُّ الجِوار ولا توصف باهمال
ورحمةٌ يا حِمامةَ العم والخال
ولا ندعُ قول ذي نُصح وإجمال
كسر القلوب فلا يلقوا باخمال
يلطف بك الله إذ تدعى لأحمال
والأذنُ في صمم عن قيل أو قال
نمشي على مهلةٍ من طول إمهال

وارحل بنحلك نحو الغرب في كرم
فاستمكن الرعبُ في الأكباد وانفتحت
واحتل غرناطة الغراء قد عدمت
كانها الشمس في أفقِ العلا كسفت
وهل تعود ليالٍ قد سلفن بها
وهل يعود لها الدين الذي أنست
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم
قد فرقوا كسبًا في كل منزلة
فلا المساجدُ بالتوحيد عامرةٌ
ولا المنابر للوعاظ بارزةٌ
ولا المكاتبُ بالصبيان أنسةٌ
آه على الدين والدنيا وما نفعت
إنا إلى الله ، والرجعى له ، وبه
وكان ما كان والألطفُ شاملةٌ
فلنكرم الآن مَنْ ينزل بمنزلنا
وإذ ولا قدرةٌ تدني المنى فلهم
نلقاهم ولنا بشرٌ ومعدرةٌ
ولا نددُ عن ورود الحوض وأرده
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع
وقل لوالٍ تلتطفُ في مغارمهم
هذا النذير جِهارا جاء ينذرنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا

* * *

(135) يشير إلى ما هو معروف من الاستنصار بالاولياء ، وهم الابدال ، عند اشتداد الازمات والخطوب

(136) كذا ورد في هذا الشطر في الاصول

ان السعيد لموعوظ بأمثال
فالأمرُ جيد فلا تصحب لمكسال
على السواحلِ أو همت بإرسال
والحزمُ في سعةٍ من قبل إعجال
بذل النصيحة أو إبراء ادخال
والأمرُ بالعرف مع تحسين مقوال
خوفا على الدين أو بعداً من أنذال
لسخط مولى ولا عذر" بأثقال
فحيثما كنت لا تخشى من اقلال
قد اكتسى بعد عزٍّ ثوبَ اذلال
فأفهمُ تفاصيلَ اقوال واجمال
قد طب من حب (I37) لم يوصف بمحتال
شمس الجزيرة غابت بعد إكمال
اذ لم يجدُ ذائداً عن ديننا العالي
والأمرُ لله قي قول وافعال
سحائبُ الدمع لم تقلعُ عن انزال
واللهُ يحفظنا من كل ميهال
محمد ، والرضا عن آل أو تالي

يا أهل فاسَ اما في الغير موعظة"
فقل تعالوا الى نصح وتذكرة
كيف الحياة اذ الحيّات قد نفحت
ولا سبيلَ الى الترياق غير تقى
والأخذُ بالجد في جمع القلوب على
والزهدُ في هذه الدنيا وزخرفها
ولا نرم في امان الروم منزلة
فمن بيت في امان الكلب منتصباً
وأربأ بنفسك عن أرض تهانُ بها
فالموت عندي خيرٌ من حياة فتى
والهجرةُ الآن قد عادت كما سبقت
واحتل بذهنك ولتسمع نصائح من
في صدر سيع على التسعين زائدة
وبلغ الكلب ما قد شاء من ارب
ليقضي اللهُ امرأ كان قدره
وقد وعظت ولو اسمعت لانتشرت
فليشتغل كل مسكين بمهجه
ثم الصلاة على المختار سيدنا

توفي بفاس عام 921 (I38) .

(I37) من امثال العرب في التنوق في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من
طب لمن حب ... اي صنعة حاذق لمن يحبه

(I38) ازهار الرياض I : 104 والاكليل والتاج ص II والأعلام I : 232 وتوشيح
الديباج ص 64 ع 36 وجذوة الاقتباس ص I32 ودرة الحجال I : 92 ع I31 والى سنة
من الوفيات ص 283 و 285 والموسوعة ص 89 و I59 ونيل الإبتهاج ص I36 ع I31
وفهارس الخزنة العامة I : 337 وفهرس مخطوطات خزنة القرويين ع I222 ودليل
مخطوطات دار الكتب الناصرية بتاعكروت ص I12 و I13

(1451) احمد بن عبد الله بن ابي تاشفين الزياني ، احد امراء اسرة بني زيان العبد الواديين سلاطين تلمسان ، يكنى ابا زيان ، وهو ثالث المتكئين من اسرته بهذه الكنية ، نصبه عروج باربروس قائد جيش الترك سلطاناً على تلمسان لما احتلها بطلب من اهلها عام 923 خلفاً لعمه ابي حمو الثالث السلطان قبله الذي فرّ الى وهران واستظل بمظلة محتليها حلفائه الاسبان ، ولما استوثق الأمر للمترجم تنكّر للترك وقاتلهم محاولا اجلاءهم عن عاصمة ملكه ، ولكنهم غلبوه وقتلوه في المعركة في سبعة من قرابته ، ونحو ستين من قبيلته وألف من التلمسانيين ، وعاد عروج بعد ذلك لامتلاك تلمسان .
وكان ذلك عام 924 هـ ولما يمض على المترجم في الملك أكثر من عام (I39)

(1452) احمد بن سعيد الشماخي ، احد علماء المذهب الإباضي بليبيا ، ولد ونشأ بواحة يفرن (I40) أشهر واحات جبل نفوسة باقليم طرابلس ، واخذ العلم عن الشيخ عفيف صالح بن نوح بن زكرياء التندميرتي النفوسي وعن الشيخ محمد البيدموري بتونس .

وكان فقيهاً متضلعا في الفقه الإباضي بلغ درجة عليا بين اهل مذهبه بجده واجتهاده ، وألّف في الفقه الإباضي والرياضيات وتاريخ علماء الإباضية وتراجمهم .

(I39) تاريخ الجزائر العام 2 : 223 وتاريخ الجزائر في القديم والحديث 2 : 365 ومعجم اعلام الجزائر ص 168

(140) يفرن اسم واحة كبيرة بجبل نفوسة الليبي ، واسم لمواضع عديدة ببلاد المغرب العربي ، وهو كلمة بربرية بصيغة الجمع معناها الغيران والكهوف ، مفردا يفرى ومعناه الغار ، واصل كتابة الكلمة افران وايفران ، لكن العرب اصطلحوا على كتابتها يفرن من قديم لانهم يقلبون الهمزات المكسورة ياء سواء كانت في الاول او الوسط او الاخير ، كما في الأيمة والقايد والبناي وكتابتها على الشكل الذي اصطلح عليه الأقدمون لا يغير منها لفظا ولا معنى (انظر تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 22 طبعة بيروت 1959) .

من مؤلفاته : I - اعراب مشكل الدعائم . 2 - رسالة في الرد على صولة الغدامسي . 3 - وكتاب السير ، في تاريخ الاباضيين وتراجم علمائهم بالمشرق والمغرب ، طبع بالقاهرة لأول مرة طبعة حجرية عام 1301 هـ ثم طبع بها طبعة مرة ثانية بالحروف المطبعية ، وترجم المستعرب الفرنسي ماسكراي Masqueray مقتطفات منه الى اللغة الفرنسية ونشرها بالجزائر عام 1879م ، ومن الكتاب نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت عدد 8295 ج واخرى بدار الكتب القومية بتونس (المكتبة الاحمدية) عددها 3858 . 4 - ومقدمة في اصول الفقه اختصر فيها كتاب العدل والانصاف للوارجلاني ، منها نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت عدد 22072 ب . 5 - وشرح مرج البحرين لشمس الدين ابي يعقوب في المنطق والحساب والهندسة . 6 - وشرح على متن الديانات . 7 - وشرح على مقدمة التوحيد لعمر بن جميع الاباضي . منه نسخة "مخطوطة" محفوظة بدار الكتب المصرية تحت عدد 22072 ب .

توفي بيفرن (جبل نفوسة - ليبيا) عام 928 هـ (141)

1453) احمد بن محمد ابن الحاج اليبندري ، فقيه كبير من بادية تلمسان ، ولد بجبل بني ورنيد (142) الواقع خلفها في مكان منه يسمى ثلاثاء وليلي ، ثم ارتحل الى وادي يبندر (143) وتأهل بموضع يقال

141) الاباضية في موكب التاريخ (قسم ثاني) ص 125 - 130 والاعلام للزركلي I : 131 والازهار الرياضية (قسم ثاني) ص 13 والدعاية الى سبيل المؤمنين ص 28 ودائرة المعارف الاسلادية 3 : 359 ودليل المؤلفين الليبيين ص 25 ومعجم المؤلفين I : 234 والسير ص 577

142) بني ورنيد ، قبيلة بربرية الاصل عربية اللسان ، من بطون بني دمر الزناتيين ، تقع مساكنها بالجبل المسمى باسمها الواقع خلف تلمسان مباشرة ، واشهر قراها قرني ، ينظر عنها تاريخ ابن خلدون في صفحات كثيرة منه ، ولاسيما ص 209 من الجزء السابع (طبعة بيروت سنة 1959 م)

143) يبدر ، قرية صغيرة تقع بجبل بني ورنيد على الطريق الثانوي رقم 111 الذي يربط قرية الشولي بسبدو

له بني صميل (144) ، وكان معاصروه وبلديوه يسمونه سيدي احمد الجبلي .
اخذ بتلمسان الفقه والاصول والعربية والبلاغة والمنطق والحساب
على احمد بن محمد ابن زكري (5 : 97 ع 1440) ومحمد بن يوسف السنوسي
ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي وطبقتهم ، وكان اماماً فاضلاً
علامة متفنناً زاهداً متقللاً لا يخاف في الله لومة لائم يجيد الترسل ويحسن
التضمن وينظم الشعر على طريقة الفقهاء .

شرح بردة البوصيري وسينية ابن باديس بكتاب سماه انيس
الجليس ، في جنو الحناديس ، عن سينية ابن باديس ، ونظم العقيدة الصغرى
للسنوسي ، وله كلام على رسالة ابن ابي زيد القيرواني وانظام في مسائل
فقهية ، ومراجعات شعرية مع فقيه المغرب محمد ابن عازي العثماني المكناسي .
من نظمه تخميسه التالي لقصيدة الشيخ ابي مدين الغوث دفين
عبياد تلمسان :

اذا انا من زاد التقى كنت معسرا ومن موبقات الاثم اصبحت موقرا
دعوت الاهي ضارعا متحقرأ (ايا من تعالي مجده فتكبرأ
وجل جلال قدره ان يقدرأ)
بعفوك ياربي عبيدك لائذ من السخط ينجو بالرضا وهو عائد
امن بنواصي كلنا هو آخذ (ومن حكمه ماض على الخلق نافذ
كما خط في ام الكتاب وسطرا)
بناصيتي خذ بالهوى انا شائع ومن باحسان فجودك واسع
وعبدك في الغفران والعفو طامع (لك الحكم لا معطي لما انت مانع
ولا مانع ما انت تعطى موقرا)

(144) يني صميل ، بطن من قبيلة بني ورنيد المتقدم التعريف بها ، هاجرت
منهم اسر الى فاس واستقرت بها ، وبيتهم يعرف فيها إلى اليوم بيت الصميلي ، ومن
هذا البيت العلامة اللغوي الكبير محمد بن الطيب الصميلي الشرقي المتوفى عام 1170 هـ
شارح القاموس .

تدارك عبيداً لم يزلْ وهوَ هائمٌ بعهد الصبّا حتى اعتلته الجرائم
وسامحه انه على الذنب نادم (قضاؤك مقضي وحكمك جازم
وعلمك في السبع الطباقي وفي الثرى)

عبيدك ان لم تكسه العفو حائن غريقٌ وان امتنته فهو آمنٌ
مساويه ان ترضى عليه محاسن (وامرك بين الكاف والنون كائن
بأسرع من لحظ العيون وايسرا)

عبيدك ياربي لعفوك سائل وليس له - الا رجاك - وسائل
وانت الذي تجري لديك مسائل (اذا قلت كن كان الذي انت قائل
ولم يك منك القول فيه مكررا)

فصن من لظى وجهي فديني لم اصن سوى انني التوحيد بالشرك لم اخن
ومن يتجلل عرك الدهر لم يهن (سبقت ولم تنسب وكنت ولم يكن
سواك وتبقى حين يهلك ذا الورى)

فجد لعبادك العصاة بعثهم غداً يوم يحظى الصادقون بصدقهم
كما جدت في هادي لكل برزقهم (ودبرت امر الخلق من قبل خلقهم
فكان الذي دبرت امراً ميسراً)

قطعت زمانى في المعاصى مجاهرا فجئتك ابغى العفو ان كنت قادرا
وعلمك ما يخفى كعلمك ظاهرا (علوت على السبع السماوات قاهرا
فأنت ترى ما قد خلقت ولا ترى)

ظننت بربي خيرَ ظنٍّ ومن يظن جميلا بمولاه عليه به يمن
ايارب! البسني لباس التقى ومن (لبست رداء الكبرياء ولم يكن
لغيرك ياذا المجد ان يتكبّرا)

نكت نارٌ خوفي والخطايا تشبها ايهلكني داء المعاصى ورعبها
وانت الذي لاشك عندك طبها (تقرُّ لك الأرباب انك ربها
ولو انكرت ذاقت عذاب من انكرا)

وعدتَ الالهَ العرشَ انك غافرٌ فجدُّ لي بغفرانٍ فعندي كباثر
واني ضعيفٌ عاجزٌ متصاغرٌ (وانتَ كما سميتَ نفسك قاهر
وانت الاله' العرش حقاً بلا امترا)

حملتُ من الأوزار عِبئاً مثقلاً فجنئتُك ربي مستغنياً مؤملاً
فأنت الذي تعفو الكثيرَ تفضلاً (وانت رفعت السبع في ذروة العلا
وامسكتها كي لا تخرَّ على الثرا)

فأنزلُ عليّ من رضاك سكينه فنفسي من الأوزار عادتُ حزينه
امن رفع السما طباقاً مكيّنه (وسخرَ فيها الشمس والبدر زينه
لها ونجوماً طالعاتٍ زواها)

فلا تبقي لي ضراءَ الا محوتها امن يبصر الأشياء ويسمعُ صوتها
وقدرتَ فيهنَّ الحياهَ وموتها (وانت بسطت الأرض ثم دحوتها
واخرجتَ انهاراً عليها وابحرا)

فأمنٌ عبيداً أمّ بابك صارخا اذا صار اسرافيل في الصور نافخا
وسخرت في الأرض الفجاج رواسخا (وارسيتَ فيها الراسياتِ شوامخا
وفجرتَ منها ماءها فتفجرتا)

أقلُّ عثرتي وارحمُ الاهي عبرتي واحي فؤادي باستدامةِ حضرتي
فأنت الذي تحيي البلاد بخضرة (وانت الذي انشأتَ منها بقدرة
من الحمأ المسنون خلقاً مصورا)

جرمتُ على نفسي بجهلي جرائرا ولستُ ارجي غير مولاي غافرا
امن منحَ الانسان فضلاً مفاخرا (جعلتَ له عقلا وسمعاً وناظرا
وسويته خلقاً سميعاً ومبصرا)

اجرتني من اصل الردى وفروعه ايامن تلقى آدمأ في وقوعه
وتبتَ عليه ان دعا في خضوعه (وزوجتَه زوجاً من احدى ضلوعه
وانسلتَ نسلا منها متكاثرا)

غدوتُ باثواب المعاصي مُسربلا وقلبي بأسقام القساوة مُبتلى

فجد بدواء التوب ربي تفضلاً (فسبحانك اللهم ذا المجد والعلا
تبارك ربي ما أجلّ واقدرا)

ومن نشره رسالته التالية التي استجاز بها شيخه احمد ابن زكري ،
وختمتها برجز ظريف ضمّته اشطاراً من الألفية وغيرها .

الحمد لله الذي بمنه ترجا إجازة الصراط ، ليحصل لنا في سلك اهل
حضرتة انخراط ، وتبدو لنا من اللحاق بهم مخائل وأشراط ، نحمده سبحانه
حمداً مطلقاً بلا قيد ولا اشراط ، ونشكره على أن أنقذنا من المهالك والأوراط ،
بسيدينا ومولانا محمد الذي بعث لجميع الخلق من الأخيار والأشراط ، صلى
الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ما لاح من الصبح افراط ، وناح اليوم على
الافراط .

وبعد فلما من الله على عبده ، المستعين بقوته وأيده ، أحمد بن
محمد ابن الحاج ، يسر الله عليه جميع الحاج ، وغفر له ولوالديه ،
وجمعهم في نعيم ما لديّه ، بالقراءة على من برز على الأوائل والأواخر ،
وعملت لا يثار علمه اليعملات والمواخر ، وجمع أشقات العلوم ، ولا يوجد
له نظير الى يوم الوقت المعلوم .

إمام له فوق الأيمة رتبة" بأنواره كل البلاد تتلألاً
إذا قال صار القوم رغماً لقوله بأرائه تنفَى الشكوك وتدراً

علم الأعلام ، وشيخ الاسلام ، حجة المشارق والمغرب ، شمس
الشوارق والغوارب ، خاتمة الفضائل والمعارف ، عباب الفواضل والعوارف .

بدر التمام بدا في الصحو بلا كذب ولا خسوف عراه لا ولم يغب
باهى به الغرب أقصى المشرقين فلم يبق الى الغرب مصر غير منتسب

الشيخ الامام ، ذو العناية بالعلم والاهتمام ، العالم العلامة ، الذي وجوده
على وجود الاجتهاد علامة ، سيد كل طالب ، ومعتمد اهل المسائل والمطالب ،

ذو النصف والقياس ، والذكاء الذي أنسى ذكر إياس ، السيد أبو العباس ، الذي هو لحلل المحامد لباس ، سيدي احمد ابن زكري ، الذي صارمه في كل فن من فنون العلم يفري ، أتم الله علينا نعمة لقائه ، بطول بقائه ، وأحلته الدوحة العليا ، في الآخرة والدنيا ، إرادة العبد من سيده ومولاه ، أن يتطول عليه بما قد كان اولاه ، باجازة تقيد ما عليه أملاه ، وينتظم بها في عقد أصحابه ، ويلتئم بها في سلك أحبابه ، اجازة مطلقه عامة ، وافيه بالغرض المقصود تامه ، فتحثوي على جميع أنواع العلم وفنونه ، وتجمعه بمفروضه ومسنونه ، وتشمله بحديثه وشجونه ، وتعم أيضاً من يأتي بعده من بنيه ، من خامل ونبيه ، وجاهل وفقيه ، على استمرار السنين ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، على أنني قد تعجلت هذا الأمر قبل أوانه ، فأعوذ بالله من أن أعاقب بحرمانه ، فأروح أخسر صفقة من أبي غبشان ، إذ رجع وليس معه الا الخفان ، إذ لم أبلغ درجة من يستدعي الاجازة ، أو يحسن بسط الكلام والحيازة ، لكني إن لم أبلغها في الماضي والحال ، فليس بلوغي إياها في المستقبل بمحال ، وإنما جرأني على هذا الاستعجال ، خشية انقضاء الآجال ، فسبح الله لعمركم في المجال ، ونحى عنكم جميع الهموم والأوجال ، واني رايت الأيمة الأكابر ، والجله المشاهر ، قد استجازوا اجازة من في الأصلاب ، فكيف بمن يمشى على التراب ، بل ربما عد من الطلاب ، فاني إن لم أكن علم ذات معروفة ، فاني نكرة بحب اهله موصوفه ، وان كنت لا احوك حريره ، فربما نسجت شعره وصوفه ، وان لم يرتفع مبتدأ لدخول النواسخ ، فعسى أن يكون لخبري في الارتفاع ان الغيتها فيما تأخر قدم راسخ ، فيستلحق المجاز بالمجيز ، وما ذلك على الله بعزيز .

هذا ما سمحت به الفكرة الخامدة ، وسنحت به الفطنة الجامدة ، بين تلاطم امواج الأحزان ، وتلاحم أفواج الأشجان ، واستيلاء الهموم على العقول ، على اني سأقول :

ما للنداء يصلح' نحو احمدا
فذاك ذو تصرف في العرف
ورجل من الكرام عندنا
ولا يلي الا اختياراً أبدا
فهو به في كل حكم ذو اتسا
ما ليس معناه له محصلا
وذاك في ظرف الزمان يكثر
مبدي تأول بلا تكلف
وجد نصا ثابتاً مسلما
ثبوت قصر بقياس ظاهر
لقد سما على العدى مستحوذا
كَمَا لنا الا اتباع' احمدا
متبعيهم ظاهر' غير' خفي
وعن سبيل القصد من قاس انتبذ
في وصفه مجملا مفصلا
زيد مغيراً وجهه نعم الفتى
من صلة او غيرها نلت' الأمل
مروع القلب قليل الحيل
أجزت فيه للشيوخ العلمما
حاوية' معنى الذي سيقنت' له
وتبسط البذل' بوعد منجز
تنغنيه عن نوال كل' معط
سواهما والقيد لمن يلتزما
ان تك مما قيدت' به حلت
لأن قصد' الجنس فيه بين

يامن ينادي طالباً ان يقصدا
اقصد ابا العباس بيت' العرف
وسيدي يدني القصي' ان دنا
ولايس' ثوب المعالي والهدى
وتابع هدي' النبي المقدسا
ما ان ترى عيناك من كتب الملا
حوى العلوم' في ليال تندر
وهو لكل معضل مقرف
وحائد عن القياس كلما
وصادع أربى على الأكابر
اقسم' بالله الذي هدى هذا
وما لنا غيره نرجو ابداً
وما سواه ناقص' ، والنقص في
فلا تقس' حبراً به ولو نفذ
وزكّيه تزكية' واجملا
يامن على كل الورى له اتى
كم منة لك على من بك حل
اجب' دعاء' مستغيث' وجيل
وجوزنه مطلقاً في كل' ما
اجازة' تعمّله ونسأله
تقضي له بالمجد والتعزز
وتقتضى رضى بغير سخط
مطلقة' في الفقه والنحو وما
لأنها كل العلوم شملت
ولا تخصص' نوع' ما قد يحسن

صحبتِه إياك ما به يفِي
مما روى عن الشيوخ الأول
كحاله اذا بها يتّصل
وأولها ما كان قبلُ قد الف
كالأول اجعله بلا منازعه
للثاني والثالث أيضاً حقاً
فما ابيحَ اُفعلُ ودعُ ما لم يبيح
والغرضُ الآن بيانُ ما سبق
حقيقةُ القصدِ به منكشفه
ولو توالَتْ زمرُ الأعداءِ
بِرِّ يَزِينُ مَنْ يثِقُ به اشتمل
مستوجبُ ثنائِي الجميلا
لي ولكم في هذه والآخرة
فالحمدُ لله الذي أعطى الأمل
كما اقتضى غنيّ بلا خصاصة
محمدِ خيرِ نبيٍّ ارسى سلا
وصحبه المنتخبين الخييره

وما يكون منه منقوصاً ففي
وانقل بها للثاني حكمَ الأول
حتى يرى بها إذا ينفصل
عجلُ بها فأنني بها كلف
وما يرى من نسله قد تبعه
وما يكون للذي قد سبقا
جوازِنا عن المشايخ اتضح
وقد مضى بالنتز ذكرُ ما اتفق
وما مضى من البيان والصفه
والله ثم الله في الامضاء
ورغبةً في الخير خيراً وعمل
فأنتَ إذْ بَلَّغْتَنِي السبيلا
والله يقضي بهياتِ وافره
وما بجمعه عنيتُ قد كمل
أحصى من الكافية الخلاصة
ثم الصلاة والسلامُ قلُ على
والله والتابعين أثـره

فأجابه الشيخ ابن زكري - مجيزاً - بالرسالة التالية :

الحمد لله الذي جعل العلمَ نوراً ، وصيرَ أهله بين العالمين
بدوراً ، وحلاهم به فاكتسبوا بجواهره ، وعظيم مفاخره ، من فنون
المعقول ، وفروع المنقول ، ما يوجب لهم بين الخلق تمييزاً وظهوراً ، تساق
اليه بضائع الاجتهاد ، وتظفر منه بالبغيّة والمراد ، اشجار علوم المشايخ
باسقة ، واطيار تلامذتهم بالمعارف ناطقة ، فسروا به وسرّ بهم سروراً ،
والصلاة والسلامُ على سيدنا محمد خير الأنام ، وبدر التمام ، والرضا
عن آله واصحابه ومَن تبعهم في المرام .

اما بعد فمرغوبُ الفقيه اللبيب ، الوجيه الأريب ، كاتب اسمه في الاستدعاء المكتوب هذا بظهره متلقًى بالاسعاف ، ومقابل " بنيل قصده بطريق الانصاف ، وما طلب من الاجازة ، فقد سوغته انجازة ، فليروني عني ما يجوز في الرواية على الشروط المعروفة ، والسنن المألوفة ، فهو اهل " لأن يروى ويروي عنه من شاء على وجه الصواب ، لجميع ما استفاده مني بخطاب ، أو وجده في كتاب ، أو بلغه له ثقة من الأصحاب ، وكذا كل ما ثبت عنده انه من مروياتي ، أو جمعته أو اجمعه ان شاء الله من مكتوباتي ، وانه لجدير ان يروي ويروى عنه لما اتصف به من الأوصاف المقتضية ذلك ، سالكاً فيه بعون الله احسن المسالك ، على الشروط المشهورة ، والأوصاف المسطورة .

وفتنا الله وأياه ، لما يحبته ويرضاه ، بمنته وقضله وجوده وطوله .

قال ذلك وكتب بخط يده عبيدُ الله سبحانه ، احمد بن محمد ابن زكري ، لطف الله به ، في أوائل شهر ربيع الثاني من عام سبعة وتسعين وثمانمئة ، عرفنا الله خيره ، وكفانا شره ، وصلى الله على سيدنا محمد خير المرسلين ، وامام المتقين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وكذا اجزت لأولاد الفقيه المذكور ، ما اجزت له على الشرط المسطور .

ومن فتاويه الفقهية اجابته عن سؤال وجهه اليه الفقيه احمد البجائي الشريف يستفتيه فيه عن الاقامة هل تجوز في موضع كثر فيه الظلم وانتشرت المناكر ومكست المبيعات على المسلمين ؟ فأجاب بمنع الاقامة عند امكان الهجرة وحوازاها عند الاضطرار ، وفيما يلي نص السؤال والجواب .

سيدي ، رضي الله عنكم وادام بمنه عافيتكم ، ما جوابكم في موضع كثر فيه الظلم والأشرار ، وانتشر فيه الباطل والسكر كل انتشار ، وذلك فيه المسلمون وعز في الكفار ، وارتفع فيه الجور والظلم ، واتضع فيه اهل المعرفة والعلم ، تمكس فيه جل المبيعات على المسلمين ، واشكل

الأمر' على المسترشدين ، ولم يظهر' من فضائله ناكر لمنكر ، فلا ادري اخوفاً على انفسهم ام' استهزاء بالأمر ، ثم' إن' انساناً اضطرراً الى اخذ العلم من علماء الموضوع المذكور ، وحششي' على نفسه مما هو' قبل' مسطور ، فهل - اعزكم الله' - يسوغ' له المكث في ذلك الموضوع مع عدم قدرته على تغيير المنكر الا قليلا ويكون' بذلك مُمتثِلاً لأمر ربه ؟ وهل يسوغ' له الشراء من بعض المبيعات المُمكنسات ان اضطرراً الى ذلك ، ويكون أمنأ من الوقوع في المهالك ، وهل يسوغ' له اخذ' العلم من علمائه مع عدم تغييرهم لما ذكر' واقامتهم بالموضوع المذكور ، ولا ينالنه توبيخ' من المولى سبحانه يوم' النشور ؟ ام يجب' عليه ان ينتقلَ من ذلك الموضوع لغيره ، لأن الراتبَ حولَ الحملَى يوشك' ان يقعَ فيه ، بيتنوا الأمرَ لمن اضطرراً اليه في خاصة نفسه ، واحتاج اليه كل' الاحتياج ، ولكم الأجر والسلام

فأجابه احمد' ابن' الحاج اليبدرى المترجم بما نصه :

الحمد لله

الواجب' على المومن المحقق ، الناظر لنفسه نظراً مُشفق ، ان يفرّ' بدينه من الفتن ، ولا يُقيمَ الا في موضع تقام' فيه السنن ، ولا ياخذ' من علم دينه ما يحتاج' اليه ، الا ممن تظهر اثار الخشية والخضوع عليه ، ويطلب ذلك في اقطار الارض ونواحيها ، بدليل (الم تكنَ أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها) ، هذا مع الامكان ، ووجود بغيته في غير ذلك المكان ، فان تعذر عليه ذلك ، وانسدت' عنه المسالك ، ولم يجد' موضعاً صالحاً مرضياً ، ولا معلماً ناصحاً مهدياً ، فليقم' هناك صابراً صبراً جميلاً ، ويكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً ، وليقل' كما قالوا ان لم يجد' معيناً على الدين ولا ظهيراً ، (ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالمِ اهلها واجعل' لنا من لدنك ولياً واجعل' لنا من لدنك نصيراً) ، وياخذ من العلم ما يضطره اليه من كل

متصدر للأخذ عنه ، فرباً حامل علمٍ أهدى ممن هو - أعلم منه ، وقد
ينعالمج' المريض' المومن بدواء الطبيب الكافر ، وقد يؤيد الله الدين
بالرجل الفاجر ، ويشترى من المبيعات ما يحتاج اليه لبئسا وطعما ، ولكن
لايفشم المعيشة غشماً ، وليعط الورع حقّه ، ويستعمل في ذلك اجتهاده ورفقه ،
ويتجنب شراء الماخوذ في المكس من غاصبه ، ويشترى مما بقي على
ملك صاحبه ، مع مراعاة قواعد الشريعة المقررة ، ومسائل الفقه
المسطرة ، والوقوف في حد الضروريات ، وعدم الاسترسال في الشهوات
المباحات فضلاً عن المحظورات ، فان اقتصر على ضرورياته لم يخف
على دينه اختلالاً ، إذ لو كانت الدنيا جيفة لكان قوت المومن منها حلالاً ،
وقد احسن الفقيه الكلاعي حيث يقول في مثل هذا المساغ :

وطاعة من اليه الامر فالزم وان جاروا وكانوا مسلمينا
وان كفروا ككفر بني عبيد فلا تسكن ديار الكافرينا
فريتما يقوم الحق يوماً فتهلك في غمار الهالكينا
تجد في الأرض متسعاً فهاجر الى دار الهداة الواصلينا

والله سبحانه اعلم وبه التوفيق .

اخذ عنه جماعة ، منهم ابن عمه وولد اخته الحاج بن سعيد ، ومحمد
بن بلال النديوني وعبد الرحمان اليعقوبي .

توفي قريباً من عام 930 هـ ودفن بجوار قبر والده ببني صميل من
جبل يبدر (145) .

(145) الاعلام للزركلي 1 : 232 وايضاح المكنون 1 : 148 والبستان ص 8 وتاريخ
الادب الجزائري ص 145 وتعريف الخلف ، برجال السلف 2 : 39 ودوحة الناشر ص 127
ع 127 وهو فيها منسوب الى يجاية وذلك غلط ، وذكر مؤلفها ان له شرحاً على القصيدة
الشقراطية ، وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة) ص 135 ومعجم اعلام الجزائر ص 67 ومعجم
المؤلفين 2 : 151 والموسوعة 1 : 65 ونيل الابتهاج ص 136 ع 132 وشجرة النور الزكية
1 : 277 ع 1034

1454) أحمد بن محمد التباسي التوزري ، فقيه² ومتصوف³ من الجنوب التونسي يلقب⁴ بالغوث ويقال في نسبه أيضا الدباسي بالدال ، كان ابوه ذا مال وجاه ، فلم يابه بكل ذلك وخرج عن ماله وبلده ، وذهب الى القيروان لخدمة الشيخ احمد بن مخلوف الشابي متقدم الترجمة (5 : 66 ع 1435) فصحبه واخذ عنه الطريق ، وقام بالدعاية لطريقته ونشرها في تونس وشرق الجزائر .

وكان فقيها مطلعاً يستحضر المدونة ويحل مشكلات الفقه التي يحار في حلها جهاذة فقهاء قطره ، ذكر تلميذه علي بن ميمون الغماري انه دخل عليه يوماً فوجده يقرأ الرسالة على مقتضى ظاهر الشرع وباطن الطريق ، فقال في نفسه هذا هو التقرير .

مدحه محمد الميداني الشريف بقصيدة طويلة اولها :

ياأبا العباس ياغوثَ الورى احمد الراقي الى اعلا الذرى
شيخنا التباسي قرم⁵ مجتبى مَن تهاب⁶ بأسه اسد⁷ الشرى

والف تلميذه علي بن ميمون الغُماري كتاباً في مناقبه توجد⁸ منه نسخة⁹ مخطوطة¹⁰ بدار الكتب القومية بتونس محفوظة تحت عدد 18110 توفي بنفزاوة في شهر ذي القعدة عام 930 (146) .

1455) أحمد بن محمد ابن يوسف الراشدي الملباني ، شيخ طريقة ومبتدع¹¹ نحلة من اهل المغرب الأوسط ، ولد في بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري بدوار راس الماء من ارض قبيلة بني راشد الواقعة بين مدينتي¹² معسكر وغليزان والتي أهم قراها قلعة بني راشد ، او قلعة هوازة كما كانت¹³ تندعا قبل¹⁴ نزوح هؤلاء إليها من جبال العمور .

146) احمد بن مخلوف الشابي (كتاب) ص 12 - 55 - 58 وجامع كرامات الأولياء 1 : 540 والجديد ، في ادب الجريد ص 77 والكواكب السائرة 1 : 128

ولا يعرف شيء عن المرحلة الأولى من حياة المترجم ، فلا نذكر للأماكن التي تلقى فيها العلم ان كان تلقاه ولا للشيوخ الذين أخذ عنهم ، وأول ما يذكر عن حياته خروجه مغاضباً من دواره الذي قيل ان اهله لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه وذهابه في حدود عام 891 الى قرية مقترنة (تامقُرت بلسان البربر) القريبة من بجاية حيث اجتمع بالشيخ احمد زروق البرنسي متقدم الترجمة (5 : 85 ع 1439) وتعلم له واخذ عنه طريقته الصوفية ، وكان للشيخ زروق بهذه المدينة شيعة واتباع ، ولا ندري هل اخذ المترجم بها عن غير الشيخ المذكور ولا هل اقام بها مدة طويلة بعد رجوعه الى قرية مصراتة بليبيا ، لأننا نعرف ان الشيخ زروق لم يُقم ببجاية طويلاً ، وانما جاءها لاستقبال زوجته التي خلفها بفاس ثم استقدمها بعد ما طاب له المقام بمصراتة وقرر ان يقيمَ بها بصفة نهائية ، وعلى اي حال فان المترجم عاد الى وطنه متحمساً لطريقة شيخه عازماً على نشرها بين قومه ، فلما وصله وجدّ أباه انتقل من دوار راس الماء الى دوار آخر فالتحق به فيه ، فاذا اهله غارقون في المناكر والفواحش الى الانقاس ، كاختطاف النساء والزنى بهن دون رادع ولا زاجر ، فعاد الى دواره الأول وبني به نواله (147) واخذ يدعو سكانه ومن حولهم الى الطريقة الزروقية ، ثم بدأ يتردد على مدينة معسكر للامامة في مسجدتها والقائه مواظ على المصلين استحسنوها واعجبوا بما فيها من افكار وتوجيهات وشمروا معه على ساق الجد لنشرها بين الناس ، ولما احس المترجم بقوته وثقة مَنْ يستمعون اليه به صار ينسلخ عن الطريقة الزروقية شيئاً فشيئاً وينشئ طريقة جديدة منسوبة اليه ومستمدة تعاليمها منه ، ومن البديهي ان الطريقة الجديدة التي نالت قبُولاً من عدد كبير من العوام كان - ولا بد - ان تلفت اليه واليها انظار المنافسين من متصوفة وفقهاء ، وانظار رجال الدولة الزيانية التي عاصمتها تلمسان والتي كان وطن بني راشد مما يشمله حكمها ، اما الاولون

(147) النواله بيت يبني من اعواد وقصب وخص ، وفي بعض الكتب انه بني زاوية يجتمع فيها المريدون والفقراء لتلاوة الاذكار

فجاء منهم اليه الهاجم والمناظر فاستسلموا له وعجزوا عن اعجازه وراوه
بحراً من العلم لا ساحل له على حد تعبير كتاب سيرته ورواة مناقبه ،
واما الآخرون فانهم لما راوا تعظيم الناس له حذروا منه سلطان تلمسان ابا
حمو موسى الثالث الذي تولى الملك بها عام 909 والملقب بأبي قلمون
وقالوا له انه رجل "خطير" يخشى منه على الملك ، فكتب السلطان الى
عامل وهران يامره باعتقاله وتوجيهه اليه بتلمسان او قتله ، فكتب هذا الى
قائد قلعة هواة احمد ابن ابي غانم يامره بتنفيذ امر السلطان ، ولما
كان هذا القائد متعاطفاً مع احمد ابن يوسف اسرَّ اليه بالأمر الوارد عليه
من عامل وهران ، فخرج من قلعة هواة على حين غفلة في احد شهور عام 911
وصارَ يتنقلُ - بقية حياته - بين يلل وقلعة بني راشد والبطحاء وتنصرت
ومصراته وسهول شلف (148) وعدد اتباعه ينمو ويزيد والدولة لا تقدر منه
على شيء .

وفي سنة 921 مرَّ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف عند
الاوربيين بليون الافريقي - وهو في طريقه الى الحجاز مع ركب الحج الفاسي -
بمخيم الشيخ احمد ابن يوسف بسهول شلف ، فنزل عليه واقام في ضيافته
ثلاثة ايام كان يخلو به فيها كل ليلة ويتعشى معه في بيت او خباء خاص ، وقد
وصفَ في كتابه (وصف افريقيا) مخيمه وما كان يملك من ماشية وتنتجُه
الأراضي التي استصلحها من غلال ، كما وصف ما كان يلحق اتباعه من اذكار
وياخذهم بتلاوته من اوراد ، ولم ينسَ ان يذكرَ ما له من زوجات وجواري
انجبَن له اولاداً ذكوراً واناثاً كانوا يلبسون ثياباً انيقة جداً ، ومع ان الوزان
لم يذكره بالاسم مكتفياً بوصفه بالناسك فان كل القرائن تدل على انه انما

(148) يلال بلدة تقع في غرب غليزان على الطريق الرابط بينها وبين مدينة
مستغانم ، وقلعة بني راشد - وكانت تدعا قلعة هواة من قبل - بلدة بين معسكر
وغليزان ، وشلف اسم نهر ينبع من جبال العمور بوسط الجزائر ويسير في اتجاه شمالي
ثم غربي حتى يصب في البحر الابيض شمالي شرقي مدينة مستغانم بعد ما تجري
مياهه على طول 700 كلم ، وقد سميت به في السنين الاخيرة مدينة الاصنام ، واما
البطحاء وتنصرت ومصراته (الجزائر) فلم تتمكن من تحديد مواقعها .

كان يعنيه ، لانه لم يكن في ذلك الوقت بذلك الوطن صالح ذو اتّباع وانصار
سواه (149) .

ومما يذكر من اخبار المترجم في هذه المرحلة الاخيرة من حياته اتصاله
بالقائد التركي عروج الملقب ببارباروس واخيّه خير الدين والاسكندر ، لقد كان
هاؤلاء الاخوة' الثلاثة على راس الأسطول البحري التركي الذي ظهر في بداية
القرن العاشر الهجري بغرب البحر الأبيض المتوسط ، وكانوا يبذلون جهوداً
حميدة لنقل مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة الى السواحل المغربية ،
وكانوا ينزلون احياناً الى البر متنكرين ويتصلون بالسكان لمعرفة رايهم
في حكاهم ومدى استعدادهم للتعاون معهم على محاربة الاسبانيين وطردهم
من المدن الساحلية ، وقد وقع لأحمد ابن يوسف المترجم ما وقع لأحمد ابن
القاضي الغبريني سلطان كوكو آتي الترجمة بعده من اتصال بهم بقصد
محاربة النصارى والحيلولة دون توغلهم في دخل البلاد ، ذكر علي بن الحاج
موسى الجزائري في كتابه 'بيع التجارة' ان المترجم كان مع مرديه ذات يوم
بقرية كريشنتل الواقعة على الساحل بين ارزيو ووهران ، فلمحه عروج فقصدته
وكلمه بواسطة ترجمان ، وكان من جملة ما قال له : انني انوي امراً ان سهله
الله فلا أنساك ، وقد وفى الترك' بوعد عروج بعد استيلائهم على الجزائر ،
فبنوا ضريحه ومسجده الحاليين بمدينة مليانة ، وصاروا يعينون في كل
سنة واحداً من ابناؤه رئيساً لركب الحج ، كما جعلوا نقابة الاشراف متوارثة
في نسل احد مرديه .

ولم يسلم' الشيخ' احمد' ابن يوسف من اذى سلطان تلمسان ، فقد
استطاع ان يعتقله بالحيلة رغم حذره الشديد وانتقاله المتواصل
بمخيمه واتباعه من جهة لأخرى ، وذلك ناشيء كما سلف من
خوفهم على ملكهم من قوة نفوذ من جهة ، ومن انتقاده
الشديد من جهة اخرى لسلوكهم بعد ما رأهم يرتسون في

احضان الغزاة الاسبان ويضعون مقاليد الدولة بين ايدي اليهود ، وقد تدخلت الأسطورة في وصف حبسه وما لقيه اثناءه من اذى كبير وعذاب اليم ، حتى ذكر المشعوذون او المغفلون من كتاب مناقبه ان السلطان الزياني امر بالقائه في النار فكانت برداً وسلاماً عليه ، محاولين تقريب صورته من صورة ابراهيم عليه السلام ، ولا شك في ان الذي أنجاه من الحبس وكشف ما كان يعاني فيه من ضيق وضير هو خلع معتقله السلطان ابي حمو عام 923 وجلس ابن اخيه السلطان احمد سابق الترجمة (5 : 25 ع 1451) على عرش تلمسان باعانة الاتراك .

ولم تطل حياة احمد ابن يوسف بعد خروجه من سجن تلمسان الا بضعة اعوام قضاها في مليانة حيث كان يستقبل المريدين والاصدقاء الآتين لزيارته من كل الجهات ، مؤسّعاً عليه من خير الدين بارياروس مؤسس الحكم التركي بالجزائر الذي كان يتحفه بهدايا ويصله بعطايا جزيلة بلغت في احدى المرات اربعة آلاف دينار ، وذلك لشدة حاجة الغزاة والمتغلبين في بداية تأسيس حكمهم الى مثل هذا الصنف من المتعاونين ذوي التأثير على العوام .

ذلك عرض موجز لحياته استخلص من نصوص مكتوبة وروايات مسموعة تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، ويتداخل فيها الافتراض المحتمل بالواقع المؤكد ، لا فرق بين كتابات وحكايات من كتبوا عنه قديماً وبين كتابات وروايات من درسوا طريقته الصوفية حديثاً ، والقدامى والمحدثون ينقصهم معا تواريخ كثيرة تضبط حياة هذا الشيخ التي يكتنفها كثير من الغموض ، وعلى ذلك فان احمد ابن يوسف كان رجل الساعة في وقته ورجل الساعة بعد وقته لما خلفته الطريقة التي ابتداعها من رجة في العقول وما كان لها من تأثير على المجتمع في المغربين الأقصى والوسط ، فتلك الطريقة التي كانت في الاول امتداداً للشاذلية عبر الطريقة الزروقية لقيت قبولا من العوام ، لكنها لقيت معارضة كبيرة من طرف عدد كبير من العلماء الذين تأملوا مبادئها ومقاصدها وحللوها فوجدوها تتنافى مع التصوف السني المعهود ،

فلهذا عدوها بدعة ووسموا مؤسسها بالمبتدع ، ومن اشتهر العلماء الذين انتقدوها وانتقدوا مؤسسها الشيخ عبد الوارث بن عبد الله الياصوتي المتوفى عام 970 هـ الذي شن عليه وعليها حملة شعواء في كتابه المعنون بالمسلك القريب الموصل الى حضرة الحبيب ، بينما اول آخرون اقواله او وقفوا منه موقف المسالم .

والحق ان لأحمد ابن يوسف المترجم جراءة في عرض افكاره ومعتقداته فيما يخص الذات الالهية والنفس والوجود ، كما ان له شطحات واقوالا لم تكن لتصدر عن مسلم صحيح الايمان الا في حالة فقد الوعي او في حالة غَلَبَةِ الوجد ، وان هذه الشطحات والاقوال اخذها العوام من اتباعه على ظاهرها ونظروا اليها بعين الاعتبار ، فقد ادعى انه سلطان الوقت بعد ما حاول ايها المتبعه انه المهدي المنتظر ، كما كانت تصدر منه اقوال لا يقره عليها مسلم حنفي كقوله في توضيح علاقته مع الله (انا جالس) في حجر الحق سبحانه يفعل بي ما يشاء) ، وقوله (المولى جل جلاله مدني بمدى ، ووصفني بأوصافه ، انا هو وهو انا) ، وقوله (والله لولا خفت ان اعبد من دون الله لأظهرت لكم الحق عيانا) ، واذا كان المسلم يجيز وصفه بسلطان الوقت وامام الصالحين على سبيل التسامح ومن باب التاويل فما كان له ان يغض الطرف عما كان يدعيه ويكرره في مجالسه مع اتباعه من انه رسول ، ولا عما كان يقول لمن يجيئه مستأذنا في الحج : طف بي ثلاث مرات تكتب لك حجة .

وخلاصة القول ان (الطريقة الراشدية) التي اسسها احمد ابن يوسف الراشدي والمنسوبة اليه ابتعدت كثيراً عن (الطريقة الزروقية) التي اسسها شيخه احمد زروق البُرُنُسي والمنسوبة اليه ، فهذه قريبة من طريقة ابي الحسن البشاذلي التي لا تأخذ لأهل السنة عليها ، اما تلك فقد تسرب اليها الكثير من الآراء الشيعية والمعتقدات الوثنية ، واذا صح ما نسب الى مؤسسها من اقوال ، وما كان يأخذ به اتباعه من أفعال ، وجب ان يقال جهاراً إنه من المبتدعة الذين فرقوا الدين وصيروا اهله طوائف وشيعا ،

ان ليس لأحد ان يزيد قولاً او عملاً في دين اكمله الله ، او أن يتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين الذي خطه رسول الله .

والأسوأ من هذا والأقبح ان احمد ابن يوسف هذا فتح باباً من البدع والمناكر لم يصعب سده على أتى بعده من العلماء الناصحين والولاء المخلصين فحسب ، بل ازداد ايضاً بعد موته انشراحاً وانفتاحاً ، فكما شقّ هو العصى على (الطريقة الزروقية) بانشاء (الطريقة الراشدية) شقّ العصى على طريقته احدٌ مردييه - واسمه احمد بن عبد الله المنزولي - بانشاء (الطريقة اليوسفية) التي تفرعت عنها فيما بعد طرق "مبتدعة" اخرى - كطريقة العكاكزة - ليست من الاسلام في شيء ، لجمعها بين الكثير من الشرائع الوثنية والافكار الشيعية والدرزية والخارجية التي ما انزل الله بها من سلطان ، حتى بلغ الأمر بمن تمذهبوا بها في قبائل المغرب والجزائر ان استحلوا ترك الصلاة والصيام ، واستباحوا الزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، وقد عانى منهم اولو الأمر ما عانوا حتى انهم كانوا يستتبيونهم ويدخلونهم - من جديد - في الاسلام باقرار شرعي واشهاد عدلي .

ولم تخمد نائرة ضلالتهم إلا في بداية القرن الرابع عشر الهجري ، وبقيت منهم على ذلك بقية معدودة من بهيمة الانعام ، وادركت انا منهم في بداية النصف الثاني من ذلك القرن جماعة يُسمّون (اصحاب مولى مليانة) يقفون بأجسام وسخة وثياب خلّقة وشعور شعثٍ بالمساحات العمومية كراس القليعة بفاس ووسعة الهديم بمكناس وهم يرغون كالابل ويعوون كالذئاب ، فاذا تعلق حولهم العوام اخذوا يقومون بأعمال لا يعملها الا الحمقى والمجانين ، كشرب المياه الحامية ومضغ الزجاج والقفز فوق الجمار وادخال الأبر في الأنوف والأشداق ، موهمين مشاهديهم ان قدرتهم على ذلك ترجع الى بركة شيخهم (مولى مليانة) ، وقد اختفى كل هذا الضلال الآن نتيجة التطور الفكري والرقي الاجتماعي للشعب المغربي .

بقي ان نقول كلمة في ختام هذه الترجمة سينراً مع الحق واداءً للامانة التاريخية ، وهي ان العديد من علماء المغرب وفقهائه ومؤرخيه

ينكرون أن يكون الشيخ 'احمد' ابن يوسف ابتدع شيئاً من البدع والكبائر التي تتسم بها طريقته او وافقَ عليها ، ويضعون اوزارها على عاتق الغلاة من اتباعه ، ولاسيما احمد بن عبد الله المنزولي المشار اليه فيما سبق ، ويذكرون انه لما سمع وهو على قيد الحياة بما الصق بطريقته من بدع ونُسب اليه من اقوال دخل المغرب وانكر على مَنْ ينسبون اليه فيه اقوالاً لم يقلها واعمالاً لم يعملها ودعا عليهم قائلاً : مَنْ قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير الملة ، ومن اولئك العلماء والفقهاء والمؤرخين عبدُ الله الهبطي واحمدُ ابنُ القاضي ومحمدُ ابنُ عسكر واحمد بن ابي محلي .

وقد قرأتُ احدى رسائل الشيخ احمد ابن يوسف اثبتتها محمد بن احمد الصباغ القلعي في كتابه **بستان الأزهار** تتعلق بـ« الجذب » المتعلق بنظرية « المعرفة » عنده ، فلم أرها تختلف عن الرسائل التي كتبها قبله شيوخُ المتصوفة وكتبوها بعده ، وليس فيها ما يقدرُ في دينه او سلوكه ، وما انا ذا اثبتُها فيما يلي لتتعرف منها على شيء من افكاره وعلى اسلوبه في الكتابة معا :

«الحمدُ لله الذي جذبَ الخاصةَ الى مشاهد جلاله وجماله ، واغناهم بفضله عن الاستدلال بشيء من مخلوقاته ، وصان افكارهم عن الافتراق في ملكه وملكوته ، وبهر عقولهم فيما يتجلّى لهم من نور قدسه وكبريائه ، فسبحان من يختصُّ برحمته مَنْ يشاء من عبادِه ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، تعالى رينا ان يصلَ اليه احد الا به ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله ، والحمد لله اولا وآخرا ، والشكرُ له ظاهراً وباطناً .

أما بعد ، اكرمني اللهُ بالنظر الى وجهه الكريم ، وسلكَ بنا وبكم سبلَ أولياء الله في هذه الدار ، بجاهِ النبيِّ المختارِ ، صلى الله عليه صلاةً دائمةً بدوام الملك الجبار .

فاعلم يا أخي أن الطرق إلى الله على عدد المخلوقات ، وفضلها واطيبتها واقربها واعلاها وازكاها طريق الجذب الرباني ، فانه طريق "روحاني نوراني ليس فيه قطاع" ولا لصوص" ولا شععب" ولا جبال" ولا انهار" ولا بحار ، وبالجمله فليس فيه خوف" ولا آفة" من الآفات ، تظهر على سالكه بوارق الأنوار وخوارق العادات ، وانوار التجليات والمشاهدات والمحدثات والفتوحات الربانية .

فأرباب هذا المقام غابوا عما يرد عليهم من قبل الحق تعالى ، فكيف لا يغيب من صار في قبضته ، فيه ينطق وبه يسمع وبه يبصر ، كما جاء في الخبر ، وهؤلاء في غاية القلّة والندرة ، فهم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدرا ، فمن وجد واحداً منهم فقد وجد الحجر الأحمر ، لكن قليل من يجد الحجر الأحمر ويعرفه بين الأحجار .

اعلم يا أخي زادك الله صلاحاً وفلاحاً ان من اراده الله لهذا المقام فسبيله الخروج من جميع الأشغال القاطعة عن باب الله تعالى ، وأما الباطن فسبيله الخروج عن جميع الحظوظ ، وبعد هذا يكون مجذوباً ظاهراً وباطناً لا يهتم بشيء سوى محبوبه ، فهذا هو المجذوب الكامل الجذبة .

والجذبة عبارة " عن الخروج عن الخلق إلى الخالق ، ومن الباطل إلى الحق ، الاكل شيء ما خلا الله باطل ، ومن الظاهر إلى الباطن ، ومن الباطن إلى باطن الباطن ، ومن باطن الباطن إلى ظاهر الباطن ، ومن المعدوم إلى الموجود ، فطريق المجذوبين مختلف على حسب ما يتجلى لهم من انوار الذات ومن الأفعال والصفات .

فالجذبة فعل الحق ، والسلوك فعل الخلق ، وأفعال الخلق مشوية بما يناقضها وينفسدها ، (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء) ...

أخذ عنه جماعة من الأصحاب والمريدين ما منهم الا ذو مشرب صوفي ، كعبد الله بن ابراهيم الخياط دفين جبل زرهون ، ومحمد الهبطي ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي ، ومحمد بن علي الشهير بالحاج الشطبي .

توفي احمد ابن يوسف في شهر صفر عام 931 (150) ويزعم كتاب مناقبه انه اوصى في حياته ان يحمل جثمانه على بغلة اذا مات ولا يدفن الا في المكان الذي تقف فيه البغلة ، فلما مات نفذ مريدوه وصيته وساروا خلف البغلة حتى وقفت بالمكان الذي يوجد به قبره الآن من مدينة مليانة فدفنوه به ، وبنى عليه التركُ ضريحاً ويقربه مسجداً تقديراً لتعاونه معهم عند انشاء حكمهم بالجزائر ، ورثاه عدد من مريديه بعد موته بقصائد طويلة مثلما مدحوه في حياته بمثلها ، ولم تثبت منها شيئاً في هذا الكتاب لانها قريبة من كلام العامة وخالية من اي رونق شعري ، كما الفت عنه كتب متعددة من اشهرها كتاب تلميذه محمد بن احمد بن علي الصباغ الراشدي المسمى بستان الازهار ، في مناقب زمزم الأخيار ، ومعدن الأنوار ، سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار (151) .

150) وفي كتب كثيرة انه توفي عام 927 او 929 واعتمدنا فيما ارخنا به وفاته على مرثيات تلامذته ومريديه التي ذكر فيها الشهر والسنون بحروف أبجد

151) الف سنة من الوفيات ص 288 والاعلام للزركلي 1 : 275 والاستقصا 5 : 50 وبستان الازهار (مخطوط الخزانة العامة بالرباط ع 243) ، والتعريف بنسب سيدي احمد ابن يوسف (مخطوطان في مجموعتين بالخزانة العامة بالرباط عدد 1457 و 1471 د) ، وتعريف الحلف برجال السلف 2 : 103 وجواهر السماط (نسخة خاصة) ص 13 و 29 ودرة الحجال 1 : 164 ع 190 ودوحة الناشر ص 16 و 83 و 124 ورحلة الوثيلاني (صفحات كثيرة) ، ومراة المحاسن ص 224 والمسلك الغريب (مخطوط الخزانة العامة بالرباط عدد 4776 و 5723 ومخطوط الخزانة العامة بمراكش عدد 223) وسلوة الأنفاس 2 : 11 ومساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16 و 17 (اطروحة لعبد الله نجمي - كلية الآداب بالرباط 1407 - 1986) ، وطبقات الحضكي 1 : 25

(1456) احمد بن علي الزقاق التجيبي ، فقيه "حافظ" من اهل فاس ، اخذ عن والده وغيره ، وكانت له معرفة "واسعة" بالفقه المالكي ، رحل وحج ولقي الناس ، وتولى الفتوى ببلده .

وصفه محمد المحبي في خلاصة الأثر بعالم بلاد المغرب ورئيس جهابذتها ، ووصفه محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس بالشيخ الامام الفقيه الحافظ المفتي المتفزن الخطيب الحاج الرحال الخير الدين الزاهد المتصوف البركة ، وقال انه كان عالما فاضلا مائلا الى طريقة التصوف يشنف الأسماع ويهذب الطباع .

شرح منظومة ابيه المسماة المنهج المنتخب ، في قواعد المذهب شرحاً رشيقاً بلغ فيه نحو نصفها ومات ولم يكمله ، وشرح بعض الرسالة والمدونة ومختصر خليل .

اخذ عنه جماعة من اهل فاس ، منهم ابن اخيه عبد الوهاب الزقاق ، وعبد الله الهبتي ، وعبد الرحمان سقين ، ومحمد بن احمد اليسيثني .

توفي عام 932 هـ وجعله المحبي في خلاصة الأثر واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين من اهل القرن الحادي عشر ، وذلك غلط (152) .

(1457) احمد بن علي ابن القاضي الغبريني ، عالم ديني وزعيم سياسي من المغرب الأوسط ، ينتمي الى قبيلة بني غبرين الشهيرة بمن انجبت من الفقهاء والعلماء ، ويقال انه من نسل القاضي احمد بن احمد الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية متقدم الترجمة (4 : 240 ع 1242) ،

(152) الف سنة من الوفيات ص 291 وجذوة الاقتباس ص 133 ع 71 ودرة الحجال : 1 : 93 ع 133 ودوحة الناشر ص 51 ع 35 وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة) ص 137 ومعجم المؤلفين 2 : 16 والموسوعة 3 : 117 ونيل الابتهاج ص 139 ع 138 وسلوة الانفاس 3 : 248 وشجرة النور الزكية 1 : 274 ع 1021 وهدية العارفين 1 : 155

ولد بقبيلته على ما يبدو ونشأ بمدينة بجاية وقرأ بها على اعلامها ، وولاه امراء بني حفص خطة القضاء بها ، وكان رجلا خيراً دينا سالكاً طريق السنة حتى قال الشيخ محمد الهبطي - فيما روى محمد ابن عسكر - ما رايت فيمن ادركت من المشايخ مَنْ كان على الجادة وجاء بالتربية النبوية على اصلها المعروف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الا رجلين : الشيخ سعيد بن عبد المنعم في حاحة (153) ، والشيخ احمد ابن القاضي بجبل زواوة .

ولما ظهر الاتراك في شواطئ المغرب الاوسط تخلى عن القضاء واسس عام 917 هـ (1511 م) بايعاز من سلطان تونس الحفصي امارة بجبل كوكو الواقع عند منابع وادي سباو وبالسفوح الشرقية لجبال جرجرة ، ابي على بعد 8 كلم شرقي عين الحمام ، واقره خير الدين بارباروس على حكمها سياسة منه في تلك السنوات التي كان الحكم التركي يتأسس فيها بالجزائر ، بل يُقال ان ابن القاضي هو الذي كاتب - مع سليم التومي شيخ مدينة الجزائر - الأتراك وحثهم على التحرك نحو الساحل الجزائري بعد ما احتلت اسبانيا بعض موانئه واخذت تستعد لاحتلال باقيها ، وكانت العلاقة طيبة بين الرجلين في الاول الى ان استمال السلطان الحفصي ابن القاضي وحرضه على معاداة الاتراك ومحاربتهم ، فنهض لقتالهم ، ولما لم يقدر منهم على شيء عاد الى مسالمتهم والتظاهر بمودتهم والتعاون معهم ، حتى اذا استعاد قوته انقلب عليهم مرة اخرى فحاربهم واستطاع ان يستولي على كثير من مدن جبال زواوة وقراها ، وعلى مدينة الجزائر نفسها ، ولما رأى خير

(153) حاحة قبيلة كبيرة باقليم الصويرة من المغرب الاقصا ، تقع مساكنها على الساحل الاطلسي ، قبائلها : ايذا وكرض ، وبني يسارة ، ونكنافة ، وزلطانة ، وايذا وزمزم ، وآية عيسى ، وآية عامر ، وايذا وبوزية ، وجلولة ، وايذا وكازو ، وتغومة ، وايمكراض ، ارضها جبلية واهلها اشداء ، وقد انجبت عبيدا من العلماء والصلحاء امثال الرحالة الشهير والناقد الكبير محمد العبدري الحياحي صاحب (الرحلة المغربية)

الدين التركي انه لا يستقيم له امر مع وجود ابن القاضي استعمل الحيلة في القضاء عليه فأرسل اليه من اغتاله بثنية بني عائشة ، وكان ذلك في عام 932 على احسن التقديرات (I54) .

(1458) احمد بن عمران السلاسي ، فقيه من اهل المغرب الأقصى اصله من قبيلة سلاس الكائنة مساكنها باقليم تاونات شمالي فاس ، اخذ عن الأستاذ محمد النيجي المعروف بالاستاذ الصغير ، وكان فقيها مشاركا .
توفي بفاس سنة 934 (I55) .

(1459) احمد بن محمد الحباك ، فقيه من اهل فاس ، روى عن سليمان بن بويغريين اليرناسني ومحمد ابن غازي العثماني ، وغيرهما ، وكان فقيها نحويا متفننا طيب الاخلاق قوالا بالحق مغيرا للمنكر لا يخاف في الله لومة لائم .

اخذ عنه رضوان الجنوي ومحمد بن عبد الله الدقاق وابو شامة ابن ابراهيم واجاز له ولغيره ، وعده المرابي في التحفة من اشياخه .

توفي بفاس مسموماً في محرم او صفر عام 938 سمه السلطان احمد الوطاسي بعد رجوعه من حركة الصلح الواقع بين الوطاسيين والسعديين (I56) .

(I54) تاريخ الجزائر العام 3 : 47 وتاريخ الجزائر في القديم والحديث 3 : 51
و دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر ص 147 ودرة الحجال 1 : 164 ع 188 ودوحة
الناشر ص 126 ع 125 ومحمد عثمان باشا ص 25 وصفحات من تاريخ مدينة الجزائر
ص 45 و 48 و 64 .

(I55) الاكليل والتاج ص 11 والف سنة من الوفيات ص 292 وجذوة الاقتباس
ص 157 ع 106 ودرة الحجال 1 : 94 ع 134 والموسوعة 3 : 116 وسلوة الانفاس 3 : 249
(I56) اتحاف اعلام الناس 1 : 316 وجذوة الاقتباس ص 133 ع 72 ودرة
الحجال 1 : 94 ع 135 وكفاية المحتاج ص 136 ونبيل الإبتهاج ص 139 ع 137
وسلوة الانفاس 3 : 249 وشجرة النور الزكية 1 : 277 ع 1039 وطبقات
الحضيكى 1 : 31

1460) احمد بن علي ابن داوود البلوي ، فقيه اندلسي متأخر ينتمي الى اسرة نبيهة انجبت عديداً من العلماء والأدباء ، واصل سلفيه من مدينة وادي آش ، بها ولد ونشأ واخذ مبادئ العلم ، ولا يُعرف تاريخ مولده بالتحديد ، لم يذكره هو في الثبوت ولا ذكره واحد ممن ترجموا به ، ويُقدّر انه كان في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع ، ثم انتقل مع أسرته الى سكنى غرناطة لما استدعي اليها والده لتولّي بعض المناصب الدينية الرفيعة التي منها في الاخير قضاء الجماعة ، ولا شك في انه كان في محل العناية والاهتمام من الشيوخ الذين كانوا يدرسون العلم بها من اهلها وممن انحازوا اليها من المدن الأندلسية الاخرى التي كانت في ذلك الوقت العصب تساقط كأوراق الخريف واحدة تلو الأخرى في ايدي النصارى ، ولما اخذ مصير غرناطة المأسوي يتراءى للعيان غادرها المترجم - صحبة ابيه واسرته - متعللاً على ما يظهر بالسفر الى مكة لأداء فريضة الحج ، ذهبوا اولاً الى المريّة ، ومنها توجهوا يوم الاحد 24 محرم عام 894 هـ الى ميناء المنكب برسم الجواز الى العدو المغربية ، ويظهر ان عبورهم كان الى مرسى هُنَيْن ، ميناء تلمسان الطبيعي الذي كان يربطها في ذلك الوقت بمدن البحر الأبيض المتوسط ، ويقع هذا الميناء في ساحل تلمسان غير بعيد عن مصب نهر تافنا من جهة الغرب ، وكان السلطان ابو الحسن المريني بناه في منتصف القرن الثامن الهجري وجهّزه وبنى فيه المباني الرفيعة التي لا تزال بقاياها ماثلة للعيان حتى الآن ، ومن هُنَيْن - على فرض نزول اسرة البلوي بها - ذهب الى تلمسان التي كانت تعاني يومئذ من تدهور سياسي خطير بسبب ضعف امرائها الزيانيين واختلافهم على الملك وان لم تكن تعاني من اي تدهور علمي لكثرة من كان بها من العلماء والأدباء يوم حلّ بها المترجم ، ممن ترجمنا ببعضهم في هذا الجزء والأجزاء السابقة وممن سنترجم بهم في الأجزاء اللاحقة ، فأقبل البلوي على مشيختها يداخلهم ويذاكرهم ويطلب منهم على الخصوص الاجازة له ولوالده واخيّه ،

واقام البلوي في تلمسان من شهر رجب عام 894 الى شهر ذي القعدة عام 896 وهي اطول مدة قضاها بمدينة في شمال افريقيا ، وبعد ما قضى منها ومنهم الوطرن خرج منها قاصداً مدينة وهران فوصلها يوم 12 ذي القعدة عام 896 فأقام بها شهراً ثم واصل سيره الى تونس فأقام بها مدة ، ثم سافر منها بصرأ متوجها الى القسطنطينية العظمى عاصمة الخلافة العثمانية الناشئة ، ولما كانوا في عرض البحر توفي والده علي يوم 5 رجب فتوقفوا بمرسى شمسة التركي حيث دفنوه يوم عاشره ، ثم تابعوا سيرهم حتى بلغوا القسطنطينية ، فأقام بها المترجم واسرته مدة طويلة ، ويظهر انه كان يسكن منها في الضاحية المسماة غلطة ، ان في هذه الضاحية الف بعض كتبه ، كشرحه للمقصيدة الخزرجية في علم العروض الذي فرغ من تحريره في شهر ربيع الأول من عام 808 هـ ، وبعد هذا التاريخ تنقطع اخبار البلوي المترجم ، وخيّل لبعض مترجميه المحدثين انه ربما يكون ذهب الى مكة للحج ، دون أن يجزم بعودته الى تركيا ، او بقائه بالحرمين مجاوراً .

اخذ بالأندلس عن علماء وفقهاء عديدين ، منهم والده علي بن احمد ، وعلي بن محمد القلصادي القرشي ، وعبد الله بن ابراهيم الزليجي الجابري ، ومحمد بن يوسف المواق ، ومحمد بن احمد الجعداله السلمي ، وفرج بن علي ابن فرج ، ومحمد بن احمد المشدالي الحضرمي ، ومحمد بن محمد الفخار اللخمي ، ومحمد بن محمد ابن منظور القيسي ، ومحمد بن محمد ابن بكرن الفهري المعروف بالقرعة ، واخذ بتلمسان عن محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي الكفيف ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ، وعبد الجبار بن احمد البرزوزي الفجيجي ، ومحمد بن احمد ابن سعد الانصاري ، واحمد بن محمد ابن زكري المغراوي ، ومحمد بن يوسف السنوسي ، ولقي بوهران علي بن عياد البكري الفيلاي ، واجازه محمد بن عبد الرحمان الحوضي ، ومحمد ابن غازي العثماني ، وآخرون من علماء فاس وفجيج وتلمسان .

وكان عالماً مبرزاً في الحديث والفقه والعربية ، اديباً شاعراً ذا عناية بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم والحصول على اجازاتهم ، لا يستنكف من اجلها ان يستجيز مَنْ هم اصغر منه سناً واقل علماً .

له تأليف ، منها شرحه لقصيدة في علم العروض تسمى الرامزة أو الخزرجية نسبة الى ناظمها عبد الله بن محمد الخزرجي الاندلسي ، توجدُ منها نسخة بخزانة دير الاسكوريال محفوظة تحت عدد 334 ، ومنها الكتابُ المسمى فرائد الفوائد ، في فنون غير واحد ، ذكره عبد الله حاجي خليفة في كشف الظنون واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ، ولا يعرف لوجوده مكان حتى الآن حسبما اطلعت عليه من المراجع والفهارس وهي كثيرة جداً ، ومنها قصيدة "عنوانها تحصيلُ المهْمُ الكافي ، من علمي العَروض والقوافي ، نظمها لأخيه ابي القاسم ، اولها :

باسم الذي ما من عروض الا من جوده فيها بحور" تمثلاً

توجدُ منها نسخة" محفوظة" بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 4103 . ولكن اهم ما وصلنا من كتبه هو الثُبُت الذي عرف فيه بالمشيوخ الذين اخذ عنهم ، وذكر فيه مروياته عنهم واجازاتهم له ولأبيه علي واخويه محمد وأبي القاسم ، وقد كان هذا الثبُتُ محفوظاً - ولا يزال - بخزانة دير الاسكوريال تحت عدد 1725 غميساً لا يهتمُ به احد حتى ظهرت اهمية ما فيه من المعلومات التاريخية والعلمية ، فتسابق الباحثون من عرب ومستعربين الى نسخه وتصويره والتنبية الى اهمية محتواه ، ثم قام الدكتور عبد الله العمراني بتحقيقه وتقديمه والتعليق عليه ، وطبعته له دار الغرب الاسلامي ببيروت عام 1403 - 1983 في 584 صفحة عدى صفحات التقديم المكتوب باللغة الاسبانية ، ويعتبر هذا الأثر وأثار البلوي الأخرى من آخر ما كتبه علماء الاندلس المتأخرون ان لم يكن آخرها على الاطلاق .

ونثبت فيما يلي وثيقتين نتعرف منهما على شعره ونثره ، اولاهما اجازة' محمد بن عبد الرحمان الحوضي التلمساني له ، وفيها ابيات خاطبه بها احمد' البلوي المترجم' في طلب الاجازة والتزم فيها ما لا يلزم ، والثانية' الرسالة' التي طلبَ بها الاجازةَ من عالم المغرب محمد ابن غازي العثماني وعلماء فاس .

اما اجازة الحوضي فهذا نصها ننقله من الثبوت :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

يقول عبيد' الله سبحانه ، الراجي عفوه وغفرانه ، محمد بن عبيد الرحمان الحوضي ، غفر الله' ذنوبه ، وسترَ عيوبه .

ادامَ الله' جلاله السيدَ الفقيه ، الوجيهِ النبيه ، اللبيب الأديب الأريب ، المحقق المدقق ، المتمكن ، المؤلف العالم العلم الصدر الأوحد الكاتب الأبرع الأفصح ، البليغ الشاعر المفلق ، المنشئ المتبحر ، الكامل الفاضل ، ابي العباس احمد بن سيدي علي ابن داوود ، ابقى الله وجوده ، ورقى في المعالي صعوده ، وبلغه من خير الدارين امله ومقصوده .

سلام' عليكم' ورحمة' الله تعالى وبركاته .

وبعد أيها السيد ، فقد بلغني كتابك العزيز ، المبرز في البلاغة والمودة اي تبريز ، وعلمت مقتضاه ، وفهمت فحواه ، وانت تطلب الشيء من غير محله ، وتسال مني ما لست من اهله ، واستسئمتَ ذا ورم ، وطلبتَ افعالَ الشباب ممن بلغ الهرم ، فلولا صدق' المودة ما اجبت' الدعاء ، ولولا الوعيد' في كتمان العلم ما تلقيت' بالقبول ذلك الاستدعاء ، لكن ما لكم علينا من الحق' الواجب ، اوجب علينا لكم الطاعة ، وبذل المجهود قدرَ الاستطاعة .

وحين قرأت كتابكم ، وسمعت خطابكم ، وما احتوى عليه من الأبيات ، الغريبة النزعات ، وهي :

يا مُجيداً في كلِّ فنٍّ مَجيداً
واماماً في كلِّ علمٍ هماماً
مستفيدٌ منكم اتاكم يرجئني
ليس اهلاً لأنَّ يجازَ ولكن
انَّ يكنَّ من حقيقة العلم خلوا
فأخيزوه ، او اجيروه مما
ليس شأوً في الفضل الا وحازه
بلغ الحدَّ في الكمال وجازه
من علاكم انَّ تسمحوا بالاجازة
كم هجين نورُ الشيوخ اجازه
حاز بالحبِّ من ذويه مجازه
قد طلبتم على يديه نِجازه

فلبَّيتُ دعوتها ، وعظمتُ حرمتها ، وقلت على استعجال ، وما انسا
عليه من عظيم شغل البال :

يا وحيداً في عصره ومفيداً
وله في العلوم اوفر حظ
جاءني كتبتك العزيز مَحلاً
فتقاعستُ انَّ اجيبَ لأنسي
ثم اكدتُ ما لكم من حقوق
فتسارعتُ للجوابِ مطيعاً
ولكم قد اذنتُ في كل ما قد
من تاليفٍ او قريض ونثر
وكذا ما اخذته عن شيوخني
وهو سبحانه يقي الكلَّ منا
ثم نرجوه في الثبات ختاماً
وعلى سيّد الأنسام صلاةً

اعطيَ السبقَ في العلافاستجازه
وهو قد صار في الكمال طرازه
مقتضاه اتحافتكم بالاجازه
لا اراني اخوضُ تلك المغازه
فهو ادعا لدفع كل حرازه
في مقامٍ قد اوجبوا احرازه
صحَّ عني وشئتُم ابرازه
وعلى الشرطِ في السبيل المجازه
اتحفَ الله جمعهم - باجازه
كلَّ ضيرٍ وما نخاف اعوزازه
وسؤالاً وقي الصراط جوازه
وسلامٌ يُسهلان مجازه

هذا ما سمح به خاطر ، وسنح به الفكر القاصر ، فليقبله مجدكم
الظاهر ، وليسامحه جلالكم الظاهر ، والله عز وجل نسأله ان يُيسر

امرنا وامركم ، ويجمل شكركم ، ويتحفكم في جميع الطرق بالستر الحصين ،
انه سميع قريب قوي معين ، والله الله ! لا تقطعُ عنا كتبكم ، والتعريف
بأحوالكم ، حيث استقرَّ بكم المنزل ، فنحن نقشوف الى ما يرد علينا من
قبلكم ، بتعريف احوالكم ، اجراها الله طوع آمالكم .

والسلامُ الكريمُ يخصُّ سيادتكم الفضلى ، وربتكم العليا ،
ورحمة الله تعالى وبركاته .

ويُسلم عليكم كاتبه بأتم السلام ، والتحية والاكرام ، نيابةً عن
والده : محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحوزي ، لطف الله بالجبيح
بمنته وكرمه .

وكتبتَ عن عجل صبيحة يوم الأحد ثاني عشر ذي حجة متمم
عام (6 مح و) ستة وتسعين وثمانمئة ، عرفنا الله خيره بمنته وكسرمه
وجوده ، لا رب غيره .

واما الرسالة التي طلب بها الاجازة من الشيخ محمد ابن غازي
العثماني وعلماء فاس فهي التالية :

الحمدُ لله الذي نزل أحسنَ الحديث ، ورفع درجاتِ حماة السنّة
من رواة الحديث ، وجعلَ اجتماعهم في القديم ، للذب عن حوزة الدين
القوم ، رحمةً في الحديث ، فلولا ذلك لامّحت منه الرسوم ، والتحقّق
الموجود بالمفقود والمعلوم بالمعدوم ، ولما امتازَ الطيب من الخبيث ،
ولا العروة الوثقى من السبب الواهي الرثيث ، وعلا من تحصل وتأصل ،
بوساطة التلقّي عنه لما أجمل من ذلك وفصل ، هذا الفصل الأثيل الأثيث ،
وثبتت لأهليها هذه الرفعة الشامخة ، بما أورثهم من علومه الحجة
الراسخة ، وناهيك شرفاً بهذه الرفعة وذلك التوريث .

صلاة (I57) تفعم الجو أرجا ، وتسليماً يتوالى حججاً ، ما تحمل من أمثلٍ لثمّ ترايه ، في جنب اللجا الى جنبه ، السفر الشاقّ والسيّر الحثيث ، وعلى آله نجوم الاقتداء ، وخلفائه الأربعة الشهداء ، وكافة جنده وحزبه ، الذين خاضوا في مرضاته ومرضاة ربه ، غبرات اليوم الكريه ، وغمرات الهول الكريث ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

هذا ، وان شرف هذه الأمة في القديم والحديث ، باتصال سلسلة سندها بنبيّها ، وشغف هذه اللمّة من اهل الحديث ، بالارتسام في أدنا درجات خير القرون قرني لا في دنياها ، حملهم على ان هجروا الملذوذات والشهوات ، واعملوا حروف اليعملات في فيافي الفلوات ، فسارت تفري فراها فري الأديم ، وطارَتْ في تأويبها وسراها تباري الريح العقيم ، تسائل كلّ مَنْ تلقى ، لعلها تلقى سلسلة عالية تتصلّ بالعروة الوثقى ، ثقة بضمان نبيها صلى الله عليه وسلم الجنة ، لمن روى حديثاً تقام به سنة ، ثم جئنا نحن على الأثر ، نتعلل بالوقوف على رسمٍ قد درس ودر ، ونودّ الاقتفاء لسبيلهم ، والاقتداء بدليلهم ، لو ساعدنا أو ساعف القسدر ، وتصدنا عن الرحلة كما ارتحلوا ، واعمال عوامل النقلة كما عملوا ، أوطان وأوطار ، ومخاوف وأخطار ، ومسالك لا تخطر السلامة فيها على الببال الا بالأخطار ، فنقنع بالمحبة في طريقهم ، والاتسام بسمّة فريقهم .

ولربما يكفي المحبّ تعللاً آثارهم ، ويعدّ ذلك غنيمة

ولن حاله هذه ، سوغ الأئمة رضي الله تعالى عنهم الاجازة بالكتابة ، واستحبوا لمن طُلب ذلك منه من اعلام الملة الاجابة ، لملا تزال السلسلة متصلة ، والفضيلة التي خصّ الله تعالى بها هذه الملة الشريفة

(I57) سقط من الثبوت ومن فهرسة ابن غازي الجملة التي فيها الصلاة والسلام على النبي (ص)

محفوظة على الدوام متحصلة ، ولذلك ما ترغب ' ممن يقف ' على هذا المكتوب من السادة الأعلام ، القادة أئمة الاسلام ، من اهل مدينة فاس ، امّنتها الله تعالى وأبقى بركاتهم ، ونفع بهم ونفع بصلاح دعواتهم ، أن يمنثوا باسعاف رغبة من يتسمى آخره في الاجازة العامة ، المطلقة التامة ، لهم في جميع رواياتهم ومروياتهم ، ومرتجلاتهم ومنقولاتهم ومقولاتهم ، وجملة ما يحملونه عن شيوخهم الجلّة الأعلام من العلوم ، وتصانيفها على اختلاف صنوفها من منثورٍ ومنظوم ، وسائر ما يصحّ اسناده اليهم ، او تتوقف الرواية فيه عليهم ، من كل ما ينطلق عليه اسم مروى من مقروء ومسموع ومتناول ومجاز بأي انواع الاجازة كان ، منعمين مع ذلك بالافادة بالتحريف بأشياخهم ، وشيء من عوالي مروياتهم ، وغرائب ما تأدى اليهم ، لتحصل الفائدة المطلوبة ، وتتمّ المنّة والمرغوبة ، ومتبعين ذلك بذكر موالدهم ، والرفع في انسابهم ، ومستوفين لأسماء تأليفهم نظماً ونثراً ، ومصنفاتهم في أي فن كانت ، لتقع الاجازة في جميع ذلك على التعيين ، ويشمل عمومها ما شذّ عنها على طريقة الأعلام المتقدمين ، أمثالهم ، وعلى طريقتهم المثلى من التلطف بالاجازة حالة الكتب ، والتفضل بكتب خطوطهم بأيديهم لتحصل البركة ، وتتمّ الفائدة .

والله سبحانه يمتع بحياتهم الاسلام والمسلمين ، ويرفع ذكرهم في العلماء العاملين .

والسلام الكريم يعتمد جلالهم العلمي العملي من الطالبين المذكورين ، ملتسمي بركتهم شيخنا الأستاذ المقرئ الخطيب أبي عبد الله محمد بن أبي الطاهر الفهري ، وسيدنا الامام الخطيب ابي العباس احمد بن شيخنا وبركتنا الامام الكبير الخطيب أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأستاذ المقرئ أبي عبد الله محمد الأنصاري الزعروري ، وأبنائهم الموجودين الآن ، وقراباتهم ، وملتسم بركتهم كاتب هذا احمد بن علي بن احمد بن داود البلوي ، واخوينه محمد وأبي القاسم ، ومن كانت فيه اهلية من بني عمه وقراباته الموجودين الآن .

وكتب ليلة يوم الأحد لأربع عشر خلعت من ذي حجة متم عام أربعة وتسعين وثمانمئة عرف الله تعالى بركته .

توفي عام 938 هـ ذكر ذلك محقق ثبتته الأستاذ عبد الله العمراني وقال انه يعرف ذلك التاريخ على وجه التدقيق ، اما صاحبنا كشف الظنون وهدية العارفين فنذكر ان وفاته كانت في حدود عام 930 (158)

1461) احمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي ، عالم مغربي هاجر الى مصر واستقر بها حتى عد من اهلها ونسب اليها . ذكر اسماعيل باشا البغدادي انه الف في الرياضيات كتابا سماه جواهر السلك .

توفي عام 940 هـ ولم اقف من اخباره على اكثر من هذا (159) .

1462) احمد بن عمر أقيت التكروري ، فقيه من اهل السودان المغربي (جمهورية مالي) ، ولد بتنكتو في نحو عام 862 هـ واخذ عن فقهاء بلده وعلماء ولاتة ، وحج عام 890 ولفي في رحلته للحج عدداً من علماء المشرق كعبد الرحمان السيوطي وخالد الازهري ، ولما عاد الى بلده جلس للتدريس وعرضت عليه الامامة فأعرض عنها وعن سواها .

وكان فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً خيراً فاضلاً محافظاً على السنة ، شديد المحبة لرسول الله (ص) ملازماً لقراءة قصائد مدحه ولشفاء القاضي عياض ، كتب بخطه دواوين كثيرة وجمع فرائد عديدة .

158) الباحث (مجلة مغربية) ع 3 ص 164 والتعلل برسوم الاسناد (فهرسة ابن غازي) ص 29 و 32 وتوشيح الديباج ص 54 ع 19 والثبت (الكتاب كله) وكفاية المحتاج ص 136 وكشف الظنون ص 243 ومعجم المؤلفين I : 316 ونيل الابتهاج ص 138 وشجرة النور الزكية I : 273 ع 1016 وهدية العارفين ص 140

159) هدية العارفين ص 142

أخذ عنه جماعة من أهل بلده ، منهم أخوه القاضي محمود آتسي
الترجمة .

توفي بتبنتكو في شهر ربيع الثاني عام 942 هـ وهو جدٌ سميّه أحمد
بابا التبنتكي السوداني مؤلف فيل الإبتهاج (160)

(1463) أحمد بن عبد الواحد الشبيبه الجوطي الإدريسي ، فقيهه
صوفي من أهل مكناس ، يلقب ' بالشبيبه ، زعموا انه كان بين كتفيه خاتمٌ
يشبه الخاتم الذي كان بين كتفي رسول الله (ص) ، واليه نسبة الشرفاء
الإدراسة الشبيبهيين بفاس ومكناس وزرهون وغيرها (161) ولد في أواخر
المئة الهجرية التاسعة ، وأخذ العلم والتصوف عن شيوخ كثيرين ، منهم
محمد بن عبد الرحيم ابن يجيش التازي ، وعبد الله الغزواني ، ومحمد
الزيتوني دفين مدينة المسيلة وعبد العزيز القسنطيني .

وكان فقيهاً نبيلاً محترماً من الناس قادري الطريقة ، اشتهر بنسبه
ونسكه أكثر من اشتهاره بفقعه وعلمه ، وعظمته الخاصة والعامة لأجل ذلك .
وأخذ عنه كثير من متصوفة وقته .

مات بمكناس عام 943 هـ ودفن بروضه سيدي عمرو الحصيني
خارج باب عيسي ، وقبره بها غير معروف الآن (162)

(160) تعريف الخلف 2 : 67 وكفاية المحتاج ص 135 (نسخة مرقونة) ،
وفيل الإبتهاج ص 137 ع 135 وشجرة النور الزكية 1 : 278 ع 1042 وفتح الشكور
ص 27 ع 1 وفيه ان وفاته كانت عام 943 هـ ، واعتمدنا ما في فيل الإبتهاج لأن مؤلفه
حفيده .

(161) فيما يلي عمود نسبه : أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن ابي
غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن
عبد الرحمان بن محمد بن حمود بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى
بن القاسم بن ادريس الأزهر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى
بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

(162) اتحاف اعلام الناس 1 : 317 والاكليل والتاج ص 12 والدرر البهية
15 : 16 - 17 وإبتهاج القلوب ص 46 - 53 (مخطوطة الخزانة الحسينية عدد 2627) .

(1464) احمد بن محمد ابن غازي العثماني ، فقيه من اهل فاس ،
واصل اسرته من مكناس ، اخذ عن والده الامام محمد بن احمد واجازه ،
وعن عبد العزيز بن عمر ابن فهد واجازه كما اجازه عثمان بن محمد الديمي
المصري (163) ومحمد بن محمد بن احمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني .
وكان فقيهاً عالماً واعية مشاركا ، حلاه ابن فهد في اجازته لسه
بالشيخ الامام العالم الاوحد ، العلامة الأجد .

وفيما يلي نص اجازة والده له ولاخيه محمد وعدد من علماء الوقت
وفقائه منقولة من خطه :

« اجزت لولدي احمد ومحمد ، وللفقيه ابي محمد عبد الواحد
نجل العالم المطلق ابي جعفر احمد بن يحيى الوئشريسي ، وللفقيه ابي
الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري ، وللفقهاء الاخوة الجيلة ابي
عبد الله محمد وابي زيد عبد الرحمان وابي القاسم وابي العباس احمد اولاد
الفقيه المحصل ابي عبد الله محمد ابن ابراهيم الدكالي ، وللفقيه ابي عبد
الله محمد بن عبد الواحد الغزال ، جميعاً ما اشتملت عليه فهرستي هذه
وذيلها ، اجازة تامّة ، مطلقة عامة ، بشروطها .

قاله وكتبه العبد الفقير المستغفر ، محمد بن احمد بن محمد ابن
غازي العثماني ، سمح الله تعالى له بمنته ، والحمد لله وكفى ، وسلام على
عباده الذين اصطفى .

توفي عام 943 هـ وجدت هذا التاريخ في مجديتي وذهلت عن المرجع
الذي نقلته منه ، وهو ايضاً التاريخ الذي توفي فيه اخوه محمد غازي (164).

1465) احمد الكبير الأندلسي ، وجيهه من اهل الاندلس ولد بها في حدود عام 881 وهاجر منها صغيراً الى الساحل الجزائري لما ستطت في ايدي النصارى ، فنزل مع مهاجرين آخرين بسهل متيجة الواقع خلف مدينة الجزائر وتزوج امراة اسمها حنة من اولاد سلطان بطن من قبيلة بني خليل الذين كانوا يعمرن ذلك السهل ، واقبل مع الاندلسيين المهاجرين على غرس الاشجار وزراعة الحبوب وتنظيم الري فكثرت المباني حول منزله فكانت النواة الأولى لظهور مدينة البليدة الحالية ، وكانت علاقته طيبة بالترك الحكام الجدد لولاية الجزائر ، ويقال ان خير الدين بارباروس زاره في منزله لما استدعاه السلطان العثماني ليتولى القيادة العليا للأسطول التركي وبني له مسجداً وحماماً وفرناً .

وعاش المترجم في اواخر ايامه مقبلاً على العبادة بزواية انشاها بسفح جبل بني صالح معظماً محترماً من السكان الى ان وافاه اجله عام 947 هـ (165)

1466) احمد بن موسى الإدريسي ، فقيه من بادية تلمسان ، كان يسكن في مديشر بني ادريس من جبل بني ورنيد الواقع خلفها ، اخذ عن الفقيه احمد بن الحاج الينبدرى متقدم الترجمة (5 : 26 ع 1453) ، كان يدرس الفقه والتوحيد والأراجيز والكتب المؤلفة في رسم القرآن وتجويده .
توفي بعد عام 950 (166) .

1467) احمد بن محمد ابن جيدة المديوني ، من فقهاء مدينة وهران بالجزائر ، اخذ عن محمد بن يوسف السنوسي ، ومحمد ابن ابي جمعة الوهراني ومحمد ابن مرزوق العجيسي الكفيف وهو الذي كان يطالع له ، وانتقل الى فاس فحضر كثيراً عند من ادرك من علمائها .

(165) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ص 266

(166) البستان ص 26 وتعريف الخلف 2 : 101

وكان فقيهاً صالحاً من اهل الفضل والدين والعلم المتين ، درس
العمدة والرسالة بجامع القرويين بكرسي الامام ابن غازي ، وليه بعد وفاة
محمد الغزال تلميذ ابن غازي المذكور .

اخذ عنه عبد الرحمان بن محمد الخباز القصري واحمد المنجور
وذكره في فهرسته .

مات بفاس في شهر رجب عام 951 (167)

1468) احمد بن ابراهيم الجرفطي ، فقيه مغربي اصله من قبيلة بني
جرفط (168) القريبة من تطوان ، كان فقيهاً صدرأ مهيباً ، درس الفقه والحديث
والتفسير ، وتولّى الفتوى بمدينة القصر الكبير ، وكان زعماء القبائل
يعظمونه ويضاهون بفتاويه فتاوي فقهاء فاس .

حضر محمد ابن عسكر الشفشاوني دروسه مرات عديدة ، وذكره
في دوحة الناشر .

مات بمدينة القصر الكبير في حدود عام 953 ودفن بمقبرة الشيخ
علي بن غالب القرشي خارج باب سبتة (169)

167) البستان ص 52 والتحفة المرضية ص 69 وتعريف الخلف 2 : 42 و 81
وجذوة الاقتباس ص 158 ع 107 ودررة الحجال 2 : 205 ع 145 ودوحة الناشر ص 136
ع 244 وطبقات الحضيكي 1 : 38 ولقط الفرائد ص 298 وكفاية المحتاج ص 137 ومجلة
البحث العلمي 6 : 47 ومعجم اعلام الجزائر ص 347 ع 114 ونيل الابتهاج ص 140 ع
140 وفهرسة المنجور ص 17 و 74 وسلوة الانفاس 3 249 وشجرة النور الزكية
1 : 278 ع 2045 وابتهاج القلوب ص 198 (فيه وفاته عام 955 هـ)

168) بني جرفط قبيلة باقليم العرائش تشتمل على البطون التالية : بوهاني
والخطوط والكيفان والصخرة وشفراوش .

169) الاكليل والتاج ص 12 ودوحة الناشر ص 39 ع 23 والمناهل (مجلة
مغربية) 1 : 48 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 427 .

(1469) احمد بن علي ابن القاضي المكناسي ، فقيه مغربي من اسرة بني ابي العافية المكناسيين ، اخذ عن محمد ابن غازي ، وولّى خطة القضاء بمكناس ، وكان متبحراً في الفقه نزيهاً من اعدل قضاة زمانه .

مات بفاس عام 955 ودفن بازاء شيخه ابن غازي بمقبرة بساب الحمراء (170)

(1470) احمد بن عيسى ، اديب من اهل المغرب الأقصى .

توفي عام 955 وهو والد الكاتب الاديب محمد بن احمد بن عيسى كاتب السلطان احمد المنصور السعدي ، وانما ذكرته والذي بعده للتذكير فقط ، املا في ان تظهرنا الأيام على شيء من اخبارهما وآثارهما (171)

(1471) احمد بن محمد بن ميمون المسطاسي ، فقيه من اسرة فاضلة بمدينة مكناس اصلها من قبيلة مسطاسة (172) ، ولي القضاء ببلده ، وكان عارفاً بالفقه وجيهاً نزيهاً .

لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حيا عام 955 (173)

(1472) احمد بن عبد الرحمان المسكدادي الزركيني ، فقيه من المغرب الأقصى ينتمي الى اسرة شريفة بناحية سوس يرجع نسبها الى عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ، اشتهر بالنسبة الى عشيرة مسكدادة (ايمسكدادن بلهجة سوس) من قبيلة ايسي ، والى قرية بها تسمى تيزكين .

(170) اتحاف اعلام الناس 2 : 318 وجذوة الاقتباس ص 158 ع 108 ودرة الحجال 1 : 106 ع 147 ولقط الفرائد ص 301 والمغرب العربي في العصر الوسيط ص 213 وسلوة الانفاس 2 : 77

(171) درة الحجال 1 : 106 ع 146

(172) مسطاسة قبيلة صغيرة باقليم الحسيمة ، اهم مداشرها المسزوري (أمزور) وتزايرت وتاغزوت وكركر ومسطاسة .

(173) اتحاف اعلام الناس 1 : 318

ولد تقديراً قبل عام 880 و أخذ مبادئ الفقه والعلم عن علماء سوس كالحسن بن عثمان التلمي صهره ، وارتحل الى فاس فأخذَ بها عن شيوخ جلة كاحمد الونشريسي التلمساني ومحمد ابن غازي العثماني المكناسي ويحيى بن مخلوف السوسي ومحمد بن احمد ابن مجبر المستاري ، ثم عاد الى بلده بفقهِ كبير وعلم غزير ، فتصدى للاقراء والتدريس والتفّ حولهُ الطلبة وشاعَ ذكره وعرفَ فضله ، وصارَ اعيانُ تلك الناحية والنواحي المجاورة يستقدمونه الى قراهم لينشر العلم فيها ، ومنهم اهل اقا (174) الذين اجابهم حين استدعوه ليجيبوا الى بلدتهم بقوله : تَبِنُّنَا خَيْرٌ مِنْ تَبِنِّكُمْ ، وَمَنْ ارَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ ، وَلْيَطْلُبْهُ فِي مَحَلِّهِ ، فِي دَارِهِ يُؤْتَى الْحَكْمَ !

وكان فقيهاً عالمًا عاملاً متفنبًا حافظًا تقيًا ورعاً شديداً على اهل البدع قولاً للحق لا يخشى في قوله لومةً لائمٍ او بطش حاكم ، وفد على السلطان محمد الشيخ السعدي ، ويروي ان هذا السلطان قال عنه وعمن كان يفدُ عليه من الفقهاء والمتصوفة : ان سيدي احمد بن عبد الرحمان يخافُ الله ولا يخافنا ، وسيدي محمد بن ابراهيم كان يخافنا ويخافُ الله ، وفلان - لأحد مرابطي سوس - لا يخافُ اللهَ ويخافنا .

أخذ عنه طلبة كثيرون ، منهم ابنه عبد الله بن احمد ، واحمد بن داوود المانوزي وعبد المومن السكتاني واحمد بن حسين بن يحيى التلمي .

وله آثار علمية ، منها منظومة في العقائد ، وتأليف لطيف في مسائل من التصوف سألها عنها الشيخ احمد بن موسى السملالي أقاد فيه واجاد ، توجد منه نسخة "مخطوطة" بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحتَ نمرة 2079 د ، وعدد من الرسائل والفتاوي الفقهية .

(174) اقا : اسم قرية وواحة كبيرة جميلة بجنوب المغرب تقع بين فم الحصن وطاطة ، تنتج تمرا حلوا من النوع المسمى بوسكري ، وفواكه لذيذة متوسطة الحجم كالتين والعنب والرمان والخوخ واللوز والسفرجل ، وهي مقر دائرة ادارية باقليم طاطة ، وتبعد عنها 70 كلم من جهة الجنوب الغربي .

ونثبتُ فيما يلي - من هذه الآثار - الرسالة التي كتبها لسعيد بن عبد النعيم الحاحي آتي الترجمة ، ونصّها بعد البسمة والصلاة :

« من الفقير الى الله بالذات ، المعتمد عليه بفضلِه في جميع الحالات ، كانت الأحرف ، عبّيد الله تعالى : احمد بن عبد الرحمان ، تابَ اللهُ عليه ووفّقَه لما يحبّه ويرضاه .

الى سيدي ابي عثمان ، سيدي سعيد بن عبد النعيم ، انعم اللهُ علينا وعليه باتّباع نبيّنا محمد صلى اللهُ عليه وسلم في الحركاتِ والسكناتِ ، والكلماتِ والاراداتِ ، وسلمنا من اتّباع الهوى والتحلّي بالصفاتِ المُهلكاتِ ، واسعدنا وايّاه باقتفاء سنن السلف الصالح والسعي فيما يُرضيهِ عنا وعن الآباءِ والذريةِ والأحبةِ والأمهاتِ .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله .

ويعدُ ففدُ بلغنا عنكم سيدي امرٌ تكادُ قلوبنا عند ذكره تطير من قَفَصِ الأبدانِ ، وغشيبنا عند سماعه واستنشاقِ روائحه منكم منقُصٌ وان ضحكِ منا اللسان ، وذلك انه بلغنا عنكم انكم عازمون على مخالفةِ الشرعِ العزيز ، وعلى الرمي بأديانكم وابدانكم وارواحكم وعقولكم واولادكم واموالكم واحبابكم واتّباعكم وازواجكم في بحور الهوى والردى ولا سفينة ، وعلى التورط في مهواة الذنوب ، تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة ، وذلك طلبُ الملك والولاية ، ومنازعة ارباب الدولة بالقتل والمشاتمة ، هاه هاه هاه ، كلالا ، كلالا ، كلالا ، اين عقولكم الراجعة ؟ اين علومكم الراسخة ؟ اين بصائرکم الثاقبة ؟ اين عهودكم للسادة السالفة ؟ انتهوا خيرٌ لكم ، انتهوا خير لكم ، واني لكم والله من الناصحين ، اللهم يا الله يا الله ، يارحمانُ يارحيم ، انا قد استغثنا اليك بعروسِ مملكتك الذي هوَ سيّدُ خلقك ، نبيّنا محمد صلّى اللهُ عليه وسلم ، واخوانه المرسلين ، والانبياءِ والصالحين ، وبالملائكة المقربين ، أن تفضلَ علينا بالعافيةِ التي علمتْ

انها عافية" لنا في ديننا ودياننا واخرانا ، واجبو سفيحة المسلمين ياذا
الجلال والاکرام ، يارب العالمين .

وتذكروا وفقنا الله واياكم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :
انكم ستحرصون على الامارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، انها نعمت
المرضعة وبثت الفاطمة ، فأي خير في خصلة شهيد الشاهد المصدق
ان عاقبتها خسران" منبين" وندامة" طويلة ؟ فليله در الامام ابي العباس
احمد بن عبد الله الجزائري حيث قال في هذا المعنى في قصيدته :

دع الرياسة لا تسلك مسالكها اما الولاية فالبلوى لذي وجل

قال الشيخ الجليل سيدي محمد بن يوسف في شرحه لهذا الكلام
بعد كلام بلينغ في ذم الرياسة والولاية : مراده التحذير من الرياسة في
هذه الازمنة الفاسدة ، فانه على تقدير ان تكون نية الرئيس فيها سالحة ،
فلا ثبات لها ، ولا يجد معيها عليها ، فهو بتنكيس على وجهه في اول يوم
من ولايته ، فالأحمق اليوم من سولت له نفسه الامارة واوهمته ان
ان مصلحة دينية في شيء من ضروب الرياسة ، وقد ذهب زمان ذلك ،
وانقضى سبيله فلا مطمع فيها الآن ، ... فما بالكم ايها السيد ؟ (اتسقبلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير) ؟ فما مثلكم عندي فيما انتم فيه إلا كمثلي
من تاهب أن يخوض بحور السموم وأوديتها ، ليبحت فيها عن حجنر
الياقوت فيقال له أيها المسكين ان السم الذي تخوض فيه لا ينجي ولا يذر ،
يهلك اول وهلة هلاكاً تاماً ابدياً ، قبل الظفر بالمامل من حجر
الياقوت ، فلا تعدل بالسلامة شيئاً ، ولا يغرنكم سيدي ما رسم في دقات
المعتنين بعلوم الحدثان ، فجله افك" وزور ، فالسعيد ابن السعيد من
اتعظ بغيره ، والأحمق الشقي من وعظ به غيره ، واحرى من ذلك
الهواتف التي تهتف بالانسان في نومه او يقظته ، فلا تسكنوا اليها ، وان
كان سامعها منكم يزعم انه سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام ، ان لا يجوز التدخين بها حتى تعرض على الشريعة المحمدية ،

فان وافقتها فالرؤيا حق ، وان خالفتها فالرؤيا (باطل) ، والمسموع وسوسة من الشيطان او من النفس ، لأنهما يوسوسان في حال اليقظة فكيف في حال النوم ؟ لأن العصمة من تلبس الشيطان انما ضمنت في رؤيا صورته الكريمة عليه السلام ليس الا ، حسبما بين ذلك القاضي عياض رضي الله عنه في الاكمال وغيره ، وقال سيدي ابو زكرياء يحيى النوري رضي الله عنه في كتاب الاسماء واللغات له في اثناء الكلام على خصائصه عليه السلام : ومنه ان من رآه في المنام فقد رآه حقاً ، فان الشيطان لا يتمثل في صورته ، ولكن لا يعمل بما سمع الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام ، خلاف ما استقر في الشرع ، لعدم ضبط الرائي لا الشك في الرؤيا ، لأن الخبر لا ينقل الا من ضابط مكلف ، والنائم بخلافه ، انتهى كلام النووي رحمه الله ، وما ذكره كله انما هو اذا عملنا على رأي الاكثرين من ان صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام لا يتمثل بها الشيطان ، واما ان اعتبرنا ما ذكره القرافي في الذخيرة من ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم لا تصح قطعاً الا لرجلين : صحابي او حافظ لصفته حفظاً يحصل له من السماع ما يحصل للرائي له عليه الصلاة والسلام من الرؤيا ، حتى لا يلتبس عليه مثاله ، فرؤياه صلى الله عليه وسلم عزيزة الوجود ، فسبحان الله !

كنت اخبرتني ياسيدي قبل هذا انك هممت ان ترمي بنفسك من سطح دارك حين نسب اليك هذا الأمر ، والآن عزمت على ما عزمت عليه ، (انا لله وانا اليه راجعون) ، اللهم الهمنا رشد انفسنا ، ياذا الطول والامتنان ، ولعل هذه الحالة اتتكم من المشاورة مع من اتخذ الاهـه هواه ، فتدبروا قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تلتبع اهواء الذين لا يعلمون) ، مع قوله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) الآية (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً ان كنتم مومنين) ، بل عليكم ياسيدي بالكتاب والسنة ، فهذا امام الطريقة ، جامع الشريعة والحقيقة ، سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال :

ضمن لك العصمة في جانب الكتابِ والسنة ، ولم يضمنها لك في الكشف والالهام .

ولقد كان ذلك ياسيدي في شيخك سيدي عبد العزيز وسيدي محمد بن سليمان اسوةً حسنة ، فاسلك سبيلهم تسلم ، وتنبه من سنّةِ المخالفة للسنّةِ في اشياءَ كثيرٍ عددها تامرٌ بها اتباعك ولم يقم عليها دليلٌ من كتاب ولا سنة ، فيتنازعون مع مَنْ لم يوافقهم عليها ، كلباس السواد في حال الامامة ، فترى الواحد منهم لا يصلّي خلفه ولو اتّصف بالعلم والامامة ، فكيف وقد ثبتَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لبسَه في الخطبةِ يومَ الجمعة ، ولبسَ ايضاً حلةَ حمراءَ فما رئيَ في احسنَ منها صلى الله عليه وسلم ، وشرفَ وكرم ، والعجبُ كلُّ العجبِ ممّن يقدرُ ان يقولَ لمشيءٍ هذا حرامٌ وليسَ عليه دليل الا مجردَ التحسين والتقيح ، فتوبوا من ذلكم ، انّ هوَ الذي خربَ دينَ النصارى ، ولقد صدقَ مَنْ قال : لو كانت السعادةُ بالبهاءِ والصورِ ما نالها بلالُ الحبشي وحُرْمها ابو لهبِ القرشي ، واشنعُ من هذا كله ما يجري كثيراً على السننكم من قولكم : كلُّ زمانٍ له رجال ، وكل مقامٍ له مقال ، مع قولكم : الشيخُ في قومه كالنبيِّ في امته ، فيوهمُ ذلك للضعفةِ ما يقتضيه ظاهره ، قال تعالى (ومَنْ اظلمُ ممّن افترى على الله كذباً او قالَ اوحيّ اليّ ولم يوحَ اليه شيء ، ومَنْ قال سأنزلُ مثلَ ما انزل الله) ، (فاتبعوني يُحببكم الله) وقال (وتوبوا الى اللهِ جميعاً أيها المومنون لعلكم تفلحون) .

والحمد لله وكفى ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى .

توفي عام 958 (175)

(175) الف سنة من الوفيات ص 302 والأعلام للزركلي I : 147 وجذوة الاقتباس ص 58 ع 109 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 598 - 600 ودرّة الحجال I : 154 ع 180 ط I : 164 ع 199 وطبقات الحضيكي I : 12 و I9 ومناقب الباعقبلي ص 68 ومن خلال جزولة 2 : 20 والمعسول I3 : 266 - 278 وصفوة من انتشر ص 86 والفوائد الجمّة (في صفحات متعددة) ، وفهارس الخزائن العامة بالرباط ج 3 ص 49 وسوس العالمية ص 179

(1473) احمد بن محمد (البُزْغَالِي) الوطاسي ، ملك المغرب ، وهو الرابع من سلاطين أسرته ، بويح بفاس يوم السبت 4 ذي الحجة عام 932 بعد خلعه عمّه علي بن محمد الشيخ المكنّى بأبي حسون ، وكان الذي انشأ نصرًا بيعته وكتبه بخط يده هو الفقيه عبد الواحد الونشريسي وامضاه معه جماعة من الفقهاء كاحمد الحباك (5 : 149 ع 1459) واحمد الماواسي .

كان هذا السلطان محباً للعلم والعلماء حسن الخط انيق الملبس فارساً حليماً شديد الرغبة في الجهاد كثير الاعتقاد في الصالحين والمتصالحين ، اسند شوراه للفقيه عبد الواحد الونشريسي فكان يقف عند اشارته ولا يبتئ في امر دون الاستعانة برأيه ، واستوزر في سنوات متفرقة من ايام حكمه ولديه احمد ومحمد وابن عمه مسعود بن الناصر وصهره ابراهيم بن راشد العلمي ، وصفه القاضي محمد الكراسي في ارجوزته عروسة' المسائل ، عما لبني وطاس من الفضائل بهذه الأبيات :

فوليّ الملكَ ابو العباس	ابنُ محمدِ الرضا الوطّاسي
فجاءَ تابعَ الملوكِ الأمرا	يسايرُ الزمانَ حيثُما سرى
وهو امامٌ طالبٌ للعلم	والأخذِ بالثارِ رئيسُ القوم
الخطُ كابنِ مقلّةٍ في وقتِه	والعلمُ والحلمُ يرى من سمته
ابرعُ من ركبِ سرجِ فرس	ومنْ بأبدعِ الحلّيّ يكتسي
وسعدتْ بسعده الأيام	ونصرتْ بملكه الأنام

امضى ايامه في محاربة الخارجين عليه ومقاتلة السعديين الذين ظهروا في عهد أبيه باقليمي' درعة' وسوس ، وامتدّ نفوذهم الى مراكش وحتى نهر ام الربيع ، فكانت بينه وبينهم حروب' عديدة' ومعارك يشيب لها الوليد ، واضطراً لاجل ذلك الى مصالحة الأجانب الذين كانوا يحتلون العديد من العوائق المغربية الواقعة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، ومن أشهر حروبه معهم الحرب' التي جرت' بأبواب مراكش عام 934 وانتصت' بصلح ، والأخرى التي وقعت' بأنماي قرب وادي الزات سنة 937 والثالثة'

التي جرت بمشروع بوعقبة على ضفاف وادي العبيد ودامت اياماً انهزم المترجم في آخرها عشية يوم الجمعة 9 صفر عام 943 ونهبت محلته وتفرقت جموعه ، وهي اكبر حروبه معهم ، وكان من المقتولين فيها ابو عبد الله ابن الاحمر النصرى آخر ملوك غرناطة ، ومعركة رابعة جرت في العام التالي بناحية تادلة واخيراً كانت بينه وبينهم الحرب التي جرت بـ بدرنة في شهر رجب من عام 952 وهزم فيها وحمل أسيراً مثخناً بالجراح الى معسكر خصمه محمد الشيخ السعدي ، ولما بلغ خبر هزيمته فاسا بايع اهله ابنه محمداً سلطاناً بدله كما سيأتي في ترجمته ، وبقي المترجم أسيراً عند السعديين في سجن مراكش الى ان شاعت وفاته قرب سنة 960 .

والمترجم هو الذي بني قسبة ادخسان بناحية تادلة ، وجدد بناء قنطرة الرصيف بفاس الذي يقول فيه الواحد الونشريسي .

جسرُ الرصيف ابو العباس جده فخرُ السلاطينِ من ابناء وطاس
فجاءَ في غاية الاتقانِ مرتفقاً لمنْ يمرُّ به من عدوتِي فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا من هجرة المصطفى المبعوث للناس
وبنى بها أيضاً السدَّ الواقعَ خارجَ باب الجديد ، وفيه يقول الفقيه
الونشريسي :

اياهلَ فاسِ سدَدَ اللهُ سدكم
وأحیی به اشجاركم وثماركم
فدامَ ودامَ السعدُ يخدمُ مجده

ويقول يحيى السراج

الا سدَدَ اللهُ رايَ الذي
وخلدَ في عزة ملكسه
امام الهدي احمد المرتضى
بتسديده سدَّ سداً حصينا
واولاه فتحاً ونصراً مبيننا
مبيدُ العدا عدةُ المسلمينا

ويقول علي بن هارون المطغري :

لقد سددَ اللهُ رايَ العماد وأبطلَ في السدِّ رايَ الجهولِ
وقرب ما رامه من بعاد بمولاي أحمدَ مدحي يطول
فطرداً وعكساً لساني ينادُ « عقولُ الملوك ملوكُ العقول »

والسلطان المترجم هو الذي تزوج السيدة الحرة بنت علي بن موسى ابن راشد حاکمة تطوان ، تزوجها لما حرك لشفشاون وعرج على تطوان عام 948 وقد نشرت نص رسم صداقها المؤرخ بـ 5 ربيع الاول عام 948 في المجموعة الأولى من الوثائق (176)

وكان يُمِدُّ امراء تلمسان - على ضعف حاله وانشغاله باطفاء نيران الفتن الداخلية - بالمال والسلاح اعانة لهم على صد هجمات النصارى الاسبان الذين كانوا يحتلون مدينة وهران .

ومن اخباره التي نختم بها هذه الترجمة أن الناس خرجوا في صباح العيد للصلاة ، فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يات الى ان خرج وقت الصلاة ، فحينئذ اقبل في ابتهه ، فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ عبد الواحد الونشريسي فرأى ان الوقت قد فات ، فرقسي المنبر وقال : معشر المسلمين ، عظم الله اجرکم في صلاة العيد ، فقد عادت ظهراً ، ثم امر المؤذن فأذن وأقام الصلاة ، فتقدم الفقيه الونشريسي وصلّى الناس الظهر ، فحجّل السلطان واعتسرف بخطيبته (177)

(176) الوثائق I : 345 ع 115

(177) الاعلام للزركلي I : 233 و الاعلام ، بمن حل مراكز واغصات من الاعلام
2 : 229 ع 197 والاستقصا 4 : 149 والوف سنة من الوفيات ص 291 - 293 - 297 -
299 - وجذوة الاقتباس ص 114 ع 43 وعروسة المسائل ص 28

(1474) احمد بن عيسى الرميادي ، من علماء الفلك بالمغرب ، شرحَ زيرجةَ احمد بن مسعود السبتي (توفي عام 698 هـ) المسماة زيرجة الشحرور ، في اظهارِ الأمور بكتاب سماه لسان الفلك .

توفي عام 960 على ما ذكر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فسي الموسوعة ، دونَ ان يذكرَ المرجعَ الذي اعتمدَ عليه في ذلك (I78)

(1475) احمد بن عبد الرحمان الطرون الأموي (I79) ، فقيه" اصله من الأندلس واستقرتْ اسرته بعد الهجرة بمدينة القصر الكبير قبل ان تنتقل الى فاس ، فلهذا ينعتُه المترجمون بالقصري نجاراً الفاسي داراً ، وكان بيته ثرياً نبيهاً ، ولي والده قضاء فاس الجديد ثم عزل عنه ، ووليَ هوَ قضاءَ فاس فحمدتْ فيه سيرته ، الا انه استتاب عنه فيه اخاه محمداً ، وكان رجلاً تاجراً لا معرفة له بالفقه والأحكام ، فكانت هذه الاستنابة من اسبابِ محنتيهما معاً .

لمزه احمد ابن القاضي في جذوة الاقتباس ودرة الحجال بأنه لم يكن من اهل العلم ، وقال انه انما اختير للقضاء ليساره حتى يتعففَ عن اموال الناس ، لأن العادةَ كانتْ في ذلك الوقت ان يتولّى القضاء مَنْ كان ملياً وان لم يكنْ فقيهاً ليلا تمتدَّ يده الى اموال الناس واليتامى .

اتَّهَمَه السلطانُ محمد الشيخ السعدي بالتشيع للسلطان ابي حسون الوطاسي فضرب واخاه محمداً بالسياط ثم ذبحا بأمره في شهرِ

(179) اضطرب ابن القاضي في تسمية ابيه ، ففي جذوة الاقتباس سماه احمد بن محمد ، وفي درة الحجال شمي اخاه ونائبه المقتول معه محمد بن احمد ، ونقل الكتاني في سلوة الأنفاس عن احمد المنجور قوله في الفهرسة : وقال بعضهم وهو الصحيح : انه احمد بن عبد الرحمن ، وعليه اعتمدت .

ذي القعدة من عام 961 وُقْتِلَ معهما الفقيه ' عبد الوهاب الزقاق كما سيأتي في ترجمته (180)

(1476) احمد بن محمد العربي الغماري ، فقيه من المغرب الأقصى أصله من قبيلة كومية الزناتية واشتهر بين الناس بالنسبة الى غمارة .

كان فقيهاً اصولياً مدرساً موثقاً واعية ، اخذ عن محمد المنزاري ومحمد بن عبد الحليم وغيرهما ، واخذ عنه جماعة منهم خاله محمد المهدي الفاسي ، قرأ عليه الرسالة ومختصر خليل .

تولى قضاء مكناس فحمدت فيه سيرته .

توفي عام 963 (181)

(1477) احمد (الأعرج) بن محمد (القائم بأمر الله) السعدي ، ثاني مؤسس حكم الأسرة السعدية بالمغرب الأقصى (182) ، ولد عام 891 وولاه

(180) الف سنة من الوفيات ص 304 وجذوة الاقتباس ص 133 ع 73 وبرة الحجال 1 : 167 ع 199 والمناهل (مجلة مغربية) 1 : 48 وقضاة فاس 1 : 156 وسلوة الانفاس 3 : 250

(181) اتحاف اعلام الناس 1 : 404 والاعلام بمن غير ص 71 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 438

(182) الأسرة السعدية اسرة شريفة النسب ، وهاعمود نسب ثاني مؤسس حكمها السلطان المترجم ، فهو احمد (الاعرج) بن محمد (القائم بأمر الله) بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) ، فهم ابناء عم سلاطين الاسرة الملكية العلوية التي خلفت اسرتهم في الملك ، يجتمعون واياهم في محمد بن ابي القاسم جد الحسن الداخل ، وقد طعن في نسبهم لاسباب سياسية لا تخفى ، فقبل انهم من بني سعد بن بكر بن هوازن ، وبالنسبة الى سعد اشتهروا بعد انتهاء حكمهم ، اما في زمانه فكانوا لا ينعنون الا بالشرقاء ، وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي يصحح نسبهم في آل البيت .

ابوه عهده في عام 918 فلما توفي عام 923 اخذت له البيعة واجتمع على طاعته الناس في جميع الأفاق الجنوبية ، فصرفت عزمه الى تقوية الجيش ومواصلة العمل الذي بدأه والده في محاربة نصارى البترتغال الذين كانوا يحتلون عديداً من المدن والمراكز على ساحل المغرب الأطلنطي ، والحق بهم هزائم عديدة في كثير من الوقائع .

ولما رأى امراء هنتاتة ملوك مراكش قوة عزمه وشدة بأسه في محاربة البرتغاليين سارعوا الى مكاتبته مبدئين الرغبة في الدخول في طاعته ، فأجابهم الى ما رغبوا فيه ، وانتقل في حدود عام 930 الى مراكش وصيرها قاعدة لحكمه ، وبدأ في تنظيم الدولة الجديدة ، فعيّن الوزراء والحجاب والكتاب ، كما سعى في توفير المال الضروري لتسييرها وتدبيرها فوضع انظمةً للتجار مع الدول الأجنبية ، ولاسيما مع المواقع البرتغالية بساحل المغرب الجنوبي ، تلك المراكز التي كانت حربيةً وتجاريةً في آن واحد ، ومن أشهر حجابيه محمد بن علي الانكراطي اليملالي ومحمد بن عبد الرحمان المنزاري ، ومن أشهر كتابيه سعيد بن علي الحامدي .

وباستقرار السلطان احمد الأعرج في مراكش صار عليه ان يقاتل في واجهتين ، الواجهة الغربية التي كان يقاتل فيها نصارى البترتغال الذين قرروا تحت ضغطه اخلاء بعض مراكز احتلالهم بالساحل ، والواجهة الشمالية التي كان يقاتل فيها جيوش بني وطاس ملوك فاس الذين تخوفوا من ان يكتسح نفوذه مناطق حكمهم بعد استيلائه على مراكش ، وقد جرت بينه وبينهم حروب عديدة اشترنا الى بعضها في ترجمة السلطان احمد الوطاسي من قبل ، وتم الاتفاق في احداها - وهي الحرب التي جرت بروعية عام 943 - على اقتسام المغرب ، فما كان في شمال نهر ام الربيع فلبنى وطاس ، وما كان في جنوبه فللسعديين ، وكان الذي دخل في الصلح بينهم على هذا الأساس جماعة من الفقهاء وادعياء الصلاح والمجاهد كعمر الخطاب دفين جبل زرهون والشيخ ابي الروين دفين مكناس

وكتبَ عقده الفقيهُ عبدُ الواحدِ الونشريسي وحضره قاضي الجماعة بفاس علي بن هارون المطغري التلمساني .

وخلالَ مدةِ حكمه كان السلطانُ احمدُ الأعرج السعدي يقيم علاقاتٍ مع الدول الأوربية ويتكاتبُ مع ملوكها وامرائها ، سيما مع جان الثالث ملكِ البُرتغالِ الذي عقدَ معه اتفاقيةَ هدنةٍ يومَ 22 ذي الحجة عام 932 .

ونُتبتُ فيما يلي نموذجاً من هذه الرسائل التي تفيدُ الأديبَ والمؤرخَ معاً ، الأول يستشفُ منها مدى انحطاط الاسلوب الكتابي عند حكام المغرب في ذلك الوقت ، والثاني يستدل منها على نوع العلاقات التي كانت سائدةً بينهم وبين الاجانب المحتلين ، وهي رسالة مؤرخة في 24 صفر عام 932 وجَّهها المترجمُ الى جان الثالث ملك البرتغال ، ونصُّها (I83) :

الحمد لله وحده

من عبد الله المعتمد على الله علامة السلطان احمد الاعرج الشريف
لطف الله به

الى عظيم الروم سلطان برتقال

اما بعد ، فاني احمد الله الذي لا اله الا هو ، واصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالذي وجبَ به اعلامنا لكم اننا عملنا العافية (I84) مع خدامكم قبطن اسفي وقبطن ازمور بأمركم في العام الماضي على يد النصراني خديمكم مشاط واليهودي ابراهم الحزان ، وفي تلك العافية اخذوا اهل ازمور

(I83) كتب على ظهر الرسالة ما يلي : تصل بحول الله وقوته الى عظيم الروم سلطان برتقل

(I81) العافية : يراد بها هنا الهدنة والسلم

زوج مسلمين من خدامنا وطلعوهم لذلك البر متعمك ، وكل يوم نطلبهم ولا راينا لهم خبر ، واهل اسفي ايضا بعثوا سراقهم سرقوا البقرَ من بلادنا وباعوهم في ازمور وظهرو فيها عياناً ، وفي هذه العافية الأخرة التي كانت بيننا على يد اليهودي ابراهم بن زمير اخذوا اهل ازمور قافلةً عليها الشمع ، وردوا الناس ، واكلوا الشمع والبهائم ولا ردوا الا الناس برءوسهم خاصة ، وايضاً رسل قبطان اسفي الحناشة (185) والتقوم مع قافلة من خدامنا واخذوها وقتلوهم كلهم لكي ياكلون القافلة وقتلو جميع اهلها لكي لا تظهر عليهم وظهرت عليهم ، وايضاً اخذوا زوج مسلمين وطلعوهم لذلك البر متعمك ، والقافلة الذين ماتوا اهلها ردوا من بهائمها والذي عليها نحو من ثلاثين ، وبقي الثلث ، وحاصل الأمر فان كانت هاهه العافية بأمركم ترسلوا لنا من ينصف لنا في جميع ما لنا عند خدامكم ، فلا نرضا لكم يعملون خدامكم هذا في عافيتكم ، تبعثوا من يقف حتى يرجع جميع ما ذكرت لكم ، وياخذ الحق من الذين عملوا هان الفعل القبيح ، لأننا لا نصبر على ذلك ابدأ ، الا واجب علينا نعرفكم بذلك ، فانه الله ثم الله في الجواب في القرب ، دخول الكتاب خروج الجواب ، وأنا ما ننتظر الا ما عندكم ، فان انصفتم لنا في حقنا وعملتكم عمل الحق والشريعة فالذين (186) عملوا هان الفعل القبيح فالحمد لله ، والعافية تبقى على حالها ، والا فنحن ما نصبر على ما جرا فينا ابدأ ، ومن يوم عملنا مع خدامكم العافية ما انصدر منا عيب قط ، واذا رسلتم شرعكم يظهر له جمع ذلك ، ونحن نحب منكم تبعثوا قاضياً يكون قاعداً في أسف ابدأ جميع ما كان يظهر له ، ولاكن بعد ان ناخذ جميع حقنا وتكون العافية بالمقول والفعل .

والسلام على من اتبع الهدى .

رابع وعشرين من صفر عام 932

(185) الحناشة : اللصوص ، قطاع الطرق

(186) اي في الذين

الحمد لله وحده
 من عند الله العبد عبد الله محمد بن أحمد
 اليعقوبي
 إلى عظيم البروق سلطان بن قفال ما بعد ملكه أحمد ابنه الذي
 الله الامور والصلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالزود جنب
 به اعلى المنازل انما نحن الاعاينة مع خمول امير المؤمنين
 وفيلذ ان مورديا من كرم في الاعمال العايشة على يد الله السوي
 خديعة مشاكي... واليهود... ابن امير المؤمنين...
 اخذوا اصل الزود زوج مسلمين من خدامنا واصلهم في
 فتحهم في كل يوم في طلبهم ولا رايانا في فتحهم واصلهم في
 بعثوا من اوقية سم فوالنقار نكاحنا واباعوا في الزود في
 عيانا و... تصدقوا في حجة الفضة في بيتنا على...
 لليهود... الزود اصل الزود... ولا ردوا لاننا من...
 وردوا... الشئع والاسلم... الخفافنة والتخون...
 من وبيع حائمة وابيضار من فطكار... باعوا في...
 مع فاجلة من خدامنا وافقوا بها فتلوه في...
 باء... اصلها الضم لا تخلص...
 وايضا الزود زوج مسلمين و...
 واقباله الذين اجازوا لهم...
 نحو من قائلته في...
 الاعايشة نيام...
 خدام في بلاد...
 تبعثوا من... جمع ما...

الرسالة التي بعث بها السلطان احمد الاعرج السعدي الى جان الثالث ملك البرتغال - صورة - مطابقة لأصلها المحفوظ بدار الوثائق البرتغالية بلشبونة .

وكان المترجم حازماً صارماً كثيراً الاستشارة لأخيه ووزيره محمد الشيخ الى ان سعى الوشاة في افساد ذات بينهما فانقسم الجيش والرعية الى فريقين ، فريق مع احمد الأعرج وفريق مع اخيه محمد الشيخ ، وانتهى النزاع بين الاخوين بتغلب محمد الشيخ لما كان له من نفوذ وتأثير على القبائل الساكنة خلف جبال الأطلس الكبير لنشأته فيها وبقائه بينها بعد انتقال والده الى افغال من بلاد حاحة ، فاعتقل اخاه السلطان المترجم وسجنه وعياله واولاده دون تضيق عليه ولا تقتير ، وكان ذلك سنة 946 او سنة 951 هـ (187) ، فلم يزل في السجن الى ان قتل جواسيس الترك بمراكش القائد علي بن ابي بكر الزناكي بأمر بقتل احمد الأعرج المترجم واولاده ذكوراً واناثاً وصبية مخافة ان يخرجهم اهل مراكش من السجن ويبايعوه ، ولم يتجرأ احد على دفنهم فيقولوا صرعى في العراء حتى دفنهم الشيخ ابو عمرو القسطلبي

وكان ذلك في فاتح محرم عام 965 (188)

(1478) احمد ابن البيطار ، فقيه صوفي من اهل المغرب الادنسا ، كان من اصحاب الشيخ عرفة بن احمد ابن مخلوف الشامي القيرواني ، قدم دمشق يوم الاثنين 2 محرم عام 944 هـ ولما سئل عن سبب مجيئه اليها قال اتيتها باشارة شيعي لتهديب جماعة الشيخ علي بن ميمون ، واقام بدمشق سنين يلقي العوام التوحيد والتصوف .

(187) ينبغي التنبيه الى ان تحديد تواريخ الوفيات والوقائع يختلف كثيراً في هذا العصر عند المؤرخين ، ونحن نثبت منها ما ظهر لنا انه ارجح من غيره .

(188) الاعلام للزركلي I : 234 والاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام I : 131 ع 198 والاستقصا 5 : 14 وقاربخ الدولة السعدية ص 5 ودرة الحجال I : 106 ع 146 ولقط الفرايد ص 405 ونزهة الحادي ص 18 وسلوة الانفاس 3 : 226 وايليغ ص 13

مات بدمشق يوم 13 ذي الحجة عام 965 هـ ودفن بمقبرة بـباب
الفراديس (189)

(1479) احمد بن الحسن التسولي ، فقيه مغربي من اهل فاس ، واصل
سلفه من قبيلة التسول الشهيرة (190) ، كان مقرئاً نحوياً فقيهاً محدثاً ، اخذ
عن احمد بن محمد الدقون (5 : 120 ع 1450) ومحمد ابن غازي العثماني ، وذكر
محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس انه اخذ ايضاً عن الشيخ احمد
زروق وهو بعيد . واخذ عنه محمد بن قاسم القصار صحيح البخاري .

له نظم على مورد الظمان

توفي بفاس في شهر رجب عام 969 (191)

(1480) احمد ابن باديس القسنطيني ، فقيه من اسرة شهيرة بالعلم
والفضل بمدينة قسنطينة ، ولد بها وتولّى امانة جامعها الكبير ثم اسندت اليه
خطة القضاء بها فحمدت سيرته .

وكان مشاركاً في بعض العلوم

توفي بقسنطينة عام 969 ذكره صاحب معجم اعلام الجزائر دون ذكر
المرجع الذي اعتمد عليه (192)

(1481) احمد بن ابي العيش العيسي ، فقيه تونسي اخذ عن
محمد ماغوش وغيره ، نفاه السلطان الى طرابلس فلحقه للقراءة عليه بها ابو
يحيى الرصاع ، وكان علامة فاضلا احد الاعلام الفضلاء .

(189) الكواكب السائرة 2 : 120

(190) التسول ويقال على قلة التسول قبيلة كبيرة باقليم تازة ، بطونها بني
فراسن وبني مجدول والكرأوة ونكوشة واولاد الشريف واولاد الزباير والربع الفوقي .

(191) الاكليل والتاج ص 11 والى سنة من الوقيات ص 308 وجذوة الاقتباس
ص 134 ع 74 ودرة الحجال 1 : 65 ع 192 ونيل الإبتهاج ص 141 ع 143 وسلوة
الانفاس 4 : 250

(192) معجم اعلام الجزائر ص 27

مات سجيناً بتاجورة القرية من طرابلس عام 970 (I93) ، وكان بها شيخ الجماعة .

(1482) احمد بن محمد ابن ابراهيم المشنزاوي ، فقيه من اهل فاس ، واصل سلفه من قبيلة مشنزاوية الدكالية ، وبيتهم بفاس بيت علم ومروءة . روى عن محمد ابن غازي العثماني واجاز له ان يروي عنه ما تضمنته فهرسته ، وروى عنه محمد القصار .

مات بفاس عام 970 (I94)

(1483) احمد بن موسى السملالي الحسني ، احد مشاهير الصالحين الكبار بالمغرب الأقصى ، ينتمي الى اهل البيت (I95) ، واشتهر بالنسبة الى قبيلة سملالة الشهيرة بسوس التي انجبت العديد من فحول الرجال (I96) . ولد بها في حدود عام 853 هـ ونشأ نشأةً عادية فتعلم في الكتاب وخاض فيما يخوض فيه اقرانه من الأطفال والشبان ، الى ان حصل تحول حاسم في حياته بسبب اتصاله بالشيخ محمد الوجاني او الشيخ ابراهيم بن علي من متصوفة صقعه ، فولى وجهه شطر العبادة وتملكته رغبة قوية في مخالطة

(I93) الف سنة من الوفيات ص 308 ودرة الحجال I : I54 ع I70 وذيل بشائر اهل الإيمان ص 185 - 186 وكفاية المحتاج ص 148 وذيل الإبتهاج ص 141 ع 142 وشجرة النور الزكية I : 282 ع 1064

(I94) سلوة الإنفاس 3 : 251

(I95) فيما يلي عمود نسب الشيخ سيدي احمد بن موسى ، فهو احمد بن موسى بن عيسى بن عمر بن ابي بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن ابي جمعة بن علي بن عيسى بن الفضل بن عبد الله بن ابراهيم - المشتهر بلقب جنيد المحرق الى جندوز - بن عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن حسين - وفي نسخ حسن مكبرا - بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

(I96) سملالة : قبيلة باقليم سوس ، تشتمل على البطون التالية : آية عروس ، وآية الربيع ، وآية وليلي .

الفقهاء والسفر الى لقاءهم سيما مَنْ كان منهم متصوفاً أو اشتهر بحال ، فارتحل عن قبيلته وقصد مراكش حيث اجتمع بالشيخ عبد العزيز التباع آتي الترجمة واسلس له مقاده ، وهذا الشيخ هو الذي اوصاه بمتابعة السير في طريق الصلاح والزهد في ملذات الدنيا وشهوات الحياة ، فصار ينتقل من بلد الى بلد يزور الصالحين ويشهد (حضرات) المتصوفين ، واستمر في تطوافه مدة ثلاثين سنة نمت فيها ملكته في العبادة وقويت خلالها معرفته بالعربية حتى صار يستشهد بالآيات وينشد أبيات الشعر فيما يناسب من المقامات .

ولما عاد الى موطنه سوس بعد غياب طويل ألقى عصي التسيار بقبيلة زروالة (197) وصار يخرج الى الجبال المحيطة بها باحثاً عن مكان يصلح لاقامته بقية حياته ، حتى وقع اختياره على المكان الذي يوجد به الآن ضريحه ، فبنى فيه زاوية عاش فيها ستين سنةً يعبد الله ويدعو الناس الى عبادته والتأدب بأداب القرآن والتأسي برسول الله (ص) في اقواله وافعاله وحמיד خلقه وحسن تعامله ، وكانت شهرته بالاستقامة والصلاح سبقتة الى موطنه قبل ان يعود اليه ويستقر به الاستقرار المتواصل الى حين موته ، فكثرت غاشيه وتوقف القوافل بزوايته واقبال الناس عليه واستحسانهم لدعوته الخالية من البدع والمحدثات التي جعلها دعاة دينيون آخرون ستاراً يخفون وراءه ما يطمحون اليه من وفرة مال وقوة جاه ، وكان يعينه على التبليغ مهارته في التعبير باللسانين العربي والشلحي ، وما زال ذكره ينتشر في الآفاق حتى صار حديث القريب والبعيد ، وتشوق الناس في كل الجهات لزيارته والتماس بركته بمن فيهم السلطان ، يحكى ان السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي قال للأستاذ محمد الترغي يوماً : اني اجد في نفسي ارادة طلباً للشيخ ، فامض فاطلب لي شيخاً ، فذهب الترغي يطوف على مشايخ

(197) زروالة وتازروالت بشلحة سوس : قبيلة صغيرة باقليم تيزنيت اهم قرانا الخ .

المغرب وكانوا يومئذ متوافرين حتى اتى على الشيخ احمد بن موسى المترجم ، فوجده شيخاً جليلاً سنياً متواضعاً زاهداً ظاهر الورع حسن الاخلاق جامعاً لمحاسن الخلال والأوصاف ، فرجع الى السلطان وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه ، حتى وصل الى صاحب الترجمة ، فقال له هو ولي هو ولي هو ولي كررها سبعاً ، فقال له السلطان كأنك تدلني عليه وانه المطلوب والمقدم على غيره ، فقال له الترغي لا ادلك عليه ولا عندي ما اعرف به تقديمه الا ان هذا هو الذي ظهر لي ، فعزم السلطان على الرحيل اليه ورحل اليه بحاشيته ، فلما بلغ الشيخ خبر قدومه خرج لتلقيه بعد ما هيا له مكان النزول واعد له الاطعمة الرقيقة المناسبة ، فلما لقيه قدم له التمر والحليب جرياً على العادة المغربية الاصيلة التي لا تزال متبعة الى الآن ، واستضافه ثلاثة ايام اجتمع به اثناءها اكثر من مرة ، وسمع منه النصائح والوصايا ، ثم عاد السلطان بعدها الى مراكش دون ان يقبل منه الشيخ ما جرت عادة الملوك ان يكرموا من يعتقدون فيه صلاحاً او يلتمسون منه بركة وخيراً .

وكان الشيخ احمد بن موسى متواضعاً موطأ الاكناف ، يسأل من يعرف عما لا يعرف ، كما وقع له مع الفقيه احمد بن عبد الرحمان المسكاداي الزرگيني متقدم الترجمة (5 : 163 ع 1472) ، ويذهب على رجليه لسزيارة معاصريه من المتصوفة ويثني عليهم ويرى انه دونهم علماً ومنزلة ، ويحكي ان احدهم سأل هل تعرف النحو ؟ هل تحفظ الفية ابن مالك ؟ فأجاب لا احفظ منها الا شطرين : (فما ابيح افعل ودع ما لم ينبح) و (فما لنا الا اتباع احدا) ، فلم يزد بهذا التواضع الا رفعة وعلو شأن .

ومع ان الشيخ احمد بن موسى المترجم لم يكن طويل الباع في العلوم العقلية والنقلية فان علماء اجلاء ، فيهم الفقيه والنحوي ، وفيهم المفسر والمحدث ، كانوا يعترفون بفضله ، ويقرون بتفوقه ، ويسلمون له تسليماً .

أخذ عنه أحمد أدقال وعلي بن محمد الحارثي وموسى بن داوود
الباعقلي وعبد الله بن خالد الباعقلي ومحمد بن أحمد المناري (التامنارتي
بشلة سوس) والد صاحب الفوائد الجمة

وهذا الشيخ مشهور في جميع أنحاء المغرب ، واهله مجمعون على
حبه لفضله واستقامته ، لا فرق بين ذكر وانثى أو كبير وصغير ، ولم أرَ مَنْ
غمزَ سيرته أو انتقد حركته ، لأنها سيرة " خالية " من المطاعن والمغامز ،
وحركة بعيدة عن البدع والشبهات التي عرضت سيراً وحركات أخرى
للاستهجان وجعلتها هدفاً للانتقاد والاستنكار .

وما ينسبه إليه العوام من مقالات ، ويدعون له من أسرار وكرامات
لم يصحَّ منها شيء ، وهي بكل تأكيد أضغاثُ أخيلة صورتها لهم مكانة
الشيخ في نفوسهم وما يحبونه من محبة واحترام .

الف الشيخ محمد الدراوي كتاباً في مناقبه .

توفي ليلة الاثنين 7 ذي الحجة عام 971 هـ ، ودفنَ وسط المقبرة
القريبة من زاويته ، وبُنيت على قبره قبة عظيمة يقصدها الزائرون من كل
الآفاق ، وتقام حواليها ثلاثة مواسم كل عام (198)

(1484) أحمد بوحالسة ، مجاهد مغربي أصله - على ما يظهر -
من قبيلة جزناية (199) المتوطنة بشمال إقليم تازة ، جمع جيشاً عرمرماً بلغ

198) أيلغ ص 17 والاكليل والقاج ص 12 والإعلام ، بمن حل مراکش واغامت
من الإعلام 2 : 243 ع 199 ودرة الحجال 1 : 165 ع 191 ودوحة الناشر ص 112 ع 110

199) جزناية : قبيلة شهيرة شديدة اليأس تقع مساكنها بدائرة اكنول من إقليم
تازة تشتمل على البطون التالية : اولاد علي بن عيسى ، وبني محمد ، وبني عاصم ،
وبني يونس ، ومزدورار ، وملال ، والشاوية ، والوطا . وأشهر قراها اكنول ويورد
وفج العروس المسمى بالبربرية تيزي وسلي ، وقد انجبت هذه القبيلة عددا كبيرا من
القراء والفقهاء ، من أشهرهم الفقيه علي الجزناتي مؤلف كتاب جني زهرة الأس ، في
بناء مدينة فاس ، ومنها انطلقت الشرارة الأولى لحرب التحرير بالمغرب الاقصا ضد
الفرنسيين في فاتح اكتوبر سنة 1955 م

تعداده في بعض الأوقات خمسين ألف مقاتل ، وكان يحارب' الاسبانيين الذين استولوا على مدينة مليلية (200) الواقعة على ساحل المغرب الشمالي ، ووصل في احدى المرات الى قرية تقع قرب ضاية بوعرق (201) - لعلها اصل' مدينة الناظور الحالية - واتخذها مقراً لقيادته وصار يغير' منها على الحامية الاسبانية بمليلية ، ولكنه انهزم امام الاسبانيين سنة 1564م - 972 هـ وأسيرَ اربعمئة من رجاله .

ولم اقفُ على تاريخ وفاته ، واخباره مستقاة" من تقارير ومذكرات اسبانية ، وربما تكشف الأيام' عن مزيد من اخباره في المستقبل (202) .

1485) احمد بن محمد بن سعيد التنبُكتي ، فقيه" من السودان المغربي (جمهورية مالي الحالية) ، ولد عام 931 هـ ودرس الفقهَ على جده لأمه الفقيه الشهير محمود بن عمر وبرعَ فيه ، وأخذ عن غيره ، وجلس للتدريس من عام 960 الى حين وفاته فانتهج به خلق كثير ، منهم الفقيهان محمد بَغْيُغْ واخوه احمد ، ومنهم الفقيه' الكبير احمد بابا التنبكتي آتي الترجمة ، ادركه وهو صغير" وحضرَ مجلسَ تدرسيه ، واخذ عنه الموطأ والمدونةَ والمختصر . مختصرَ الشيخ خليل بن اسحاق في فقه الامام مالك.

(200) مليلية : مدينة مغربية تقع بساحل المغرب الشمالي غير بعيدة عن مدينة الناظور (17 كلم) ، وكانت مركزا تجاريا فنيقيا يدعا روسادير ، وازدهرت في القرون التي تلت الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، وكانت ميناء مدينة سجلماسة الشهيرة ثم لمدينتي فاس وتازة ، وفي سنة 1497م احتلتها اسبانيا ، ومنذ احتلالها وهي تعاني من هجمات ومحاصرات القوات المغربية الشعبية والحكومية ، وعرفت فترة ازدهار خلال ايام الحكم الاسباني لشمال المغرب (12 - 1956) ، بسبب بناء مينائها وتمتعها بمنظام المناطق الحرة وتصدير معدن حديد الريف منها ، ولكنها انتكست بعد ما استعاد المغرب حريته سنة 1956 فانخفض عدد سكانها الاسبانيين من 100 الف الى 60 الفا ، وثية الشعب المغربي مصممة على تحريرها واختها سبئة وسائر المراكز التي تحتلها اسبانيا بساحل المغرب الشمالي .

(201) ضاية بوعرق : بحيرة صغيرة تقع على ساحلها مدينة الناظور ، يسميها الاسبانيون البحر الصغير MAR CHICA

(202) المصادر الغميسة لتاريخ المغرب ، المجموعة الاولى - السعديون - اسبانيا - ص 51 والموسوعة 3 : 160

له استدراقات" فقهية ، وحاشية" على مختصر خليل اعتنى فيها بالنقل واعتمد بالخصوص على كتاب البيان والتحصيل .

توفي في شهر محرم عام 976 هـ (203)

1486) احمد بن محمد ابن مسعود الدرعي ، فقيه" من اهل درعة بالمغرب الأقصى ، ينسب الى قبيلة تافجروت والى بلده تامجروت ، فلهذا يقال فيه الفجروتي نسباً المكروتي بلداً ، قرأ ببلده درعة ولم يطلب العلم خارجة ، وعلى ذلك استجاز له بعض الدرعيين علماء من المشرق فأجازه منهم بالتبعية محمد بن محمد الفيشي شيخ المالكية بالجامع الأزهر .

قضى حياته يدرس العلم بمكرونة (تامكروت) ، وجمع في آخرها فوائده العلمية وحواشيه على الكتب ومقيداته في كتاب ضخم يقع في نحو 400 صفحة ، فرغ من كتابته في اواسط ذي القعدة عام 976 سماه تنبيه الغافل ، عما يظنه عالماً وهو به جاهل ، توجد منه نسختان محفوظتان بالخزانة العامة بالرباط ، نمرة الأولى 845 ك ، ونمرة الثانية 918 ق ، ونسخة مخطوطة" ثالثة" في دار الكتب الناصرية بمكرونة ضمن مجموع نمرة 2066

توفي بعد عام 976 هـ ، وستاتي ترجمة اخيه عبد الله بن محمد ابن مسعود الدرعي في حرف الميم (204)

1487) احمد (بَغْيِغْ) بن محمود بن ابي بكر آقيث ، فقيه" من السودان المغربي (جمهورية مالي الحالية) ، استوطن مدينة تنبكتو ولزم بها الفقيه احمد بن محمد بن سعيد التنبكتي متقدماً الترجمة ، اخذ عنه مختصر خليل ، ثم رحل صحبة اخيه محمد بَغْيِغْ الى المشرق بقصد

203) تاريخ السودان ص 108 وكفاية المحتاج ص 139 ونيل الابتهاج ص 142 ع 145 وفتح الشكور ص 28 ع 3 وشجرة النور الزكية I : 284 ع 1079

204) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 549 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 16 و ص 135 والموسوعة 3 : 142 وفهرس السجلناسي ص 84

الحج فلقيا جماعة من فقائه وعلمائه واستفادا منهم ، ولما رجعا الى تنبُكُتو عادا الى ملازمة شيخهما احمد بن محمد بن سعيد المذكور ، قرءا عليه الحديث والفقهَ وغيرهما ، كما اخذا عن الحاج احمد بن عمر أقيت الكدالي متقدم الترجمة الاصولَ والبيانَ والمنطقَ .

توفيَ يومَ الخميس 12 رمضان عام 978 هـ (205) ، وستاتي ترجمة اخيه محمد بن محمود أقيت في حرف الميم .

1488) احمد بن عبد الحميد بحر السماح اليربوعي ، فقيه" ليبي ، ولد بالزاوية وحفظ بها القرآن وتفقهَ بفقهاء طرابلس ، ثم ارتحل الى المشرق فحجَّ وزار واخذ عن شمس الدين اللقائي واخيه ناصر الدين ، ولازم احمد ابن حجر الهيثمي وقيّد عنه مسائل ، واجتمع بعدد آخر من علماء الأزهر ، ولما عاد الى طرابلس اجتمع بالشيخ عبد السلام الاسمر وخدمه مدةً وانتفعَ به ، وكان الشيخ يذكره بخير ويثني عليه ويشهد له بالصدق .

وكان المترجم حميدَ الاخلاق جواداً كريماً ، بارعاً في فهم كتب الفقه المالكي وتدريسها كالموطأ والتهديب والرسالة .

توفيَ بديلة (مكان قرب الزاوية) عام 979 هـ (206) .

1489) احمد بن محمد العقباني ، فقيه من اهل تلمسان من اسرة نبهية هاجرت اليها من قرية عقبان الاندلسية واشتهرت فيها بالعلم والفضل ، وما زال عقبهم بها الى الآن ، ولد بتلمسان ونشأ ودرس ، ثم هاجر منها سنة 967 الى قاس مع الفقيهين احمد العبدادي ومحمد شقرون بن هبة الله الوجدجي ، فتصدر للتدريس بجامع القرويين .

مات بفاس عام 980 (207) .

205) فتح الشكور ص 28 ع 5

206) اعلام ليبيا ص 55 والمنهل العذب ص 226

207) دوحة الناشر ص 123 ع 120 وتعريف الخلف ، برجال السلف 2 : 79 ومعجم اعلام الجزائر ص 236 وسلوة الانفاس 3 : 250

(1490) احمد (الثاني) بن الحسن الحفصي ، يعرف عند العامة بحميده ، امير من اسرة بني حفص المملكة بتونس ، وهو الملك قبل الأخير من هذه الاسرة . كان والياً لأبيه على مدينة عنابة ، ولما استنجد والده بكارلوس الخامس ملك اسبانيا ضد الترك وسمح له باحتلال تونس وعقد معه في 6 صفر عام 942 (26 يوليوز سنة 1535 م) معاهدة تنازل لهم بها عن عنابة وبفرت وحلق الوادي مع شروط اخرى مُضرة غضب السكان على السلطان واستقلوه وكاتبوا ابنه الامير احمد المترجم واعطوه العهود والمواثيق ف جاء الى تونس وافتتحها بعد قتال عنيف وقبض على ابيه وسمل عينيه ونصب نفسه ملكاً على البلاد .

وكان حازماً ضابطاً عادلاً مُحباً للشرعية محترماً للقانون شديد الرفق برعيته ، لكنه كان مهدداً في مملكته بخطر الاسبانيين الذين كانوا يحتلون برج حلق الوادي القريب من العاصمة واستولوا في عهده على المهديّة والمنستير وجزيرة جربة ومدينة طرابلس وتحصنوا بها ، وخطر الترك الذين قويت شوكتهم بالبحر الابيض المتوسط واصبحوا يهددون الممالك والامارات المحلية ، وقد استطاع هؤلاء ان يطردوا الاسبانيين من السواحل التونسية والليبية سنة 958 هـ (1551م) ، ثم تقدم قائدهم درغوت باشا بجيشه فاحتل القيروان وقطع منها دعوة بني حفص ، واخيراً هاجم علي باشا والي الجزائر التركي المملكة الحفصية من الجهة الغربية سنة 977 هـ فانهمز امامه جيش السلطان احمد المترجم في كل معترك تواجهها فيه الى ان استولى علي باشا على العاصمة تونس وقطع منها دعوة بني حفص ، واخذ بها البيعة للسلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني ، ثم عاد الى الجزائر بعد ما ترك بمدينة تونس حامية تركية لحراستها وتوطيد اركان الحكم الجديد .

اما السلطان احمد الحفصي المترجم فانه سار سيرة ابيه الحسن بعد انهزامه ، فاستنجد بملك اسبانيا بعد ما كان عدواً له وتعهد له بأداء مال ذي بال ، فارسل ملك اسبانيا اسطولا عظيماً لاعاقته على الأتراك ، ولما رسا

الأسطول؛ بحلق الوادي واجتمع السلطان المترجم بقائده استظهر هذا بتعليمات حكومته القاضية بفرض الحماية على تونس والتشارك في الحكم والمال ، فأبى المترجم أن يوافق على ذلك وقال للقائد الإسباني انما عرضت على ملككم المال ولم اعرض عليه التشارك في الحكم ، فقال القائد الإسباني اما ان تقبل والا فان اخاك الأمير محمد يقبلها ، فهيم السلطان احمد ما تعني هذه العبارة ، واحتال في الافلات منه ومن اخيه ، ففر إلى بلرمو عاصمة جزيرة صقلية ، ودخل الأمير محمد تونس تحت الحماية الإسبانية وجلس لمباشرة الحكم وتدير شؤون الرعية يشاركه في كل ذلك مندوب اسباني يسمي الكونت سيربلكوني .

وتنقطع أخبار السلطان احمد بعد عام 980 هـ ، وتؤكد الروايات التاريخية انه اقام في منفاه بصقلية حتى ادركه بها اجله ، فنقل جثمانه الى تونس ، وبقي مطروحاً بالجلالز ثلاثة ايام لم يؤذن بادخاله البلد خوفاً من ان يكون ما زال يقيد الحياة ، ولما تأكد موته اذن بادخاله فدفن بزواية الشيخ أبي القاسم الجليزي الذي كان له فيه حسن اعتقاد (208)

1491) احمد بن سليمان السجيري ، فقيه اديب نحوي من اهل المغرب الأقصى ، اخذ بفاس عن شيوخ عديدين ، منهم غازي بن محمد ابن غازي ومحمد اليسيتي وعلى بن عيسى الراشدي وعثمان بن عبد الواحد اللمطي وعبد الواحد الونشريسي

ذكر ابن القاضي في جذوة الاقتباس ان له نظماً رائعاً . لكننا لم نعثر على شيء منه رغم البحث الشديد عنه .

توفي بفاس عام 982 (209) .

208) اتحاف اهل الزمان 2 : 15 والاعلام للزركلي 1 : III والحلل السنديية 2 : 207 وخالصة تاريخ تونس ص 153 والخالصة النقية ص 87 والمؤنس ص 168
209) الف سنة من الوفيات ص 313 وجذوة الاقتباس ص 134 ع 75 ودره الحجال 1 : 154 ع 181 وسلوة الانفاس 3 : 251

(1492) احمد بن سليمان بن يحيى الرسموكي ، فقيه" من قبيلة رسموكة (210) بالمغرب الأقصى وبالنسبة اليها عُرِف ، اخذ بفاس عن شيوخ كثيرين ، وكان مشهوراً بالزهد والورع ماثلاً الى الخمول على علمه وتفنتنه .

نوفِّيَ عام 984 (211) ، وستاتي ترجمة سميّه احمد بن سليمان الرسموكي مع احمدي القرن الثاني عشر .

(1493) احمد بن احمد العبادي التلمساني ، فقيه كبير من اهل تلمسان منسوب" الى قرية العباد الجبلية الواقعة بظاهرها حيث 'ضريح' الشيخ ابي مدين الغوث ، تفقّه على ابيه ، ولقي مشايخ بلده واخذ عنهم ، وصفه ابن' عسكر في دوحة الناشئ بالشيخ الفقيه العالم العلم العلامة ، وقال اذ كان من فحول العلماء ، كبيراً الهمة غزير العلم كريم السجية ، له نفس ابية وهمة عالية مع شجاعة واقدام .

قدم الى فاس مع جماعة من علماء تلمسان سنة 967 هـ ، رحلهم اليها السلطان عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ السعدي لما وقعت الفتنة بينهم وبين الترك واستنجدوه فأمدهم بالاجناد ، ولما حلوا بفاس وصل كلاً منهم على قدر مرتبته ، ووصله هو بالف مثقال ذهباً ، وامر له بكساء واسكنه في منزل رفيع ، وقال : لا تُسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم فان همته كبيرة ، فتصدر للتدريس واقبل عليه الناس والطلبة من كل ناحية ، ثم نقله السلطان جبراً الى مراكش لأسباب ذكر ابن عسكر ان شرحها يطول ، ولا اذكر احداً ذكرها فيما وقفت عليه من الكتب والمقيدات ، ويخيل الي

(210) رسموكة : قبيلة باقليم تيزنيت من المغرب الاقصى ، اشتهرت بكثرة من انجبت من القراء والفقهاء والادباء ، وتنقسم الى قسمين ، رسموكة الوطا ورسموكة الجبل ، اما رسموكة الوطا فتتألف من البطون التالية : آية بوكورة وآية الشيخ ، وآية يشو - خانتين ، وزعانة ، واما رسموكة الجبل فتتألف من البطون التالية : اداي ، وآية بيبيس ، وتأفراوت المولود .

ان تكونَ راجعة الى تنازل السلطان عبد الله الغالب بالله عن جزيرة بادس (212) لاسبانيا وقضيته مع المهاجرين الغرناطيين ، وقد عاد المترجم الى تلمسان بعد ذلك ثم رحل عنها واستقر بمليانة .

ومن الرجال الذين لقوه بالمغرب الأقصى وأجازهم محمد ابن عسكر الحسيني الشفشاوني صاحب دوحة الناشر الذي هو المصدرُ الأساسُ لترجمته ، فقد اجازته في سلسلة مشايخ الصوفية باجازة ابيه له في ذلك ، كما صحَّح له سندا عن شيخه يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي عام 968 هـ ، واجاز له ايضا ان يروي عنه ابن الحاجب الأصلي وابن الحاجب الفرعي ، ونصُّ ما كتب له .

« اجازني والذي رحمه الله الحاجبَيْن عن شيخه سيدي محمد بن عيسى البطوئي ، وعن علامة الوقت سيدي احمد ابن زكري ، عن مولانا الجد ، اي ابي امي سيدي محمد ابن مرزوق ، شارح البردة ، رحمهم الله ، عن شيخه الامام ابن عرفة ، عن الامام القرافي ، عن الامام ابن الحاجب ، نفع الله بهم .

قيدت هذه الاجازة هنا مع سلسلة هذا الشيخ ، لمن امره لي لازم متحتم ، وطاعته فرض لا تكتم ، وهو سيدنا الامام ، القاضي العلامة نجل السادات الكرام ، واطرفة الوقت بالتمام ، ولدنا الأبر ، سيدي محمد عسكر ، وصل الله له الخيرات ، وحفظنا واياه من جميع الآفات ، ونقبل راحتَه طالبا من مقامه صالح الدعوات ، عسى تفرج الكريات ، يارب العالمين يا عالم الخفيات ، والسلام الكريم على مقامه الكفيل بالمسرات .

(212) بادس : اسم مدينة وشبه جزيرة صخرية يقع امامها بالساحل الشمالي للمغرب الاقصا غربي ميناء الحسيمة ، وقد كانت المدينة مزدهرة في الماضي وتعد الميناء الطبيعي لحاضرة فاس ونواحيها ، ولما احتلت اسبانيا الجزيرة المذكورة سنة 1508 م تدهورت المدينة ثم اندثرت ، وبقيت الجزيرة الصخرية عرضة للحصار والهجوم من طرف المغاربة وسببا من اسباب التوتر بين اسبانيا والمغرب ، وهي الآن من مراكز الاحتلال الاسباني بشمال المغرب ، وليست لها اهمية اقتصادية ولا حربية ، ولكن الدولة الاسبانية تبعت اليها كل اسبوع بطائرة الهليكوبتر بضعة جنود يقيمون فيها تحت علمها اثباتا لوجودها .

من عبد الله الفقير الى رحمته ، احمد بن احمد بن محمد بن يعقوب العبادي ، جزر الله صدعه ، وجمع شمله بكل التفريقات ، ولطفَ به فيما هوَ آتٍ .

توفيَ في حدود عام 985 هـ (213) ، وقد سبقَت في هذا الجزء ترجمة احمد بن محمد بن يعقوب العبادي العجيسي (5 : 52 ع 1421) وهو من اسرته ولا شك ، لكنه ليسَ اباه قطعاً ، لأن بين وفاتيهما اكثرَ من قرن.

1494) احمد بن عبد الله بن حسين المغاري (214) ، احد سراة المغرب الأقصى في القرن العاشر ، ينتمي الى اسرة بني امغار الأدارسة اهل عين الفطر القريبة من الجديدة ، ووالده هو الصالح الشهير عبد الله بن حسين المغاري المتوفى عام 976 هـ دفين قرية مصلوحة (تاملوحت باللسان البربري) القريبة من مراكش آتت الترجمة في حرف العين .

لم يكن هذا الرجل من العلماء المذكورين ولا من الفقهاء المشهورين ، ولكنه كان من الشرفاء السراة الذين يطعمون الرفاق ، ويقصدون لصل المشكلات من الآفاق ، تحدث عنه محمد ابن عسكر في دوحة الناشر قائلاً : « وله في الايثار وبسط المؤانسة وحسن العشرة آثارٌ جليلةٌ صحبتُه مدةٌ مديدةٌ وحمدتُ صحبتُه وشكرتُ افعاله الجميلة ، ولقد حضرت عنده بزواية أبيه في بعض المواسم ، فرايت العجب من ازدياح الخلق عليه وكثرة

213) الاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام 2 : 207ع243 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 377 ودوحة الناشر ص 4 و 118 وطبقات الحضبيكي 1 : 26 ومعجم اعلام الجزائر ص 65

214) فيما يلي عمود نسب ابيه كما ورد في ايقهاج القلوب : عبد الله بن حسين بن سعيد بن ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن يوسف بن يونس بن ادريس بن عبد الجليل بن عبد الله (المعروف بتالميت) بن محمد بن علي بن عبد العظيم بن اسحاق بن محمد بن احمد بن عبد الله بن عبيد الخالق بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن دوح بن مصباح بن صالح بن سعيد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

الوفود ، وقد ذبح لهم بين يوم وليلة سبعمئة شاة من الغنم ومئتين من البقر ونحو عشرين من الابل ، ومطابخ الطعام شيء لا يقدر على وصفه ، وقد هياؤا للطعام احواضاً عظيمة ، وحضر الغداء فرتبوا الناس للاكل وجعلوا عشرة انفس في كل دائرة ، فال عدد من حضر اثني عشر ألفا ونيفاً وخمسة .

توفي بمصلوحة عام 985 هـ ودفن بها مع ابيه (215)

1495) احمد بن احمد بن عمر أقيت التتبتكي ، احد مشاهير فقهاء السودان وأكابرهم في القرن العاشر الهجري ، ولد في فاتح محرم عام 929 هـ (الخميس 20 نونبر سنة 1522م) ، واخذ عن علماء بلده وخاصة عمه الفقيه الكبير محمود بن عمر أقيت ، ثم رحل عام 956 الى المشرق بقصد الحج ، فلقب في وجهته عدداً كبيراً من فقهاء مصر ومكة والمدينة واستفاد منهم وقيّد عنهم افاداتهم واجازه بعضهم ، ولما رجع الى بلده جلس للتدريس والافادة ، ولا سيما في شهور رجب وشعبان ورمضان التي كان يجلس فيها لشرح صحيح البخاري ومسلم ، ذكر ابنه احمد بابا مؤلف قيل الإبتهاج انه جلس في تلك الشهور خمساً وعشرين سنة لاسماع صحيح البخاري وحده .

وكان علامة محصلاً ذكياً مشاركاً في عديد من الفنون اللغوية والدينية من حديث وفقه واصول وبيان ومنطق ، بارع الادب حسن العشرة وديعاً محبوباً عند الناس معظماً عند الخاصة والعامّة ، نفاعاً بجاهه لا ترد له شفاعة ، قواماً بالحق لا يدهن الملوك والرؤساء وينكر عليهم افعالهم اذا اساءوا السيرة او خالفوا عن الشريعة فكانوا ينقادون له ويمتثلون امره ويزورونه في داره ، ولما مرض في بعض اسفاره بمدينة كاغو كان السلطان اسكيا داود يعودّه ويسمرّ عنده بالليل واستمرّ يفعل ذلك حتى برىء تعظيماً

(215) دوحة الناشر ص 107 ع 104 والاكيل والتاج ص 13 والاعلام ، بمن حل مراکش واعتمات : ن الاعلام 2 : 236 ع 200

لقدره وتنويعها بعلمه ، وكان جماعاً للكتب وافر الخزانة جمع فيها كل نفيس من الكتب وثمانين من الدواوين ، ولم يكن ييخل بها على من يرغب في الاستفادة مما فيها . قال عنه عبد الرحمان السعدي في تاريخ السوادن جمع الله تعالى له انواع الجمال خلقاً ولونا وصوتاً وخطاً وفصاحة واتقاناً .

اخذ عنه كثير من طلبة السودان ، منهم ابنه الفقيه الشهير احمد بابا آتي الترجمة قريباً ، والأخوان محمد واحمد ابنا محمود بـغـيـغـ ، والأخوان عبد الله وعبد الرحمان ابنا محمد ابن عمرت .

وله عدة مؤلفات في الادب والفقه والمنطق والأصول ، منها
1 - شرح تجميعات العشرينيات الفازازية لابن مهيب في مدح رسول الله (ص)
2 - وشرح منظومة المغيلي في المنطق ، 3 - وحاشية على شرح التتائي لمختصر خليل ، 4 وشرح على جمل الخونجي .

مات بـتـنـبـكـتـو ليلة الاثنين 17 شعبان عام 991 هـ (5 شتنبر سنة 1583 م) (216) .

1496) احمد بن علي الشريف الحسني ، فقيه من اهل فاس ، اخذ بها عن عبد الواحد الوثنريسي وعبد الوهاب الزقاق وغيرهما ، وكان فقيهاً نحويًا محدثاً ، ولي إمامة مسجد الجوطية . ذكر عبد الرحمان الفاسي في ابتهاج القلوب ان المترجم حضر سنة 974 تحاكم اهل مدينة القصر الكبير والشيخ يوسف الفاسي المشتهر بكنية ابي المحاسن عند مفتي

(216) تاريخ السودان لعبد الله السعدي ص 42 - 43 وتعريف الخلف . برجال السلف 2 : 36 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 636 وبرة الحجال 1 : 155 ع 183 و 1 : 166 ع 195 وطبقات الحضيكي 1 : 31 وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة) ص 138 ولف سنة من الوفيات ص 318 ومعجم المؤلفين 2 : 33 ونيل الابتهاج ص 141 ع 144 وشجرة النور الزكية 1 : 286 ع 1090 وفتح الشكور ص 29 ع 6 والفوائد النجمة (مخطوطة مصورة) ص 46

فاس محمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني وذلك لما انكر القصريون على الشيخ يوسف خدمته لعبد الرحمان المجذوب وتكلمنذه له بسبب امور كانوا ينكرونها عليه ، وهو من هو علماً و اخلاقاً (217)

توفي بفاس صبيحة يوم الأحد 24 ذي الحجة عام 991 (218) ، وهو غير احمد بن علي العلمي الشفشاوني آتي الترجمة .

(1497) أحمد بن قاسم القدومي الفسائي ، فقيه نحوي من المغرب الأقصى ، وأصل سلفه من الأندلس ، ولد عام 928 هـ ونشأ بفاس آخذاً عن مشاهير مشيختها كآبي القاسم ابن ابراهيم المشنزاوي الدكالي ومحمد بن احمد ابن مجبر المساري ، وكان عارفاً بالقراءات وتوجيهها بالضبط والرسم وكل ما هو من وظيفة المقرئ ، اماماً في العربية مشهوراً بالتحقيق فيها انتهت اليه رياستها في عصره وكان عليه المدار فيها ، مواظباً على نشر العلم وافادة الطلبة ، درس المدونة والعربية والحساب والعروض والفرائض والقراءات والحديث والتاريخ والسير والطب ، وأمّ بمسجد الشرفاء الواقع امام الضريح الادريسي .

أخذ عنه السلطان احمد المنصور السعدي وعديد من الطلبة كأحمد بن يوسف الزياتي العبد الوادي وأخيه الحسن بن يوسف ، والشيخ يوسف الفاسي و احمد الفاسي والعربي الفاسي و احمد بن الحسن ابن عرضون الزجلي .

له تأليف في النحو وتعاليق على المؤلفين فيه ، منها كتاب نفيس في أربعة مجلدات اسمه الهادي ، في حل الفاظ المرادي ، التفه لخزانة السلطان احمد المنصور السعدي الشهير بلقب الذهبي .

(217) ينظر عن هذه القضية ، قضية انكار اهل القصر على الشيخ يوسف الفاسي خدمته لعبد الرحمان المجذوب مرآة المحاسن ص 19 - 20

(218) ابتهاج القلوب (مخطوطة مصورة) ص 24 وألف سنة من الوفيات ص 319 وجذوة الاقتباس ص 134 ع 76 ودرة الحجال I : 168 ع 202

توفيَ بفاس بعد عصر يوم الأربعاء 15 شعبان عام 992 هـ ودفن من الغد بمطرح الجبلية خارج باب فتوح ، وحضر جنازته جلُّ اهل فاس (219)

1498) احمد بن الحسن (220) ابن عرضون الزجلي ، عالم من المغرب الأقصى ، تنتمي أسرته الى قريش ولكنها تنفي ان تكون من آل البيت ، ولدَ 948 هـ بمدشر ادلدال احمد مداشر قبيلة بني زجل (221) الغمارية (222) باقليم شفشاون ونشأ بتلمبوط ، وكان ابوه الحسن بن يوسف من اهل العلم ووجه قبيلته ، واليه يرجع الفضل في تحبيب العلم اليه وتوجيه وجهته ، فقد كان يحفظه الشعر ويقصُّ عليه من ابناء ما قد سلف وهو لا يزال طفلاً يحفظ القرآن في الكتاب ، ولما حفظه وتلقَّى مبادئ العلم عن فقهاء ناحيته كعبد الله الهبتي وسليمان بن ابي هلال الملولي انتقل الى فاس لتكميل دراسته بجامعة القرويين ، فأخذ به عن وجه الفقهاء واعيان العلماء كمحمد القصار وعبد الواحد الحميدي ويحيى السراج ومحمد ابن مجبر المساري واحمد بن قاسم القدومي ورضوان الجنوي ، وبعدما اتم الدراسة وامتلاً وطاب له علماً وفقهاً عاد الى وطنه فولي قضاء مدينة

(219) الف سنة من الوفيات ص 319 والاكليل والتاج (نسخة مصورة) ص 11 وأزهار البستان ص 127 و 145 وايضاح المكنون 2 : 715 (وليصح ما فيه من اغلاط) ، وجذوة الاقتباس ص 135 ع 77 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 359 - 458 - 531 ودرة الحجال 1 : 156 ع 184 ومرآة المحاسن ص 165 ومعجم المؤلفين والنبوغ المغربي ص 254 ونشر المثاني ص 43 و 198 وسلوة الانفاس 2 : 281

(220) ليصح ما في جذوة الاقتباس ودرة الحجال من انه محمد بن علي .

(221) بني زجل ، قبيلة من مجموعة غمارة القبلية باقليم شفشاون ، بطونها : بني شداد وبني منصور والقلعة واشكورا ، واشهر قراها تلمبوط ، وزجل الذي تنسب اليه يقال ان اسمه محمد زجل كان قدم مع موسى بن نصير في اواخر القرن الاول الهجري واستوطن ترابها فصار ابناؤه وحفدته يدعون بني زجل .

(222) غمارة : قبيلة بربرية كبيرة من شعب مصمودة ، تذكر العامة انهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمارة ، وهم قبائل كثيرة لا يسع المقام ذكرها بالتفصيل ، ومنهم اليوم تسع قبائل باقليم شفشاون تدرج كلها في كتلة غمارة ، وهم : بني بوزرت بني جرير - بني خالد - بني رزين - بني زجل - بني زيات - بني منصور - بني سلمان - بني سميح .

شفشاون وعمالقتها مع الخطابة بجامعة الكبير ، وياشر خلال ذلك التدريس والتأليف والافتاء دون ان يغفل عن زيارة فاس بين الحين والحين .

وكان المترجم به من فقهاء بلدته المبرزين ، عالماً محصلاً متبحراً في أنواع من المعارف ، يحسن التفسير والحديث واللغة والادب والمنطق والفرائض والحساب ، بارعاً في التوثيق عارفاً بالأنساب ، فصيح العبارة غير مقلد في فتاويه خالف في بعضها أقوال فقهاء المذهب المالكي ورجح عليها أقوال فقهاء مذاهب اخرى ، طموحاً الى المراتب العليا ، عادلا في الأحكام ، شديد الانتكار على المفسدين كثير العطف على المستضعفين ، يهتم بمصالح الناس ويسخر قلمه وجاهه في قضاء حاجاتهم ، وله مواقف معروفة في الدفاع عن حقوق المرأة .

يذكر له المترجمون كتباً كثيرة في الفقه وما اليه ، ولكن لا يعرف منها الا القليل ، فمن كتبه المعروفة (I) اللائق ، لمعلم الوثائق طبع بفاس طبعة حجرية مرات عديدة ، وطبع بتطوان طبعة عصرية عام 1355 هـ (1936م) ، وهو أشهر كتبه وأكثرها تداولاً . (2) ومسائل ملقوطة ، من نوازل مازونة ، توجد منها نسخة مصورة على شريط نمرته 6 محفوظة بالخزانة العامة بالرباط . (3) ومنظومة في آداب الجماع توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط . (4) وحدائق الأنوار ، وجلاء القلوب والأبصار ، في الصلاة والسلام على النبي (ص) واصحابه الأبرار ، توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة جامع القرويين بفاس نمرتها 317 واخرى بالخزانة الحسنية بالرباط نمرتها 942 وثالثة بالخزانة العامة بتطوان نمرتها 876 . (5) ومقنع المحتاج ، في آداب الأزواج ، توجد منه نسخ مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط نمراتها 449 و 4659 و 3100 . (6) ورسالة التودد والتحابب في آداب الصحبة ، توجد منها نسخة مخطوطة بتطوان محفوظة تحت نمرة 826

ونسبوا له كتباً في التاريخ قارن بعضهم احدها بابن خلدون وابن حزم والمكثري ، وهذه المقارنة تبعث على الاستغراب والسخرية معا ، والظاهر

ان قائلها لم يقرأ كتب ابن خلدون وابن حزم والمقري ولم يطلع عليها ،
فان عرضون لم يكن الا من فقهاء البادية ولا معرفة له بالتاريخ فأحرى ان
يطلبه او يقارنَ بفحول كتابه ، وكل ما يمكن ان يكون عمله فيه ورقات في
انساب قبيلته والقبائل المجاورة لها .

توفي بفاس يوم 10 رجب عام 992 هـ وقيل توفي بمسقط رأسه
وقبل بغيرهما ، وقد خصه الدكتور عمر الجيدي بدراسة قيمة سماها
ابن عرضون الكبير (223)

(1499) احمد بن محمد ابن رضوان النجاري ، أديب من أهل
فاس ويبتهم بها بيت ثروة وقد انقرض ، وأصل سلفه من الأندلس ،
ذكره عبد الرحمان الفاسي في كتابه ابتهاج القلوب ووصفه بالكاتب الأشهر ،
وقال انه ممن صحب الشيخ يوسف الفاسي وانتفع به وممن كان يتردد عليه ،
وكانت له مصاهرة مع ولده (محمد) العربي ، ثم أورد رسالة من انشائه
كتبها من فاس الى الشيخ يوسف المذكور لما زار سنة 989 مدينة القصر
الكبير ، وقد رايت اثباتها سداً لفراغ نحس به في حياة هذا الرجل
الذي الذي يظهر انه كان كاتباً كبيراً ، وهي هذه :

السيادة التي عزّ جانبها ، وسمت في المعارف مراتبها ،
واستنارت في علا المجد مصادرها ومواردها ، سيادة البركة القدوة المرتدي
برداء المجد والجلال ، فريد زمننا في الحال والمال ، المشتهر فضله الذي
لا يختلف فيه اثنان ، الداعي عبادة الله الى باب مولاها الملك الرحمان ،
شيخنا وسيدنا ، ومن عليه بعد الله اعتمادنا ، سيدي يوسف الفاسي .

(223) ابن عرضون الكبير ، الكتاب كله ، وازهار البستان ص 141 والاعلام
للزركلي I : 112 وجذوة الاقتباس ص 160 ع III والحركة الفكرية بالمغرب في عهد
السعديين ص 166 - 167 - 423 والدر السني ص 43 ودرة الحجال I : 172 ع 216
ومجلة دار الحديث ، والموسوعة 2 : 58 والفكر السامي 2 : 271 وفهارس الخزانة
العامة بالرياض I : 306 وشلوة الانفاس I : 272 و 268 و 3 : 353 وشجرة النور
الزكية I : 286 ع 1094 واليواقيت الثمينة I : 18 ع 106

اعزكم الله بعز طاعته ، وجعلكم من خاصة اهل حضرته
وعنايته وبلغكم بنيتكم الصالحة الى سبيل مرضاته ، سلام كريم ،
بر عميم ، تتعطر نفحاته ، وتتأرجح بطيب الثناء عليكم نسماته ، تصحبه
رحمة الله وبركاته ، يخصكم به المقبل اقدمكم ، الملمس برکتكم ،
الداعي الى الله ان يرزقه رضاكم ، المثني على فواضلكم بسائر الجوارح
واللسان ، عبيد الله واول عبيده احمد بن محمد ابن رضوان ، ختم الله
عليه بالغفران ، وافاض عليه من نوالكم ما تقر به العيان .

هذا وعند محبتكم من الشوق اليكم ما يكل عن وصفه اللسان ،
ولا تسعه بطاقة ولا عنوان ، ويعجز عن حمل ثقله القلب والاحشاء
والجنان ، وكيف لا اعزكم الله وقد كنا راتعين في بحار المعارف ، سالكين
منها كل مستهدف وهادف ، مستقطفين من ينابيع الحكمة انواع الزخارف ،
شاريين من ثديها ألباناً متنوعة المصانف ، مختلفة المغارف ، واكواس
الحقيقة تدور علينا كل المدار وتتصرف في مزاجنا كل التصارف ، فامسينا
بعد فرقتكم في اسر الشهوات ، ورجع حسنا الى العادات والاشارات ،
فذبلت عند ذلك اوراق شجرتنا ، وكادت أن تيمس بسبب فرقتنا ، بعد
ان كانت مخضرة يانعة ، في رياض الانس للقلوب جامعة ، مقتطفين من
زهر المعاني كل ثمرة يانعة ، فانا نقول ما قاله الصابرون ، (انسا الله
وانا اليه راجعون) .

فقدارك اعزكم الله خللنا قبل فساده ، واسق رمقتنا من فضل
الله الموهوب لكم واستمداده ، واغث المحبين فيكم والمستضعفين من عباده ،
زادكم الله تشريفاً وتعظيماً في يوم مياعده ، وتعطف علينا بهمتكم العلية ،
ولا تجعل بيننا وبينكم ابنية ، ولنكن منكم اعزكم الله ببال ، ولا تسمح في
جانبا باهمال ، واجعل حسنتنا في ميزانكم تجدها يوم الجزاء خير نوال ،
توسلنا اليكم بالنبى الكريم صلى الله عليه وسلم ومولانا سبحانه
عظيم الجلال .

ويسلم' على سيادتكم بافضل السلام ، ويقبل' كلتا يديكم تقبيلَ
التمظيم والاكرام ، حبيبنا ومحبتكم ، المثني الثناء الجميل بالنظم والنثر
على سيادتكم ، احب' خلق الله فيكم ، المرابط الخير الدين ، سيدي احمد
حبيب متوحشاً اليكم غاية ، سائلا عن احوالكم نهاية ، معلماً لمقامكم
العلي زادكم الله' علماً ناقعاً بأن السيد المذكور كثيراً ما يزورنا لوجه الله
ثم لمحبتكم ، وحسن عهده في مودتكم ، ويشم' علينا رائحتكم ، وتلذذ'
جميعاً بالذاكرة لأيام وصلكم ، والتفكير في اخلاقكم الحميدة ، وسيرتكم
المجيدة ، يالها من أيام قد انقضت بوصالكم ما اجملها ، وما احببنا لها
من مجالسة وما اذنبها ، اعادها الله' علينا ، ومن' علينا بوصالكم كما
القلنا ، ونرغب' الى الله ان تتوجه' الينا بهمتكم ، ولم تزل' انفسنا تتحدث
بزيارتكم ، صحبة سيدي احمد حبيب ، فادع' الله لنا ان ييسر' امرنا ،
ويفك' من عقاب القعود قيدنا ، حتى نخط' ببابكم رحالنا ، انه ولي التوفيق ،
والهادي الى سواء الطريق .

ولقد بلغ اخواننا الفقهاء' بخير وعافية ، مستصحبين السلامة
الكافية ، والآلاء الصافية ، متبخرين في اثواب المسرة الوافية ، فشكرنا
الله ما منحكم من ايديه العالية الشافية ، فلم' يزالوا حفظكم الله يحدثوننا
حتى ذهبت عقولنا ، وطاشت قلوبنا ، لما شهدوا من الأسرار الربانية ،
والمواهب النورانية ، التي لا يشك' فيها الا ذو غفلة ظلمانية ، او جاحد'
للمواهب الالهية ، افاض' الله علينا من منحككم ، وحشرنا في زمركم ،
فعند ذلك قلنا ياليتنا كنا معكم ، فهيجوا ما كمن' فينا من الأشواق ،
وكادت نفوسنا تزهق من ألم الفراق ، فعند ذلك احتسبنا وقلنا
نسأل الله التأييد والصبر على ما قضاه في سابق قدره ، ونحسب' من
سيدنا ان يمدنا بهمته وكتبه ، كي' نلذذ' به ، ونتخذة حصناً من بعده ،
ويعرفنا سيدنا هل قدمه على قرب او أمد' بعيد في قصده ، والسلام .

وقد اجابه عنها - نيابة عن الشيخ يوسف الفاسي - صاحبه الأديب
الكاتب محمد بن علي القنطري القصري بجواب طويل يراجع في ابتهاج
القلوب وفي ترجمته من هذا الكتاب .

توفي ابن رضوان المترجم بفاس في جمادى الأولى عام 992 ودفن بجوار ضريح الشيخ علي بوغالب براس القليعة ، وحياء هذا الكاتب مجهولة ، ولم اجد في مجذتي عنها اكثر مما ذكره صاحب 'ابتهاج القلوب' ونقله باختصار صاحب 'سلوة الانفاس' (224) ، وستاتي ترجمة ولده محمد بن احمد ، وترجمة اخيه محمد بن محمد .

1500) احمد بن يحيى الهوزالي ، اديب وقائد مغربي اصله من قبيلة هوزالة (ندو وزال بشلحة سوس) ، كان قائداً قواد الأمير محمد المامون ولي عهد السلطان احمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي ، وصفه احمد ابن القاضي في جذوة الاقتباس والمنتقى المقصور بالأديب الكاتب ، الناظم الناثر ، وقال انه كان رجلاً عاقلاً لبيبا حلوا الشمائل ظريف المقال ولسه مشاركة في فنون .

ارسله السلطان احمد المنصور صحبة القائد احمد بن ودة العمراني الى تركيا عام 989 ليصلحا ذات البيئن بينه وبين سلطانها السلطان مراد العثماني بعد النفرة التي حصلت بينهما بسبب اهمال المنصور السعدي لرسله واستقلاله لهديته ، فركبا البحر من مرسى تطوان قاصدين القسطنطينية ، ولما كانا في عرض البحر لقيا الأسطول العثماني - بقيادة وزير البحرية علي علوج متوجها الى المغرب لمحاربة سلطانه ، فرام علي علوج صدهما عما قصدا اليه وياسهما من تدارك الأمر ، وقال لهما : ان الخرق اتسع على الراقع ، ولو كان غرض صاحبكم في المسالمة ما بقي اصحابنا ببابه كالكلاب والبادي اظلم ، ولم يزل يثبتهما عن مواصلة السير نحو القسطنطينية حتى صرف القائد ابن ودة عن قصده وسمح للمترجم بموالة السفر لتبليغ رسالة سلطانه وهديته الى السلطان العثماني ظناً منه انه لا يستطيع مخاطبة الملوك واستلال السخائم من الصدور لصغر سنه ، ولما وصل الهوزالي الى تركيا وادخل على السلطان مراد ابدى من

حسن التأدب ولطف التعبير والمهارة في الاعتذار عن مخدومه ما خلّب به لب السلطان مراد ونال رضاه ، فقبل العثماني الاعتذار والهدية ، وكتب رسالة الى وزير بحريته علي علوج - حملها اليه الهوزالي في رجوعه - يامرّه بالرجوع وعدم محاربة احمد المنصور ، فلما بلغته الرسالة قرع سنّ القدم وعرف انه اساء تقدير الهوزالي لما ظنّ انه لصغر سنه لا يقدر على شيء ، وارسل السلطان مراد مع الهوزالي وفداً الى السلطان أحمد المنصور يلومّه على التراخي في امور الملوك ، فلما قدم الوفد على المنصور اكرم وقادته واحسن نزله ثم ردهم مكرمين الى مرسلهم وارسل معهم وفداً يحمل رسالة الى سلطانهم كان فيه ابو القاسم بن علي الشاطبي قاضي الجماعة بمراكش ، والقائد عبد الرحمان بن منصور الشيطمي المريدي .

وكان احمد الهوزالي المترجم يقول الشعر ، وله مدائح في سلطانه وولي عهده محمد المامون ، ومولديات ذكر ابن القاضي في المنتقى المقصور انها من جملة ما ضاع منه من اشعار شعراء السلطان احمد المنصور ، ولكنه احتفظ بقصيدة منها في كتابه جذوة الاقتباس هي التالية :

ياصاحبي مهلا علي وعرجا	وخذا معي بأعنة الأفراس
هذي ربوع المستقى (225) قد برزت	في وشئها ، هذي منازل فاس
تلك القباب الخضر إيوان الدمى	ومقيل كل خريدة مياس
كم جوذر صاد القلوب وصيد في	تلك القباب وكم ظباء كناس
هذي الدوالب كالعشار حنينها	ذاك المصلّي مصنع الجلاس
هذا الحمى والنهر في بطحائه	مغنى الغواني او مدار الكاس
والنور قد وشئ الفضا وكسا الربا	بيدائع منها على اجناس
اسدى الغمام بها سداه فأصبحت	في حلة من نسجه ولباس
وتعطرت ارجاؤها وتتابعت	انواؤها بالعارض البجاس
لما غدتها نفحة مسكية	ملكية من طيب الأنفاس

سبط الرسول وفخر كلِّ مفاخر ملك الملوك اخي النداء والباس
نور الهدى ، سمِّ العدا ، اسدِ الشرا تاجِ السلاطين ابي العباس
لا زال منصورَ اللواءِ مؤيداً محموداً ءاثاره فسي الناس
ما غردت ورقُ الحمام ورجعت أمُّ الحسين على قضيب الآس
توفي بفاس بمرض الحصا عام 994 (226)

1501) احمدُ بنُ علي بن عبد الرحمان المنجور ، كبير فقهاء المغرب الأقصا في اواخر القرن العاشر الهجري ، اصل سلفه من مدينة مكناس ثمَّ انتقل منهم مبنَّ انتقل الى سكنى مدينة فاس ، وكان ابوه علي كبير دار ملك بني وطاس وامينها والقيِّم على امورها ، كما كان جده عبد الرحمان من الامناء ايضاً ، وبفاس ولد المترجم عام 929 هـ على الأرجح ، ونشأ واخذ غمنا كان بها من علماء وفقهاء ضمنَّ الفهرس أسماءهم وعرف فيه بهم وذكر مروياته عنهم ، كمحمد بن احمد اليسيتي - وهو كان عمدته - وعبد الرحمان سقِّين العاصمي وعبد الواحد بن احمد الونشريسي وعلي بن هارون المطغري ومحمد ابن مجبر المساري وعبد الوهاب الزقاق .

وكان المنجور ثاقب الذهن ذكي القلب نجيباً مجداً مجتهداً سريع الفهم حسن الادراك حريصاً على تحصيل العلوم واستيعاب الفنون حتى استكمل حفظها وأتقن فهمها وصار ممن يشار اليه بالبنان فيها مع صغر سنه وفتاء عوده ووجود مَن هم اكبر منه سنّاً ، ولما أكمل التعلّم والدراسة انصرف الى التدريس والتأليف فأقبل عليه الطلبة من كل الآفاق وتنافسوا في حضور مجالسه العلمية لمهارته في التبليغ واستحسانهم طريقته في التدريس وقدرته على ايضاح الغامضات وحلُّ المشكلات ، كما تنافس محبُو العلم والمنسوبون اليه في استنساخ مؤلفاته والاستشهاد بأقواله

(226) الف سنة من الوفيات ص 320 والأعلام ، بمن حل مراكزها واغمات من الاعلام 2 : 237 ع 201 وجذوة الاقتباس ص 159 ع 110 ودرة الحجال 1 : 156 ع 185 والدنقى المقصور ص 243 و 376 .

واستنتاجاته ، وما زالت درجته تعلو حتى صار شيخَ الجماعة بسلا
منازع ، وطارت شهرته في جميع الآفاق وأدناه السلاطين والامراء والولاة
وتوددوا له وصاروا يستشيرونه ويحترمون رايه ويعملون بنصحه عندما
تدعوهم الحاجة الى استشارته والتماس نصيحته ، وكان السلطان احمد
المنصور السعدي - على الخصوص - يجلُّه ويصله بجوائز سنوية فلا يلقي
لها بالا ويفرقها على الأرامل والضعفاء .

وصفه مترجموه بعبارة طنانة راينا ان نجمع شقاتها لنستدل
منها مجموعة على قيمته وراي الناس فيه ، وهي : « امام فقيه معقولي ،
محدث اصولي ، آية من آيات الله في المعقول والمنقول ، واسع العارضة
والاطلاع ، ذو مهارة كاملة في جميع الفنون ، احفظ اهل زمانه واعرفهم
بالتاريخ والبيان والمنطق والكلام والاصول والحديث والتفسير ، متبحر
في العلوم كلها من معقول ومنقول ، عارف برجال الحديث ، شديد العناية
بالتحصيل ، قوي التحقيق عند الالقاء والتقرير ، معتن بالمطالعة والتقييد
والاقراء لا يمل ولا يضجر ، منصف في البحث والمذاكرة ، جنوح الى
الصواب مهما تعيّن وعند من تعيّن ، يميل مع الحق حيث كان ، صدوق
في النقل مثبت في الاملاء ، قوي الادراك ثاقب الذهن صافي الفهم ، ذو
خط فائق وادب رائق ، خدم العلم عمره حتى ألهمت اليه العويصات
زمامها وبرز على الاقران وصار شيخ الجماعة في وقته ، وكان يحض
على تعلم جميع العلوم ويتعلمها ويقول انها كلها نافعة ، حتى انه تعلم
لعب الشطرنج فأتقنه ومهر فيه ، وصار المشار اليه بالبنان في معرفة دقائقه ،
وتعلم تلاحين عود الغناء فكان يحرك بجس اوتاره قلوب العاشقين ،
وبلغ الغاية القصوى في العقائد ، اما الأصول فهي عشه الذي فيه يدرج ،
ويدخل فيه ويخرج ، وانفرد عن اهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير
والعلماء على طبقاتهم ومعرفة ايامهم ، وكان طبعه يتحدث في بعض الأوقات
حدة تمنع المتعلم من مراجعته والاكثر من مباحثته ، وكان مولعاً بأمثلة
العامة خصوصاً عامة الأندلس ويستحسن لغتهم ولكنهم ويثني عليهم

وعلى بلادهم ويتشوق إليها ، وكان العلماء والطلاب يقولون ان فهمه لا يقبل الخطأ ، وكانت له طريقة خاصة في التدريس ، يجيد ترتيب النقول ويتأق في كيفية الالقاء ، عبد من عباد الله الصالحين ، لا يفتر عن قراءة القرآن الا في ساعة المطالعة او التاليف او الاقراء او ضروريات الانسان ، اروع الناس في النقل ، كاد ان لا يفارق لسانه : لا ادري ، او حتى انظر ، او كلام يقرب من هذا ، دمث الأخلاق رقيق الحاشية ، متكشف قانع بما تيسر من الماكول والملبوس لا يحسن تدبير الدنيا ، وبالجملة فهو - كما قال بعضهم - آخر الناس في فاس ، ولم يكن مثله في الفنون بالمغرب ولا جاء بعده من اتقن مثله الذي اتقن من العلم .

اخذ عنه عدد عديد من الطلبة صاروا فيما بعد من العلماء المبرزين والمؤرخين المرموقين ، منهم السلطان احمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي واجازه والف برسمه عددا من كتبه ، والشيخ يوسف بن محمد الفاسي المشهور بكنية أبي المحاسن ، واحمد بابا السوداني مؤلف نيل الابتهاج واحمد بن محمد ابن القاضي صاحب المؤلفات العديدة في التاريخ وغيره واجازه ، لازمه كثير - كما يقول عنه في درة الحجال - من سنة خمس وسبعين الى وفاته ، وما فارقه الا زمن رحلته للمشرق او زمن اسره فقط او مدة اقامها بمراكش .

الف المنجور عدة تأليف ذكر اكثرها في آخر فهرسته ، جلها في الفقه والكلام والبلاغة ، منها I - اجوبة في القراءات توجد منه نسخة مكتوبة بخط المؤلف على ما يظهر محفوظة تحت نمرة 80II بالخزانة الحسينية بالرباط . 2 - واجوبة مجموعة في الفقه والكلام يوجد منها مخطوط مصور نمرته 3I8 ر - 73 بالخزانة العامة بالرباط . 3 - تقريب لفهم شواهد الخرجي في العروض توجد منه نسخة مخطوطة نمرتها 603 بالخزانة الحسينية بالرباط . 4 - حاشية كبرى على شرح كبرى السنوسي في العقائد امره السلطان احمد

المنصور السعدي باخراجها من مبيضتها الصعبة الدقيقة خط الطرر الملحقة
الكثيرة جداً المدمجة ، فانقذت بذلك بعد ما كادت تندثر ، توجد منها نسختان
مخطوطتان بالخزانة الحسنية بالرباط ، اولاهما في مجلد ضخم نمرته 5011
والثانية نمرتها 575 كتبت في جمادى الثانية عام 1000 هـ . 5 - حاشية صغرى
على شرح كبرى السنوسي ، توجد منها نسخة مخطوطة نمرتها 8054 بالخزانة
الحسنية بالرباط . 6 - شرح المنهج المنتخب ، الى قواعد المذهب ، وهو
شرح لارجوزة علي بن قاسم الزقاق التجيبي الفاسي في قواعد المذهب
المالكي ، طبعت مرتين بفاس طبعة حجرية . 7 - مراقي المجد ، لآيات
السعد ، تفسير للآيات القرآنية الواردة في شرح سعد الدين التفتزاني
لتلخيص المفتاح ، يوجد مخطوطاً بالخزانة الحسنية بالرباط محفوظاً تحت
نمرات 176 و 5038 و 5302 . 8 - ونظم الفوائد ، وميدي الفوائد ، لمحصل
المقاصد ، وهو شرح لقصيدة في التوحيد من نظم الفقيه أحمد بن محمد ابن
زكري التلمساني متقدم الترجمة (5 : 97 ع 1440) . 9 - مختصر نظم الفوائد ،
وهو مختصر الكتاب السابق توجد منه نسخة عتيقة في 300 صفحة كتبت في
اواخر ذي القعدة عام 997 محفوظة تحت نمرة 4147 بالخزانة الحسنية بالرباط .
10 - شرح ايضاح المسالك الى قواعد الامام ابي عبد الله مالك ، شرح
لكتاب يضم 118 قاعدة من قواعد المذهب المالكي التي سببت تفسيراتها
اختلافا بين فقهاء من تأليف احمد بن يحيى الونشريسي سابق الترجمة
(5 : 108 ع 1444) . 11 - شرح نظم علاقات المجاز ومرجاته ، والنظم
لابي الفضل ابن الصباغ المكناسي ، توجد منه نسخة مخطوطة نمرتها
1032 د بالخزانة العامة بالرباط . 12 - الفهرس ، كتاب ذكر فيه شيوخه
ومروياته عنهم اجاز به السلطان احمد المنصور السعدي ، طبع بالرباط
عام 1396 هـ - 1976 م بتحقيق الاستاذ محمد حجي قيُدوم كلية الآداب بالرباط
توفي بفاس ليلة الاثنين 16 قعدة عام 995 هـ ودفن بمطرح الجلطة
(القبب) خارج باب فتوح متصلاً قبره بقبر شيخه اليسيتني ، قال ابن

القاضي في درة الحجال : صارت الدنيا تصغر في عيني كلما تذكرت اكل
التراب للسانه والدود لبقائه ! (227)

1502) احمد بن سعيد الحامدي ، اديب و فقيه من المغرب الأقصى
ينتمي الى اسرة شريفة النسب تسكن بوادي ايسي باقليم سوس ، فلذا يقال
ايضاً في نسبه الايسي ، كان مشهوراً بالعلم والأدب والخير والصلاح ، ولما
توفي والده قام مقامه في التدريس ، كما ولي قضاء جبل آية حامد بعد
وفاة عمه عبد الرحمان فحمدت فيه سيرته ، وكان يفد على سلاطين الأسرة
السعدية - مثل ابيه - في المناسبات فيغدقون عليه من انعامهم الوافر ويعفونه
واخوانه واسرته من المغارم والتكاليف ، وله فيهم اشعار " ضاعت في جملة
ما ضاع من آداب اهل سوس ولم يبق منها الا قصيدة " واحدة " قالها في
السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي ، ويصف من عرفوا به بأن شعره يدل
على غزارة مادته وانه حسن الصياغة سلس العيارة .

227) ابتهاج القلوب (مخطوطة مصورة) ص 201 واتحاف اعلام الناس
I : 319 وازهار الستان لابن عجيبة (مخطوطة مصورة) ص 145 وازهار الستان
لعبد الرحمان الفاسي (مخطوطة مصورة) ص 14 والف سنة من الوفيات ص 289
و 321 والاعلام للزركلي I : 180 والاعلام ، بمن حل مراكز وغمات من الاعلام
2 : 237 ع 202 وايضاح المكنون 2 : 202 والبحث العلمي (مجلة مغربية) 7 : 247
وبرنامج الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين ص 118 و 119 وتطوان
(مجلة مغربية) 8 : 177 وجذوة الاقتباس ص 135 ع 78 والحركة الفكرية في عهد
السعديين ص 360 ودرة الحجال I : 156 ع 186 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
ص 101 و 129 و 133 و 137 ودوحة الناشر ص 59 ع 45 وطبقات الحضيكي I : 32
وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة) ص 140 ومعجم المحدثين والمفسرين ص 16 ومعجم
المؤلفين 2 : 10 ومعلمة القرآن والحديث ص 27 و 66 والموسوعة 3 : 116 ومناهل
الصفاء ص 136 و 155 و 150 و 188 و 189 و 220 والنبوغ المغربي ص 250 ونشر
المثاني I : 55 ونيل الابتهاج ص 143 ع 146 وصفوة من انتشر ص 4 والفكر السامي
2 : 270 وفهارس الخزانة الحسنية 6 : 19 و 369 و 370 وفهارس علماء المغرب
ص 709 وفهرس الخزانة العلمية الصبيحية ص 17 و 182 وفهرس الفهارس 2 : 566
وسلوة الانفاس 3 : 60 وشجرة النور الزكية I : 187 ع 1095 والفهرس للمنجور ،
الكتاب كله .

توفي يوم السبت 26 صفر عام 997 هـ وستاتي تراجم اعلام بيته
كأبيه سعيد وعمه عبد الرحمان في مكانها من هذا الكتاب (228)

(1503) احمد بن حسن الصغير الوريثي ، فقيه من المغرب
الأقصا يلقب بالصغير وينسب الى قبيلة بني وريائل (229) بجيم بدوية
الساكنة بالمنطقة الجبلية الواقعة شمال فاس ، قرأ بفاس على احمد المنجور
وطبقته ، وأقرأ هو بها الطلبة مدة ، ومن الذين اخذوا عنه بها الشيخ يوسف
بن محمد الفاسي .

وكان مبرزاً في علم اللغة الى جانب تبرزه في الفقه .

ويذكر المترجمون من اخباره انه كان من اتباع الطريقة الأندلسية
التي أسسها محمد الأندلسي المراكشي المقتول بمراكش عام 984 هـ ، فلما
أدرك ما هي عليه من البدع والمناكر والمعتقدات الفاسدة المنافية للدين
الحق انفصل عنها ، وكتب في الرد عليها رسالة قوية اللهجة كانت
سبباً في اغتياله من طرف احد اتباعها ، وتوجد من هذه الرسالة نسخة
بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 3/333

مات قتيلاً بقصبة فاس قبل عام 999 هـ (230) .

(228) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 593 وخلال جزولة
2 : 137 - 140 ودرة الحجال 1 : 167 ع 198 وطبقات الحضكي 1 : 37 ووفيات
الرسموكي ص 33 ع 154

(229) بني ورياجل قبيلة باقليم تاونات ، بطونها : بني كيسان ، وتزارين ،
وجباله ، والدردار ، وفروننت (تافروننت) ، والهوتة . وهي غير بني ورياجل بالفين ،
فهذه قبيلة اخرى موجودة باقليم الحسيمة .

(230) ابتهاج القلوب ص 298 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
ص 189. وسلوة الأنفاس 3 : 251 وفهرس الخزانة العلمية الصبيحية ص 598 ع 1291

1504) احمد بن عثمان الميموني اللمطي ، فقيه نحوي من بيت علم
وصلاح بمدينة فاس واصل سلفه من قبيلة مكناسة (231) الساكنة باقليم
تازة ، ومنها انتقلوا الى قبيلة لمطة (232) قبل أن يستقروا بمدينة فاس ،
فلذا ينسب الى مكناسة ولمطة معاً ، فيقال فيه اللمطي والمكناسي .

ولدَ بعد عام 940 واخذ عن ابيه وعن محمد ابن غازي ، واجاز له
في القراءات وكل ما يحمله عن شيوخه ، وكان يستظهر مختصر ابن الحاجب ،
ويدرس بمدرسة الحلفاويين (233) ويؤم بجامع درب الطويل بفاس .

اخذ عنه ابو القاسم ابن القاضي متقدم الترجمة (2 : 147 ع 425)
وقال عنه في فهرسته المسماة **تفوير الزمان** ، **بقدم مولانا زيدان** : قرأت
عليه القرآن بالسبع وغيره والألفية بالمرادي .

توفيَ بفاس في حدود عام 1000 (334) وستاتي ترجمة والده عثمان
بن عبد الواحد وعمه عبد العزيز في مكانهما من حرف العين .

1505) أحمد بن حميدة المطرفي فلكي من المغرب الأقصى ، ولد عام
914 ودخل الى فاس فأخذ عن جماعة من علمائها ، ورحل الى مصر فأخذ
بها عن عددٍ من الشيوخ يطول ذكرهم ، منهم عبد الرحمان التاجوري
وعبد الرحمان الاجهوري .

وكان فقيهاً فلكياً عارفاً بالتعديل والحساب ، تصدر للتعليم بمراكش ،
واخذ عنه بها عدد وفير من الطلبة .

231) مكناسة قبيلة صنهاجية تقع امام مدينة تازة ، بطونها : اولاد بكار ،
بني علي ، بني هيثم

232) لمطة : قبيلة صنهاجية تسكن جبل زالغ الواقع امام مدينة فاس .

233) مدرسة الحلفاويين اول مدرسة علمية بنيت بفاس تقع امام جامع
القرويين بحومة الصفارين وتعرف بمدرسة الصفارين .

234) الاكليل والتاج ص 13 ودرة الحجال I : 168 ع 200

له كتبٌ في علوم الفلك والتنجيم والتوقيت ، منها I - جمع المهمات ، المحتاج اليها في علم الميقات ، بناه على مقدمتين واربعه وعشرين بابا ، مفصلا القول في كيفية العمل بالآلة الاسطرلاب ، يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة 547I ونمرة 6676 وبالخزانة العامة بتطوان تحت نمرة 330 ، وبالخزانة العلمية الصبّحية بسلا نمرة 3/I37 و 4/I99 ، و 2 - ولباب' الفضة ، في شرح الفاظ' الروضة ، شرح به روضة الازهار ، في علم وقت الليل والنهار لعبد الرحمان الجادري ، يوجد مخطوطاً في مجموع نمرة I4I2 د بالخزانة العامة بالرباط . 3 - والمقرب ، في وصف المجيب ، بناه على مقدمة وواحد وعشرين بابا استوفى فيها طرق استعمال آلة الربع المجيب في حساب الأطوال والعروض واستخراج الجهات وغير ذلك ، يوجد مخطوطاً ضمن مجموع نمرة I425 بالخزانة العامة بالرباط ، وبالخزانة العلمية الصبّحية بسلا تحت نمرة 4/237 وهي اول نسخة نقلت من المبيضة بخط المؤلف . 4 - والمقصد' الأسنا ، في حل مقفل يسارة ابن البنا ، شرح به كتاب اليسارة ، في تعديل السيارة تاليف احمد ابن البنا الأزدي المراكشي متقدم الترجمة (4 : 262 ع I26I) يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة I596 د وبخزانة زاوية سيدي حمزة .

لقيه احمد ابن القاضي ، وقال عنه في جذوة الاقتباس انه اجاز له كل ما يحمله عن اشياخه .

توفي بمراكش يوم 13 محرم عام 1001 هـ (235)

235) الاكليل والتاج ص 13 والتقاط الدرر 2 : 19 والف سنة من الوفيات ص 326 والاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام 2 : 213 ع 248 وتذكرة المحبين (مخطوطة مصورة) ، وجذوة الاقتباس ص 160 ع 112 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 158 - 159 - 381 ودرة الحجال 1 : 91 ع 129 وطبقات الحضيكي 1 : 40 ومعجم المؤلفين 2 : 213 والموسوعة 3 : 86 ونشر المثاني 1 ، 38 وصفوة من انتشر ص 105 والسعادة الابدية 2 : 130 وفهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبّحية بسلا ص 482 - 483 - 543 وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط 2 : 295 وشجرة النور الزكية 1 : 294 ع 1131 وسماه فيها احمد بن جيدة فليصحح ، وهديّة العارفين ص 150 واليواقيت الثمينة 1 : 18

1506) أحمد التقلّيتي ، فقيه وعالم رياضي مغربي ، كان عارفاً بالحساب والتعديل والمساحة ومبادئ الهندسة ، شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش .

توفي في النصف الثاني من صفر عام 1001 هـ (236)

1507) أحمد بن علي الزموري ، فقيه اديب لغوي من اهل فاس ينسب الى مدينة أزمور (237) هاجر منها جده وابوه الى فاس عندما استولى عليها البُرتغاليون في أول رجب من عام 917 .

ولد المترجم بفاس بعد عام 930 واخذ بها عن كبار مشيختها كمحمد بن أحمد اليسيتني ومحمد بن أحمد ابن مجبر المساري وأبي القاسم بن محمد ابن ابراهيم المشنزائي الدكالي متقدم الترجمة (2 : 138 ع 414) فأتقن على يدهم كثيراً من العلوم الدينية واللغوية وحفظ متوناً علمية متعددة كمختصر ابن الحاجب وغالب تسهيل ابن مالك ، ولما اكمل دراسته انصرف الى التدريس بجامع القرويين وجامع الانبلس وبعض المدارس الملحقة بهما ، فاشتهر بالتدقيق والتحقيق وتنافس الطلبة في حضور دروسه والاستفادة من علمه والانتفاع به وتخرج به كثيرون سنذكر بعضهم فيما بعد .

وكان فصيح اللسان حلو العبارة جيد الحفظ دقيق الفهم ، يميل الى الادب ويستظهر القوافي ويقول الشعر ، نال حظوة كبيرة عند سلاطين

236) الف سنة من الوفيات ص 320 والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 243 ع 206 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 381 ودرة الحجال 1 : 172 ع 217 والموسوعة 1 : 54

237) أزمور : مدينة بالمغرب الأقصا تقع على الضفة الجنوبية لنهر ام الربيع عند مصبه في المحيط الأطلسي بين مدينة الدار البيضاء ومدينة الجديدة ، تبعد عن الأولى 83 كلم جنوبا وعن الثانية 13 كلم شمالا ، وفيها مدفن الشيخ ابي شعيب بن سعيد الصنهاجي احد كبار الأولياء المشهورين بالمغرب المعروف اختصارا باسم مولاي بوشعيب المترجم في الجزء الثاني من هذا الكتاب ص 196 ع 467

الأسرة السعدية الملكية فكانوا يحبونه ويقدرونه منذ استولوا على فاس وجعله محمد الشيخ المهدي وابتاؤه امامهم في الصلاة ، وكان السلطان احمد المنصور السعدي على الخصوص يستحسنه كثيراً ويحظيه اكثر من غيره حتى انه كان يأكل واياه في خوان واحد ويتدارس واياه مسائل من العلم بحضور العديد من كبار الفقهاء واعيان العلماء ، وكان يستدعيه الى مراكش كل سنة في رمضان ليصلي به التراويح لحسن صوته وجودة حفظه ، ذكروا ان السلطان المذكور اعطاه في عام واحد خمسة آلاف اوقية وبستاناً بمراكش وارضاً للحرث وغيرهما .

اخذ عنه ابراهيم بن عبد الرحمان الكلالي متقدم الترجمة (I : 148 ع 153) واحمد ابن القاضي واحمد بن محمد ابن جلال وعلي بن عبد الرحمان ابن عمران السلاسي وعلي ابن الزبير وعلي ابن جلون ويوسف السبع القصري وعلي بو العرب الخ الخ .

وذكر محمد الصغير اليفرنسي في نزهة الحادي ابياتا وتخميسات من شعره رايت ان لا اذكر شيئاً منها لهلهة نسجها وضحالة معانيها ، فليراجعها فيه وفي نفح الطيب من شاء .

توفي بفاس ليلة السبت 1 رجب عام 1001 هـ (3 ابريل سنة 1593 م) ، ودفن بروضة الشيخ عبد الله الخياط بحومة الدوح (238) ، وشهد جنازته جمهور " غفير" من الخاصة والعامة .

238) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 13 والفاء سنة من الوفيات ص 327 والتقاط الدرر 2 : 19 والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 148 ع 214 والبحث العلمي (مجلة مغربية) 7 : 250 وتذكرة المحبين (مخطوطة مصورة) ص 314 وجدوة الاقتباس ص 136 ع 79 ودرة الحجال 1 : 154 ع 178 وطبقات الحضيكي 1 : 39 وعبارة المحاسن ص 37 ومناهل الصفا ص 128 - 136 - 191 طبع تطوان ، ونزهة الحادي ص 54 - 57 - 58 - 138 ونفح الطيب 7 : 75 ونشر المثنائي 1 : 36 وصفوة من انتشار ص 95 وسلوة الانفاس 1 : 270 وشجرة النور الزكية 1 : 29 ع 1125 واليواقيت الثمينة 1 : 18

1508) احمد بن يحيى الادريسي (239) الشفشاوني ، جد الشرفاء الشفشاونيين الساكنين بفاس ، اصله من مدشر بوشرواس وسكن شفشاون (240) فنسب اليها وعُرف بالنسبة اليها عقبه ، ولد عام 945 ، وكان فقيهاً مشاركاً ادبياً مؤرخاً باحثاً عن الحقائق كثير الافادة حسن الخلق والخلق متعبداً مقلاً من الدنيا ، توفي عام 1001 (241)

1509) احمد بن الحسن العمري ، فقيه" من قبيلة آاية الصواب (242) المغربية ، وصفه الحضيكي في الطبقات بالتقنن والبراعة في العلوم والمهارة فيها مع فضل وديانة وصلاح .

توفي مغتالا عام 1001 هـ ودفن بهشتوكة بتربة قرب سيدي بيورك (243)

239) فيما يلي عمود نسبه : احمد بن يحيى بن الحسن بن ابي القاسم بن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن ابي بكر بن موسى بن مشيش بن ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سليمان (المدعو سلام) بن مزوار بن علي (المدعو حيدرة) بن محمد بن ادريس الثاني بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

240) شفشاون : مدينة متوسطة تبعد 70 كلم عن تطوان جنويا و 76 كلم عن وزان شمالا ، وترتفع ألف متر على مستوى البحر ، أسست عام 806 في عهد السلطان أبي حسون الوطاسي وجدها علي بن راشد العلمي وجعلها قاعدة لمقاومة الغزو الأجنبي واتسع عمرانها فيما بعد .

وهي قاعدة الاقليم المسمى باسمها ، جميلة المنظر لذيدة الثمار غذية الماء ، اهلها مشهورون بحفظ القرآن واتقان الفقه .

241) التقاط الدرر 2 : 18 والاكليل والتاج ص 13 والفاء سنة من الوفيات ص 326 وذكرة المحبين (مخطوطة مصورة) ص 314 ودرة الحجال 1 : 101 ع 143 والدرر البهية 2 : 99 والنوع المغربي 3 : 129 ونشر المثاني 1 : 33 وسلوة الأنفاس 3 : 251

242) قبيلة باقليم أجدير ، بطونها خمس عشرة ، هي : داية ايكيسل - آاية بهمان - آاية عين - آاية وغان - آاية ويكمان - آاية يحيى - ازور ابغالن - ايمديون - ايمكويين - ايندريف - ايساكن - تاكوشت - تودمة - تياوزوين - هشتوكة ، واشهر قراها قرية تنالت .

243) طبقات الحضيكي ص 40

(1510) احمد ابن (اندغ) محمد التنبكتي ، فقيه نحوي لغوي من اهل السودان المغربي (جمهورية مالي الحالية) ، قال عنه محمد البرتلي في فتح الشكور له حظ في الأصول والبلاغة ، وله شرح حسن على الجرومية سماه الفتوحات القيومية فيه فوائد مهمة ، وفروع " وتتمّات يتشوف لها عالي الهمة ، يدل على وسع باعه في العربية ، وكثر اطلاعه على دقائقها .
تولى القضاء ببلده .

كان حياً عام 1001 هـ (244)

(1511) احمد بن يوسف ابن مهدي الزياتي ، فقيه "نحوي من المغرب الأقصى ، اصله سلقه من بني عبد الواد الزناتيين سلاطين تلمسان ، انفصلت عشيرته عنهم واندمجوا في قبيلة بني زيات (245) الغمارية ، واهل المترجم يعرفون فيها ببني مهدي ويعرفون في غيرها بالزياتيين .

ولد ببني زيات فجر يوم الاثنين 15 ربيع الأول عام 953 هـ ورحل الى فاس لطلب العلم فقرأ بها على احمد القدومي واحمد المنجور وغيرهما ، فنجب وتفوق على اقرانه ، ولما عاد الى قبيلته اقرأ بها وكان من تلاميذه اخوه الحسن الزياتي آتي الترجمة ، ثم انتقل الى تطوان فاستوطنها ودرس بها وخطب ببعض جوامعها .

وكان عالماً جليل القدر عارفاً بالفقه متقناً للنحو مشاركاً في كثير من العلوم ، صوفياً متعبداً صحب في الأول الشيخ احمد الفيلاي آتي الترجمة ثم صحب بعد موته الشيخ يوسف بن محمد الفاسي (ففتح له على يديه فتحاً

(244) فتح الشكور ص 39 ع 15

(245) بني زيات : احدى قبائل غمارة باقليم شفشاون بطونها عشر : برمان ، بنسي بخت ، بني بداس ، بني برون ، بني جلا ، بني جلون ، بني غفار ، بنسي هلبل ، ترغة ، قاع اسراس .

استنارت به عوالمه ، واتحدث به وجهته ، واقبل على الله بكلية واعرض
عما سواه) .

ومما خاطبه به الشيخ يوسف الفاسي يوصيه وينوه به قوله له في
بعض رسائله :

« فاعلم ان الحال ناداكم ، والوقت اجابكم ، فان تنبّهت فشاهده
منكم (اقمّن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه) الآية ، انصت
لما قيل لك واجر على مقتضاه فإله يعينك ، واجمل الحق دليلك لأنه يقضي
ولا يقضى عليه ، وارفع همّك الى الله ، واقطع اياسك مما سوى الله
بصدق التوجه اليه ، ولا تكن بنفسك او بشيء من عوالمك تكن مع غيره
فيفوتك عذب مؤانسته ولذيق مناجاته ، ومن فقد الله لم يجد شيئاً ، والا
فراقبته في سائر احوالك وسرك وعلانيتك ، واجر على قلبك وان لم
تحرك به لسانك قوله تعالى : (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً) الى مبين ، تجد بركة ذلك ان
شاء الله تعالى ، ومن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل
شيء ، فإله يعينك على حسب اجتهادك ، ويمدك على حسب نيتك وحسن
اعتقادك ، فان تمتّتم عفواً الله لك ، جعلك الله من خواص عباده ،
واخذك عن مرادك واقفاً عند مراده ، ولا تزال تخبرنا بما يرد عليكم ،
فمواصلة الاقلام ، تغني عن زيارة الأقدام ، ان صح ارتباط الأرواح ، فلا
عبرة بالاشباح ، وفي هذا العلم تتحد الامكنة والأزمنة ، فاعلم ذلك كما
قيل : شواهد اهل الصدق في الحب تعرف ، .

توفي بتطوان عصر يوم الجمعة 25 ربيع الأول عام 1003 ودفن غده
السبت خارج باب العيون قريباً من روضة سيدي طلحة (246)

(246) الاكليل والقاج ص 13 وتاريخ تطوان I : 315 ودره الحجال I : 169
ع 205 ومراة المحاسن ص 43 وتذكرة المحبين (مخطوطة مصورة) ، وإبتهاج القلوب
ص 230 والتقاط الدرر 2 : 21

(1512) احمد بن محمد احشوموض ، فقيه مغربي من قبيلة مانوزة (247) .
باقليم اجدير ، اخذ عن احمد بن عبد الرحمان المسجداي متقدم
الترجمة (5 : 163 ع 1472) ، ووصفه الحضيكي بالتقوى والصلاح .

توفي ليلة الخميس 22 من شهر ربيع ؟ عام 1003 (248)

(1513) احمد بن عبد الرحمان السجلماسي فقيه من المغرب الأقصى ،
تولى قضاء مدينة سلا ، ومات غريقاً بوادي ورغة ، وحمل شلوه الى مدينة
مكناس فدفن بها ، وكان ذلك عام 1005 (249)

(1514) احمد بن عبد الله اليكنصوتي (250) فقيه اديب صوفي .
من المغرب الأقصى ، ينسب الى عشيرة شهيرة تسكن جبال غمارة بين قبيلة
الأخماس وقبيلة بني زجل قرب مدينة شفشاون ، ذكره الشيخ العربي الفاسي
في كتابه مرآة المحاسن وقال ان له قصيدة حسنة قالها في مدح والده الشيخ
الشهير يوسف بن محمد الفاسي آتي الترجمة ، وهي :

ضحك الزمان وحف بالأعراس	من بعد ما قد كان في ابلاس
وافتر عن آقاهه مستبشرا	بطلوع شمس الدين اعني الفاسي
ذاك الذي خضعت فحول زمانه	في الشرق والغرب وفي الأرماس
شيخي الذي لولاه ما جلت ولا	صلت ولكن كنت في اغلاس
شيخي الذي عم الوري برعاية	وهداية من بعد طول تناسي

(247) مانوزة ويقال فيها ايضا امانور قبيلة بدائرة تافراوت من اقليم اجدير ،
بطونها : آية داوود - آية الربيع - آية مسعود - آية عبد النعيم - آية علي

(248) طبقات الحضيكي ص 39

(249) الف سنة من الوفيات ص 328

(250) نسبة الى بني يلصو الزرويليين الساكنين قرب شفشاون ، يقال ان
جدهم يلصو حفيد لابان بن عثمان بن عفان ، وانه دخل المغرب مع موسى بن نصير
الفتاح العربي الشهير واستقر فيه ، وينبغي الاشارة الى ان كتابة النسبة الى يلصو ترد
في عدد من الكتب هكذا : الياصلوتي والياصلوتي ، وذلك خطأ يجب اصلاحه .

كم سنةٍ قد شاد بعد دروسها
والبدعةُ الشنعاءُ هدًى منارها
لا تطمعي في ان تطوفي حولهم
ومنها :

وفككتَ من اسر الزمان قيودنا
ومحا جمالك من قبيح فعالنا
لم لا ؟ وانت البحر والحبرُ الذي
ومنها :

من قاس حلمك بالسوى او علمكم
هاذاك في عميا وفي وسواس
ومنها في ختامها :

ضمن القوافي عن تلافي ما بدا
اما الخوافي عند رب الناس

مات بالوباء عام 1006 (251)

(1515) احمد بن عبد الواحد الحسني (252) السجلماسي ، اديب
من بيت علم وصلاح وشرف بالمغرب الاقصا ، استقدمت اسرته من
سجلماسة الى مراکش بأمر السلطان احمد المنصور السعدي وقاسمها ما
امتحننت به كما سيأتي بيان ذلك في ترجمة ابيه .

(251) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 14 وابتهاج القلوب (مخطوطة
مصورة) ص 261 والتقاط الدرر 2 : 30 ومرآة المحاسن ص 27 ونشر المثاني 1 : 69

(252) فيما يلي عمود نسبه : احمد بن عبد الواحد بن احمد بن محمد بن علي
الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل بن قاسم بن محمد بن ابي القاسم
بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن
علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله
الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وقاطمة الزهراء .

أخذ المترجم به عن والده القاضي عبد الواحد بن أحمد ، وعن أحمد ابن القاضي وأحمد بابا التنبكي السوداني وأبي القاسم ابن أبي النعيم متقدم الترجمة (2 : 148 ع 426) وقاضي الجماعة محمد الرجراجي وعلي ابن عمران السلاسي وغيرهم .

وكان فقيهاً اديباً يقول الشعر ، وله في السلطان أحمد المنصور السعدي قصائد مدحه بها دفعاً لسخطه وجلباً لرضاه ، لقيه أحمد المقرئ التلمساني بهراكنش وسمع منه كثيراً من نظمه ، ووصفه في روضة الآس بالفقيه الناظم النائر ، البارع المكاثر .

من شعره قوله :

مَنْ منقذي من شادن فاتن يؤثره البدرُ على نفسه
إذا انتضى من لحظة صارماً ما أقربَ الانسانَ من رسمه
وعارضه الأديبُ الكاتبُ محمد بن عبد العزيز الفشتالي فقال :

مَنْ منقذي من شادن فاتن قدأ ونقشُ المسك في طرفه
يحكي اعتدالَ الغصن في هزه يؤثره البدرُ على نفسه
وقوله :

قلتُ له إذْ ساءني معرضاً وحسنه يهزأ بالسرب
هَبْكَ تجافيتَ وابتدئني تقدرُ ان تخرجَ من قلبي ؟
وقوله :

حين اختفى عني اتت عيني بدمع منهمر
لا تعجبوا من سحبه فالودقُ من دون المطر

وقوله :

كان لعيني به نزهة
فاحجبت عن ناظري مدنف
في روضة من نرجس والقاح
قد اشخت احشاؤه بالحراح

توفي بالطاعون في شهر ذي الحجة عام 1009 (253) وستاتي
ترجمة ابيه عبد الواحد واخيه محمد .

(1516) احمد بن ابي القاسم بن علي الشاطبي ، فقيه "مشارك" من
اهل مراكش ، اصله سلقه من الاندلس كما توحى به النسبة الى شاطبة ،
تولى النيابة في القضاء عن ابيه ابي القاسم الشاطبي متقدم الترجمة
(2 : 141 ع 419) والخطابة بجامع المنصور من قصبه مراكش ، وكان بارعا
في الفقه والاصول ، اتقن الكتابة والتوثيق على حداثة سنه .

كان حيا عام 1010 (254)

(1517) احمد بن محمد ابن الطالب ، فقيه من المغرب الأقصى تولى
الخطابة بمراكش ، وكان امينا على دار السكة بها ، واليه ينسب الدينار
الفاصي المسمى دينار ابن الطالب .

مات عام 1011 (255)

(1518) احمد بن محمد الايسي ، فقيه من اهل بيت رياسة على عهد الأسرة
السعدية ، اظن ان اصله من بطن آية ايسي احدي بطون قبيلة كونانة باقليم

(253) الاكليل والتاج ص 12 والتقاط الدرر ص 36 والاعلام ، بمن حل مراكش
واغمات من الاعلام 2 : 250 ع 215 وروضة الاس ص 202 ع 13 والنبوغ المغربي
3 : 79 ونشر المثاني 1 : 79 والموسوعة 3 : 161 وصفوة من انتشار ص 104

(254) الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 243 ع 205 والحركة
الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 385 ودرة الحجال 1 : 172 ع 215

(255) الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 251 ع 216 ونفسر
المثاني 1 : 85

تيزنيت بالمغرب الأقصى كما يدل على ذلك نسبه ، في بيته نزل احمد المقرئ
البلطاساني لما دخل مراکش عام 1009 صحبة اخي المترجم ابراهيم بن محمد
الايسي احد قواد السلطان احمد المنصور السعدي ، وقال عن هذا البيت
في كتابه روضة الأوس : وبارهم الممت يوم دخولي الحضرة العلية ، ولو
اني اتعبت اليراعة في بعض مآثرهم الجليلة ما اطلقتها ، ولو علمت أن
اطيار المدائح المحبوسة في قفص الفكر - اذا صدحت فوق افنان
الشكر - تؤدي بعض حقهم لاطلقتها .

وقال عن المترجم انه فقيه حافظ واسع الايثار ، ذو ملكة في العلوم
ومشاركة فيها على اختلاف انواعها ، وانه باذل واسع الايثار ، يتولى
للسلطان احمد المنصور امانة بيت ماله . وان هذا السلطان نكبه وأسرته
(ثم خلصوا من النكبة خلوص الذهب بعد السبك ، واطلع امير المومنين
نصره الله على عدم صحة ما نسب اليهم من الكذب والافك) ، وفي بيتهم يقول
مادحاً :

مَنْ مَبْلُغٌ اهلي وكلّ احبتي اني نزلت بمعشر فوق السّها
شرفاً ، فهم عند السماحة حاتم ولدى البلاغة كعبها او قسّها

ثم قال : وله نظم ، فمن ذلك ما انشدنيه لنفسه يسلي بعض
اخوانه في نكبتهم ، وقد كان ذلك الأخ عزم على الاستشفاع بأحد الرؤساء ،
فقال صاحب الترجمة مخاطباً له :

توسّل اخي بالمرسلين واحمد لأحمد ياتيك الذي انت سائله
ولا تسأل الناس الذين هم اذى وخيم على من لا تخيب وسائله

ثم قال : واخبرني انه دخل عليهم في نكبتهم هذه الفقيه الشاعر
المفلح ابراهيم الهوزالي رحمه الله وهم بجماعتهم منقفون في مسجد
المشور العلي من حضرة الامامة ، فلما راهم على تلك الحال انشد لنفسه
ارتجالاً :

وعهدي بالجوزاء عقد منظم بجنب السها اضاء في جنب مشثري
فسلّ عالم التنجيم ذا خبرة به متى انتثرت في ركن جامع مشور؟

لم اقف من اخباره على اكثر مما ذكره المقرّي في روضة الآس ،
كما لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً في شوال من عام 1011 (256)

(1519) احمد (المنصور الذهبي) بن محمد (الشيخ) السعدي ،
سابع سلاطين الأسرة السعدية الشريفة (257) المتملكة بالمغرب الاقصا ،
المشهور بلقب المنصور الذهبي ، ولد بفاس عام 956 هـ من أمّه مسعودة
بنت احمد بن عبد الله الوزكيتي آتية الترجمة ، وأنشأه ابوه السلطان محمد
الشيخ الملقب أيضا بالمهدي بن السلطان محمد القائم بأمر الله انشاءً حسناً ،
فاختار له من المرّبين أخيرهم ، ومن المعلمين اقدرهم ، واوصى به أخاه
عبد الله الغالب بالله لما استقدمه من فاس ليؤليه عهده ، ومن اشهر الشيوخ
الذين اخذ عنهم احمد المنجور (5 : 202 ع 1501) واحمد القدومسي
(5 : 194 ع 1467) ورضوان الجنوي ، ومحمد بن يوسف الدرعي ، وموسى
الرداني ، وعبد العزيز بن عبد الرحمان ابن ابراهيم المشنزائي ، وعبد
الواحد الحمّيدي ، ويحيى السراج ، وحضر عند الامام مفتي المغرب
شقرور بن هبة الله الوهراني التلمساني في مجالس عديدة من التفسير والفقه
والكلام والنحو ، وأجازه عددٌ من علماء المشرق كمحمد البكري وبسدر
الدين القرافي .

وصف احمد ابن القاضي معارفه ومحصلاته العلمية في كتابه
المنقّي المقصور قائلاً : كان خبيراً بالعلوم ، متضلّعاً بالفنون ، من شعر
وتاريخ وسير ونحو ولغة وبيان ومنطق وتفسير وحديث وحساب وفرائض

(256) روضة الآس ص 189 ع 10

(257) ينظر مشجر نسبه في ترجمة عمه احمد الاعرج السعدي المثبّته في هذا
الجزء ص 173 ع 1477 وأما نسبتهم الى بني سعد فهي من اختلاق خصومهم ، ولم يكونوا
يخاطبون ايام ملكهم الا بالشرفاء الحسينيين .

وهندسة وجبر ومقابلة وتعديل . وقال عنه عبد العزيز الفشتالي في كتابه
مناهل الصفا : ورزقته الله من الفهم الثاقب ما لم يكن لغيره ، حتى أنه فهم
كتاب اقليدس في الهندسة من غير استاذ لعدم وجوده في المغرب ، فكان
كل يوم يفك شكلا من اشكاله .

ذلك ما ذكره المؤرخون عن تكوينه العلمي الذي لا يخلو من مبالغة
كما لا يخلو من حقائق لا يمكن نكرانها لوجود قرائن تدل عليها واحاديث
واخبار رويت في وصفها بالتواتر عن رجال ثقاة بعيدين عن الكذب
والمراءاة .

اما تكوينه السياسي فان السلطان المترجم نشأ في بيئة مضطربة
وفتن مصطخبة ، فمن جهة كان المغرب - في سنوات تنشئته - مهدداً في
حدوده الشرقية بغزو الترك الذين ما كادوا يبسطون سيطرتهم على الجزائر
ويؤسسون حكمهم فيها حتى امتدت اعينهم اليه يريدون بسط سيطرتهم
عليه وتأسيس حكمهم فيه ، كما كانت سواحله الشمالية والغربية ترزح
تحت نير الاحتلال الاسباني والبرتغالي ، يضاف الى ذلك انقسام الأسرة
الملكية السعدية على نفسها وتنافس امرائها على الملك واستعانة بعضهم
على بعض بالأجانب - لا فرق بين مسلميهم وكافريهم - وابدأؤهم الاستعداد
للتنازل لهم عن اجزاء من التراب الوطني او الدخول تحت حمايتهم ان هم
اصرخوهم وامدوهم بالعون المطلوب ، لا يستثنى منهم واحد ، الشيء
الذي يذكر بمحنة المسلمين في الأندلس يوم كان ملوكها وامراؤها يستعين
بعضهم على بعض بملوك النصارى وامرائهم مقابل التنازل لهم عن بلدان
وحصون من ارض الاسلام حتى ضاعت الأندلس كلها .

وقد حدث ان الأمير عبد الملك المتقلب فيما بعد بالمعتصم واخاه
الأمير احمد المترجم المتقلب فيما بعد بالمنصور ابني السلطان محمد

الشيخ كانا يقيمان بسجلماسة طيلة حياة ابيهما ، ثم فرا (258) في عهد اخيهما السلطان عبد الله الغالب بالله الى تلمسان خوفاً على نفسيهما ، فاقاما بها مدة ، ثم ارتحلا الى الجزائر فسكناها مدة اخرى ، ثم انتهى بهما الترحال الى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية ومعهما امأهما ونفرٌ من شيعتهما ، واثناء وجودهما فيها سمعا ان السلطان سليم بن سليمان العثماني يُعدُّ اسطولا لارساله الى تونس لطرد الاسبانيين الذين كانوا يحتلونها ، فتطارحا عليه راغبين منه ان يشركهما في اجر الجهاد ، ولكنه تناقلَ عنهما مدةً رغم الجهود التي بذلتها امٌ احدهما كانت تقيم داخل قصره (259) ، فعادا الى الجزائر ، ولما اوشك الأسطول العثماني ان ينطلق لتحرير تونس كتب السلطان سليم الى ولاته بطرابلس والجزائر يامرهم ان يوجهوا اساطيلهم لدعم الاسطول المنطلق من تركيا ، وحينئذ التمس الأخوان عبد الملك واحمد من الدولاتي - حاكم الجزائر التركي - ان يشتركا بمن معهما من المقاتلين المغاربة في الجهاد ، فأجاب بالقبول ، ووضع تحت رياستهما غليوطة (260) فيها 36 جندياً ابحرت مع الأسطول المنطلق من الجزائر ، وشارك الأميران ومن معهما في محاصرة القلعة الاسبانية « بستيون » المبنية بحلق الوادي وقتال من فيها من جنود الاحتلال حتى تم فتحها يوم 6 جمادى الأولى من عام 981 هـ

وتأبى الحظوظ المواتية الا ان تلعب دورها بالنسبة للأميرين بعد هذا الفتح ، ذلك ان قائد الأسطول العثماني عين مركبين يتوجهان

(258) يختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في تواريخ تنقلات الامير عبد الملك واخيه الامير احمد من يوم فرارهما من سجلماسة الى يوم عودتهما الى المغرب ، وقد اجتهدنا في ترتيب هذه التنقلات جهد الامكان ، ويتبني - على ذلك - النظر الى هذا الترتيب بكل يقظة وحيطه .

(259) لم يتفق المؤرخون على اسم الأم التي دخلت قصر السلطان سليم ، فمن قائل أنها سحابة الرحمانية ام عبد الملك ومن قائل انها مسعودة الوزكيتية ام اخيه احمد

(260) اسم نوع من السفن الحربية ذات حجم معين .

الى اسطنبول حامليْن كتابَ الفتح الى السلطان سليم ، فطلب مده عبد الملك وأحمد ان ياذنَ لهما بمرافقة المركبَيْن اليها للاتيان بعائلتيهما التي تركاهما هناك ، فقبل طلبهما بعد تردد ، ولما كانوا في الطريق هاج البحر ففرق مراكبهم ، وكان من حسن حظهما ان مركبهما وصل قبل وصول المركبَيْن الآخرين بثلاثة ايام ، فلما بلغَ خبرُ وصولهما الصدرَ الأعظمَ احضرهما وسألهما عن الأسطول ، فأخبراه بانتصار الجيش العثماني والاستيلاء على الحصن الاسباني والقضاء على الحامية التي كانت مقيمة به ، فكاد يذمب عقله من شدة الفرح وسارع الى اخبار السلطان سليم فأحضرهما وسألهما كذلك فأخبراه بما جرى من البداية الى النهاية ، وقال له ان قائد الاسطول وجّه بكتاب الفتح مع مركبين صحبناهما الى ان فرق بيننا البحر ، فاهتزَّ السلطان فرحاً لكلامهما ، فطلبنا منه في « البشارة » التي رفاها اليه ان يبعث معهما جيشاً الى المغرب ، وان يدفن راسَ والدهما محمد الشيخ الذي كان معلقاً في شبكة نحاس بأحد أبواب قلعة اسطنبول منذ اغتياله عام 964 هـ ، فقبل شفاعتهما وامر بدفن الراس وكرامتهما وبعث اليهما بالأمر التي كانت في قصره ، وارجأ تنفيذ بقية المطالب التي تقدموا بها الى ان ياتيهِ الخبرُ اليقين ، فلما وصل المركبان بكتاب الفتح بعد ثلاثة ايام اقبل عليهما السلطان بوجه عطفه ، واعطاهما مالا وسلاحاً وكتب الى واليه على الجزائر ان يبعثَ معهما خمسة آلاف من الجند التركي يدخلون معهما المغرب الأقصا لانتزاع ملك ابيهما من يد ابن اخيهما محمد المتوكل الملقب فيما بعد بالمسلوخ .

وركب الأميران البحر عائدين الى الجزائر ، ولما وصلها دفعا كتاب « فرمان » السلطان الى الدولاتي ، فجمع الديوان وقرأه عليهم ، فأجابوا بالسمع والطاعة بعد ان اشترطوا على الأميرين أداء نفقات الحملة .

وبعدما اتمَّ الترك استعدادهم سار جيشهم مع الأميرين السى المغرب ، فوقع اللقاء بالموضوع المعروف بالركن من حوز فاس ، وخذل

السلطان محمد المتوكل معظم جيشه وانحاز الى الامير عبد الملك ، فانهمز محمد المتوكل ، وبعد هذا الانتصار عاد الجيش التركي الى الجزائر وسار عبد الملك الى فاس فاستولى عليها وبويع بها سلطاناً يوم الأحد 7 ذي الحجة عام 983 هـ ، ثم واصلا السير نحو مراكش لمطاردة ابن اخيهما محمد المتوكل ، وابدى الأمير احمد المترجم ضرورياً من الحزم والشجاعة خلال هذه المطاردة ، وكان هو الذي استولى على مراكش واخذ بها البيعة لأخيه عبد الملك قبل ان يلتحق به فيها يوم الاثنين 19 ربيع الثاني عام 984 هـ وإثناء وجود عبد الملك بمراكش طلب منه اخوه احمد تعيينه خليفة عنه بفاس فأجابته الى طلبه وكتب له رسالة كان من جملة ما قال له فيها : (اعلم اني لا احب احداً بعد نفسي كمحبتي لك ، ورغبتني في انتقال هذا الأمر بعدي اليك لا إلى غيرك) ، غير انه عاب عليه التراخي في الأمور وحذره منه .

ولا شك في ان اقامة الأمير احمد المترجم خارج المغرب واجتماعه في الجزائر واسطنبول برجال عديدين ينتمون الى اجناس اوربية ومتوسطية واطلاعه في عاصمة الخلافة العثمانية بالخصوص على العديد من العادات والأدوات غير المعروفة في المغرب المنغلق على نفسه وركوبه البحر وقتاله مع الجنود الأتراك ، كل ذلك خلّف في نفسه اعمق الآثار ، وجعله يتشبه بخلفاء بني عثمان في لباسه وأكله حينما تنبأ عرش المغرب ، ويدخل كثيراً من الانظمة التركية على الجيش والادارة في مملكته ، بل يستبقي جملة من الترك لحراسته الخاصة وخدمته داخل قصره .

ونعود الى السلطان محمد المتوكل الذي فرّ الى ناحية سوس بعد استيلاء عمه عبد الملك على مراكش فانه استطاع ان يعييه جيشاً جديداً حاول ان يستعيد به ما فقده ، وامكنه في وقت من الأوقات ان يستولي على مراكش وينتزع من اهلها بيعة جديدة ، ولكن قصبته امتنعت عليه لقيام عمته مزيم بالدفاع عنها مع ثلاثة آلاف من رماة اخيهما عبد الملك ، ولم ينقذ الموقف الا مجيء الأمير احمد المترجم بجيش فاس فأقصى محمد المتوكل

عن مراكز والحق به الهزيمة تلوّ الهزيمة ، فبقي هائماً على وجهه في جبال الأطلس ، ثم فرّ الى جزيرة بادس (261) التي كانت - ولا تزال - تحسّت الاحتلال الاسباني ، وانتقل منها فيما بعد الى مدينة سبتة ثم الى مدينة طنجة ، وكلاهما كانت تحت الاحتلال البرتغالي .

ومن مراكز الاحتلال الاجنبي بدأ محمد المتوكل يطلب الاعانة من ملك اسبانيا فيليب الثاني ومن ملك البرتغال دون سيبياستيان كما لم ينس ان يبعث برسالة الى علماء المغرب يبرر فيها استنجاهه بالنصارى الذين اقتصر على تسميتهم بأهل العدو ، وقد ردّ العلماء على تلك الرسالة ردّاً شاقياً نقضوا فيه ما غزله وحلوا ما ابرمه (262) ، كما ان ملك اسبانيا لم يجبه الى ما طلبه لانشغاله بأحداث أوروبا ونزاعه مع بريطانيا العظمى ، ولم تجد نداءاته صدى الا عند ملك البرتغال الذي كان يمني نفسه من قبل بملك المغرب ، ويعدّ العدة في ذلك الوقت لغزوه ، وقد اغراه محمد المتوكل بالتنازل له عن جميع السواحل وجعل المغرب كله تحت حمايته ، ومهد له بالتنازل عن مدينة اصيلة التي كان يحكمها صهره محمد ابن تودة ، فقويت حينئذ عزمته على غزو المغرب وقيادة الحملة العسكرية عليه بنفسه رغم النصائح التي قدمها له كبار قواده ومستشاريه وقدمها له ايضاً خاله فيليب الثاني ملك اسبانيا ، فخرج من لشبونة بأسطول يتألف

(261) جزيرة بادس : جزيرة صغيرة تقع بساحل قبيلة بقوية باقليم الحسيمة ، امام مصب وادي بادس بالبحر المتوسط ، وامام اطلال مدينة بادس القديمة ، طولها 400 متر ، وعرضها 100 متر ، استولى عليها الاسبانيون عام 904 هـ (1508م) بعدما كثر احتماء السفن القرصانية بها ، ثم استردها المغاربة عام 929 هـ (1522 م) ، ثم سلمها السلطان ابو حسون الوطاسي لصالح راييس التركي عام 961 هـ (1554م) ، واخيراً اتفق السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله مع اسبانيا على التنازل لها عنها خوفاً من اتساع النفوذ التركي في المغرب ، فخرج اسطول اسباني من مالقة يوم 27 غشت سنة 1564 م (972هـ) فاحتلها ولا تزال محتلة الى اليوم .

وقد صارت جزيرة بادس اليوم شبه جزيرة بعد ما كانت مفصولة عن البر المقابل لها بفواصل مائي يبلغ طوله 350 م ، لان الرمل تراكم بينها وبين الساحل ، فاصبحت موصولة بالارض ببرزخ يمشي عليه الراجل منها واليها .

(262) ينظر نص الرد المذكور في الاستقصا ج 5 ص 70 طبعة الدار البيضاء

من 487 سفينة من مختلف الأنواع ويحمل 24.000 من المشاة والفرسان وآلافاً أخرى من المساجين لحمل المؤن وجر المدافع ، وسار بهم حتى نزلوا بمدينة أصيلة يوم السبت 7 جمادى الأولى عام 986 هـ (12 يوليو سنة 1578 م) وأقاموا مخيماتهم بظاهرها ، ولما كانت أخبار الاستعدادات الجارية بالبرتغال تصل إلى المغرب كتب السلطان عبد الملك السعدي إلى ملك البرتغال دون سباستيان ينهيه عن غزو المغرب ، ويعدده بالتنازل له عن أي ميناء من موانئه يختاره ، وتوسيع الأرض الواقعة خلف كل ميناء تحتله قواته في المغرب بخمسة عشر ميلاً ، ويبين له أنه أحق بملك المغرب من ابن أخيه محمد المتوكل اللاجيء إليه والمستنجد به ، ولكن سباستيان تصامم عن ذلك وواصل تعبئة جيشه وتجهيزه ، فحينئذ قرر السلطان عبد الملك أن يناجيه الحرب بنفسه ، وعبأ جيش الجنوب الذي انضم إليه من جنود الترك بالجزائر خمسة آلاف يجيدون استعمال الأسلحة النارية والضرب بالمدافع (263) ، وكتب إلى أخيه أحمد المترجم خليفته بفاس يطلب منه تعبئة جيش الشمال والاتصاق بجيش الجنوب اللاتي معه من مراكش في مكان وميقات معين .

وكتب عبد الملك مرة أخرى ملك البرتغال بعد نزوله مع جيشه بأصيلة يحذره عاقبة عمله ، ولما رأى منه العزم والتصميم على احتلال المغرب بعث إليه برسالة استفزازية استدركه بها للابتعاد عن الساحل - حيث أسطوله - والتقدم مرحلة أو مرحلتين للقائه ، فتصرك الجيش البرتغالي من ظاهر مدينة أصيلة يوم الثلاثاء 24 جمادى الأولى (29 يوليو) وانحدر جنوباً حتى عسكر بالضفة اليسرى لوادي المخازن (264) يوم الأحد 29 جمادى الأولى (3 غشت) ، وفي يوم الاثنين التالي : 30 جمادى الأولى 986 هـ (4 غشت 1578 م) نشب القتال بين الجيش المغربي والجيش

(263) امدت تركيا الجيش المغربي في هذه المعركة باثني عشر مدفعاً .
(264) وادي المخازن : نهر صغير يقع في شمال مدينة القصر الكبير بإقليم العرائش ويصب في نهر لكوس .

البرتغالي في معركة خالدة من اعظم المعارك التي جرت بين مسلمي المغرب وبين نصارى اوربيا ، ولما كانت الحرب تدور رحاها كان ملك المغرب وقائد جيشه السلطان عبد الملك المعتصم يعالج سكرات الموت فسي محفته بسبب كعلك مسموم اكله ، سمه به الأتراك او ابن اخيه محمد المتوكل ، وعندما كان يلفظ انفاسه الأخيرة وضع سبأبته على فمه مشيراً على من حوله بكتيمان موته لكيلا ينتشر خبره فيدب الوهن والاضطراب الى جيشه وتكون الهزيمة عليه ، فاضطلع بالقيادة الأمير احمد المترجم رغم إصابته بجراحات في قدمه وصدره ، وصار يأمر وينهي وكأنه انما يبلغ الى القواد أمر أخيه ونهيه ، وما هي الا ساعات قلئل حتى هبت ريح النصر على الجيش المغربي وانكسر البرتغاليون انكساراً قلماً عرفوا له مثيلاً في تاريخ حروبهم منذ انشأوا دولتهم ، وهذه المعركة العظيمة يسميها مؤرخو المغرب معركة وادي المخازن لوقوعها على احدى ضفتيه ، ويسميها مؤرخو اوربا معركة الملوك الثلاثة ، لوفاة ثلاثتهم فيها ، وهم ملك المغرب عبد الملك المعتصم السعدي وملك البرتغال دون سيبياستيان وحليفه المستنجد به محمد المتوكل السعدي ، وسوف نتحدث عنها بتفصيل في ترجمة السلطان عبد الملك السعدي من هذا الكتاب .

وكان طبيعياً ان ينادى بالأمير احمد المترجم سلطانا على المغرب بمجرد انتهاء المعركة وعلان وفاة أخيه عبد الملك ، وذلك لسببين اثنين ، اولهما انه كان مرشحاً للملك بعده كما وقع التصريح بذلك في رسائله اليه ، وثانيهما انه كان شريكه في المعركة والمنفرد بعده بإدارة رحاها ، فأخذت له البيعة في ساحتها وعشية يومها من طرف العلماء والاشراف وقواد الجيش الذين حضروها ولقّب من ذلك اليوم بالمنصور ، وما ان تمت مبايعته سلطانا وأشرف على جمع الغنائم وسوى الخلاف الذي نشأ بينه وبين بعض مقاتلي المجاهدين بشأنها حتى انسل من الميدان

يوم الأربعاء ثاني جمادى الأخرى وتوجه مسرعاً إلى فاس ، لأن أترك الجزائر الذين حضروا معه المعركة أثاروا الشغب في وسط الجند والعامّة وصاروا ينادون بأحقية الأمير اسماعيل بن السلطان عبد الملك المعتصم بالملك ، وكان طفلاً صغيراً دون البلوغ ، وكان غرضهم من تملكه التمهيد لضمّ المغرب إلى الامبراطورية العثمانية ، فأفسد عليهم السلطان أحمد المنصور مكيدتهم بفراره إلى فاس التي وصلها يوم الخميس 10 جمادى الأخرى حيثُ جددت بيعته حسب القوانين الشرعية والأعراف المتبعة من طرف العلماء والشرفاء والأعيان وقواد الجيش وعرفاء الحرف ، وكتب بخبر تملكه إلى كل المدن والقبائل فلم يتخلف أحد عن الطاعة ، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة ، وكاتب هو ملوك عصره وامراء ورؤساءه من مسلمين ونصارى - على عادة الملوك - يخبرهم بوفاة اخيه وصيرورة الملك إليه ، فأجابوه مُعززين ومهنتين ، ومنهم من أوفد إليه وقدأ يحمل كتاب التعزية والتهنئة وهدايا نفيسة كالسلطان العثماني وواليه على الجزائر وملك اسبانيا ، وحتى الدولة البرتغالية نفسها التي مات ملكها وانهزم جيشها امامه في القتال بعثت إليه بوفد كبير يشتمل على كثير من قواد البرتغال واشرافه ومعه هدايا نفيسة من الطرف والتحف ، وكان يوم وصول هذا الوفد مع الهدايا المحمولة على العربات يوماً مشهوداً بقي الناس يتحدثون عنه سنين طوالاً .

واقبل السلطان المترجم على شؤون الدولة يُدير دفتها بحزم واقتدار يعينه عليها جماعة من الكتاب البارعين والقواد العسكريين ، واخرى من العلماء المستشارين ، وكان اول ما بدأ به من أمور التنظيم بعد مرض الممّ به اسناد ولاية العهد عام 987 هـ إلى ابنه محمد الشيخ الملقب بالمامون ، ثم جددها له في شوال عام 992 هـ لأن اخوانه كانوا يوم عقد له البيعة الأولى دون البلوغ ، وحسنأ فعل ، لأن تدهور المغرب قبله كان من ابرز اسبابه كثرة الأمراء الذين يلدهم السلاطين من نساء ينتمين إلى قبائل مختلفات متعدّدات ، وكثرة ما يتحارب

هاؤلاء الأمراء على الملك في حياة آبائهم أو بعد مماتهم لعدم وجود نص دستوري أو قانوني يضبط ولاية العهد ، واقتسامهم اقاليم المملكة - كأحسن حل - وأخف ضرر - كما يقتسم الورثة ما خلف مورثوهم من مال ومتاع ، بدأ ذلك بعد موت ادريس الثاني وتكرر غير ما مرة فيما بعد ، على ان هذا العمل الحكيم الذي كان من التنظيمات الأولى التي بدأ بها السلطان احمد المنصور عهده لم يف بما قصد به ورمى اليه ، لأن ولي عهده هذا تمرد عليه في حياته واقتتل مع اخوته بعد مماته اقتتالا قوض ما بناه ابوه من صروح العظمة والمجد لأسرته وبلده كما يعرف ذلك كل من قرأ تاريخ السعديين .

كما مهد احمد المنصور البلاد بالقضاء على الفتن والاضطرابات التي قام بها بعض المطالبين بالعرش من اسرته أو بعض القبائل القوية في جهات شتى من مملكته ، كحركة التمرد العسكري التي قام بها في فاس عام 986 قواد الجيش الأندلسيون ، وثورة ابن اخيه الأمير داوود بن عبد المومن عام 987 بمنطقة سوس ، وثورة الحاج ابن قرقوش عام 996 بجبال غمارة ، حتى لم يبق له منازع ، وخشي على نفسه من سطوته كل مغامر ، فأكسبته استقامة الملك له مهابة وشهرة لدى الدول الأوربية والشعوب الأفريقية ، فخطب الأولون وده وتبادلوا وإياه المراسلات ، واستنجد به الآخرون لنشر الاسلام في اعماق السوادين ، وأغراه حسن علاقته بالخليفة العثماني وواليه على الجزائر باعادة بسط حكم المغرب واقامة سلطته باقليمي توات وكرارة من اقاليمه الجنوبية الشرقية المجاورة للسودان ، وقد كانت السلطة تقلصت بهما خلال الفترة التي ضعف فيها حكم بني مرين وانشغلت الأمة المغربية بمواجهة كارثة الاندلس وغارات النصارى المتوالية على السواحل المغربية وتهديدات الترك للحدود الشرقية ، فأرسل جيشاً قوياً الى ذينك الاقليمين بقيادة القائد محمد ابن بركة والقائد احمد ابن الحداد العمري المعقلي اللذين ثبتا فيهما حكمه وعينا عماله وولاته وجببا الأغشار والزكاة ، وكان لاعادة الحكم

المغربي الى تلك الجهات النائية صدى عميق في قلب افريقيا المسلمة فأرسل اليه الأمير 'إدريس' سلطان 'برنو' - احدى ممالكها الواقعة اليوم بشمال جمهورية نيجيريا - وفداً محملاً بالهدايا ، فلقبه بفاس ، ولما اجتمع به السلطان ومساعدوه عجز الوفد عن تبين غرض مرسله ، فرجع الى سلطانه ببرنو معزراً مكرماً مصحوباً بهدايا من تحف المغرب ، وفي السنة التالية عاد الوفد ثانية الى المغرب واجتمع بالسلطان هذه المرة بمراكش، وبين له بصريح العبارة غرض موفده ، وهو ارسال مدد من جيش المغرب لاعانة سلطان برنو على محاربة كفار السودان ونشر الاسلام بينهم ، وخلال المفاوضات بيّن المفاوضون المغاربة للوفد ان الجهاد الذي يرغب فيه سلطانهم لا يصح لهم عمله ويكتب لهم اجره الا اذا استندوا فيه الى امام الجماعة ، وأنشأ لهم الكاتب الشهير عبد العزيز الفشتالي في محرم من عام 990 هـ مشروع بيعة رجعوا بها الى سلطانهم ليقبلها او يرفضها ، فقبلها واعادهم بها الى المغرب مع تحف وطرف جديدة هدية الى السلطان احمد المنصور ، فلما كانوا في الطريق اعتلّ رئيس الوفد ومات بآكورا ، فتولّى الولاة بها ارسال بقية الوفد وما حمله معه من البيعة والهدايا الى السلطان بمراكش (265)

ومنذ ذلك الوقت قويّ عزم احمد المنصور على الاستيلاء على بلاد السودان وبدأ يُعدّ العدة له ، ان لم يبق للمغرب مجال للانتشار شرقا بعد تملك الترك للجزائر ولا للانتشار شمالا بعد القضاء على الحكم الاسلامي بالاندلس ، وبدأ المنصور الأمر بعملين متوازيين ، اولهما مكاتبة امراء السودان كال سكية اصحاب كاغو داعياً اياهم الى الدخول في طاعته ، وثانيهما استشارة العلماء في مسألة غزو السودان واستغلال المعادن الموجودة بأطراف المملكة كمعدن الملح بتغازة المعروف الموجود حالياً

(265) ينظر نص بيعة ملك برنو في مناهل الصفا ص 69 طبع الرباط والاستقصا

بجمهورية مالي ، ومن أحق باستغلاله للاستعانة بخراجه على تجهيز عساكر المسلمين الذين يقاتلون الكفار ، أما استغلال المعدن فأفتاه العلماء بأن النظر في المعادن مطلقاً إنما هو للامام لا لغيره ، وأنه ليس لأحد ان يتصرف في ذلك الا عن اذنه او اذن نائبه ، واما غزو السودان فقد تحفظوا فيه وفي مقاتلة سكانه لأنهم مسلمون ، ومن البديهي ان السلطان احمد المنصور إنما كان يبحث بالأمر الاخير عن فتوى شرعية تبيح له غزو السودان ، كما كان يبحث بالأمر الاول عن مبرر ديبلوماسي يبيحه له ايضا ، وتوالت المفاوضات والاستشارات المصحوبة بالاستعدادات ، الى ان كانت سنة 998 هـ ففي يوم الاثنين 16 ذي الحجة منها بدأ تجميع الأسلحة والمؤون والأخبية بوادي نسيفة (تانسيفت) من ظاهر مراكش ، وفي فاتح شهر محرم من سنة 999 هـ تحرك الجيش تحت قيادة الباشا جؤذر وجماعة من اعيان الدولة وخيرة القواد ، وسار جنوباً ميمماً ارض السودان ومعه رسالة من السلطان الى الفقيه عمر بن محمود أقيت الصنهاجي قاضي تنبكتو يأمره فيها بحض الناس على الطاعة ، ولزوم الجماعة (266) ، وكان الطريق الذي رسمه لسيره يمر بدرعة وتندوف وتغازة وتاودني وكارا بارا ، وما زال الجيش يقطع القفار مرحلة مرحلة حتى وصل بعد اربعة اشهر ونصف الى مدينة تنبكتو الشهيرة الواقعة على وادي النيجر فاستولى عليها ، ولما بلغ اسحاق بن داوود ملك كاغو خبرها خرج من عاصمته لقتال الجيش المغربي في جيش كثيف جمع فيه حتى اشياخ السحرة واهل النفط في العقد وارباب العزائم والسيما ، فدارت بين الفريقين معركة حاسمة يوم 16 جمادى الأولى عام 999 هـ انتصر فيها الجيش المغربي ، وتواصلت الفتوحات في السنة التالية على يد الباشا محمود اخي جؤذر ، فاحتلت كاغو دار ملك آل سكية ، وهلك السلطان اسحاق في القفر اثناء فراره ومطارده ، وكانت رسائل

(266) ينظر نص هذه الرسالة في مفاصل الصفا ص 131 طبع الرباط ، وهي مؤرخة

في شوال من عام 998 هـ

الفتح تتوالى تباعا على المغرب فتهتز البلاد فرحاً وينتشي السكان طرباً ، ويقول الشعراء في وصف الجيش ومدح السلطان قصائد لا تنقصر عما قاله ابو تمام في مدح المعتمض لما فتح عمورية ، ومن اشهرها قصيدة عبد العزيز الفشتالي التي اولها :

جيش الصباح على الدجا متدفق فبياضُ ذا لسواد ذلك يمحق
وسننشرُ نصها الكاملَ في ترجمته من هذا الكتاب .

ونستحسنُ ان نثبت هنا الرسالة الدورية التي بعث بها السلطان احمد المنصور الى رعاياه بمختلف اقطار مملكته يخبرهم فيها بفتح السودان والانتصار الذي احرزه جيشه على جيش ملكه ، حرصاً على ان يجمع في هذا المؤلف بين الفائدة التاريخية والمتعة الأدبية ، والرسالة من انشاء الأديب الكاتب عبد العزيز الفشتالي اوردها في كتابه **مناهل الصفا** (267) وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

من عبد الله تعالى ، المجاهد في سبيله ، الامام المنصور بالله ،
امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين

الطغراء السلطانية

الشريف الحسني ، ايد الله بعزیز نصره اوامره ، وظفر عساكره

إلى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من أهل كذا

(267) الرسالة موجودة في ص 49 من مخطوط **مناهل الصفا** المحفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط ، وفي ص 143 من طبعة الرباط ، وتتبعي قراءة الرسالة في هذه الطبعة بمنتهى اليقظة والحذر ، لكثرة ما فيها من التحريف والاختفاء المطبعية .

اسمعكم الله من البشائر ما يملأ صدوركم ارتياحاً ، ويغمر قلوبكم
انشراحاً ، ويوسع أرجاعكم واكتافكم في ظل الأمانة انبساطاً وانفساحاً .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي شرف ملة الاسلام على الملل ، والدول
القرشية على سائر الدول ، وخصوصاً الدولة الحسينية التي جعل الله
بيض سيوفها الفاطمية ، قاهرة لأعدائها الصفرية وعبيدها السودانية ،
وصدع بأنوار خلافتها النورية دجنة سوداء طالما نعيق غرابها منذ حام ،
ووصل بدعوتها الشريفة بين سام وحام ، والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد الذي خفقت اعلام هدايته على الربا والآكام ،
وكاثر بآياته الباهرة كنهور السحاب ومشعجر الغمام ، والرضا عن الله
خير مال ، سادات الأقبال وءاساد الأغيال ، خلفاء الاسلام وورث الارث
بالعدل وشرف الخلال ، وايمة الخلق الذين ذبلوا معالم النصر بالاكمال ،
وفتحوا الأقطار على التوال ، وعن اصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده
بالسيوف والنصال ، ووصلوا في اعزاز ملته ونصرة دينه البكر
بالأصال ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلي الامامي النبوي المنصوري
الأحمدي بنصر يफल الاسلام ، وعز يخلق جماله على الأيام ، واتصال
البشائر تستخدم في نشرها المحابر والاقلام .

فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم من البشائر اسراها الى النفوس
امتزاجاً ، واهداها الى الأرواح مسرةً وابتهاجاً ، واقطعها في الآفاق سبلاً
فجاجاً ، وارقاها الى السبيع الطباقي سمواً ومعراجاً ، من حضرتنا العلية
مراكش حاطها الله ، وبركة هذه الامامة الكريمة تستمد الأقطار من مقباسها ،
وتروي رواية الافادة والابادة عن ضحاكها وعباسها ، والفتوحات الربانية
تحتفل الملائكة لولائمتها واعراسها ، فله الحمد على نعمه التي لا يحيط
الوصف بأنواعها واجناسها ، وعنايته التي تضرب بعصاها الصخرة
الصماء ممن عصاها فتبادر بانفلاقها وانبجاسها ، لله المنة .

هذا وقد علمتم فسحَ اللهُ املككم ، وواصلَ أسبابَ الخيراتِ قِيْلِكُمْ ، ما كان من تجهيزِ عساكرنا المظفرةِ بالله الى بلادِ السودان ، لافتتاحِ القاصي من ممالكها بعونِ الله والدان ، وما كان من عظيمِ احتفالنا لذلك بما لم يعهدْ مثله ، ولا سلفَ لأولي الحزم من الملوك بعضه فكيفَ كلُّهُ ، من انتقاءِ العساكرِ والأجناد ، واسودِ الحربِ الذينَ دربوا على الطعنِ والجلاد ، ومعانقةِ السيوفِ والصعاد ، من كلِّ ابناء حربِ شرفٍ في انسابِ الوقائعِ جدهم ، ويردُّ الجموعَ الصحيحةَ الى التفسيرِ فردهم ، وامدادهم بما لا يُحصَى عدداً وكثرةً ، وبما لا مزيدَ فوقَه بسطاً وقدرةً ، من قوةِ الظهرِ ، وصواعقِ الحربِ التي تفرقُ لها صروفِ الدهرِ ، وغير ذلك من كل ما يقتضيه الحزم ، ويبعثُ عليه العزم .

ولما تكاملَ بحمدِ الله هذا الاحتفال والاستعداد ، واخذتْ اهبتها العساكرُ والأجناد ، اقلعوا في الألوية ، وساروا على التعبية ، ونصرُ الله تعالى يظللهم غمامه ، وتترأى لهم على ثنية الاقبالِ اعلامه ، وتخفقُ عن يمينهم وشمالهم راياته ، وتبدو لهم من كلِّ حركةٍ وسكونٍ آياته .

هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام ، وممالك الاسلام ، ومع هذا فما كان احدٌ منهم ليرومَ فتحَ هذه البلادِ بسيف ، او تتناولَ هممهم الى اغزائها ببعث ولا زحف ، او يسموا انفسهم بالمقدرةِ عليها ، وعلى الصمودِ بجنودهم اليها ، والحالةُ انهم اضخمُ ملكاً واعمالاً ، وافسحُ خطةً ومجالاً ، واوفرُ نفعا واوسعُ اموالاً ، مما كان يشقهم وينفقون فيه انفسهم واموالهم ، ويستغرقون في معاناته طولَ ايامهم بكُرهم وءاصالهم ، وما ذلك الا بجزهم عن مقاومتها ، وعلمهم من انفسهم عدمَ القدرةِ على مُصادمتها ، وانها عند جميعهم غيلٌ لا يُزحَم ، وعريسةٌ لا تقحم ، وحسنةٌ ابيةٌ لا تنقاد ، والعنقاءُ تكبرُ ان تُصاد ، لأن البلادَ - كما علمتم - قد توغلتُ في الجنوبِ الى ابعادِ الاقاليمِ من المعمور ، واعترضت دونها من القفرِ وسرابيه المتزوجِ بحور ، وصحاري تضلُّ القطا في مهامها الفحيح ، وتكلُّ في جوبِ عرضها بلُ بعضها سواقي الرياح ، كم اغتالت

من اهم غولها ، وتردي من حرّ الأوام وعولها ، وكم افنت من الخلق جيلا فجيلا ،
والقت على الرجال واهلها كثيباً مهيلاً ، تغلي من رمضائها السرؤوس ،
وتدوب من حميمها النفوس ، وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس
باليد ، ويشتهب على الخريث فيها اليوم بالغد ، لا ماء ولا شجر ، ولا
ورد ولا صدر ، الا سراياً يعشي العيون ، ويقرب المنون ، واجاج يغلي في
البطون كغلي الحميم ، وهو اجر يصلى الناس من حرها الجحيم ، حتى
ظنّ بذلك اهل السودان ان سربهم من اجل البعد والمفاوز المعترضة
دونهم لا يراع ، وليلهم الديجوجي لا يرجى لفجره انصداع ، وحماهم من
هذه المشاق لا يطرق ولا يحام ، وبلادهم حتى بالوهن لا ترام ، فاستخرنا
الله الذي لا يخيب من توكل عليه ، ولجا في عظام الأمور اليه ، واحتقلنا
لذلك بما يليق من الأهبة والاستعداد ، وبنينا الامر من الثقة بالله على اوثق
عماد ، فجهزنا من جنود الله تلقاءهم عساكر تحمل الأسل والنار ، واسودا
تانف الدنية والعار ، فحاضوا اليهم بحار الآل ، وصابروا في قطع
الشقة البعيدة عظام الأهوال .

ولما شارفوا البلاد وهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شدة
الحزام ، وسل الحسام ، لم تضعف لهم - والحمد لله - شدة ، ولا نقص
منهم ما كابده من المشاق عدداً ولا عدة ، زحف الشقي بكافة جموع
السودان وحشودها وطلعوا في الجو حنادس ، واقبلوا اقبال الليل الدامس ،
فالتقى الجمعان على ثلاث مراحل من كاغو ، فأحرق منهم بعساكرنا المؤيدة
بالله سواداً لا يحصيه الا محصي الخطرات والأنفاس ، ومن احاط علمه
بالأنواع والأجناس ، فدارت رحا الحرب ووقفت على ساق ، واعدت رعود
نارها فرجت من صعقتها الآفاق ، فثبت الأشقياء لزلزالها ثبات الجبال
الراسية ، واقدما من الشدة والصبر على الموت اقدام الأسود الضارية ،
لا تثنيهم صوارم ولا اسل ، ولا يعرفون ما الخوف والوجل ، يتهافتون على
النار من كل جانب تهافت الفراس على الذبال ، ويتسابقون للسيوف
والصعاد تسابق الجياد في المجال ، مع كثرتهم التي ذكرت بالحشر الثاني

حشرها الأول ، ومغالبتهم كانتُ لذلك من قبيل المحال لولا الثقة بالله سبحانه وعونه الذي كان عليه المعول ، فلم يكنْ الا ان هبَّت ريحُ النصر والظفر ، وجاء نصرُ الله الذي هوَ لراياتنا حليفٌ في الورد والصدر ، فانكشف الشقيُّ وجموعه وولَّوا الأدبار ، وركبتهم الأسنةُ والشفار ، وفضتَّهم جنودُ الله فضًّا يهزُّ الجبالَ زلزاله ، وتضيبُ النواصيِ اهلُه ، واستمرَّ القتل في الأشقياء ، وتركتهم سيوفنا الهاشمية حصيداً بالعراء ، ونقلَ اللهُ عساكرنا ذلك السواد ، وكملَّ الفتحُ بحمد الله بالاستيلاءِ على البلاد ، وانتظام ممالكها في سلكِ الطاعةِ والانقياد ، والعاقبةُ للمتقين ، والحمدُ لله حمدَ الشاكرين .

ولما استوى القدم بعساكرنا وفترها الله في البلاد ، اصبحوا في دنيا لا تفي العبارةُ لها بكنهه ، ولا تعارضُ بشبهه ، ولا نظير لها في الارضين بوجهه ، ما شئتَ من ممالكَ متعددةٍ الأقطار ، متنوعِ الأوطانِ والأوطار ، جمَّةِ المرافقِ والفوائد ، ومالف الوافدِ والرائد ، لا تُحدُّ بغاية ، ولا تدركُ لها نهاية ، محشر الأمم وبستان العالم ، ومدرج الذرِّ من بني آدم ، وملك ضخم لا تصل اليه الهِمم لولا عناية الله التي لا تقاوم ، وناهيك بممالك يخترقها بحر النيل (268) نهرُ الجنة ، ومدفعُ مياه الرحمة ، يسقيهم النهلَ والعلكَ بحجة ، ويجزي اليهم الثمرات والخير بثجة ، الى اسواقٍ تزخرُ بالنُّعم ، واتصالِ عمرانِ كالعقد المنظم ، وبالجمله فهيَ غريبةٌ لا تثبتُ الا في الحلم ، وموهبةٌ لا يفي بشكرها لسانٌ ولا يحيطُ بوصفها قلم ، وما عسى ان تبلِّغَ العبارةُ ؟ فالأمرُ اضخم ، والحالُ اجلُّ واعظم .

ولقد اجتمعت اليومَ بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمةُ الاسلام ، وارتقى الأمرُ بعونِ الله الى الكمالِ الذي دلَّ منه حسنُ الابتداءِ على حسن الاختتام ، ولم يبقَ بحول الله الا صرفُ العزائم الى جهادِ العدو

(268) كان الاقدمون من جغرافي المغرب ومؤرخيه يسمون نهر النيجر نهر النيل فلنا منهم انه اصل النيل الجاري بمصر

الكافر ، وان تدور عليه من سطى الاسلام بحول الله الدوائر ، حتى تغزوه بجنود الله في عقر دياره ، ومحل قراره ، ويعلو حزب الله على حزب الشيطان وانصاره ، بعز الله وتأييده .

ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى ، والمسرة الكبرى ، بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه الهني الغريب ، واعلامكم بحديثه الحسن الغريب ، لتقدروا صنع الله فيه حق قدره ، وتقبلوا بحمده سبحانه على هذا المنّ الجسيم وشكره ، فانه فتح لم تلد مثله الأيام ، ولا عهد فيما سلف من دول الاسلام ، ولا علم نظيره فيما تقدم من الأعصار ، ومضى من الأعمار ، بما جمع من هذه الممالك العظيمة التي لم يشتمل عليها ملك ، ولا نظمها سلك ، وان خبيثته في طي العصور السالفة الى هذه المدّة الكريمة ، والدولة الجليلة العظيمة ، لدليل على عناية الله بشأنها ، بما اظهر على يدها من خوارق العادة ، وجمع على عهدا الكريم من هذه الممالك المنتظمة في سلك الانقياد انتظام القلادة .

فاشكروا الله تعالى على هذه المفخر التي ادخرها لعصركم ، واظهر بها آية انجادكم على الأعداء ونصركم ، واغتبوا بما خولكم الله من هذه البشرى ، والمسرة الكبرى ، اتم اغتباط ، ولتأخذوا بحظكم فيها من السرور والانسباط ، واتخذوا يومها الأغرّ المحجّل عيداً ومهرجاناً ، واقيموا لها سوقاً من البسط نافقة سراً واعلاناً ، واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل ان شاء الله كليل ، وعلى ما وراه بحول الله من الفتوح المتواليّة عنوان ودليل ، وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر للمنعّم قيّد عقال ، وعصمة بحول الله تؤمن من الزوال ، والله يكلأ جميعكم ، فلا ربّ غيره ، ولا خير الا خيره ، والسلام .

وفي ليلة الجمعة سابعة شعبان المكرم عام تسعة وتسعين وتسعمئة .

وازدادت خزينة المنصور بفتح السودان غنى وتكدست فيها سبائك ذهبية جديدة اضيفت الى ما تكدس فيها قبل من اموال آلت اليها

من الانتصار في معركة وادي المخازن ، فلقبّه الناس بالذهبي لكثرة رواج المسكوكات الذهبية في عهده ، فقد ذكر المؤرخون انه كانت في ايامه 1400 مطرقة تضرب' الدينار الذهبي ، وان الوزراء وكبار الموظفين كانوا يتقاضون رواتبهم الشهرية دنائير ذهبية ، فانتعش الاقتصاد بسبب ذلك وتحسّنت حالة الناس ، ولكن تجب الاشارة' الى ان فتح السودان - الذي عاد بخير مادي كبير على المغرب - لم يخل من قسوة عانى منها سكانه المسلمون الأمريّن ، وخراب ودمار اصاب حواضره وكبريات مدنه ، خاصة عندما تخوف المنصور' من آل اقيت' لما بلغته الأخبار' بتوجّه انظار اهل السودان اليهم بعدما سنّموا الحكم المغربي وأنسوا من الحكام المغاربة قسوة أنسوا عكسها في أمرائهم السابقين ، وءال' أقيت' اسرة" تکرورية نبيهة" بمدينة تنبكتو ، تعدد' فيهم العلماء والقضاة والأئمة ، ودامت' فيهم رئاسة العلم بها مدة' طويلة تقرب من مئتي' سنة ، وكانوا ذوي مالٍ وجاهٍ حتى انهم كانوا لا يابّهون بالسلطان فمن دونه ، فكتب السلطان احمد المنصور المترجم الى عامله وقائد جيشه بالسودان محمود باشا يامره بالقبض عليهم ونفيهم الى مراکش ، فقبض على اكثرهم في اواخر محرم من عام 1002 هـ وارسلهم اليها مقرنين في الأصفاد ، وكان فيهم الفقيه' الشهير' احمد' بن احمد بابا التنبكتي صاحب التأليف العديدة التي منها (نيل الإبتهاج) و (كفاية المحتاج) ، فوصلوها على تلك الحالة في اول رمضان من ذلك العام ، واقيموا فيها مع عيالهم مثقفين الى ان سرحوا يوم الاحد 21 رمضان عام 1004 ففرح الناس بتسريحهم فرحاً شديداً ! ما يعرفون من فضلهم وديانتهم ومروءتهم .

يحكى ان الفقيه احمد بابا لما دخل على السلطان المترجم بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب ، فقال له : ان الله يقول : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً. او من وراء حجاب ، وانت قد تشبّهت برب الأرباب ، فان كانت لك حاجة فانزل الينا وارفع عنا الحجاب ! فنزل السلطان

احمد المنصور ورفعت الاستار ، فقال له الفقيه : اي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي (269) وتصفيدي من تنبكتو الى هنا حتى سقطت' عن ظهر الجمل واندقت ساقبي ؟ فقال له المنصور : اردنا ان تجتمع الكلمة وانتم في بلادكم من اعيانها ، فان اذعنتم اذعن غيركم ، فقال له الشيخ : فهلا جمعتَ الكلمة بتُرك تلمسان فانهم اقرب' اليك منا ؟ فقال المنصور : قال النبي: صلى الله عليه وسلم : اتركوا التركَ ما تركوكم ، فامتثلنا الحديث ، فقال الفقيه : ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس : لا تتركوا الترك وان تركوكم ، فهبكتَ المنصور وانفضَّ المجلس .

وازدادت متاعب السلطان المترجم وكثرت بعد ضم ممالك السودان الشاسعة الى مملكته المغربية الواسعة ، فبالاضافة الى الخطر الجاثم على المغرب من موانئه المحتلة من طرف اسبانيا والبرتغال لم تكن الحالسة الداخلية مستقرة ولا مريحة ، واهم المشاكل التي كانت تواجهه هي انقسام اسرته الحاكمة على نفسها ، وتربص كل امير منها بأبيه او اخيه او عمه ، ووضع ايديهم في ايدي الاجانب استنصاراً بهم مقابل جعل المغرب تحت حمايتهم او التنازل لهم عن بعض الموانئ التي كانوا يطمعون في احتلالها ، ولا سيما ميناء العرائش الذي طالما مننت اسبانيا نفسها بامتلاكه وخاطبتهم في ذلك بمن فيهم السلطان احمد المنصور نفسه ، الشيء الذي حال بسين المغرب وبين الاستفادة من الانتصار الكبير الذي احرزته في معركة وادي المخازن ، وعاق المنصور عن تحقيق امنيته التي كان يحدث بها نفسه ويصرح بها لمخاطبيه من ملوك المسلمين وعلمائهم بالمشرق ، وهي فتح الأندلس من جديد واعادتها الى الحكم العربي الاسلامي ، ومن اشهر الخوارج الذين شقوا عليه عصا الطاعة من اسرته ، الأمير المسمى او الملقب بالناصر بن

(269) ذكر صاحب يذلل المناصحة انه سمع الشيخ احمد بابا يقول : انا اقل عشيرتي كتبا وقد نهب لي 1600 مجلد .

أخيه السلطان عبد الله الغالب بالله ، فقد كان هذا الأمير ملتجأً بإسبانيا ، ثم أرسله ملكها فيليب الثاني إلى مدينة مليلية (270) التي يحتلها جيشه للتشغيب على عمه السلطان أحمد المترجم ، فظهر بها يوم 3 شعبان عام 1003 هـ (الخميس 13 أبريل سنة 1595م) ، ثم دعا شيوخ القبائل المجاورة لها إلى بيعته فبايعوه والتفوا حوله ، وكثرت جموعه وتوفرت جنوده ، فسار بهم قاصداً فاس يبغى الاستيلاء عليها ، فاحتل مدينة تازة (271) الواقعة في الطريق بينها وبين مليلية ، وبايعته قبائلها القوية كقبيلة البرانس (272) ، فاهتز المغرب من أقصاه إلى أقصاه ، وخرج لقتاله ابن عمه الأمير المأمون ولي عهد السلطان أحمد المنصور الذي كان يحكم فاس والأقاليم التابعة لها حكمًا اقطاعيًا ، فهزم الناصر جيشه في كثير من المعارك ، ولكن الأمير المأمون انتصر عليه في الأخير في الموضع المعروف بالحاجب (273) ففر الناصر إلى منطقة جبالة

(270) مليلية : مدينة مغربية منسوبة إلى قبيلة مليلة التي كانت تسكنها ومعناها البيضاء بأحدى اللهجات البربرية ، تقع على ساحل البحر المتوسط على بعد 12 كلم من مدينة الناظور ، كانت في العهد الفنيقي متجراً يسمى روسا دير ، واشتهرت في العصر الإسلامي الأول أثناء الخلاف بين بني عبيد ومرواني قرطبة على ملك المغرب ، وازدهرت خلال حكم المرابطين والموحدين والمرينيين لأنها كانت ميناء لإقليم سجلماسة وما وراءه من أقاليم الصحراء المغربية، احتلها يوم الأحد 19 محرم عام 903 هـ (17 سبتمبر سنة 1496 م) جيش إسباني قوامه 5.000 جندي بقيادة بيدرو اسطوبينيان ، وخضعت منذ ذلك الوقت لغارات ومحاصرات قام بها المغاربة لاسترجاعها ، ولا تزال آثار حصاره يذكّر بالعلاقات الإسبانية المغربية حتى اليوم .

(271) تازة مدينة جبلية تقع في الطريق الذي يربط وجدة بفاس ، على بعد 223 كلم من الأولى و 120 كلم من الثانية ، تنقسم إلى مدينتين أحدهما عتيقة عالية ترتفع 585 م عن مستوى البحر والأخرى حديثة سفلية ترتفع 545 م عن مستواه ، وهي مقر الإقليم المسمى باسمها الذي تسكنه قبائل جبلية قوية لباس شديدة المراس كالتسول والبرانس وغيثا وبني وراين وجزناية ومكناسة ، وموقعها استراتيجي ذو أهمية كبرى إذ لا بد للذاهب من الشرق إلى الغرب - والعكس - من المرور بها ، وبسببه تعرضت خلال تاريخها الطويل لكثير من النكبات .

(272) البرانس : مجموعة قبلية باقليم تازة تتربك من القبائل التالية : بني بويعل وبني فكوس والطائفة ووردية ، أهم قرأها قرية باب المروج .

(273) الحاجب : مكان يقع ببطن أولاد حجاج من قبيلة غياثة باقليم تازة .

ونزل على قبيلة جاية (274) احدى قبائل جبل الزبيب ، فلحق به ولي العهد الامير المامون وما زال يقاتله حتى تغلب عليه واسره وادخله مقطوع الراس الى فاس يوم الثلاثاء 23 رمضان عام 1004 هـ ، ثم ارسل الراس الى ابيه بمراكش ، فاهتز المنصور فرحاً بهذا النصر الذي تمّ على يد وليّ عهده ، واقامت الأفراح وتبارى شعراء القصر في التهنة والمديح ، وكاتب المنصور ملوك المسلمين وامراءهم واعيانهم واصدقائه من ملوك النصراري يخبرهم بذلك (275) ، والجدير بالذكر ان المنصور كان يكتب فليب الثاني ملك اسبانيا بهبارات ودية ويستقبل مبعوثيه لما كان القتال يجري بين وليّ عهده وخليفته بفاس محمد المامون وبين ابن اخيه الناصر القائم عليه ، مع ان الملك فليب هو الذي دفع الناصر للثورة على عمه ونقله في احدى سفنه الى مليلية ومكنه من الخروج الى القبائل المجاورة لها ودعوة شيوخها الى الانضمام اليه والقتال تحت علمه ، وفي الأرشيف التاريخي الاسباني بمدير عديد من الوثائق المتعلقة بثورة الناصر هذه ، منها الرسالة التالية التي أجاب بها احمد المنصور ملك اسبانيا فليب الثاني عن احدى رسائله المتعلقة بثورة الناصر ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

من عبد الله تعالى ، الامام المنصور بالله ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسني ، ايد الله بعزیز نصره اوامره ، وظفر عساكره ، وخلص مآثره الجميلة ومفاخره .

(274) جاية واصلها لجاية : قبيلة باقليم تاونات تتركب من البطون التالية : اولاد كرون واولاد كيلان وبنو بوزولات وبنو زيد وبنو محمد وعين الريحان وزاوية مولاي عبد الرحمان وزبور المشيط والزراودة .

(275) انظر رسالة احمد المنصور المؤرخة في 6 ذي الحجة عام 1003 هـ الى عامليه بالسودان منصور باشا وجوذر باشا ، ورساته الثانية المؤرخة في يوم الاثنين 13 شوال عام 1004 هـ الموجهة الى اهل فاس وجواضر المغرب وثغوره في مناهل الصفا الاولى في ص 183 والثانية في ص 185 طبعة الرباط .

الى الجناب الذي له في الأقطار المسيحية القدر السامي المكان ،
والعزّ الراسخ الثابت الأركان ، والمجد البانخ المرصوص البنيان ،
والمكانة التي يعترف لها بكمال المزية وعلو الشأن ، القاصي من الأمم
النصرانية والدان ، جناب السلطان الأصيل ، المثيل الأثيل ، الشهيد
الخطير ، الأوجه الانوه الأثير ، السلطان فليب ابن السلاطين الذين لهم
عند اهل ملهم عظيم الذكر والاشتهار ، والقدر السامي المنار ، لا زال عند
قومه مرهوب الجناب ، سامي الهضاب ، مرموقاً بعين الاعظام وجميل الترحاب

اما بعد حمد الله الكبير المتعال ، المنفرد بالكمال والجلال ،
والكبرياء التي تتضاءل لها شوامخ الأفلاك ورواسي الجبال ، والصلاة
والسلام على نبيّه الكريم الذي ختم به الأرسال ، وبينّ على لسانه الحرام
والحلال ، والرضى عن آله الكرام خير ال ، شمس الحق وبدور الكمال ،
وعن اصحابه المثابرين على تشييد معالم دينه في البكر والأصال ، ومواصلة
الدعاء لهذا المقام العلي باطراد عوائد الاقبال ، والمواهب التي تنتاب في
العشي والابكار وتنتال ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله
تعالى والتأييد لهذه الايالة الكريمة لزييم ، متصل الحديث بالقديم ، الله
الحمد والمنة .

هذا وقد وصلنا كتابك فقابلناه على عادتنا في كتبك الواردة
الينا بوجه البشر والترحيب ، وأحللناه من اهتمامنا واهتمامنا بالمصل
الفسيح والمكان الرحيب ، وطالعنا ما ذكرتم عن ولد اخينا الخارج بمليلة
وعن اسباب خروجه ، وحتى خديمكم بلتزار بول ذكر لنا ما امرتموه ان
يبثه علينا وينهيه الينا ، والى هذا فنحن اجبناه عن ذلك مشافهة ،
وكلمناه بما عندنا مواجهة ، ومن عنده ان شاء الله تلتقون ما لدينا
وتقفون على ما عندنا .

وما وصل به كتابكم الآخر على مسألة ولد صاحب طنجة ومَن
معه هنا عندنا من اصحاب الفضالغوش فما نحن ان شاء الله بعد هذا

نتكلم في امرهم مع خديمكم بلتزار ، فنكتب لكم حينئذ ونعرفكم بذلك ان شاء الله تعالى .

وهذا ما وجب به الكتب اليكم في سادس ذي قعدة الحرام من عام ثلاثة والف .

العلامة السلطانية : صحيح ذلك

وثانية المشاكل الكبرى التي واجهت احمد المنصور بعد فتح السودان وفي اخريات أيامه هي عصيان ولده الأمير محمد الملقب بالمامون وبالشيخ ، وقد تقدم انه ولاه عهده سنة 987 اثر مرض اشرف منه على الهلاك ، وانه جدد له العهد عام 992 بعد ما بلغ اخوانه الحلم الذي لم يكونوا بلغوه يوم ولاه عهده الأول ، كما انه اسند اليه ولاية فاس واعمالها اسناد اقطاع يستبد بجباياتها ويتأمر على جيشها ، وكان هذا الأمير سكيراً فاسقاً سفاكاً للدماء كما سيأتي في ترجمته في حرف الميم من هذا الكتاب ، وكانت اخبار فساده تصل المنصور فيغض عنها الطرف ، فلما بلغه عواره وقتله لناصحيه مثل الوزير ابراهيم السفيناني وبطشه رجال الدولة مثل الكاتب الأديب محمد بن احمد ابن عيسى مؤلف كتاب الممدود والمقصود ، من سنتي السلطان المنصور بدا يكتب اليه لائماً وزاجراً لعله ينكف عن مساوئه التي كثرت شكايات الناس به لأجلها ، ولما لم يعر نصائحه اي اهتمام قرر السير اليه لردعه ورفع اذاه عن الرعية ، فلما بلغ المامون ما عزم عليه ابوه عبأ جيشه وكسا جنوده ودفع اليهم رواتبهم ، وقرر ان يسير الى تلمسان ليستجير بالترك حينما يصله خروج ابيه من مراكش ، وعندما بلغت المنصور اخبار استعداده العسكري وعزمه على الاستنجاد بالترك عدل عن السير الى فاس وكتب اليه يلاطفه وينهاه عن الذهاب الى تلمسان وولاه - بدل فاس - سجلماسة ودرعة واعمالهما ولاية اقطاع ايضاً ، وقصده ان تخدم نائرتيه ويرجع اليه عقله ، فأظهر الأمير ولي العهد الامتثال وخرج من فاس يوم سجلماسة ، ولكنه ندم وهو في الطريق فرجع

اليها وعاد لما نهى عنه ، فأرسل اليه المنصور جماعة من وجهاء مراکش ، فيهم علماء ورؤساء زوايا ، فلم يألوا جهداً في نصحه ووعظه وتحذيره من الانحراف عن ابيه والميل الى الشرك ، ولكنهم وجدوه مشغول القلب عن نصيحتهم ، مغمور الذهن بخلاف قولهم ، كما يقول اليفرنى في نزهة الحادى ، وان تظاهر لهم بالتخلي عما كان عازماً عليه من الذهاب الى تلمسان للاستعانة بترك الجزائر على محاربة ابيه ، ، ولما رجع الوفد الى مراکش لم يصارح السلطان بالحقيقة ، بل زعم له ان ولي عهده تاب وأتاب وحسن حاله ، فشك المنصور في صدق كلامهم وصمم على القضاء على تمرد ولي عهده وعصيانه وكتب اليه يوم I جمادى الأولى عام IOII هـ رسالة مطولة عاتبه فيها على امور ، ولكنه طبيب خاطره وطمان نفسه مكيدة منه (276) ، ثم بعث الى ولاته بسد الطرق المفضية الى فاس من جهتي السهول والجبال ، وخرج بعد ايام بجيشه قاصداً اياها ، فلم يشعر ولي العهد محمد المامون الا وجيش ابيه يطل عليه من عديد من الجهات ، فما وسعه الا الفرار قبل ان يحاط به ، والتجأ الى زاوية الشيخ ابي الشتاء الخمار (2 : 193 ع 464) الكائنة بقبيلة فشتالة (277) قرب نهر ورغة (278) فنزل بها مع قرناء السوء من اصحابه ، فأرسل اليه المنصور سرايا يقودها الباشا جؤذر والقائد منصور النبيلى فقبضوا عليه بعد قتال خفيف واتيا به الى والده فأودعه سجن مكناسة وولى اخاه زيدان على فاس ، وكان من امره فيما بعد ما سيذكر في ترجمته .

ولنعد بعد هذا الى ذكر اوصاف المنصور الجسمانية والخلقية ومواهبه الفكرية ومآثره العمرانية لتتحدث بعدها عن سياسته الداخلية والأخرى الخارجية وما يؤخذ عليه من هفوات واخطاء سياسية .

(276) يراجع نص الرسالة في الاستقصا 5 : 170

(277) فشتالة : قبيلة جبلية شهيرة باقليم تاونات ، تشتمل على اربع بطون : البوار ، والزاوية ، والشقر ، وهداوة .

(278) ورغة : نهر باقليم تاونات ، رافد من روافد نهر سبو ، يبنى عليه اليوم سد الوحدة الذي يسع - عند تمام العمل فيه - اربعة ملايين متر مكعب من الماء ، وسيكون ثاني سد في افريقيا بعد السد العالى بأسوان (مصر) .

اما اوصافه الجسمانية والخلقية فقد وقع فيها اختلاف قليل بين كتاب ديوانه والمعجبين به من العلماء والأدباء ، اولئك الذين اصفوا عليه حلا من الكمالات الذاتية والفضائل الخلقية ، وبين غيرهم من المؤرخين الذين التزموا جانب الاعتدال في وصفه او دسّوا - وهم يعرضون بعض الوقائع والأحداث التي حصلت في عهده - عبارات لا تؤكد جميع ما وصفه به خدامه ومحبوّه ، فالأولون يذكرون انه كان طويل القامة ممتليء الخدين واسع المنكبّين ، تعلوه صفرة رقيقة ، اسود الشعر ادعج اكحل ، ضيق البلج ، براق الثنايا ، حسن الشكل ، جميل الوجه ، طريف المنزع ، لطيف الشمائل (279) ، اما مؤلف كتاب تاريخ الدولة السعودية فيقول في وصفه : كان اسمر اللون غائر العينين وافر اللحية ، له شروطات على خده الأيسر ، غليظ الجسم جهير الصوت ، له لثة في كلامه يبدل الشين المعجمة سينا مَهْمَلَة (280) ، يلبس لباس الترك ويتزيى بزيهم ويحب تقليدهم في اكلهم وسائر عاداتهم لطول اقامته قبل الملك عندهم واستحسانه لطرائق عيشهم ، وكانت ملابسه طويلة تنغطي قدميه ، يسحبها على الأرض ويكاد يتعثّر في مشيه ويطأ على كعبيه لطولها .

وكان ذكياً فطناً حازماً يقظاً شجاعاً جريئاً شهيداً بشجاعته العدوة والصديق ، كريم النفس جواداً سخياً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ولا يبالي بما ينفق ، حتى ذكر الفشتالي في مآهل الصفا ان الفقيه احمد المنجور متقدم الترجمة (5 : 202 ع 1501) كان يقول : ما عهدنا بذل المنين في الصلوات الا في ايام الشرفاء ، ولا عهدنا بذل الألوف الا في ايام المنصور ، ثم ضرب لذلك امثلة منها ما وقع له مع ابي الفضل ابن العقاد الوارد عليه من مكة ، وما وقع له مع الكاتب الجزائري محمد بن عمّر الشاوي مما سيذكر مفصلاً في ترجمتيهما (281) ، كما اضى كتاب

(279) الاستقصا 5 : 91

(280) تاريخ الدولة السعودية الدرعية ص 64

(281) مآهل الصفا ص 234 طبع الرباط ، وفضة الحادي ص 125 طبع انجي

(فرنسا) عام 1888 م

سيرته ومؤرخو حكم أسرته صفات خلقية كريمة أخرى غير الشجاعة والكرم وساقوا عليها شواهد وأمثلة عديدة ، ولكن الناقد البصير لا يمكن ان يثق بكل ما قالوه في ذلك ، ان من خلال القراءات المتأنية وتحليل عبارات دستها بعض الكتاب والمؤرخين في ثنايا عروضهم وأسروا بها حسوا في ارتفاع يدرك المرء ان احمد المنصور كان يتصف بالشيء وضده حسبما تقتضيه سياسة الوقت او يمليه المزاج ، ولا ادل على ذلك من معاملته القبيحة لآل اقيت السودانيين وشيخهم الفقيه احمد بابا اتي الترجمة ، ومن مكره السيئي بالشيخ العلامة عبد الله بن طاهر العلوي السجلماسي الذي كان يؤاكلة على مائدة واحدة ، فقد سألته ذات يوم قائلاً اين اجتمعنا يا فقيه ؟ يعني في النسب ، فأجابته الفقيه : على هذه المائدة ، ففهم المنصور ان الفقيه ينفي نسبه في آل البيت وأسرها في نفسه ، وصار بعد ذلك يستدعيه للمذاكرة في ايام البرد القارس ، فاذا حضر خرج اليه وقد وضع في سرواله هيدورة او لبدة (282) يتقي بها شدة البرد ، فيجلس على الرخام ويجلس الشيخ عليه ايضاً اقتداءً به وحياءً منه ، فتمكنت منه علة البرد التي لازمته الى آخر حياته (283) ، ومما لا ريب فيه ان حسنات المنصور اكثر بكثير من سيئاته ، وان ما يذكر له من السيئات يدخل في باب الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ، ويُعد من المتناقضات التي تذكر في سير عظماء الرجال كالكرم والبخل ، والاسراف والاقتار ، واللين والقسوة ، والعفو والمؤاخدة ، سيما الحكام الذين تقتضي السياسة منهم ان لا يكونوا ضعافاً ولا لئتين ، محافظة على هيبة الدولة وضماناً لأمن الرعية وهنائها .

وكان المنصور على جانب كبير من العلم والمعرفة ، ويمكن للمرء ان يعرف ما درس من علم وقرا من فن من التقييد الذي كتبه بخطه وذكر

282) الهيدورة في عامية اهل المغرب سليخة الضأن ، واللبدة قطيفة غليظة من صوف او ملف كان اهل العلم والغنى يتأبطونها للجلوس عليها او اداء الصلاة فوقها

283) الحكاية ذكرها محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني I : 326 و 330

طبع الرباط وشكك في صحتها ، والناصري في الاستقصا 5 : 4

فيه أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم والفنون التي درسها عليهم (284) ، وهي العلوم والفنون التي كانت متداولة في زمانه مثل علوم الدين واللغة وبعض الرياضيات ، وذكر له المؤرخون قطعاً شعرية متعددة لا يخلو بعضها من رقعة ، ولكنها لا تدل على طبع في الشعر اصيل ولا نفس طويل ، وإن اجهد كتاب سيرته والمنعم عليهم بصلاته انفسهم في بيان ما فيها من بلاغة رفيعة وما لقاؤها من علو كعب في التخيل والابداع ، بل ان منهم من ذيلها ، ومنهم من عارضها ، ومنهم من شرح ما فيها بزعمه من اختراعات وتوليدات ومحسنات بديعية لم يسبق اليها على حد قوله ، وإذا كان الانسان لا يستطيع ان يجاريهم فيما احاطوا به شعره من حالات ، وما اقترن بتحليلهم لبعض ابياته من مبالغاته فانه لا يستطيع ايضاً ان يتهم المنصور بضعف في الملكة او نضوب في القريحة ، وكل ما ينبغي ان يقال في حقه في هذا الموضوع هو ان الرجل خلق للحكم والسياسة ولم يخلق لرصف الجمل ونظم القريض ، وعظماء الرجال ذوو المسؤوليات الجسام مثله ان انصرفوا الى الأدب فرطوا في سياسة الدولة وتدبير امور الرعية ، وان انصرفوا الى الحكم ضعفت ملكتهم الأدبية وغامت مرءاتهم الشعرية ، وقد تقدم كلام شبيه بهذا في ترجمة السلطان ابي حمز الثماني الزياتي صاحب تلمسان (I : 399 ع 291)

فمن شعره قوله يعتذر عن ترك الوداع :

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى	فتوقد انفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فأعرضت مشفقاً	على كبد حرى وقلب ينقسم
ولولا ثواه في الحشا لأهنتها	ولكنها تعزى اليه فتكرم
فاعجب لأساد الشرى كيف احجمت	على انه ظبي الكناس ويقدم

(284) انظر نص التقييد المذكور في مناهل الصفا ص 66 وانظر ايضا روضة

ومنه قوله :

بلى ، ومنه نُسَيّماتُ الرياحين
من قضب نعمانَ او من كتب تبرين
من اجلها بسهام اللّحظ يرميني
لو انه دامَ منه كان يكفيني
فانعمُ بوصولِ هنيءٍ غيرِ مفتون
يعوضُ الخدءَ من وردِ بنسرين

من عنبر الشجر ام من مسك دارين
مهفّف ان تثنّى قلتُ مقتضب
ذنبى اليه - ولا ذنبٌ - محبّته
ياما اميلّحه ظلماً رضيت به
معذبي ، قد حرمتُ النومَ بعدكمُ
ومض على وردِ ذاك الخدءُ برق فم

وقوله :

كان اتفاقهما به على عطبي
واللحظُ يطمعني فيه ويسخرُ بي
في امره ، وكلاذا زادَ في تعبّي
او طعتُ هذا فمن لي فاتني حسبي

تحالفتُ منه عيناه الى سببِ
فحدقةُ العينِ تقصيني وتوئسني
اشكو نهائى وشوقي واقتراقهما
ان طعتُ ذاك فمن لي فاتني اربي

وقوله :

اقرء عيني ولكن زاد في فكسري
لبانَ تأثيرها في ذلك الحجر

هذا الحفيدُ الذي وافى على قدر
بشارةٍ لو تلقى مثلها حجرٌ

وقوله :

فتملا من حسنه تكييلا
ان بيني وبين لقياك ميلا

ان يوما لناظري قد تبدي
قال جفني لصنوه لا تلاقى

وقوله :

من لي بمن مسكنه في السما
قلتُ بمن بالطرفِ قلبي رما

معذبي اعجزني نيلُـه
لمْ اُسنَ اذْ قال الا تكتفي ؟

وقوله وفيه توريات" نحوية :

لي حبيب يأتي بكل غريب فهوَ عندي منكر" ومُعَرَف
لستُ اشكو لصيرفيّ ونحوي انه لى نحا وفيّ تصرف
فعله فيّ لازم" متعمد" ومزيد" مجرد" ومضعّف

ومن موشحاته الموشح' التالي :

ريّان من ماء الصبّيا اهيّف ممثليء البئرد

* * *

كالغصن هزته الصبّيا فوقَ الربيا الشهب
قدّ قلتُ لما ان سبا لحسنه لبّسي
مذّ سلّ من عينيه ظبّيا وغمده قلببي
اسرني ماضي الشبّيا اوطف مرئح القدّ

* * *

يافاضحَ الروض سنبا بلّ مخجلَ البيدر
وقاطعي ظلما ومَن
ان لم تكن شمسَ دنا مقمره صدري
علقته من الظبّيا فانها تجرى
اسجفُ يسطو على الأسد

* * *

قلتُ له وقد نهدّ وجدّ في حربي
وغلبَ الظبيّ الاسدّ ففاز بالفلسب
الشمسُ برجها الاسدّ فاسع الى قلبي
قالستُ وقد سبّيا منصف. امنت من صدي

ونسب اليه مؤرخوه مؤلفاتٍ ذكر بعضها احمد المقرئ في روضة الآس (285) منها كتاب في علم السياسة اسمه (المعارف ، في كل ما يحتاج اليه الخلائف) قال عنه المقرئ : وهو غاية في بابيه لم يؤلف مثله ، ومنها تاليف في الجواب عن حديث علي والعباس (ض) وفاطمة بنت رسول الله (ص) في حديث : لا نورث ، ما تركناه صدقة . قال عنه المقرئ : اخبرني من رآه انه تاليف غريب في بابيه ، ازاح اشكالات المسألة كلها ، ومنها كتاب " سمّاه (العود احمد) في الأدعية والأذكار ، وسبب تسميته اياه بهذا الاسم انه كان القفّه اولاً ثم بدا له ورتبّه على ترتيب غير الترتيب الأول ، وقال في خطبته : نوديت العود احمد ، اي العود يا احمد ، قال المقرئ فتنبه الى هذه التسمية الغريبة ، وما تضمنت من التورية العجيبة ، لأن احمدَ عندهم افعال تفضيل ، فجعلّه امير المؤمنين نصره الله منادي ، توجد نسخة ملكية مذهبة من هذا الكتاب محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم 94II كتبت للسلطان مؤلفها بقصر البديع بمراكش في اواسط ذي الحجة عام 1009 هـ .

ومما يدخل في ثقافة السلطان احمد المنصور وعلمه وأدبه حسن تواقيعه وحضور نكته وسرعة بديهته ، وله في ذلك اخبار شهيرة ، منها توقيع على كتاب الباشا جوذر قائد الجيش المغربي في السودان ، وذلك ان الجنود المغاربة بعدما فتحوا كاغو استوخموها وأصيبوا بأمراض فأخلوها وعادوا الى تَنبُكتو وأقاموا بها قيادتهم ونصبوا خيامهم ، واقترن ذلك بعرض تقدم به سنكيا اسحاق الى الباشا جوذر اقترح فيه عقد سلم مع ملك المغرب مع الاقرار بسلطانه مقابل خراج ثقيل يلتزم بأدائه له مسانحة ، فقبل جوذر وقواد الجيش المغربي عرضه وعلقوا قَبُولهم بموافقة السلطان ، وقدم السنكيا اسحاق هديته الى المنصور ، وكانت تشتمل على عشرة آلاف مثقال ذهباً ومئتين من الرقيق ، وكتب جوذر بكل ذلك الى السلطان

(285) روضة الآس ص 57 ، وانظر ايضا المنقح المقصور ص 625 طبع الرباط

وبقي ينتظر قراره ، فيُحكى ان المنصورَ لما بلغته رسالة قائده وقرأها ذيلها موقَّعاً بهذه الآيات الكريمات (اتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون ، ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) ! قال عبد العزيز الفشتالي عقب ذلك : يالله من توقيع يقلقلُ رضوى وثبير ، ويرتد له طرف كل مصقع بليغ خاسئاً وهو حسير (286) .

ومما يجب ذكره وعدم اغفاله في هذا الصدد ازدهار الحركة العلمية في ايام المنصور وكثرة من ظهرَ فيها من العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء وعنايته بهم وحديثه عليهم وحوط نفسه بنخبة فاضلة منهم وتعيينهم في مجلس شوره واستخدامهم في ديوان حكمه واستصحاب جملة وافرة منهم في اسفاره واستدعاء اعيانهم لشهود احتفالاته الدينية والدنيوية كاحياء ليالي رمضان واحتفاله بعيد المولد النبوي الذي سارت بذكره الركبان ، واشتهر في القرى والبلدان ، وبسبب هذه العناية الفائقة بالعلم والعلماء نفقت سوق العلم فعجّت رحاب المساجد والمدارس به ، ونشطت حركة التأليف بأمره او بتبارك بين العلماء والأدباء المتوديين بالتأليف والتصنيف اليه ، وتفتحت قرائح الكتاب والشعراء بالنثر الرائق والشعر الفائق مما لم يعهد له نظير الا في عهد خليفة الموحدين يعقوب المنصور وسلطان المرينيين ابي الحسن ، حتى ذكروا أن عدد التأليف التي نُفِيتُ برسم خزانتها وحدها تجاوزت المئة ، منها 13 تأليفاً لأحمد ابن القاضي وحده (287) .

وكان السلطان احمد المنصور ذائع الصيت في الأقطار الاسلامية محبوباً من علمائها الذين تعرف على بعضهم خلال وجوده بتركيا ، فكانوا

(286) مناهل الصفا ص 146 - 148

(287) انظر روضة الاس ص 69 - 70

يكتوبونه وكان هو يستشرهم في قضايا المغرب الداخلية ويبلغهم اخبار
اجدائه ووقائعه ، ويستجيزهم فيجيزونه ، وممن اجازته من علماء المشرق
زين العابدين محمد بن علي البكري الصديقي (288) وقاضي قضاة المالكية
بمصر بدر الدين القرافي (289) ، وقصده الشعراء من اقطار المشرق الشاسعة
كالشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها ، حتى اتفق ان اجتمع ببيابه شعراء
من المدن الثلاث التي تشد اليها الرحال ، وهم ابو الفضل محمد ابن العقاد
المكي وامام الدين بن محمد البطائحي الخليلي ، وثالث اسمه الشريف من
اهل المدينة ، وفي اجتماعهم يقول الخليلي المذكور :

ان امير المومنين احمد بحر النداء وفضلُه لا يجحدُ
فمكةً وطيبةً اهلُهما والمسجدُ الأقصى بذاك شهيدُ

قال احمد المقرئ في روضة الآس :

(ولما تقررَ عند علماء البلاد الشرقية حبُّ مولانا نصره الله في
العلماء وبره بهم واجزاله عطاياهم ، نسلوا اليه من كل حذب ، ومن لم
يمكثه الاتيان خدمه نصره الله بالتأليف ، فالتف تاريخ دولته نصره الله
جماعة من اكابر علماء القسطنطينية العظمى ، وكذا جماعة من اعلام مصر
وغيرها مما لا يحصى عدده) (290) .

وازدهرَ ايضاً في ايام السلطان احمد المنصور العديدُ من الفنون
الجميلة كالنسيج الرفيع والطرز الجميل والزخرف البديع والطبخ اللذيذ
والموسيقى بشقيها العالي والشعبي ، ويرجع سبب ذلك الى ما احياه
هو من تراث قديم وما ادخله الى المغرب مما رآه واستحسنه اثناء
اقامته بالجزائر وتركيا ، وكذلك الى ما جاء به الأندلسيون من بلدهم بعد

288) انظر نص اجازة البكري له في مفاهل الصفا ص 629 طبع الرباط

289) انظر نص اجازة القرافي له في مفاهل الصفا ص 272 طبع الرباط

290) روضة الآس ص 18

طردوا منه ، فظهرتُ بالمغرب الوانُ شهيةً من الأطلعمة لم تكنُ معروفةً فيه من قبل كان المنصور يفيضُ منها على مدعويه في المواسم والأعياد ومآدبِ القصر وولاتمه الخصوصية سيما في حفلاته المولدية ، وانتعشَ فنُ النقش والزخرف والتزويق في المباني بعدما أصيب بنكسة خلالَ العصر المريني الأخير وإيامَ حكم بني وطاس واثناءَ المدة الأولى من حكم السعديين التي كانت تغلبُ فيها البداوة على الدولة والأسرة الحاكمة ، اما الموسيقى وما اليها فقد جرى في شرايينها ماءُ الحياة من جديد ، فجمعت طبعوعُ الآلة (291) ودونتُ أناشيدها ، وكثُرَ نظمُ « الملحون » وجمعت قصائده في كتابين وشجّعَ النُظَّامُ والمنشدون والعازفون بمختلف أنواع التشجيعات ، ويكفي دلالةً على ذلك ما وقعَ للقاضي الشهير عبد الواحد الحميدي ، فانه كان وقدَ مع علماء فاس وادبائها على المنصور بمراكش في بعض الأعياد ، فلما كانوا راجعين جمعهم الطريقُ بالموسيقيين والمطربين من اهل فاس الذين وفدوا معهم على المنصور على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة (292) من الذهب الخالص مرصعة اعطاها له السلطان ، وقال بعضهم اعطاني المنصورُ كذا كذا ، وقال آخرُ اجازني بكذا وكذا مما لم يُعطَ القاضي ومن معه من العلماء والأدباء مثله ، فقالَ القاضي لئنُ وصلتُ فاساً لأرنُ اولادي لصنعة الموسيقى ، فان صنعةَ العلم كاسدة ، ولولا ان صنعةَ الموسيقى هيَ العلمُ العزيزُ ما رجعنا مُحققين ورجعَ « الآلي » بشبابة الابريز ! (293)

وكان للسلطان احمد المنصور كبيرُ عناية ومزيد اهتمام بالبناء والتشييد ، وله في الميدان العمراني آثار شهيرة أرادَ ان يضاهيَ بها

(291) الآلة من معانيها في المغرب الموسيقى المعروفة بالاندلسية ويدعى عازفها « الآلي »

(292) الشبابة هي الغيطة في عامية اهل المغرب

(293) نزهة الحادي ص 158 طبع انجي (فرنسا) سنة 1888 م

ءاثار مَن سبقه من خلفاء الموحدين وسلطين بني مرين ، ذكرَ الفشتالي في (مناهل الصفا) انه سمعه مراراً يقول انه ما بعثه على العناية بالبناء الا انقَته ان يكونَ لآثار مَن تقدمَ من الأسر الملكية فضل" وشقوف" على ءاثار اسرته الشريفة (294) ، ولكن عنايته هذه قصرها على مدن وجهات قليلة دون اخرى من المغرب ، فمن اولى مآثره البرجان العظيمان بمدينة العرائش ، بنى اولهما وهو برج الفتح عقب الانتصار على البرتغاليين في معركة وادي المخازن استعداداً لهجوم اسباني محتمل ، لما كان يبلغه عن رغبة فليب الثاني ملك اسبانيا في الاستيلاء على تلك المدينة ومفاوضته اياه في ذلك .

ومنها بفاس برجان عظيمان شرع في بنائهما يوم الاثنين 22 ربيع الأول عام 990 هـ احدهما خارجَ باب الجيسة ويطلُّ على فاس من جهة الشمال والآخر امام باب فتوح ويطلُّ عليها من جهة الجنوب ، وكلاهما يدعا بستيون Bastion (295) ، ومن ءاثره بها القبة العظيمة الواقعة بجوار صومعة جامع القرويين والخسنة المرمية الكبيرة الموضوعة تحتها والمجلوبة من فرنسا (296) بناها عام 996 هـ (297) ، والخزانة العليا التي صنعها عن يسار المحراب بالجامع المذكور وحبس عليها من غرائب الكتب ما لم يسمع قط بمثله ، والسدان العظيمان بوادي بوطوبة (298)

(294) مناهل الصفا ص 253 طبع الرباط

(295) هذان البرجان يسميهما الكتاب الاوربيون برج الشمال Borj Nord وبرج الجنوب Borj Sud وبعض المفتونين بهم يدعون الاول بورج نور رغم معرفتهم اسمه الحقيقي (بستيون باب المحروق) فقلدهم الجهلة فصيروه برج النور ، وشتان ما بين المعنيين .

(296) روضة الآس ص 21

(297) انظر ما كتب من الشعر داخل هذه القبة وخارجها في روضة الآس ص 21
(298) روضة الآس ص 23 وواادي بوطوبة هو فرع وادي فاس او وادي الجواهر الداخل الى عدوة الأندلس ، ولا يزال على حالته التي كان عليها في عهد المنصور سوى ان ماءه جف ، وكان يصرف جزء من مائة لدفع قاذورات وادي بوخراريب .

وقنطرة (بين المدن) وقنطرة وادي سبو ، وترميم الاسوار واصلاح من
انتلم منها .

ومن اثاره البرج الكبير بتازة وتسوير مدن ازموار والجديدة
وأسفي ، وقنطرة وادي ام الربيع ، وقنطرة وادي نسيقة (تانسيفت) .

ولا شك في ان احسن مبانيه واكبرها واشهرها هو قصر البديع
بمراكش ومرافقه (التي ازرت بالرصافة والزهراء ، ولم يوجد مثلها لملك
على وجه الغبراء ، خجل منها الخورنق' والسدير' وغمدان ، وحجت كعبتها
المحاسن' القاصي منها والدان) (299) ، وقد انبرى لوصف هذا القصر وذكر
قياه وحدائقه ، وبيان ما كتب مزخرفاً على سقفه وحيطانه كتاب' ديوانه
والوافدون عليه كعبد العزيز الفشتالي في **مناهل الصفا** واحمد ابن القاضي في
المنتقى المقصور واحمد المقرئ التلمساني في **روضة الآس** وكذا من
اتى بعدهم من الأدباء والمؤرخين ، وقالوا فيه وفي مدح بانيه قصائد واشعاراً
رقية استحسن ان انقل واحدة منها للكاتب الشاعر عبد العزيز الفشتالي
وهي هذه :

واصبح قرص الشمس في اذني قرطا	سموت' فخر' البدر' دوني وانحطاً
ونيطت' بي الجوزاء' في عنقي سمطا	وصفت' من الاكليل تاجاً لمفرقي
نثير' جُمان' قد تتبَعته لقطا	ولاحت' بأطواقي الثريا كأنها
جعلت' على كيوان رجلي منحطاً	وعديت' عن زهر النجوم لانني
خليجاً على نهر المجرة قد غطى	واجريت' من فيض السماحة والندا
اليه وفود' البحر تغرف ما انطى	عقدت' اليه الجسر' للفخر فارتمت
وقد رقرقت' حصباؤه حية رقطا	تنضخ' ما بين الغروس كأنه
وغيد' تجر' من خمائلها مرطا	حواليه من دوح الرياض خرائد'
جنى الزهر لاح في ذوائبها وخطا	اذا ارسلت' لدن' الفروع وفتحت'

كما مالَ نشوانٌ تشربَ اسفنتا
سواءٌ لديها الفيثُ اسكب ام اخطا
بحاراً غدا عرض البسيط لها شطاً
هي الشمسُ لا تخشى كسوفاً ولا غمطاً
سنى البدر حلَّ من نجوم السما وسطاً
على جسمها الفضِّي نهرأ بها لطى
نقوشاً كأن المسك ينقطها نقطاً
فاني لها في الحسن درتها الوسطى
عذارى نضت عنها الغلائل والريطا
واجمل في تنعيمها النحت والخرطا
قواريرُ افلاك السماء بها ضغطاً
بأكنافه رحل العلاء والهدى حطاً
تطوف بمغناها امانى الورى شوطاً
حنايا القباب لا الكتيب ولا السقطا
ووسدن فيه الوشي لا السدر والأرطا
اذا ما زجتته السحب عاد بها خلطاً
الى كل انف عرف عنبره قسطاً
او اوين كسرى الفرس تغبطه غبطاً
على خير من يعزى لخير الورى سبطاً
وترسو سفان للعلا حيثما حطاً
يفلق هامات العدا بالطبا خبطاً
ذوائب ارض الزنج من ضوئها شمطاً
جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطاً
جعلن ضمان الفتح في عقدها شرطاً
سنايكنها ابقت مثالا بها خطاً

يرنحها مرُّ النسيم اذا سرى
يشقُ رياضاً جادها الجود والندا
وسالت بسلسال اللجين حياضها
تطلع منها وسطاً وسطاه دميمة
حكّت وحباب الماء في جنباتها
اذا غازلتها الشمس القت شعاعها
توسمت فيها من صفاء اديمها
اذا اتسقت بيض القباب قلادة
تكتفها بيض الدما فكأنتها
قدود ولكن زادا الحسن عريتها
نمت صعداً تيجانها فتكسرت
فيالك شأواً بالسعادة اهلا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت
ومسرح غزلان الصريم كناسها
يلكن به ما طاب لا الاثل والخطا
تراه من المسك الفتيت مدبرا
اذا باكرته نسمة لسرى بها
أقرت له الزهراء والخلد وانثنت
جناب رواق المجد فيه مطنّب
امام يسير الدهر تحت لوائه
وفتاح اقطار البلاد بفيلسق
تطلع من خرصانه الشمس فانثنت
كتائب نصر ان جرت لملمة
اذا ما عقدن راية علوية
فما للسما تلك الأهله انما

يطاوع ايدي المعلومات عنانها فيعتاد من قبض الزمان بها بسطا
يد^٥ لأمير المومنين بكفها زمام يقود الفرس والروم والقبطا
ادار جداراً للعلا وسرادقا يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

ونثني عنان القلم بعد هذا للحديث عن سياسة السلطان احمد
المنصور الداخلية والأخرى الخارجية وما يواخذ به من اخطاء ارتكبها
خلال ملكه وأفضى بعضها بعد موته الى انقضاء حكم اسرته .

فأما سياسته الداخلية فمنها ما يتعلق بتنظيم الحكم ومنها ما
يتعلق بتدبير امور الرعية ، وتجب الإشارة الى ان الحكم الاليه من
اسرته التي لا عهد لها بحضارة ولا نظام ، وان الأخذ بالحضارة لم يبدأ
الا في عهد أبيه محمد الشيخ الملقب ايضاً بالمهدي ، وان الأخذ بالنظام لم
يبدأ الا في عهد أخيه السلطان قبله عبد الملك المعتصم الذي لم يطل حكمه أكثر
من تسعة وعشرين شهراً ، وقد اشار محمد الصغير اليفرنى في فزهة
الحادي الى حالة البداوة التي اتسم بها السعديون عندما تملكوا فاسا
وان الفضل في تحضيرهم خارج مساكنهم وداخلها يرجع الى قاسم الزرهوني
والعريفة بنت خجو (300) ، كما ذكر عبد العزيز الفشتالي في مناهل الصفا
ان سيرة الدولة من اولها الى ايام محمد المتوكل - المتملك قبل عمه عبد الملك -
كانت سيرة مطلقاً لم تحفظها قوانين ولا قيدها ضوابط (301) ، فلما آل الملك
الى السلطان احمد المنصور المترجم عشية يوم الانتصار في معركة وادي
المخازن واصل التنظيم الذي بداه اخوه عبد الملك المعتصم المتوفى فيها
وزاد عليه ، فأسس مجلساً للشورى كان يجتمع فيه (الملأ من طبقات الاجناد

300) فزهة الحادي ص 29 طبع انجي (فرنسا) عام 1888 والاستقصا 5 : 30
طبع الدار البيضاء .

301) مناهل الصفا ص 200 طبع الرياط ، والضوابط ج ضابط كلمة كانت
تعني في المغرب الى عهد قريب القانون والاجراء الاداري .

وذوي الحل والربط واولي البصيرة والحنكة والخبرة بالأمور (302)
وانشأ ديواناً جمع فيه كلّ فعل الثمعي من الكتاب والشعراء ، ورتب
ايام اسبوعه فكان يخصص كلّ يوم من ايامه لعمل من الأعمال ، وانشأ جيشاً
نظامياً تتألف بعض فرقه من المهاجرين الاندلسيين وبعضها من (شراقة)
الواردين عليه من ناحية تلمسان وبعضها ممن استرقهم بغير وجه شرعي
من مسلمي السودان ، وكان لهذا الجيش علم " ابيض وطبول تدق اثناء
سيره او خلال معاركته لعدوه ، وكان جنوده يقسمون على الولاء وايديهم
موضوعة على المصحف الكريم او على صحيح الامام البخاري في الحديث ،
وقسم اقاليم مملكته على ابنائه وجعلهم في حكمها شبه مستقلين ، وجعل
حرسه الخاصّ ومستخدمي قصره من الترك الواردين عليه من تركيا والجزائر ،
وانشأ شبكة جاسوسية كانت تنقل اليه اخبار ما يجري بالداخل والخارج ،
كما نظم المواصلات بينه وبين عماله فكانت رسائله اليهم ورسائلهم اليه تنقل - في
حالة الاستعجال - بواسطة الحمام الزاجل ، وكان يقول ان رسائل العمال مما
لا يجوز تأخير الاطلاع عليه والاجابة عنه ، وكان يكتب الرسائل التي
تكسي حلة الكتمان برموز (شيفرة) متفق عليها بين الكاتب والمكتوبة
اليه ، وسنّ الضريبة المعروفة بد (النائبة) ملأ بيت المال ، وضرب سكة
ذهبية واخرى فضية يتعامل بها الناس فيما يبيعون ويشترون ، واستشعر
مظاهر الملك الفخمة في حله وترحاله ، ولاسيما (افراك) الذي يقيم
فيه خلال اسفاره (303) ، واضفى على حفلات قصره حلة العظمة والبهاء
خصوصاً حفلات عيد المولد النبوي التي جدها ولقّحها بالاضافات التي
نقلها من الشرق ولم تكن معروفة فيها من قبل كالهوادج والعرائس المصنوعة
من الشمع ، اقتدى في كل ذلك وفي غيره بالأنظمة والعوائد التي اطلع عليها
واعتاد بعضها خلال مخالطته للترك في الجزائر وتركيا .

302) مناهل الصفا ص 126 طبع الرباط

303) افراق صيغة بربرية لكلمة عربية ينطق بقافها قافا بدوية G كما
ينطق الاعراب ، وهي في الاصطلاح المغربي دارة اكبر من الخيمة واوسع تكون من
وبر او كتان ينزل بها السلطان في محطات اسفاره فارقة بينه وبين حاشيته وجنده .

وقد ادخلت هذه النظم والترتيبات التي لم يكن بعضها معروفاً من قبل في المغرب او معروفاً بشكل مختلف - تجديداً على هياكل الدولة والادارة واجرت في عروقتها دم الحركة بعد الركود الذي عرفته في العصر المريني الأخير وفي عهد بني وطاس والعهد الأول من حكم السعديين ، فأمكن بها تثبيت الأمن نسبياً وتنمية بعض القطاعات الاقتصادية كالتجارة الخارجية ، ولاسيما صناعة السكر الذي اتسعت مصانعه وتعددت بناوحي سوس ومراكش وكثرت انتاجه حتى غطى الاستهلاك الداخلي وصدر الزائد منه الى الدول الأجنبية ، ومن المعروف ان المغرب كان يصدر في عهد السلطان احمد المنصور السكر الى اوربا مقابل جلبه لمصنوعاتها واسلحتها ، خاصة حجر الرخام الذي جلب من ايطاليا وزين به السلطان قصر البديع (304) كما انشئت بجوار القصر الملكي بمراكش مصانع للأسلحة واخرى لانتاج المواد الصيدلية كان يخدم بها معلمون فرنسيون وانجليز وهولنديون ، على ان تطبيق تلك النظم والترتيبات كان يقترن بقسوة متناهية ، ومن الثابت ان السلطان احمد المنصور كان غير متورع عن سفك الدماء وازهاق الأرواح (305) وانه كان يرهق الشعب من امره عسراً لكثرة ما فرض عليه من الضرائب والجبايات ، ومن جهة اخرى لم يستفد الشعب من الأمن والاستقرار النسبيين اللذين عرفهما خلال حكمه اية فائدة اجتماعية ولا اقول سياسية ، لأن الدولة في عهده - وفي العهود المتقدمة - لم تكن تهتم في اغلب الاحيان الا بتوطيد اركان النظام وكنز المال وتشبيد بعض المباني الدينية والمدارس العلمية والقلاع الحربية تخليداً لذكر مشيئتها ، لذا انتشرت في عهد المنصور الأوبئة والأمراض التي كان هو نفسه ممن ضحاياها ، كما كثرت في عهده المظالم وقل العدل رغم ما يروى مستخدموه والمتوددون اليه عن عفوه وحلمه وسماحته ، وبعضه - ولا شك - صحيح .

(304) انظر وصفاً دقيقاً لمصانع السكر في عهد المنصور الذهبي في مناهل الصفا ص 209 طبع الرياط . وانظر ايضاً نزهة الحادي ص 160
(305) نزهة الحادي ص 158 طبع انجي (فرنسا) سنة 1888

ذكر اليفرني في نزهة الحادي وغيره ان القاضي عبد الواحد الحميدي ذهب مع علماء فاس واعيانها الى مراكش لشهود حفلات العيد مع السلطان ، فمروا ذات يوم في طريقهم على سلسلة قرن فيها رجال ونساء ، وفيهم امرأة اخذاها الطلق وهي في كرب المخاض ، فراوا من ذلك امرا يحزن رائيته ويهم ناظره ، فبقي ذلك في خاطر القاضي ، فلما جلس مع المنصور القى اليه ذلك واظهر منه الشكاية ، فسكت عن جوابه وهجره على ذلك اياماً ، فلما فهم القاضي سبب غضب المنصور تطف له في القول واظهر التوبة مما صدر مده وعده يادرة ، فقال له المنصور : لولا ما رايت ما امكنك ان تجيء مع اصحابك عشرة ايام في امن ودعة ، فان اهل الغرب مجانيين ، مارستانهم هو المحن من السلاسل والاغلال (306) .

وذكر ان بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة ، فأخذ لها مالا ، فجاءت المرأة لمراكش لتشكو له حيف عامله ، فلما شكت عليه لم يشكها ولا كشف ظلامتها ، فخرجت لأولادها وقالت لهم انصرفوا ، فاني كنت اظن ان راس العين صافية ، ولما وجدتها الآن مكدة ايقنت ان منها تكدرت مصارفها (307) !

اما سياسته الخارجية فكانت تتسم بالتحرك والرغبة في المساهمة في الأحداث الدولية لاسيما ما له اتصال بالمنطقة ، واكثر علاقاته كانت مع الدولة التركية وولاتها بالجزائر ومع الدول القريبة كاسبانيا والبرتغال وكذلك مع فرنسا وبريطانيا العظمى ، وفي اول عهده وعهد اخيه عبد الملك كانت علاقة المغرب بتركيا وولاتها بالجزائر طيبة جدا ، لأنهما دخلا المغرب تحت حماية جيشها وانتزعا به الملك من ابن اخيهما محمد المتوكل ، فكانا لأجل هذا المعروف الذي لم ينسياه يخاطبان السلطان مراد الثالث مخاطبة الابن لأبيه ، وكان هو يخاطبهما مخاطبة الوصي لمحجوره

(306) نزهة الحادي ص 158

(307) نزهة الحادي ص 159

ولكن بأسلوب مهذب فيه كثير من التعظيم والتمجيد ، ومن مظاهر حرص السلطان احمد المنصور على حسن العلاقة مع تركيا انه بمجرد ما عقدت له البيعة عشية الانتصار في معركة وادي المخازن الذي ساهم في احرازه فصائل من الجنود الأتراك ومدفعيتهم سارع الى الكتب الى السلطان مراد واخبراه بالنصر الذي منحه الله للمسلمين والانكسار الذي ألحقه بالبرتغاليين فابتهج السلطان العثماني بذلك واجابته يوم 8 محرم عام 987 هـ (السبت 7 مارس سنة 1579 م) برسالة حملها مع هدية وفداً أرسله اليه (308) ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان بمجرد ما وصل الوفد والرسالة والهدية الى المغرب ، وساءت العلاقات بين الدولتين سوءاً كاد يؤدي الى نشوب حرب بينهما ، وسبب ذلك اهمال السلطان احمد المنصور للوفد الذي ارسله اليه السلطان مراد واستقلاله للهدية التي جاء بها ، وهي خلعتان فاخرتان وسيف موشى مرصع الغلاف ، فاغتاز السلطان مراد لهذا الاهمال الذي لم يكن يخطر له على بال ، وزاد في حقه وحنقه تحريض واليه على الجزائر وقائد اسطوله علي علي اياه على السعديين وتذكيره باستنقاص محمد الشيخ والد المنصور لسلطان العثمانيين وتلقيبه اياه بسلطان الحواتين ، فأمر السلطان مراد قائده المذكور باعداد عمارة بحرية ، وولاته بالجزائر بتعبئة الجيش للهجوم على المغرب بخرأ وبرا ، ولما بلغت السلطان احمد المنصور انباء الاستعدادات التركية ارتحل الى فاس وشرع في تحصين حدود المغرب الشرقية المجاورة لولاية الجزائر وملئها بالمقاتلين ، كما ارسل القائد احمد ابن ودة العمري سفيراً الى السلطان مراد ومعه الكاتب الشهير احمد بن علي الهوزالي متقدم الترجمة (5 : 200 ع 1500) ومعهما هدية كبيرة ، فسافرا من مرتيل ميناء تطوان ، ولما كانوا في البحر لقيهم علي باسطوله المتوجه الى المغرب ، فثنى القائد احمد ابن ودة عن وجهته ، واقنعه

(308) انظر نص الرسالة في ص 177 من مجلة هسبيريس - تمودة ج 29

بالرجوع الى مرسله ، بينما واصل احمد الهوزالي مسيره الى اسطنبول حيث حظي بالمثل بين يدي السلطان مراد والقي امامه خطاباً اجاد فيه التنويه به والاشادة باسرتة والاعتذار عن مرسله ، فاستحسن السلطان' الخطاب وقبل الهدية والعذر ، واعاد الهوزالي الى المغرب مع وفد تركي وكتب معه رسالة الى علج علي يامره فيها بعدم مهاجمة المغرب ، ولما وصل رسله الى فاس انزلوا فيها خير نزل ، واجتمعوا بالمنصور وفاوضوه ، ثم ردهم مكرمين وبعث معهم وفداً برئاسة قاضي الجماعة ابي القاسم بن علي الشاطبي متقدم الترجمة (2 : I4I ع 4I9) فقابله السلطان مراد احسن استقبال ، وحسنت العلاقات بعد ذلك بين الدولتين ، ولم يحدث ما يكدرها لانشغال تركيا بحروبها في شرق اوربا ، وكثرة ما كان المنصور يتحف به سلطانها من هدايا ويرسل اليه من سفراء اشهرهم علي بن محمد الجزولي المكروتي مؤلف (النفحة المسكية ، في السفارة التركية) آتي الترجمة في حرف العين .

اما على الساحة الأوربية فان اهم ما شغل بال المنصور في بداية ملكه هو قضية وراثة العرش البرتغالي وما كان لها من مضاعفات على الصعيد الأوربي ، وذلك ان ملك البرتغال دون سيباستيان لما توفي قتيلاً في معركة وادي المخازن لم يترك وارثاً للعرش من صلبه ، فقام بالأمر بعده عمه الكريدينال اينريكي ءآخر ابناء الملك ايمونويل' الملقب بالسعيد Le Fortuné وكان شيخاً معتمراً مصاباً بشلل في بعض اطراف جسده ، عاجزاً عن مواجهة التبعات السياسية والاقتصادية لهزيمة بلده في المغرب ، تلك الهزيمة التي سحقت الطبقة النبيلة بالبرتغال وقضت على خيرة اطره الادارية والعسكرية واضطرتته الى انفاق ثرواته في فداء اسراه بالمغرب بدل انفاقها في تجديد ميكله واعادة تنظيم جيشه ، ولم يطل حكم الكريدينال اينريكي فتوفي يوم 3I يناير سنة 1580 م ، ولما توفي خلفه في الملك الأمير دون' انطونيو ، فلم يرق ذلك ملك اسبانيا فليب الثاني الذي كان يطمح الى توحيد شبه جزيرة ايبيريا بضم البرتغال الى مملكته ، وكان للملك المذكور انصار كثيرون في لشبونة عاصمة البرتغال ، فقامت بينهم وبين انصار

الملك دون انطونيو معارك في شهر يونيو اوغزَ خلالها الملك فليپ السى جيشه بغزو البرتغال متذرعاً بقرابته من بيته الملكي (خال الملك سيبياستيان) فاستولت عليه وفرَّ الملك دون انطونيو الى انكلترا حيث اكرمت الملكة اليزابيت الأولى نزله واحسنت مئواه ووعدته بالمعون على استرجاع ملكه ، وسارعت الى الاتصال بالسلطان احمد المنصور طالبة منه التعاون معها ضد اسبانيا ، وارسل دون انطونيو ابنه كريستوف الى المغرب لترغيبه في الانضمام الى انكلترا في سعيها لطرد اسبانيا من البرتغال واعادة الوضع فيه الى ما كان عليه من قبل ، فاغتنم المنصور الفرصة ووضعه يده في يد انكلترا ، وكان يرمي من وراء ذلك الى التخفيف من ضغط فليپ الثاني الذي كان يطلب منه بالحاح التنازل له عن ميناء العرائش ، وتقوية دعم انكلترا للمغرب بمدته بالسلاح وتوسيع نطاق التبادل التجاري معها ، كما كان يؤمل ان يحصل على مكافأة من ملك البرتغال دون انطونيو في حالة رجوعه الى عرشه تتمثل في التنازل للمغرب عن بعض المراكز التي تحتلها القوات البرتغالية في سواحله او عنها كليها ، ومع ان اتفاقا تم في شهر يبرابر سنة 1589 بين المغرب وانكلترا على القيام بعمل مشترك ضد اسبانيا فان الاسطول المغربي لم يدع - لأسباب مجهولة - الى مشاركة الاسطول الانكليزي في الهجوم على لشبونة الذي وقع في شهر يونيو من نفس السنة ، ولعل عدم المشاركة هذا هو الذي حمل فيليب الثاني بعد أربعة اشهر على التنازل عن مدينة اصيلة واعادتها الى السيادة المغربية (3 ذي القعدة عام 997 هـ - 13 شتنبر سنة 1589 م) .

على ان علاقات المغرب بانكلترا ازدادت بعد ذلك قوة وسعة في جميع الميادين ، ولعبت شركة بلاد البربر Barbary Company دوراً كبيراً في تقوية التبادل التجاري بين البلدين على الخصوص ، وهي شركة انكليزية انشئت سنة 1585 لاحتكار التجارة مع المغرب ، ومنحها السلطان احمد المنصور والتجار الانكليز امتيازات وحماية خاصة بظهير اصدره في شهر ربيع الثاني عام 996 هـ (مارس سنة 1588 م) .

واتّسّمت علاقة' المغرب باسبانيا خلال عهد السلطان احمد المنصور بشيء كثير من التّخاتل والتسايس ، ومع ان جرحَ انتهاء الحكم الاسلامي في الأندلس كان لا يزال طرياً ، وان اعداداً وفيرةً من المهاجرين الأندلسيين كانت تصل باستمرار سرّاً وعلناً الى الشواطئ المغربية فان السياسة كانت تفرض على المغرب ان يتعامل مع اسبانيا بحذر شديد واحياناً برفق ولين نظراً لضعفه وقوتها ووجود قواعد عسكرية ومراكز احتلال لها فوق ترابه ، كما كانت السياسة تفرض على اسبانيا ان تسلك من جهتها حياله نفس السلوك بسبب تورطها في البرتغال ومحاولة انكثرتا جرّ المغرب الى تعاون عسكري معها ضدها ، ومن مظاهر سياسة المجاملة التي سلكها المنصور حيال اسبانيا في بداية عهده تسليمه جثة ملك البرتغال دون سيياستيان الى فيليب الثاني بدل تسليمه الى ملك البرتغال دون اينريكي الذي اوفد الى المغرب وفداً لمفاوضة المنصور في ذلك ، وكذلك عدم مشاركة الأسطول المغربي في الهجوم على لشبونة بجانب الأسطول الانكليزي الشيء الذي مكن المغرب - على ما يبدو - من استعادة مدينة اصيلة وخفّف الضغط الذي كانت اسبانيا تمارسه على المنصور ليتنازل لها عن ميناء العرائش ، كما جعل اسبانيا تغمض عينيها على احتلال المغرب للسودان .

وكانت للمغرب في عهد المنصور علاقات جارية في ميدان التجارة مع فرنسا وكثير من ممالك البحر المتوسط ، وكذلك مع الولايات العامّة (هولاندة) التي كانت تسعى لعقد حلف معه ضدّ اسبانيا والتي كان المغرب يفاوضها أيضاً في عديد من القضايا تهمة كمصير مسلمي الأندلس ونقل التراث العلمي الاسلامي المتبقي بها .

ويواخذ' التاريخ السلطان احمد المنصور بأمور قبيحة كان يتسم بها ، وقد كان الناس يعوفون منها اخباراً وتفاصيل ، ولكنهم لم يكونوا يجراؤن على ذكرها ، وقد لمّج محمد اليفرني في كتابه فزّه الحادي الى ما يفيد ذلك ، فيعد ان اشار الى ما نال الرعية منه ومن عماله من ظلم وارهاق ختم

كلامه بهذه العبارة : وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب من الاغضاء عن العورات والستر على الفضائح ، وقد المعنا لك بما يكون دالا على ما وراءه ! (309) .

على انه اذا جاز التغاضي عن الهفوات الشخصية التي ليس احد من الناس معصوماً من ارتكابها ، وعن الشدة في الحكم التي تقتضي السياسة الوقتية من الحكام ممارستها صوتاً للأمن وحفظاً لنفوس الناس واموالهم ، فان الأخطاء السياسية الكبرى لا يجوز التغاضي عنها ، وقد ارتكب منها السلطان احمد المنصور الشيء الكثير ، كتركه الجهاد لتحرير المدن المغربية الساحلية المحتلة من طرف الأجانب ، وغزوه - بدلاً ذلك - السودان المسلم وبطش جيشه بسكانه واسترقاقه لطائفة من من اهله ، وتقسيمة المملكة بين ابنائه وتوليته اقبحهم عهده ، واستخفافه بكرامة المغاربة واحتقاره لشجاعته (310) واقصائه اياهم عن المناصب السياسية في الحكومة والجيش تقليداً لسلطين تركيا الذين لم يكونوا يستخدمون في القصر والحكومة والجيش الا المماليك ، بحيث لم يكن يندني منهم الا الشعراء الذين يمدحونه او العلماء الذين يستشيرهم في الأمور الدينية او يستعملهم في بعض السفارات ، وكل هذه الأخطاء السياسية جعلت الدولة تغرق بمجرد موته في حمام من الدم ، وحكم اسرته ينهار لتحل محله امارات جهوية وزعامات قبلية محلية .

(309) نزهة الحادي ص 158

(310) ورد في رسالة بعث بها السلطان احمد المنصور الى علماء مصر يستفتيهم في قضية العبيد وتجنيدهم قوله : ولما لم نجد في هذا المغرب امنه الله منذ ولانا الله امره جنداً معيناً مرتباً موفراً يعتمد عليه ، ويطمئن به خاطر وتركن النفس اليه ، جعلنا يعون الله تعالى وتوفيقه الجميل نستخير الله تعالى وننظر من يصلح ومن يلحق بها ، فراينا الاحرار واهل هذا المغرب لهذا العهد لا يصلحون للمجندي ولا يليقون بها من وجود شتى ، لما جيلوا عليه من التكاسل والتخاذل وغلبة الشهوة وكثرة الاطماع ، المركوزة منهم في الطباع ، بحيث لا يكفي الواحد منهم القبيل ، ويستصغره ويقول انه قليل ، وحيث رايناهم على هذه الاحوال ، اعفيناهم وتركناهم على ما هم عليه من الاشتغال بمعاشهم والاقبال على منافعهم ، ويؤدون ما يلزمهم لبيت مال المسلمين عمره الله .

(من مجموع رسائل سعية وعلوية محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط) .

وخلاصة القول في حق المترجم انه احد السلاطين العظام الذين حكموا المملكة المغربية ومن اعلامهم قدراً واسيرهم ذكراً واكثرهم ادباً وعلماً ، كما انه النجم المتألق الوحيد في افق اسرته التي انجبت افراداً اشتهر اكثرهم بالفسوق والفجور والتعاون مع الأجنب ، نسفوا العمران وابدوا السكان بتهافتهم على طلب الملك ، وحمّلوا الشعب من فتنهم ونزقهم ما لا يطاق .

توفي موبوءاً بفاس يوم الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012هـ (15 غشت سنة 1603 م) ونقل جثمانه فيما بعد الى مراکش فدفن بمقبرة الأشراف السعديين (311) .

1520) احمد بن أبي القاسم الصومعي القادلي ، فقيه متصوف من المغرب الأقصى ، يعرف بالنسبة الى بليدة الصومعة التي ولد بها ودفن ، ويقال في نسبه ايضاً الهروي والزمراني والشعبي ، اما النسبتان الأوليان فالى بطن هراوة من قبيلة زمران (312) ، واما النسبة الثالثة فذكرها في مقدمة كتابه المعزى وخاتمته ، من غير ان يبين هو ولا من كتبوا عنه القبيل او الشخص او المكان الذي ترجع اليه النسبة .

311) التقاط الدرر 2 : 41 والاعلام للزركلي 1 : 235 والاعلام بمن حل مراکش وأغمات من الاعلام 2 : 252 ع 217 والاستقصا ج 6 ص 3 وتاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول ص 64 وتذكرة المحبين ص 315 وتراجم مغربية دقينة (اطروحة) 2 : 325 وجذوة الاقتباس ص 114 ع 44 ودائرة المعارف الاسلامية 2 : 387 ودرة الحجال 1 : 106 ع 146 وروضة الآس ص 3 وريحانة الألبا ص 140 وكشف الظنون ص 815 ومناهل الصفا (الكتاب كله) ، والمنقى المقصور (الكتاب كله) ، ومعلمة القرآن والحديث ص 159 والمغرب عبر التاريخ 2 : 262 والمغرب في عهد الدولة السعدية ص 97 والموسوعة 3 : 93 و 151 والنبوغ المغربي 2 : 133 - 138 و 3 : 78 و 302 ونزهة الحادي ص 78 ونشر المثنائي 1 : 98 ونفح الطيب صفحات عديدة ، والفكر السامي 2 : 273 وفهارس علماء المغرب (اطروحة مرقونة) ص 714 وفهرسة المنجور ص 22 وفهرس الفهارس 2 : 572 وسلوة الأنفاس 2 : 226

312) زمران : قبيلة كبرى بوسط المغرب تابعة لقيادة سيدي رحال بأقليم قلعة السراغنة ، بطونها : اولاد بوشهبة واولاد القايد واولاد سعيد الشماليون واولاد سعيد الجنوبيون ، ويني زيد ويني محمد والفقراء وهراوة .

ولد بالصومعة (313) حوالي عام 941 هـ (314) ، ونشأ بها وسط أسرة صوفية محافظة ، فحفظ القرآنَ واخذ مبادئَ العلم بزواوية شيخه سعيد بن احمد امسناو ، ثم سافرَ الى فاس فأخذَ عن شيوخ جامع القرويين كأحمد بن محمد العبّادي التلمساني الذي ذكر انه قرأ عليه سنة 966 عقيدةَ اهل التوحيد المعروفةَ بكبرى السنوسي ، ولما عاد الى الصومعة بعد ذلك كان ممثلياً الوطاب فقهاً وادبياً وتاريخياً كما تدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي يكثرُ فيها الاستشهادُ بالأدب والأحاديث واخبار المتقدمين خاصة ما يتعلقُ منها بتاريخ الاسلام وشيوخ التصوف ، فاستقرَّ ببلدته يدرس العلمَ بزواويتها ويُلَقِّنُ التصوفَ ويؤلف الكتب ، واشتهر في تلك الجهة امره وذاع صيته واقبل عليه الطلبة والزوار من كل حذب وصوب ، وعده الناسُ من عباد الله الصالحين ، وصار بعضهم ينقلُ لبعض ما له من مناقبٍ وكرامات ، تلك التي كانوا في تلك الأوقات الحالكة مولعين بترويجها ، ميالين الى تصديقها .

ولما قسم السلطان احمد المنصور السعدي اقاليم مملكته على ابناءه كان اقليم تادلة من حظِّ ابنه زيدان ، فجعل احمد الصومعي المترجم من رواد واديه وسمار نادية ، وحدث بينهما ذات يوم خلاف على صيغة كلمة عربية ، وذلك ان المترجم به ألف كتابا في مناقب الشيخ ابي يعزى الهسكوري متقدم الترجمة (2 : 211 ع 477) سمّاه (المعزى) فأنكر عليه زيدان هذه الصيغة ، ذاكراً ان العربَ انما قالت عزا ولم تقل اعزا ،

313 الصومعة : قرية كانت بناحية تادلة مجاورة لمدينة داي القنينة حيث مدينة بني ملال الحالية غير بعيدة عن عين اسردون الشهيرة ، اسس بها الشيخ سعيد بن احمد أمسناو السوسي زاوية في القرن العاشر الهجري ، وخلفه في شياختها بعد موته الشيخ احمد الصومعي المترجم .

314 جعل عدد من المؤرخين سنة 920 تاريخاً لولادته اعتماده على ما ذكره احمد المقري في روضة الاس ص 303 حين رءاه عام 1010 انه كان شيخاً أناف على الثمانين ، ونحن اعتمدنا على ما رجحه الاستاذ علي الحاوي في اطروحته عن كتاب (المعزى) للأسباب التي ذكرها في تحقيق تاريخ ولادته .

فوجبَ ان تكون صيغة اسم المفعول معزولاً مُعْزَى ، فأصِرَ الشيخُ علي علي ان تلك الصيغة صحيحة واحتدَّ بينهما الخصام ، حتى ادى الأمرُ الى ان لطمَ الأميرُ زيدانَ الشيخَ بالنعل على خده ، فاستشاط الشيخُ غضباً وشكا بالأمير الى أبيه السلطان احمد المنصور فلم يشكّه ذاكراً انه لو كان علي صواب لأنصفه من ابنه ، ثم ارتأى ان يضع حدّاً للخصومة فاستقدمَ الشيخ الى مراكش ، فأقام بها يدرس العلم بجامع الكتبيين ويحضرُ مجالس السلطان العلمية ، وقد امتحن فيها من طرف العلماء الذين كانوا يحضرونها بسبب اخطائه في اللغة التي يظهرُ انه كان ضعيفاً فيها ، وبقي الشيخُ مقيماً بمراكش حتى توفي السلطان احمد المنصور فعاد الى زاويته بالصومعة .

لقيه احمدُ المقرئ التلمساني في مراكش لما زارها عام 1010 وذكّره في كتابه روضة الأس ووصفه فيه بالشيخ العارف الناسك الصالح العلم الحجة المفيد السنّي ، وقال انه بعلمه آية من آيات الله في المجاهدة ، وان له ولوعاً بالمطالعة واقتناء الكتب ، واستجازه فأجازه بكل ما يصح له وعنه روايته ، وأكد عليه في ان يستجيزَ له عمّه علامة تلمسان الشهير سعيد بن احمد المقرئ آتي الترجمة في حرف السين .

وقد خلف المترجمُ مؤلفاتٍ عديدةً ذكر المقرئ انه اخرج له منها ستين يوم استجازه ، وهذه المؤلفات قليلة الأهمية كلها في المناقب والأذكار والأوراد واءراء المتصوفة المتأخرين مع شروح ومختصرات ومختصرات المختصرات ، ونورد فيما يلي اسماءها مرتبة ترتيب الحروف الهجائية مع التنبيه الى مواضع وجود بعضها ، وهي :

- اختصار مروج الذهب للمسعودي يوجد في الخزانة الحسنية

بالرباط محفوظاً تحت رقم 4584 .

- انشاد الشريد ، الى مقامات حقائق الفريد

- انوار المعارف لذوي الهمم ، واسرار اللطائف في بعض معاني الحكم ، حكّم ابن عطاء الله السكندري ، يوجد محفوظاً بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 93I د

- بداية المرید المقدم ، ومقدمات الأحلام ، في تحقيق مبادئ الاسلام ، فرغ من كتابته عام 998 ورتبه على خمسة عشر باباً ، توجد منه نسخة بخزانة جامع القرويين محفوظة تحت عدد 707

- بداية المرید في الجد والمجاهدة ، وتحقيق المراقبة والمشاهدة

- تصحيح البداية ، وتحقيق النهاية

- حزب المرید الحاذق

- حزب المرید المستبين

- حزب الوسيلة الكافية ، لمن اراد ان يختم الله له بالعافية ، في الدنيا والآخرة

- الدرة النفيسة ، في فضائل الأدعية الشريفة

- رجز فيمن لقيه من العلماء وأرباب التصوف

- الزهرة المنيفة (في فضل حزب المرید الحاذق)

- الزهرة العالية ، في فضائل الوسيلة الكافية

- كتاب في الحض على المعروف شرح به رجزه على الأربعين حديثاً

التي حضت على فعل المعروف واغاثة الملهوف

- لباب اللباب ، في معاملة الملك الوهاب ، التفه كما يقول « غيره

على ارباب الطريقة ، وتنبيهها للعامة ممن لم يمارس الطريق ، وتبصرة للمرید المبتديء » ، توجد منه نسختان مبتورتان بالخزانة العامة بالرباط رقمهما

2527 ك و 2618 ك وقد اختصره المؤلف في جزأين ، واختصر مختصره في جزء واحد

- مطالع الأنوار السنية ، في بعض معاني الحكم العطائية ، يقع في اربعة اجزاء واختصره في جزأين ، واختصر مختصره في جزء واحد ، توجد من مختصر المختصر نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقمها 722 ق

- مصباح النجاح ، في فضائل حزب الفلاح

- المعزى ، في مناقب الشيخ أبي يعزا ، انتهى من تأليفه يوم الاحد 9 شوال عام 1000 وضمّنه اخبار الشيخ ابي يعزا الهسكوري متقدم الترجمة (مولاي بوعزة) وكراماته واخبار مشايخ المتصوفة وكراماتهم ، وهو لا يخلو من فوائد تاريخية على ما فيه من خرافات لا يُصدقها عقل عاقل ، توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات خصوصية وعمومية بالمغرب ، وبدأ طبعه على الحجر بفاس عام 1332 ثم كان موضوع اطروحة أنجزها الطالب علي الحاوي سنة 1989 بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

- مفتاح السعادة ، على بيان المقامات العشرة ، وهو ارجوزة تنيف على الف بيت

- نزهة الناظرين ، ومصباح السالكين ، وشمس العارفين ، في بعض معاني مقامات السالكين ، شرح به كتاب (مقامات السالكين) لشيخ الاسلام الامام الهروي ، يقع في جزأين ، وله مختصر ومختصر المختصر

- نتائج الأفكار ، رجز على الحكم ينيف على الف بيت

- نصيحة الضعيف ، الراغب في ذروة المنيف

- نور المصباح ، في فضائل حزب الفلاح

- غنيمة الدهر في الأدعية والأذكار وبعض فضلها واسم الله

الأعظم .

- سراج الباحث ، في حل بعض مقفلات المباحث ، يقع في ثلاثة اجزاء ، وله مختصر ، ومختصر المختصر انتهى من تبييضه يوم 22 شعبان عام 1003 توجد نسخة من مختصره محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2705 د .

- شرح حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي

- شرح رائية ابي العباس الشريشي

- شمس المراسم ، في معرفة الولاية وحقيقة الولي والقطب والغوث ، فرغ من تأليفه آخرَ يوم من رمضان عام 1001 أجاب به عن بعض اسئلة احبته ، توجد منه نسخة " كاملة" بالخزانة العامة بالرباط رقمها 299 ضمن مجموع من الورقة 42 الى الورقة 88

- وسيلة الصديق ، يصل بها لكعبة التحقيق

توفي بزوايته بالصومعة في اوائل ربيع الأول عام 1013 هـ وقبره معروف" يزار حتى اليوم بمدينة بني ملال (315) ، وخلف مكتبة حافلة تجاوزت عدد كتبها ألفاً وثمانين مجلداً .

(1521) احمد بن محمد بن علي حَبِيَّب الرندي الغرقاطي فقيه" صوفي من اهل فاس واصلته من الأندلس ، اخذ عن محمد بن احمد الغماري المالقي ورضوان بن عبد الله الجنوي وغيرهما ، ولما جاء الشيخ يوسف الفاسي فاسا عام 988 ليستوطنه بادر الى صحبته ولازمه الى حين وفاتها .

(315) التقاط الدرر 2 : 42 والاعلام للزركلي 1 : 198 والاعلام ، بمن حل مراكز واعامت من الاعلام 2 : 76 ع 219 وايضاح المكنون صفحات عديدة ، وتذكرة المحبين ص 315 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 143 - 154 - 190 - 504 وروضة الاس 300 وطبقات الحضكي 1 : 44 ومعلمة القرآن والحديث ص 155 والنبوغ المغربي ص 253 ونشر المثنائي 1 : 113 وفهارس الخزانة العامة 2 : 198 وفهارس علماء المغرب (اطروحة مرقونة) 2 : 198 وفهرس الفهارس والائيات 2 : 713 وهديّة العارفين ص 152

الْفَ كُتَبًا ورسائل عديدة في الفقه والتصوف ، منها :

- يواقيت الأحكام ، فيما يتعلق بقواعد الاسلام
- كتاب في القطب والقطبانية
- كتاب في الفقه والتصوف
- شرح على رموز الشيخ ابن عقبة الحضرمي
- أرجوزتان في شكر النعم
- لامية في التصوف
- مجموع" يضم اذكاراً ورسائل وقصائدَ موزونةً وملحونةً في التصوف يوجدُ محفوظاً بالخزانة العلمية الصبّحية بسلا تحت عدد 646 .
- توفي مطعوناً بفاس ليلة السبت 27 ذي القعدة عام 1013 ودفنَ خارجَ باب فتوح قريباً من ضريح الشيخ يوسف الفاسي (316)
- 1522) احمد بن سعيد الهشتوكي ، فقيه مغربي من اقليم سوس وصفه عبد الرحمان المناري في الفوائد الجمّة بصاحبنا الأستاذ النجيب ومحمد الحضيكي في الطبقات بالاستاذ النجيب الفقيه الديّن .
- توفيَ في اوائل عام 1014 (317)

1523) احمد بن محمد الشاوي ، احد صلحاء فاس المشهورين قدم اليها من بلاد الشاوية (318) واتصل بالشيخ احمد بن يحيى اللمطي دفين

(316) الاكليل والتاج ص 15 والتقاط الدرر 2 : 43 والأعلام للزركلي 1 : 180
وتذكرة المحبين ص 315 ونشر المثنائي 1 : 117 وصفوة من انتشر ص 79 وفهرس
الخزانة العلمية الصبّحية ص 304 وسلوة الأنفاس 2 : 365

(317) طبقات الحضيكي 1 : 40 والفوائد الجمّة (نسخة مصورة) ص 53

(318) الشاوية : مجموعة قبائل عربية كبرى تسكن البسيط الفسيح الذي كان يسمى في القديم تامسنا ، وسموا شاوية (مقرده شاوي) لأن ملوك بني مرين كانوا يكلون اليهم رعي مواشيههم لاسيما قطعان الشاء ، ومن اشهر قبائل هذه المجموعة المعاريف والزيايدة والذاكرة واولاد حريز واولاد سعيد ، ومنها قبائل بربرية الأصل تعربت كمدبونة وزناتة وجدانة والمزاميز ، وأشهر حواضر الشاوية في الوقت الحاضر الدار البيضاء وسطات والمحمدية (فضالة سابقا) وابن سليمان .

حومة النواعريين ولازمه ، واشتهر بانفاق الأموال والهدايا التي يأتي بها إليه مريدوه في المصالح العمومية ، منها :فاس اصلاح قنطرة ابن طاطو ، وماء جامع الأندلس الجاري إليه من ناحية باب الحديد ، والقوس الذي يمرُّ عليه في باب الجديد ، ومنها كان يطعم الفقراءَ والمساكينَ بزواياه الخمس ، وحبس كثيراً من ممتلكاته على الأعمال الخيرية .

ينسب إليه مريدوه ومصدقوهم عديداً من الكرامات اعتنى بجمعها احمد بن محمد الشامي والعربي بن الطيب القادري ، وافرده اخوه عبد السلام القادري بمؤلف صغير سماه **معتمد الراوي** ، في اخبار سيدي احمد الشاوي (319) وذيلُه حفيده محمد القادري وسميَ الذيلَ الكوكب الضاوي في اكمال معتمد الراوي (320)

توفي قرب طلوع فجر يوم الأربعاء 26 محرم عام 1014 ودفن يوم الخميس بزوايته من حومة الجرف التي صارت تسمى اليوم باسمه .

وهذا الرجل ليس على شرطنا ، وانما ذكرته - استثناء - لشهرته واهتمام عدد من الناس بأمره (321)

1524) احمد بن محمد ابن عطية الزناتي ، فقيه من اهل سلا واصلهُ من الأندلس ونسبه البربري لا يدل عليه ، اخذ عن الشيخ عبد الله ابن حسون بسلا ورحل الى فاس فأخذ بها عن الشيخ علي الحارثي وحصب الشيخ يوسف الفاسي واستفاد منه .

(319) مات المؤلف دون اكماله ، توجد منه نسخة بالخزانة الإحمديّة السويديّة بفاس ، واخرى بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 777 د

(320) توجد منه نسخة بالخزانة الإحمديّة بفاس واخرى بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 799 د

(321) التقاط الدرر 2 : 44 وتذكرة المحبين ص 131 والروض العاطر الإنفاس ص 101 وطبقات الحضيكي 1 : 48 والموسوعة 3 : 148 ونشر المثاني 1 : 132 وفهارس الخزانة العامة بالرباط 2 : 11 و 220 وسلوة الإنفاس 1 : 274

كان فقيهاً فرضياً وصف بأنه من العلماء الأعلام واحد جهابذة
الإسلام .

أخذَ عنه أخوه محمد ابن عطية .

مات بفاس في ربيع الأول عام 1015 هـ وقيل في العام الذي بعده ،
ودفن بأزاء شيخه علي الحارثي دفين الحبول من حومة الرميطة (322) ،
وهو غير حفيد أخيه أحمد بن محمد الحارثي بن محمد ابن عطية صاحب
كتاب التفكير والاعتبار ، وكتاب الأنوار في ذكر طريقة السادات الصوفية
الاخيار ، آتي الترجمة مع أحمدى القرن الثاني عشر ، فليُتذَبَّهْ لذلك ، إذ
كثيراً ما يقع الخلط بينهما .

1525) أحمد بن شعيب الزياتي ، استاذ "مقريء" من أهل فاس ذو
دراية بالمقاريء السبعة ، أخذ عن الفقيه الحسن الزياتي ، وله تأليف
سماه اتقان الصنعة ، في قراءات السبعة ، توجد منه نسخة محفوظة
بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1303 د ، وقد كان هذا الكتاب موضوع
رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا كتبها الطالب الحسن صدقي ونوقشت
بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط يوم 13 يوليوز سنة 1992

توفي عام 1015 (323)

1526) أحمد بن عبد الرحمان النجاني الزياتي ، فقيه من المغرب
الأقصى ، أصله سلفه من تلمسان من بني عبد الواد امرائها هاجروا الى
المغرب واستقروا بقبيلة بني زيات (324) إحدى قبائل غمارة .

322) سلوة الأنفاس : 1 : 309 واليواقيت الثمينة : 1 : 23

323) الاعلام للزركلي : 1 : 135 وايضاح المكنون : 1 : 22 وتذكرة المحبين ص 131
والخزانة التيمورية : 1 : 7 و 3 : 164 ومعجم المؤلفين : 2 : 244 ونشر المثاني : 1 : 136
وهدية العارفين ص 153 وفهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط : 1 : 5

324) بنو زيات ، إحدى قبائل مجموعة غمارة باقليم شفشاون ، بطونها عشر ،
هي بني بخت وبني بداس وبني برون وبني جلا وبني هليل وبني غفار وبني
جلون وبرمان وقرغة وقاع اسراس .

كان فقيهاً نحويًا اخذ عن الشيخ يوسف الفاسي ولازمه وانتفع به ،
ومن رسائل الشيخ يوسف اليه قوله من رسالة يشهد له فيها بالصحة .

« وقد وصلنا مکتوبکم وأنتم تذكرون فيه ما انطوت عليه ضمائرکم من
المحبة لجانبنا ، فلا شك ان ذلك امر لا تحتاجون فيه الى تعريفنا به ، ولا
يقبل منکم سواه ، ولا ينبغي لكم غيره ، لانکم منا بمنزلة الولد ونحن منکم بمنزلة
الوالد ، لما بيننا وبين اسلافکم من المحبة والصدقة التي ما عاملوا بها احدًا
معاملتنا ، ولا يخفاکم ذلك ، فانکم وعيتم ذلك كله ، فنسأل الله اعانتک على
القيام لما ينبغي فيما فيه اقامک ، وان يريک الحق حقًا ويرزقک اتباعه ،
ويريک الباطل باطلا ويرزقک اجتنابه ، وان يجعلک لأسلافک خليفة في الخير ،
انه على ما يشاء قدير ... »

مات عام 1018 (325)

(1527) احمد بن عبد الله المريني ، سفير مغربي ارسله السلطان
زيدان السعدي الى هولاندة عام 1019 هـ (1610 م) فاستقبل في روتردام
من قبيل مجلس الولايات العامة بمحضر أمير اورانج و قدم إليه رسالة
اعتماده ، وخلال المذاكرات التي اجراها مع اعضاء المجلس المذكور
طلب تزويد المغرب بعدد من السفن الحربية ، كما عرض تقديم قرض من
المغرب الى هولاندة ، وكان الغرض الأساسي من سفارته عقد معاهدة
تحالف وتجارة تضمن لسفن إحدى الدولتين حرية الدخول الى موانئ
الدولة الأخرى وتزويد المغرب بالربايين والسفن والعتاد ، وامضيت لهذا
الغرض معاهدة يوم 24 دجنبر سنة 1610 م (الجمعة 8 شوال عام 1019 هـ)
تعدت اهم معاهدة عقدت بين المغرب ودولة نصرانية في العهد السعدي لما
تضمنت من فصول تنص على الأمن في البحار وتسريح الأسرى والتبادل
التجاري .

لم اقف من اخباره على اكثر مما ذكر ولا على تاريخ وفاته ، وكان
حيّاً عام 1019 (326)

1528) احمد بن محمد الفريديس التغلبي ، اديب من بيت نبيه بفاس
معروف بالعلم والجاه والثراء (327) ، ولد بها سنة 947 هـ واخذ عن شيوخ
العلم بها كيعقوب اليدري واحمد بن يوسف الفاسي ، وكان كاتباً مجيداً
وشاعراً محسناً تملك زمام البلاغة وبرز في صناعة الانشاء ، استكتبه الأمير
محمد الشيخ الملقب بالمامون ولي عهد السلطان احمد المنصور لما كان
خليفة لأبيه بفاس ، ولما آل إليه الملك بعد موت أبيه اسند إليه النظر في
المظالم فكان صاحب الشكايات بديوانه .

لقية احمد المقرئ لما وصل الى فاس عام 1009 وذاكره واتمس
منه جملة حاجات قضاها له عند مخدومه ، وذكره في كتابه روضة الآس
ناعماً اياه بالكاتب الرئيس الماجد السري الناظم الناثر ، وقال انه واسع
الحرمة متين الجاه ، نادرة اهل زمانه ، وواحد وقته واوانه ، ذو خط جيد
وفصاحة ، وفسيح جناب للوافدين وساحة ، نفقت بوجوده للأفاضل اسواق ،
وأشرقت بامداداه للفضائل آفاق ، وله ولوع باقتناء الكتب ، وخرانتهم بفاس
مشهورة ، وبها انتفع الامام الكبير سيدي احمد بن يحيى الونشريسي (328)
ومنها ألف كتابه المعيار (329)

وذكره الشيخ العربي الفاسي في شرح دلائل الخيرات عند قوله وكان
لي جار "نساخ" الخ فقال : وكان الشيخ الكاتب الرئيس احمد بن محمد

326) المصادر الغميسة لتاريخ المغرب - المجموعة الأولى - هولاندة -
I : 521 - 526 والموسوعة 3 : 172 وهسبريس - تمودة (مجلة) الجزء الرابع -
سنة 1963

327) انظر عن اسرة الفريديس كتاب بيوتات فاس الكبرى ص 69 تحقيق
عبد الوهاب ابن منصور .

328) تقدمت ترجمته في هذا الجزء ص 108 ع 1444
329) روضة الآس تأليف احمد المقرئ التلمساني وتحقيق عبد الوهاب ابن
منصور ص 183 - 187

الغرديس شيخ' كتاب الانشاء استعمار مني كتاب الانباء ، في شرح الاسماء للاقليشي ، ثم مرض مرض موته ، فعدته فوجدت الكتاب عند راسه ومعه كراريس منسوخة واخرى معدة للنسخ ، فقال لي : اني اذا وجدت راحة كتبت ما قدرت عليه ، فاذا غلبني ما بي امسكت ، فقلت له : ولم تكلف نفسك بذلك ؟ فقال لي : اني عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه ، فرجوت ان يكون ما اعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي بها وكفارة لذلك ، فكمّل الله واتم الكتاب .

وكان له على علو قدره خصوم يحسدونه ويغارون منه ككل العظماء ، وفيه يقول احدهم :

تمتعت ياغرديس' والدهر راقد' وانت بفاس وابن' حيثون واجد'
لسعدك راحت' خيزران' لقبورها (مصائب قوم عند قوم فوائد)

من شعره القصيدة المولدية التالية التي مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح مخدمه الأمير محمد الشيخ المامون ولي العهد :

اهدى النسيم تحية المشتاق
في طيب مسراه ولين هبويه
لما سرت للريح منه رويحة"
جاءت تحبر عن اهيل بالحمى
خملت قباينهم القلوب ويمموا
مزوا وما قد خلفوه من الجوى
حكما باتلاف النفوس فلن ترى
لولا التصدع بالفراق وبالقلا
لا تعذلوا الصب المشوق فانه
عنقتهم نشوان من راح الهوى

واذاع ذكر الشوق في الافاق
سر يشب لواعج الاشواق
حيث فابلت مبتلى بفراق
رحلوا فلم يطمع لهم بلخاق
جوب الفلا بالوخد والاعقاق
والشجو ما بين الجوانح باقى
من منقذ لقتيلهم او راق
لم يندر وصف مصارع العشاق
في حبهم راض بما هو لاقى
لا يستفيق الدهر قدر فواق

لم يستحل عن عهدهم ميثاقي
خلّفن قلبي في اسار وثاق
فاخترت طوعاً ذاك دون عتاق
من غير تعنيف ولا ارهاق
عن حمل أعباء الهيام نطاقي
فتمنعوا ان يسمحوا بتلاق
من لحظ حسن جمالكم أحداقي ؟
فهناك منية قلبي الشواق
انوار حسن ضريحه آماقي
واجيل دمع الواله المشتاق
فاق الورا طراً على الاطلاق
قد ايدت بمكارم الأخلاق
عمت رسالته قصى الأفاق
ومبويء الدين المحل الراقي
أريت جهالتها على الانفاق
ن الناس في دهش وفي اطراق
تقريبه من فوق سبع طباق
ترد الظما في الحوض فضل الساقى
فتتابعت صدقاً بحسن سباق
فأتى على قدر بصدق وفاق
ما لم يكن في مبلغ الأطواق
جاءت مدائحه من الخلاق
تركوا الدنا مبتوتةً بطلاق
وبشدة في العدل والاطلاق
متجرعاً جرع الدم المهراق

لي بالهوى علم فلمني او فدع
جمعت عليّ من الغرام غرائب
وقضى الهوا قهراً تملك مهجتي
هم حملوا قلبي الهوان فلذّ لي
لا اشتكي شجو الفراق ولم يضق
ياجيرةً جاروا وعدل جورهم
هل من سبيل للقاء فتشتفي
ام هل سبيل للورود لطيبية ؟
اهوى الوصول الى الرسول فتجتلي
واعفر الخد الخؤون بتريه
المصطفى والمنتقى المختار من
وهدى الى الدين القويم بعزمة
والمجتبى المبعوث اكرم مرسل
معلي منار الرشده حقاً والهدا
ومبيد اسواق الضلالة بعد ان
والمستجار بجاهه يوماً يكو
وازى سراة الأنبياء وبدهم
منه الشفاعة ترتجا وبجبه
آياته ظهرت لتظهر صدقه
كم معجز ابدا حلاه تحديداً
يكفيك بالموحي المنزل انه
من ذا يزن مديحه في مرسل
قام امتعاضاً دونه خير اسرة
واستقبلوا نصر النبي بهمة
كم خلفوا في نصره من ظالم

ضرباً على الأذقان والأعناق
فسقوهم بالطعن كأس دهاق
من بعد شرك ثابت ونفاق
روضاً أريضا يانع الأوراق
شمس النبوة تامة الاشراق
ر العالمين الطيب الأعراق
منها انتشار الحق في الآفاق
مقدارها بالبذل والانفاق
أصناف نعمى جوده الدفاق
واستوجب العليا بالاستحقاق
ملكاً لحسن السمات والأخلاق
وحنث الثرى في أوجه السياق
طوعاً لطاعته يد الأصفاق
فمتى ترقوا للعلا لراقي
لا تعدها للغير قول وفراق
فلهم وراثتها بالاستحقاق
علوية في منتها الاعراق
والفخر والمجد القديم الباقي
ولمجده الشرف الرفيع الراقي
ومقصر عن شأوه المتراسي
أجلا من الأصباح في اشراق
والملك أعطي طوع الاسترقاق
بلواء عز نصره الخفياق
والكفر في ذل وفي ارهاق
حلل الهنا مرقومة الأطواق
يقضي بنيل نفائس الأعلاق

هم اتبعوا بالسيف كل معاند
هم الحموا الكفار كل وقية
فملا على الأديان دين نبينا
واحتل من بعد الذوي بفضل
سعد الأنام بليلة سطعت بها
واقترت تغر الصبيح عن ميلاد خيد
أكرم بها ويومها من ليلة
وقى الامام المرتضى المأمون من
واقاض اجلالا وتعظيماً لها
ملك ائناف على الملوك بقدره
ملك يخيله العيان اذا بدا
حاز الكمال سجية ووراثه
وقضت بعزته السعادة فانبرت
ابن الخلائف والاولى سادوا الورى
ان الخلافة في ذؤابة هاشم
لهم الأحق ومن عداهم معتد
أصل رسا في المكرمات ونسبة
مغنا الرسالة والنبوة والهدا
من ينتمي للمصطفى بنبوة
فيكل عن علياه كل مطاول
يبدو ونور المجد في قسماته
زهت الامامة والخلافة باسمه
وتمهدت منه الدنيا بمعزز
فالدين عال كعبه بمقامه
لازلت في عز ونصر ضافياً
وجديد سعدك ايها الملك الرضا

وعلى النبي وءاله مع صحبه
اذنكا من المسك الفتيق تضوعاً
تسليم مضنا دائم الأشواق
واتم من نور الضحا الرقراق
وقال ايضاً في بعض الموالد الشريفة النبوية :

تبدت فأبدا الثغر من لؤلؤ سمطا
وحطت على ورد الخدود سوالفياً
أجادت بخيلان لنونتها النقطاً
فمن اجله درع التجلد قد حطياً
والقت على الخدين أنلمها السبطا
ونخوة تيه جاوز القدر والقرطا
ومنها :

تميل بردف يؤلم الخصر خصبه
تدين رضاباً من لماما وظلمها
فلما يشتكي النعما وذا يشتكي القحطا
ومن سحر عينيها سلافا واسفنتا
ومنها تخلصاً :

بمولده السامي العوالم بشرب
وسرت به الفردوس ثم تزينت
وأضحا به الاسلام والدين طاهرا
بموسمه المولى اعتنا فاقامه
امام الهدى مأمون ءال محمد
له همة تعلق الثريا نزامه
وعزيمة حزم في الحوادث ان مضت
وهمة عز في وقار سكينه
ففي حالتي حرب الزمان وسلمه
وشبت وقد كانت ثوائبها شمطا
واظهرت الرسل الكرام به غبطا
ووافا ديار النصر والعز ... طا
ووفاه اجلالا واعظمه قسطا
ملك اقام العدل واجتنب القسطا
وفخر على متن السماكين قد حطا
تعود وقد قطت رقاب العدا قطا
وفطرة حلم تنكر الجهل والسخطا
تريك بوادي حاله القبض والبسطا

ومنها ختاماً !

فدام ودام النصر يعضد أمره وكان سنام' العز من بعض ما امطا
وتوج تاجاً من سنا ومهاية وطوق من فخر الثنا درراً سمطا

ومن شعره قوله لما تجاوز السبعين من عمره :

فلما انقضت سبعون حان حماميا واذهلني ما ذأ ألقى اماميا
وبدلَ مني كل وصفٍ بضده واقعدني عما اروم' سقاميا
فلا انا حيٌ ارتجى لمهمة ولا انا ميت اكف همّ ملاميا

توفي بفاس عام 1020 وقيل في السنة التي بعدها (330) .

(1529) احمد بن يوسف الفاسي الفهري ، فقيه كبير ومحدث حافظ من المغرب الأقصى ، ولد بالقصر الكبير قرب طلوع الفجر ليلة الأحد 6 ذي الحجة عام 971 هـ ونشأ في رعاية والده المريبي الشهير يوسف بن محمد الفاسي ، واخذ عنه وعن اصحابه مبادئ العلم التي اعتيد للمبتدئين تلقئها ، ثم رحل عام 986 الى فاس صحبة عمه عبد الرحمان بن محمد - وكان قريناً له في السن - لاكمال دراسته ، فأخذ عن فقهاء جامع القرويين كأحمد القدومي (5 : 194 ع 1497) واحمد المنجور (5 : 202 ع 1501) ومحمد الزياتي ويحيى السراج وعبد الرحمان الحميدي وابي القاسم ابن سودة وغيرهم ، ولازم في الأخير محمد بن قاسم القصار واخذ عنه اخذ تحقيق ، وزار في كبره الشيخ ابا بكر المجاطي الدلائي فتلقاه بحفاوة كبيرة واقبل عليه اقبالا عظيماً ، وعلى كثرة من لقي من الشيوخ وما تلقى عليهم من الفنون والعلوم بيقى فضل ابيه الشيخ يوسف عليه عظيماً

(330) الاكليل والتاج ص 16 والوفيات ص 297 والتقاط الدرر 2 : 57 والاعلام ، بمن حل مراکش واغمات من الاعلام 2 : 282 ع 221 ودررة الحجال 1 : 103 ع 144 وروضة الآس ص 183 ع 8 ورسائل سعديّة ص 2414 وطبقات الحضيكي 1 : 71 ونزهة الحادي ص 169 ونشر المثنائي 1 : 173 وصفوة من انقش ص 102

فهو الذي ثقف قناته علمياً وروحياً ، والمترجم به كان هو السارد بين يديه في المجالس العلمية التي كان يعقدها بعد العصر بالقصر الكبير وبعد استقراره بفاس ، وكان الشيخ يوسف والده ينوه به ويثني عليه ويشهد بخصوصيته ، ولما قدمه لالقاء دروس علمية صار يحضرها هو مع كبار اصحابه ، وقد اهله هذا التقديم لخلافته في شياخة الزاوية بعد وفاته ، والمضي على سنته في المجلس العلمي والتربية الصوفية .

ومن مآثر المترجم موقفه من السلطان محمد الشيخ المأمون السعدي لما اتفق مع الاسبانيين على تسليمهم ميناء العرائش واحتال على العلماء فبعث اليهم برسالة شهيرة يبرر بها عمله ويطلب منهم موافقته ليدفع اللومة عن نفسه ، فعندما وصلت الرسالة خرج من فاس واختفى عن الأنظار في جملة الذين اختفوا من الفقهاء والعلماء ولم يظهر الا بعد ما تمت المفاوضات بينهم وسلم السلطان العرائش الى اسبانيا فاحتلتها جيشها من غير قتال في اوائل رمضان عام 1019 هـ ، ثم انه لما رأى ما آل اليه الحال من خراب العمران وفناء السكان وانتشار الأوبئة والمجاعات بسبب تقاتل ابناء السلطان احمد المنصور على الملك ونشوء رياسات وزعامات مستقلة في جهات كثيرة من المغرب قرر اعتزال الناس والابتعاد عن فاس حيث لا يستطيع علماءها جلب منفعة ولا دفع مضره ، واستشار فيما عزم عليه الشيخ ابا بكر المجاطي كبير الزاوية الدلائية فاشار عليه ان يفعل ، فخرج من فاس صبيحة يوم السبت 27 صفر عام 1020 ببعض اهله وذهب الى ناحية جبالسة (331) فاستضافه اهل قبيلتي بني يحمود (332)

331 جبالسة : والنسبة اليها جبلي ، هي المنطقة الشمالية الغربية من المملكة المغربية حيث القبائل العربية والمتعربة ، والى الشرق منها حتى نهر ملوية منطقة الريف حيث القبائل التي تتكلم اللهجة الريفية ، اما اطلاق الريف على كل الشمال فاطلاق اوروبي جديد قلد فيه المغاربة الاوربيين غفلة او جهلا .

332 بني يحمود (بالياء) قبيلة كبيرة باقليم شفشاون ، بطونها : اضوار - بمام - بني لاوة - بني مسترة - تلامزور - تلان داوود - تفزة - ككت - الشطوان .

والأخماس (333) ، واخيراً القى عصا التسيار بقبيلة مصمودة (334) ، ولكنه لم يمكث بها طويلاً ، لأن الأوبئة التي كانت منتشرة يومئذ في طول المغرب وعرضه حصدت بمنجلها روحه في جملة ما كانت تحصد يومياً من ارواح .

كان المترجم من كبار فقهاء العصر ، ولكن معارفه لم تكن تتجاوز ما كان يستأثر بعقول العلماء في ذلك الوقت ، واكبر ما برز فيه الفقه والتصوف ولاسيما علم الحديث الذي كان من اكبر حفاظه ، حتى ذكر ان نسخ صحيح البخاري ومسلم كانت تصح من ذاكرته ، وقد اثنى على علمه وخلقه كل الذين كتبوا عنه او اشاروا اليه ، ونكتفي بايراد ما وصفه به اخوه العربي بن يوسف الفاسي اذ قال عنه في كتابه مرآة المحاسن ما نصه :

« كان بحراً من بحار العلم ، وجبلاً من جبال الدين ، متحققاً بالعرفان وعلوم ارباب القلوب ، عارفاً ، واسع المعرفة بطرق القوم ومذاهبهم حسن الكلام عليها ، عارفاً بماخذ الصوفية من الكتاب والسنة مستحضراً لهما ، غريز الحفظ ثاقب الفهم ، متفنناً في انواع العلوم مشاركاً فيها احسن المشاركة ، متبحراً في الاصلين والفقه ، مطلعاً على مذاهب الفلاسفة في الالهيات ، منفرداً بعلم الحديث لا يجاري فيه ولا يبارى ، حافظاً لحديث الصحيحين مستحضراً لما اتفقا عليه وما انفرد به احدهما والاختلاف في لفظ متن او سند ... الخ ، الخ .

وكان المترجم كثير الجمع والتقيد والتصنيف ، والف كتباً عديدة اتم اكثرها وحال الموت بينه وبين اتمام اقلها ، فمن مؤلفاته :

333) الاخماس والنسبة اليها خمسي : قبيلة كبيرة باقليم شفشاون تنقسم الى اخماس عليا واخماس سفلى ، اما الاخماس العليا فبطونها بني تليد - وبني جافن - وبني جبارة - وبني زرويل ، واما الاخماس السفلى فبطونها تنغامة - وتسك - وبني صالح - وبني دركون - وبني فلواط - والخزانة - والهبطيين .

334) مصمودة : قبيلة جبلية شهيرة بناحية وزان (اقليم سيدي قاسم) بطونها : الجبيل - الحمارة - فرسيو - وادي زان

I - الإبتهاج والاختلاج توجد منه نسخة "مخطوطة" بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 6263 . 2 - وتاليف في اسانيد الشيخ ابي بكر المجاطي الدلائي . 3 - ورسالة في جواز الجهر بالذكر واستحبابه ونديه والجمع له والمناوبة فيه ، توجد منه نسخة" ضمن مجموع عدده I535 محفوظ بخزانة جامع القرويين بفاس 4 - وجزء في اولاد المشركين . 5 - وجزء" في وزن الأعمال وتكفير السيئات بالأعمال الصالحات . 6 - وجزء" في موضوع اقوال الفقهاء والصوفية في السماع والرقص . توجد منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع عدده I530 محفوظ بخزانة جامع القرويين بفاس . 7 - وحاشية على صحيح مسلم (غير كاملة) . 8 - وحاشية" على شرح صغرى السنوسي في العقائد . 9 - والـدرر' الحسان ، في الكلام على ليلة النصف من شعبان . 10 - ورسالة في العلم توجد نسخة خطية منها بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 524I . II - والمنح' الصفية ، في الاسانيد اليوسفية ، الفقه في الاسانيد الطريقية فقط لوالده الشيخ يوسف الفاسي ، توجد منه نسخة" مخطوطة في مجموع محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد I234 د من الورقة I9 ب الى الورقة I29 ب . I2 - وشرح عمدة الحكام عن سيد الأنام ، للحافظ عبد الغني ابن سرور المقدسي في الأحكام . I3 - وشرح القصيدة المسماة (انوار السرائر) المشهورة بالشريشية في السلوك ، وهي من نظم احمد بن محمد الشريشي . وله تقايد جمّة ، واجوبة" كثيرة مختصرة" ومطولة" في انواع من العلوم .

توفي - متأثراً بحمى قاتلة - بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء 2I ربيع الثاني سنة 102I بدوار بوزيري من قبيلة مصمودة ، ودفن بموضع هناك يعرف بالمنيزلة (335) .

(335) الاكليل والتاج (نسخة مصورة) ص 16 والتقاط الدرر 2 : 55 والاعلام للزركلي I : 275 وتذكرة المحبين ص 13I (نسخة مصورة) ، والدرر البهية 2 : 276 وطبقات الحضيكي 50:I ومرعاة المحاسن ص 15I-159 ومعلمة القرآن والحديث ص 12I

(1530) احمد بن محمد بن عبد الوارث الياصوتي (336) ، صالح شهير بقبيلة بني زروال المتوطنة باقليم تاوانات شمال مدينة فاس ، حفيد العلامة الصوفي الجليل الشيخ عبد الوارث الياصوتي ءاتي الترجمة ، كان على سنن ابيه وجده في العبادة والمجاهدة ، ذا صيت كبير في ناحيته وتأثير قوي على ساكنيها ، وكان سلاطين الأسرة السعدية الملكية يوقرونه ويحترمونه ويبعثون اليه الجوائز والصلوات ولا يردون ما يعرضه عليهم من شفاعات رغم تخوفهم من المتصوفة وحذرهم من اصحاب الزوايا ، كما تدل على ذلك الرسالة' التالية' التي بعثَ بها اليه السلطان زيدان السعدي :

بسم الله الرحمان الرحيم
صلّى الله على مولانا محمد وءاله
عن الأمر العلي المولوي ، السلطاني الزيداني الهاشمي الحسني ،
أيده الله تعالى بعزیز نصره ، وامده بمعونته ونصره .

الطابع السلطاني

الى المرابط الخيّر الأرضى ، المرعي الملحوظ المرابط السيد
احمد بن عبد الوارث .

وصلَ اللهُ رعيكم ، واجملَ سعيتكم ، سلامٌ عليكم ورحمةُ اللهُ
تعلّى وبركاته .

ومعجم المحدثين والمفسرين ص 16 ومعجم المطبوعات ص 1428 والموسوعة 1 : 33
و 3 : 159 وتشر المثنائي 1 : 161 وصفوة من انتشار ص 45 وعناية اولي المجد ص 23
وفهارس المخطوطات العربية بالخزنة العامة بالرباط 2 : 99 وفهارس علماء المغرب
(اطروحة مصورة) ص 717 وفهرس الفهارس والاثبات 2 : 603 وشجرة النور الزكية
1 : 296 ع 1147 وهدية العارفين ص 153 واليواقيت الثمينة 1 : 23

.. (336) ويكتب ايضا الياصوتي ، وحرف الى الياصوتي والياصوتي ، انظر
ما كتب عن هذا اللفظ في ص 215 من هذا الجزء

اما بعدُ فكتابنا هذا اليكم ، وان خديمتنا الأرضي الفقيه منصور بن محمد انهى لعلّي مقامنا ما كان من وقوفكم مع محلّتنا ، وسعيكم الجميل امام جيوشينا ، وقيامكم احسن قيام في مرضاتنا ، فشكرنا ذلك منكم شكراً جميلاً ، واستحسننا صنعكم في ذلك ، وبارك الله فيكم ، فذلك ظننا الجميل بكم ، والمعتقد فيكم ، فأنتم من اولياء هذا الجناب العلي واصفيائه ، فشدوا ارواحكم فيما تبلغون به المزيد من رضى الله تعلقى ورضانا ، وكونوا عندما هو معهود منكم ومعروف لكم من المساعي التي ترضينا عنكم ، وما طلبتموه من الخمسة أزواج (337) التي تعودتم اخذها اعانة للزاوية فقد ابقيناها وابحنا لكم اخذها على سديتها ، وكذلك ما عهد لزاويتكم من التوقير اسدلفاه عليها ، بحيث لا يروم هضم الحرم الذي تعودتموه من الجناب العلي اسماء الله اوجبته اليكم ، والسلام .

في ربيع الثاني عام اثني عشر (والف) .

مات مسموماً عام 1021 (338) ، وهذا الرجل ليس على شرطي في هذا الكتاب ، وانما اشجته استثناء لشهرته في قبيلته ، واهتمام اهل عصره به .

1531) احمد بن عبد الله ابن ابي محمّد العباسي الفيلاي ، فقيه مناظر وصوفي ثائر من المغرب الأقصى ، اصله من سجلماسة ، وبيتها بها بيت شهير ينتمي الى العباس بن عبد المطلب ، ويعرف اهله بأولاد القاضي ، اما الشهرة بابن ابي محمّد فلم يعرف هو ولا من كتبوا عنه لها سبباً .

337) الأزواج جمع زوجة ، وتعني في العربية العامية المغربية مقدار ما تحرثه دابتان من الارض

338) الاكليل والتاج ص 17 (مخطوطة مصورة) والتقاط الدرر 2 : 59 وطبقات الحضيكي 1 : 58 وممتع الاسماع (مخطوطة مصورة) وتذكرة المحبين ص 131 (مخطوطة مصورة) ، ونشر المثنائي 1 : 175 وصفوة هـ انشر ص 81 وقبيلة بني زروال ص 55

ولد بسجلماسة يوم الثلاثاء في العشر الأوسط من شوال عام 967 وحفظ بها القرآن وتلقى مبادئ العلم ، ثم رحل عام 980 الى فاس لاستكمال دراسته ، فسكن مدرسة العطارين واخذ الفقه والحديث والنحو والأدب عن شيوخ جامع القرويين ، ومن اشهر شيوخه به احمد المنجور واحمد القدومي وابو القاسم ابن القاضي وعبد الله المزياتي والشريف التلمساني ومحمد المديوني التلمساني ، وبمراكش احمد بابا السوداني ، ولقي محمد بن ابي بكر المجاطي السدائسي بسجلماسة ، وأحمد بن ابي القاسم الصومعي وتأثر بأفكار شيخه المديوني في التصوف تأثراً احدث في نفسه قلقاً واضطراباً ، وتعرف على الشيخ الشهير محمد بن مبارك الزعري ولازمه ثمانية عشر عاماً ازيد خلالها اطلاعاً على التصوف الرائج في ذلك العهد مثلما ازدادت نوازمه وهو اجسه التي لم تخف حدتها الا بعد ما شرب من ماء زمزم عندما حج عام 1002 حجة الأولى التي اجتمع فيها العديد من الفقهاء والعلماء بالحرمين وبقية الأقطار التي اجتاز بها في نهايه وايابه ، ولما عاد من هذه الحجة استقر بمنطقة وادي الساورة وصار يوطد بها نفوذه بالاتصالات والمراسلات ، ويتحين الفرص للقيام بأمر عزم عليه ، وكان من اهم القضايا التي اثارها واكثر الخوض فيها قضية (المهودية) التي كانت نائمة والتي كانت العقول في عصر التخلف ذاك مستعدة لقبولها مائلة الى التصديق بها ، وله فيها مباحث طويلة استغرقت كثيراً من مناظراته ومراسلاته ومؤلفاته ، فجاءته رسائل العلماء والفقهاء والمتصوفة من مختلف جهات اقطار المغرب العربي يشهدون له فيها بالقطبانية ويطالبون الانتظام في سلكه ، وهو خلال ذلك يزداد عزمًا على ما هم به من الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما عرته ازمات نفسانية فيتواجد وينطق لسانه بما يخفي في نفسه قائلاً : انا سلطان ! انا سلطان !

ولما توفي السلطان احمد المنصور السعدي عام 1012 وتلا موته ما تلاه من الفوضى والاضطراب وتقطع اسباب الدولة بسبب تقاتل ابنائه على

الملك صار يتحين' الفرص' للصدع بدعوته ويترقب الوقت المناسب للخروج في اتباعه للجهاز على الدولة المنهارة وتأسيس دولة جديدة على انقاضها يكون هو على راسها ، وحجاً اثناء ذلك عام 1014 هجرت الثانية التي لقي فيها ايضاً عدداً من العلماء بمصر والحجاز وغيرها من البلدان التي مر بها في طريقه ، ثم عاد الى المغرب ، وبقي ينتظر حتى كان تسليم السلطان محمد الشيخ السعدي الملقب بالمامون مرسى العرائش لاسبانيا وعم الاستياء والتذمر اهل المغرب كافة ، فكشف حينئذ عن وجهه القناع وصار ينتقد ابناء السلطان احمد المنصور جهراً ويؤندب بتهاكهم على طلب الملك الذي فني فيه الناس وانتهكت محارمهم وانتهبت اموالهم ، ثم ادعى انه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً ، وانه اذن له بالجهاد ، وهو العصى التي يتوكأ عليها كل طامع من اهل المغرب في الرياسة والملك ، فالتفت من حوله الجموع ، فسار بهم عام 1019 الى سجلماسة فاستولى عليها بعد ما هزم الحاج المير عامل السلطان زيدان عليها رغم تفوق جيشه عدداً وعُدداً ، فازداد اتباعه وسكنت هيبته القلوب وتمكن منها ناموسه ، وقدمت عليه وفود المهنيين من جهات عديدة وحتى من تلمسان والراشدية وغيرها من مدن ولاية وهران ، ويذكر من بين وفود التهنتة اسم الشيخ سعيد قدورة الجزائري شارح (السلم المرونق) في علم المنطق ، ثم خرج الى ناحية درعة فهزم الجيش الذي ارسله اليه السلطان زيدان من مراكش بقيادة اخيه الأمير عبد الله المشتهر بلقب الزبدة واستولى عليها ، فازداد شأنه عظماً وكبراً ، وضرب سكة باسمه في لكتاوة (339) احدى جهاتها الشهيرة ، واتفق ان يحق به وهو مقيم بدرعة القائد يونس الايسي ، احد قواد السلطان زيدان ، فأخذ يهون عليه امره ويطلعه على عوراته ، ويدعوه للسير الى

(339) لكتاوة ويقال أيضا كتاوة منطقة بناحية وادي درعة ، انشئت فيها وباسمها جماعة قروية تابعة لقيادة تاكونيت ، دائرة الكدز ، اقليم ورزازات ، بمقتضى المرسوم رقم 468-92-2 الصادر في 28 ذي الحجة عام 1413 هـ - 30 يونيو 1992م (الجريدة الرسمية عدد 4157 - فاتح يوليوز 1992)

مراكش ، فأرسل اليه زيدان جيشاً آخرَ هزمه ابن ابي محلي وسار بعد هذا الانتصار مغرباً عن طريق الساحل حيث اجتمع قرب أسفي بعدد من التجار الأجانب وافادهم انه قام لينشر السلم ويحارب البدع ويسترجع الأندلس ، وانه عازم على محاربة اسبانيا وفرنسا واطاليا ، راغب في مسالمة انكلترا والبلاد المنخفضة (هولاندة) (340) ، ثم ولّى وجهه مشرقاً نحو مراكش فاستولى عليها وجعلها عاصمةً لحكمه الناشيء ، ولما استقر بقصر الملك منها نسي ما بنى عليه دعوته من الحسينة والنسك ، وتزوج النساء وانجب الأولاد والتفّ حولك الرعاي وحسب ان الملك صفا له .

اما السلطان زيدان السعدي فانه فرّ الى مدينة أسفي وفكر اولاً في الذهاب الى اسبانيا للاستنجاد بملكها ثم اعرض عن ذلك في الأخير ، واثناء وجوده بأسفي بعث اليه قائد جيش الاحتلال البرتغالي بالجديدة 200 من جنوده اعانة له على مقاتلة عدوه ، ولكنه ابى ان يقاتل بهم المسلمين ، وردهم الى مرسلهم معززين مكرمين ، واطلق لهم بعض اسراهم مكارمة ومعاملة ، وبعد اجالة الفكر ارتأى ان يولي وجهه شطر جبال الأطلس وناحية سوس ويستعين بسكانها على محاربة ابن ابي محلي ، فكتب زعماء قبائلها وذوي الراي المطاع والكلمة المسموعة فيها يستغيث بهم ويطلب عونهم ، ووفد بنفسه على الفقيه يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحياحي في زاويته ، وهو من خصوم ابن ابي محلي المشهورين وقعت بينهما مهاجاة ومهارشات (34I) وكان ليحيى هذا نفوذ قوي وشأن كبير

(340) انظر المصادر الغميسة لتاريخ المغرب - الاسرة السعدية - هولاندة -

الجزء 2 ص 117 - 127

(34I) في يحيى هذا يقول ابن ابي محلي :

أحيى الخسيس النذل ما لك تدعي	بزور شعارا للفصول الأوائل
كدعواك في بيت النبوة نسبة	وانت دنيء من اخس القبائل
ووجهك وجه القرد قبح صورة	وراسك راس الديك بين المزابل
وشدك تميميا كراس عجوزة	من الروم اعدت لغسل المنافل

قال محمد اليفرنى في نزهة الحادي ص 211 وحدثني صاحبنا القاضي ابو زيد (عبد الرحمان) السكتاني انه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى

عند سكان تلك الناحية كما سيذكر في ترجمته ، وقال له ان بيعتي في اعناقكم وانا بين اظهركم فوجب عليكم الدفاع' عني ومقاتلة من عاداني ، فاستجاب له يحيى وجمع الأتباع والأشباع من كل جهة ، وخرج بهم يوم 8 رمضان عام 1022 يؤم مراكش ، ولما بلغ قرية فم تانوت (342) وصلته رسالة من احمد ابن ابي مَحَلِّي يقول فيها :

بسم الله الرحمان الرحيم

من احمد بن عبد الله الى يحيى بن عبد الله .

اما بعد ، فقد بلغني انك جندت وبندت ، وفي فم تانوت نزلت ، اهبط الى الوطا ، ينكشف بيننا الغطا ، فالذئب ختال ، والأسد صوال ، والأيام لا تستقيم الا بطعن القنا وضرب الحسام ، والسلام .

فأجابه يحيى الحياحي بالرسالة التالية :

اما بعد ، فليست الأيام لي ولا لك ، انما هي للملك العلام ، وقد اتيتك باهل البنادق الأحرار ، الشبانة (343) ومن انتمى اليهم من بني جرار (344) ، ومن اهل الشرور والبوس ، من

وابن ابي محلي من الشعر في غرض الهجاء وغيره اسمه التجلي ، فيما وقع بين يحيى وابي محلي .

(342) فم تانوت بربريها امين تانوت ، ومعناه فم البوير ، اسم بلدة تبعد 100 كلم عن مراكش الى الجنوب الغربي منها في طريق اجدير .

(343) الشبانان قبيلة عربية توجد - مستقلة او مندمجة بطون منها في غيرها - في جهات كثيرة من المغرب ، من اشهرها قبيلة الشبانان احدى قبائل اتحادية الشراردة التابعة لاقليم سيدي قاسم .

(344) اولاد جرار اسم قبيلة عربية توجد في جهات كثيرة من المغرب قائمة بذاتها او متكاملة بطون منها مع غيرها ، من اشهرها اولاد جرار باقليم بولمان ، واولاد جرار باقليم الصخيرات - تمارة (ولاية الرباط) ، واولاد جرار باقليم تيزنيت ، وهؤلاء الآخرون هم الذين يعينهم يحيى الحياحي .

هشتوكة (345) الى بني كنسوس (346) ، فالموعدُ بيني وبينك جليز (347) ،
هناك ينتقم اللهُ من الظالم ويعزُّ العزير .

ثم سار اليه يحيى حتى نزل قرب جبل جليز ، فبرز اليه ابن ابي
محليّ بجموعه ونشب القتال بين فريقَيْهما ، فوقعتْ اولُ رصاصة اطلقتْ
في نحره فمات في مكانه ، ودبَّ الرعبُ الى قلوب انصاره ففترقوا اياديَ
سبا ، وحزَّ رأسه وعلق مع رؤوس جماعة من اتباعه على اسوار مراکش
نحواً من اثنتي عشرة سنة ، ودفنت جثته بمقبرة القاضي عياض ، وعاش مَنْ
نجا من اتباعه وهم يعتقدون انه لم يموت ، وانه سيظهر من جديد ، وقال الناسُ
عنه وعن ثورته الفاشلة الكلمة الشهيرة السائرة : قام طيشةً ومات كيشةً ،
يشيرون بها الى مدة ملكه ، وهي ثلاثة اعوام بحساب الجمل .

تلك أهم تواريخ حياة ابن أبي مَحَلِّي من ولادته الى مماته ، اما
عن قيمته العلمية فقد كان مديد الباع واسع الاطلاع على العلوم الدينية
والأدبية يستحضر النصوص المتعددة ويحتج بها في تأييد افكاره وترجيح
دعاويه ، وكان فياض القريحة سيالَ القلم ، ينظم الشعر على طريقة الفقهاء ،
يجيدُ فيه ويسف ، ويثقل ويخف ، كثيرُ التأليف حادّ اللسان عنيف الجدل ،
خبثُ الهجاء ، كما تدل على ذلك اهاجيه في الشيخ يحيى بن عبد المنعم
الحيحي ، ورسائله واقواله في الشيخ عبد القادر بوسماحة المدعو (سيدي
الشيخ) معاصره ومنافسه على الزعامة في منطقة الظهراء وتوات ،
وهو صورة مجسمة للرجل الفيلالي الذي يسمونه اهلُ المغرب بالعناد
(الغنان) واللدد في الخصام ، وكان طموحاً تسرب الى ذهنه وسواسُ

(345) هشتوكة ويقال ايضاً شتوكة ، اسم قبيلة متعربة توجد بجهات كثيرة من
المغرب ، منها هشتوكة الساكنة على الضفة اليمنى لنهر ام الربيع باقليم الجديدة ،
وهشتوكة الساكنة بحوز مدينة اجدير ، وهؤلاء هم الذين تعنيهم الرسالة .

(346) بنو كنسوس ، ويقال ايضاً كنسوسة ، وبالبربرية ايدا وكنسوس ، اسم قبيلة
بربرية واقعة مواطنها بقيادة ايغرم من اقليم ردانة (تارودانت) ، بطونها ثلاث :
ءاية ايكرن وءاية ايليمكورت وءاية وانيزال .

(347) جليز جبل شهير تقع مدينة مراکش مباشرة في جنوبه الغربي ، وبه
تسمى احيائها العصرية .

الرياسة وحبّ الملك فلبس لأجله لبّوس النسك والتظاهر بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ادعى انه المهدي المنتظر ووقرّ في اذهان الرعاع والمغفلين انه هو ، وهوّ في كل ذلك يسرّ حسنوّاً في ارتغاء ، ولو انه سلّم من هذا الوسواس وتجرد لبثّ العلم ومحاربة البدع وتنبيه العقول الغافلة لكان من كبار المصلحين الدينيين في القرن الحادي عشر الهجري ، لسعة علمه وثقوب ذهنه وثبات جنانه وذلاقة لسانه وسلاسة اسلوبه ومطاوعة قلمه ، ولكن الوسواس الذي خامر عقله حاد به عن الطريق السوي وسار به في متاهات وترهات اوردتّه في النهاية حتفه .

وقد خلّف ابن ابي مَحَلّي عديداً من المؤلفات والرسائل والتقاييد ، نذكر منها ما يلي :

I - إصليت الخريت ، في قطع بلعوم العفريت النفریت (348) وهو كتاب" الفّه عام IOI5 عرفه فيه بنفسه ، وتكلم عن نسبه وحياته ، وضمنه اخبار رحلته الأولى والثانية الى الحج ، وذكر اسماء شيوخه بالمغرب والمشرق ، وفيه مجموعة من اجازاتهم ورسائلهم ، ومباحث فقهية ولفوية كثيرة ، وحديث" طويل" عن المهديّة والمهدي المنتظر الذي لمّح الى انه يخرج عام IOI9 هـ وهوّ عام' ادعائه المهديّة وخروجه هوّ على بقايا الدولة القائمة ، ولهذا الكتاب اسم" اخرّ هو عذراء الوسائل ، وهودج

348) الاصلية : الصقيل الماضي من السيوف ، والخريت : الدليل الحاذق يهتدي الى اخرات المفاوز وهي مضايقتها وطرقها الخفية ، والبلعوم مجرى الطعام في الحلق ، والعفريت الخبيث المنكر ، والنافذ في الامر مع دهاء من الانس والجن والشياطين ، والنفریت الخبيث المارد ، ويأتي بعد العفريت على الاتباع ، وقد فسر ابن ابي محلي معنى الاصلية بقوله :

وما اهتز ذا الاصلية الا لانه ينكس هاما تعتلي عند اكرع
وقوله ايضا :

وما سمي الاصلية الا لانه يصل اذا ما اهتز للصبية من يدي
صليل قطة شاقها ورد مائه اذا ظميء المغرور من كل فدقد

الرسائل ، في مرج الأرج ، ونفحة الفرّج ، الى سادة مصر ، وقادة العصر ، توجد منه في الخزانة الحسينية الملكية بالرباط ثلاث نسخ مخطوطة محفوظة تحت اعداد I00 و 4000 و 4442 ورابعه بدار الكتب المصرية بالقاهرة مسجلة تحت عدد 43I ، وكان هذا الكتاب محل رسالة جامعية كتبها الاستاذ عبد المجيد القدوري وصدرت عام 199I عن دار عكاظ للنشر بالرباط بعنوان ابن ابي محلي الفقيه الثائر ورحلته الاصلية الخريت

2 - جواب محمد بن علي الخروي الطرابلسي عن رسالته الى الشيخ ابن عمرو القسطلي ، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 6II ك

3 - منجنيق الصخور ، في الردّ على اهل الفجور ، كتاب خصّه بالردّ على الشيخ عبد القادر بن محمد بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ دفين بلدة البيض بولاية العين الصفراء وشيعته ، اقدع فيه غاية الاقداع ، وافحش منتهى الافحاش ، اتم كتابته بقرية بريبي من قرى بني جومي بمنطقة وادي الساورة عشية الجمعة من العشر الأواخر من ربيع الثاني عام 1017 وذيّله بمجموعة من رسائله والرسائل الواردة عليه ، وفيه معلومات غريبة وفوائد تاريخية قيمة ، توجد منه نسخة جميلة الخط بالخزانة الحسينية الملكية بالرباط عددها 582 واخرى بالخزانة العامة بالرباط رقمها 338 ق

4 - تهبيج الأسود توجد نسخة محفوظة منه بمكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي ببلدة بطيوة من ولاية وهران ، يظن انه مجموع رسائل وقصائد كان ابن ابي محلي يبعث بها الى شيوخ القبائل يحثهم فيها على الجهاد ومقاتلة الاسبانيين الذين كانوا يحتلون مدينة وهران .

5 - مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ، ومداس النكوس السفلة المنخدعة ، ألفه بوادي الساورة عام 1018 تحدث فيه عن المهدوية وردّ على خصومها ، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في 22I صفحة محفوظة تحت عدد 192 ك .

6 - القسطاس المستقيم ، في معرفة الصحيح من السقيم ، الفه
بشلاله عام 1011 تكلم فيه على العلم والعمل والخلافة ، توجد نسخته
المخطوطة بالخرزانه العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 576 ق

7 - سلسيل الحقيقة والحق ، في سبيل الشريعة للخلق ،
اتمّ تأليفه بالساوره يوم الخميس 26 من ذي القعدة عام 1019 في الشهر
التي اعلن فيها ثورته ، اورد فيه مباحث صوفية ، وذكر طبقات الأولياء
وقضية المهدي وشروط الخلافة وارزاق الخطباء والأئمة والمفتين ، وأشار
الى انه لما كان يحرر صحفه الأخيرة وصلتته اخبار غير مؤكدة عن استيلاء
اسبانيا على العرائش ، فنظم قصيدة شينية في الحث على الجهاد ، تمرد
فيها على اللغة والقافية والوزن .

توجد من هذا الكتاب نسختان خطيتان في الخزانة الملكية الحسنية
بالرباط ، الأولى رقمها 4733 كتبت بخط مشرقى جميل مذهب ملون مؤطر ،
انتهى من نسخها يوم الخميس 16 ربيع الثاني عام 1022 وهو متملك بمراكش ،
ولا شك في ان ناسخها احد نساخ ديوان السلطان احمد المنصور السعدي
لوجود قرائن تدل على ذلك ، والثانية خطها عادي رقمها 5916 .

8 - سم ساعة ، في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة ، الفه بالساوره
في 14 رجب عام 1017 منه نسخة مخطوطة بالخرزانه العامة بالرباط عدد
صفحاتها 126 ضمن مجموع رقمه 338 ق

9 - السيف البارق ، مع السهم الراشق ، يوجد مخطوطه ضمن
المجموع السابق .

10 - الهودج ، ذكره في كتبه مرات عديدة

11 - الوضاح ، لكل متمشوق فضاح ، ذكره ابن ابي مصلح في
طالعة الكتاب الذي اجاب به الخروبي .

وقد النَّفَّ فيه الشيخ احمد التواتي رسالة طويلة مسجعة سماها
مقامة التحلي والتخلي ، من صحبة الشيخ ابي مَحَلِّي وصف فيها اتصالاته
به لما بعد صيته وكثر اتباعه ، وانفصاله عنه لما وجده يشير في احاديثه
الى نفسه : بأنه المهدي المعلوم ، المبشر به في الأحاديث النبوية الصحيحة .
ونختم هذه الترجمة بإيراد نماذج من نثره وشعره ، ورسائل بعض
الأعيان من معاصريه اليه ، فمن نثره رسالة وردت في آخر كتابه
سلسبيل الحق هذا نصها (349) :

« الحمد لله الذي لا تنقطع اسباب مودته بين اهل الحق ، وان
اختلفوا ، باجتهاد لا عناد في بعض متشابه الفروع ، ولا تنطمس فيهم
معالم صفوته في الخلق ، وان خولفوا او خوفوا ، حبا في حبه ، وثقة
بربه ، اذا وهن المقطوع ، وداهن المخدوع ، اذ مطلوبهم الحق ، وحاملهم
الصدق ، وطريقهم التحقيق ، ورفيقهم التوفيق ، وزادهم التقوى ، ودليلهم
اقوى ، وسراجهم اضوا ، في بهيم ما ادلهم واعضل ، او احتمل فأشكل ،
لا تكبو عزائمهم في مضمار السباق ، ولا تنبو صوارمهم في نهار التلاق ،
من علو الهيم ، ورسوخ القدم ، لتبرأ الذمة ، مع الأخذ بالأحوط للأمة ،
اذ بحق ما اصطلوه الاقتداء ، وبنور ما فصلوه الاهتداء ، صلى الله عليه
وسلم وعلى من باقتفاء سنته الى كل غاية توصلوا ، وبجبه وحب ءاله
مع صحبه على كل جوهر فريد حصلوا ، وفقوا فسبقوا ، بل اعترفوا
فاغترفوا ، ونصحوا فافصحوا ، اذ نظروا فأبصروا ، وبحتوا ففغفروا ،
حباهم بين البرايا ربهم ، وخصهم بالمزايا حبيهم ، ورثهم فورثوا ، وبعثهم
فانبعثوا ، انطقهم فعبروا ، وحملهم فعبروا ، دعاهم وفتح الباب ، سقاهم
وختم الشراب ، (اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولو الألباب) ،

(349) ألفت نظر القارئ الى ان النصوص التالية - شعرا ونثرا - منقولة من
كتب نالت منها الإرضة وافسدتها ايدي النساخ . وقد اصلحت منها ما استطعت
اصلاحه ، وابقيت بغير اصلاح ما صعب على اصلاحه

لا الاله الا هو المنفرد بالايجاد والامداد ، والاشقاء والاسعاد ، والايواء والابعاد ، جلّ العليم بالمصيب من المصاب في نظره ، وهو اعلم حيث يجعل خصوصيته من بشره ، ورحمته تعالى وان وسعت كل شيء اجمالاً فقد عمّ بها ادريس وصحبه ، وحرّم منها ابليس وحزبه ، لحسده وكبره ، من سوء تدبيره وعمى بصره ، لسابق قدره ، ثم جعلها سبحانه خالصةً بعده للمتقين الموفّقين المنعوتين في سورة الأعراف ، من دون سائر الأصناف ، وهم من آمن وأتبع ، وورد حوض الحق فكرح ، لا من استكف واستكبر ، او قيل له اقبل فأدبر ، مع من كفر وأبتدع ، وحاد بهواه عن الطريق المهيّج ، فوقع في مهواة التلف ، وهواية الأسف ، فد (انا لله وانا اليه راجعون) ، و (اولئك حزب الشيطان ، الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) ، اعادنا الله تعالى بفضله ، من تبديل او تغيير في شيء من اصل دينه او فصله ، بجاه من نتوسّل به اليه ، ونصلي ونسلم بأمره عليه ، صلاة ترفع القناع ، وتقطع النزاع .

وعلى من سيقف عليها من منصفي الأعلام ، ووجوه الدين السلام ، هذا وانه عليه الصلوات ، عدد نعم الله بالمشايا والغدوات ، قد بيّن الحلال من الحرام ، تبيان الصياح من الظلام ، وبينهما المتشبهات من تورع عنها واستقام ، من تقواه بعد اداء الواجب فهو ولي الله تعالى في الاسلام ، ومن اقتحمها بحرصه من جهله يوشك ان يكتب على انفه في جهنم في جملة من زلت به القدم ، يوم لا ينفع الندم ، كمن ضل واضل ، ودعا للحق وليس باهل ، بل طبّ فعل ، ودبّ فزل ، اذ تصدى للهداية وهو اعمى عن المحل ، وقاد بالجهالة وهو اعرج اشل ، كمن سئل عن علم نافع عنده من ربه بشرطه فكتمه والجم كالبلغل ، او سكت عن بدعة وهو عالم بلعنة تصيبه او فتنة من حكم عدل .

ثم ان قلت ايها الأخ الصالح ، والعون الناصح ، بعد السلام عليك ورحمة الله ، ما هذا التشديد في الدين ؟ والاغلاظ الممض ذوات المعتدين وافئدة الملحددين ؟ فالحواب ان في قلوبهم مرضاً ، فزادهم الله

مضضاً ، وايضاً فاني ما قلبت' لهم حجراً ، ولا أثرت' عليهم مدرأ ، حتى اسرفوا في الشقاق ، وصنفوا فيّ بالنفاق ، فاعترت' الجاهل' بالحلم ، وما في مدافعة الصائل من اثم ، وقد طلبت الاقالة ، قبل المقالة ، فأبى العادي الا مناظلته وقاتله ، ففررت' بين يديه مرارا ، لعله يرعوي فما زاده اقلاعي عذة الاتماديا واصراراً ، لذلك لويت' اليه العنان ، وقلبت' عليه السنان ، من كتاب الله وسنة نبيه لا من مهند القيان ، اذ قتال' المسلم كفران ، والتعرض' لعرضه قبل فرضه طغيان' وخسران ، والعدل' مامور' به في محله كالأحسان بنص' القرآن ، والعفو' محمود ، والانصاف من بعض العتاة معهود ، وكلامي كله جواب ، وهم' الذين دخلوا عليّ الباب ، ومدوا ايديّ' الجناية ، والسُننَ الاذائية ، فاحتسبت واحتملت سنين ، حتى افقتن باحتمالي غير' واحد من المحسنين ، فانتصرت' لله بأذنه من عاداته ، واوضحت' سبيل اهل ولائه وهداته ، ليعتمده الآهليل ، وما ربنا تعالى عن الظالمين من كل فريق بخافل »

ومن نثره هذه المجموعة من الحكم والأمثال التي سماها وصية موجزة لاهل النُهي وختم بها كتابه سلسبيل الحق :

اذا تسلطن الهوى على السلطان ، غضب الرحمان ، ورضي الشيطان ، فان خدمه مع ذلك العالم ، انطمست ال... المعالم ، واذن الله' بخراب العوالم ، وان تعلق به او تملق له الفقير ، عميت' كلتا عينيه فلا يدري الى أين يسير ، والمداهن' غشاش ، ومن لا ينصح' حناش ، ثم من لم يقبل - وهو اعور من جهله - النصيحة ، فيوشك ان يعدو العمى على عينه الأخرى الصحيحة ، والجائر' قيظ' في غيضه ، والعاذل ظل' الله في أرضه ، يأوى اليه المحرور في السبيل ، وكم من بيت عطشان وحوله السلسبيل ، ومن دل' على الحي' او الماء وهو جاهل باقل ، ملك واهلك لا محالة غيرَ العالم والعاقل ، والجبال لا تنتقل ، ومن الرمال ما ينتقل ، والطبيع' جبل ، والتطبيع' جمك ، والقاطن يتضح ، والظاعن' يفتضح ، وقد يدركه بعد السمن' الهزال ، بخلاف الأول في هذا المثال ، فسبحانَ من جعلَ الشمسَ على الظلِّ دليلاً ، (ومن كان

في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) ، وقطب' الوجود من دار عليه الفلك ، وشمس الشهود من لا يبقى معه شيء" من الحلك ، وغوث الحال في البسيط والغيث غوث ، وقطب' المقام في القبض والعدل ليث ، والواجد' الواحد' في منطوقه ومفهومه ، من غاب في العالم عن العالم مجهوليه ومعلومه ، والمحجوب' من قربه القريب ، والمحجوب' من تحبب' للحبيب ، والعارف لا يعرف ، والخائف لا يخوف ، والأول بحر ، والثاني بر ، ومجمع البحرين ، ومطلع البدرين ، من جمع ومنع الشريعة والحقيقة ، وغير' السالك لا يسلك ، ومن دون الملك لا يملك ، وما بعد هاذين ولا قبلهما او معهما الا هالك او مهلك ، وصاحب' الوقت من لا يؤذن ولا يصلي قبله خوف' الفوت ، وحذر' المقت ، والقاضي من قضى بالحق ، والشاهد' من شهد له الصدق ، والمفتي من يفوت' الفتيان ، في الفهم والتبيان ، بل يجمع' المذاهب ، لينفرد' في اجتهاده بأعلا المراتب ، والفقهاء من فقهه نفساً ، وتفقهه درساً ، والمدرس' من جمع علماً وحلماً ، وبرع عبارةً وفهماً ، والطالب' من جد ، ومن كابد' الكد ادرك المجد ، وسيد' العالم وراسه وتاجه سلطانه ، ان تأيد' بالله ضاء عليه سراجُه ، والا طفي وملكه شيطانه ، وملك' بلا تدبير ، كسيكة من قصدير ، وخليفة" بلا وزير ، كمن يؤذن' في البير ، بل اماره بلا وزارة ، كمدينة بلا عمارة ، والنسب' بلا حسب ، كانسان مصنوع من ذهب ، وعلم" بلا حلم كحلة مطروزة على صورة من خشب ، وارب" بلا ادب ، كطاووس بلا ذنب ، والعز' في الزهادة ، والجدود' يضمن' المجادة ، والشرف' في العفة ، والتلف' في الخفة ، وابو الفضائح الطمع ، ومن لم ترتفع" همتُه ما ارتفع ، والفتوة' شعار' الرياسة ، والمروءة' دنار السياسة ، والضيق' لا يسود ، والسبع' من يقود ، والعقور' لا يولف ، والحمار' من يوكف ، وذو الجفوة منكور ، وحلوه' الشمائل مشكور ، والحريص' لا يشبع ، والسفيه' من في عطائه يطمع ، والقناعة' كنز ، والحزم' نعم الحرز ، والعدل' يجب قبل الاحسان ، والفضل' بعد الفرض يستحب' للأعيان ، ورضا الخسيس لا ينال ، وعرض البخيل لا يقال ، والتوسط' في كل امر دليل" على اعتدال امزجة ذوي الأمر ، والأمل' قد يغر ، والملل'

للخبيبة يجر ، والهوى يُغرق ، والغضبُ يُحرق ، ومن شاور الاخرق ،
 اتسعَ على الراقع من رايه الخرق ، والحرُّ مَن يُقرُّ بالخير وان قل ، ولا
 يغورُ الا في خبيث الفرع والاصل ، ومَن يالفُ الف ، ومَن انصف لك له
 انصفُ ، اذْ لا خيرَ في صحبة مَن لا يرى لك ما ترى له ، وقد يتغافلُ
 غيرُ الغرِّ ، و (اللبيب) يتباله ، والانسانُ وان اشبهَ في بعض شيمه الملك ،
 فقد قال روحُ حقيقته ، وانسانُ عين شريعته : كنْ للناس كما تحبُّ ان
 يكونوا لك ، وهوَ عينُ الأدب والكرم ، ومخُ السيادة وراسُ الشيم ، صلى
 الله عليه وعلى ءاله وشرف وكرم ، ومَن استوزر ناقصاً ، فقد اتخذ الغرابَ
 قانصاً ، او امرَّ ضيده ، فيوشكُ ان يستفزغَ ما عنده وينشرَ عليه بئده ،
 وبطانةُ السوء جربٌ في الجلد ، تفسد الراعي والرعيةَ والجند ، ومَن
 وثق بالمجهول ، فلا يامن ان يتغولَ عليه الغول ، والممول على الخاذل ،
 كالمستظلِّ بزائل ، وحمار الحرق مركوب ، واسدُ الحق غيرُ منكوب ،
 والحزم حزام ، والعزمُ حسام ، والعدل محبوب ، والفضل مطلوب ، ومَن
 لا ينضب ، بالحبل يرتبط ، والفرص تنهز ، والشهمُ مَن يهز ، ومَن
 لا يصلح بالمزابير على الهزابر ، فالأولى به ان يكونَ المامورَ لا الأمر ،
 وسلطانُ الوحوش بالأنياب والأظافر ، وذو الجيوش ان لم يوطيء لنفسه
 وطقته الحوافر ، ومَن شام كلَّ بارقة ، يوشك ان يوافقَ سحابةً فيها
 صاعقة ، كمجيب كل دعوة ، قد يتخذُ الدجال قدوة ، فعظمت البلوى ،
 والى الله تعالى الشكوى ، من عموم الفتن ، وجموع المحن .

ومن شعره قوله مذيلاً بيتَ سلطان العاشقين ، عمر ابن الفارض .

(عديني بوصول وامطلي بنجازه	فعدني اذا صح الهوى حسن المطل)
ولا تشمتي بيَ العدا من عاداتها	فحمل الأذى ليس الردى معنا سهل
وقطع حبال الود عارٌ وانتم	اعزُّ حبالا ان ينالكم العذل
ولا تبخلوا بالوصل عني فانكم	اجلٌ مقاماً ان يضاف لكم بخل
وعودوا ولو بالطيف مرضى جفاكم	ولا تقتلوا بالصّد مَن لا له حول

وما عيبُ صبٍ في هواكم لا يسلو
وقد عيلَ صبري عنكم ولكن فضل
لقد ساء حسنُ الظنِّ وانقطع الحبل
بشيراً ولو في النوم تتبعه الرسل
يُعزِّي مصاباً خانه فيكم الوصل
وما علة المسدود من فضلكم حل
بحرمانه من وصلكم فله الويل
إذا لم تواسوا ضائعاً ما له اهل
وسوء انقلابي عنكم وبكم طول
عليكم ولابن القاضي عندكم ال
ومجدكم نصب العين واسمكم يحلو
ارى من رءاكم في سؤالي او قبل
وخدي لعبدٍ ياتي من عندكم نفل
انادي عليكم كلما جنّني الليل
محكمٍ المختل من ذاته العقل
لعل مغيثَ اللفه يسمع ما يسلو
ولا لذئ لي في العيش شرب ولا اكل
واوهاني غمي وانتظامي مختل
وياحسرة الحيران ضاقت به السبل
وليس له وحكم دونكم شغل
وان تصلوا فانما زاركم خيل
اليكم فعزّ المال من دونكم ذل
ولا غير ذاك لا ابي ولا نجل
وقلّبي للوقت من اجله الجهل

فما ذنب صابٍ ما لها قط عنكم
الى من اشاكي ضيعتي وقلالكم
فأين نمامُ العهد ياغاية المنى
وطال انتظاري ليلة بعد ليلة
لعلّ جواباً في كتابٍ لديهم
فما حيلة المطرود عن باب نبلكم
وما يصنع المهجور ان سبق القضا
ومن يقصد الآمال من بعد هذه
ومن يرحم المسكين من بعد خيبة
فما سبب الاعراض والوصل هيّن
اليس فؤادي موطناً لهواكم
اسائل عنكم من لقيت لعلني
واصبو الى اطلالكم في ربوعكم
فواشوقتي من طول غيبتكم ، وكم
ويا لو رايتم ما يقاسيه فيكم
يردد واغرثاد في موقف الأسى
ابيت واضحي طاوياً في حكايتي
والهاني همي عن بني وجارتي
فوالسفّ اللهفان والغوث غائب
ومن ذا الذي يهدي ضليل هواكم
فان تقطعوه تقطعوا حبل عبدكم
وهب اني عبد المال والفقر شيمتي
فما المال والأهلون يسلون عنكم
وكيف وقد اصبحت والعلم حاجتي

ومن رسائل العظماء اليه رسالة السلطان زيدان بن احمد المنصور
السعدي ، نصّها :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلّى الله على سيدنا محمد وعاله وصحبه وسلّم تسليمًا

من عبد الله ، السلطان المظفر بالله ، الملك الناصر الفاطمي ،
امير المؤمنين ، ابن الملك المنصور السلطان ابن السلطان ابن
السلطان الحسيني .

الطغراء السلطانية

ايدى الله بالنصر العزيز ، وحاطه بالصون الحريز ، واعلى في قضاة
العدل مناره ، وخذل في صفحات الدهر فخاره وءثاره ، واتاح ظفـره
واقـتداره .

السيادة التي لها القدر الرفيع المناصب ، والجلالة السامية
الأعراف والنوائب ، سيادة الفاضل الجليل ، المرعي المثيل ، الأعز الأحب ،
المرضي الأقرب ، الفقيه الناسك ، العابد الصالح ، الحاج سيدي احمد بن
عبد الله بن القاضي حفظه الله ورعاه ، ومن سوء المكاره وقاه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد فكتابنا هذا اليكم ولا زائد الا ما عوده سبحانه أطفاه
الخفية ، وءالاته الحفية ، لله الحمد والمنة .

هذا وان الباعث به لسيادتكم الاعلام انه لما ان قضى الله سبحانه بهذا
الواقع الذي اتاح به القدر ، كان مما رايناه حينئذ سدادا ، ان امرنا مملوكنا
الأخص الأخلص المكين ، مصطفى باشا ، يسر الله له من اسباب البر ما شا ،
ان يتوجه لسجل ماسة ويقيم بها حتى يسع نظرننا السيد ما يعتمد عليه ،

ثم لما رددنا الفكرَ في الأمر راينا من السداد ، والآراء المؤدية بحول الله
للرشاد ، ان لا نعري سيادتكم من مشاركته في المصالح ووجه النصائح
التي تعرض' بتلك الأنحاء السجلماسية وغيرها من تلك الأنحاء البرية ،
ثقةً منا بمحبتكم ، واعتماداً بعد الله على سديد رايكم ، وبحسبه ها نحن'
اكرمكم الله عهدنا اليه ان يستندَ في كل مهم عرض على رايكم ، وان لا يستبد'
برايه دون مشورتكم ، فاذا رفع لكم امراً من الأمور ، أو غرضاً من الأغراض ،
فاعضدوه رعاكم الله برايكم ، وارشدوه الى صالح تدبيركم ، ثم لا تغفلوا
من المصالح كلِّ ما ترونه لائقاً بجنابنا ، وتعلمونه صلاحاً عائداً على
مملكتنا ، لأنكم عندنا من المحبين الذين نعتقد محبتهم على
القرب والنوى ، ونعلم حصن مودتهم في روض المصافاة ما ذبل ولا ذوى ،
ثم قلوبنا لا تزال' والمنة' لله بمحبتكم في ذات الله عامرة ، وصدورنا على
الدوام بذكركم منشرجة ، وداركم تلك هي دارنا ، وزاويتكم المباركة' من
اعظم زوايانا ، عمرها الله' على الدوام بالذكر ، ولا اخلاها من عظيم
الثواب والأجر ءامين .

وهذا موجبُه اليكم ، والله يرعاكم والسلام .

وكتب به في ءاخر شعبان المبارك عام ستة عشر و الف .

ومن رسائل اعيان العلماء اليه رسالة' علامة المغرب وفقهيه
محمد بن ابي بكر المجاطي الدلائي التالية :

الحمد' لله وكفى ، وسلام' على عباده الذين اصطفى ، وعلى ءاله
وصحبه اهل الوفا .

وعلى شيخ الحقيقة ، وامام اهل الطريقة ، ذي الاشارات العرفانية ،
والمقامات الاحسانية ، ذي الهمة العلية ، والنفس الارضية ، سيدنا ،
وامامنا ، وقدوتنا وفخرنا ، سيدي ابي العباس بن عبد الله الامام ، افضل'
التحية وازكى السلام ، والرحمة والبركة تترى على الدوام ، ما دام الصب'
يتلذذ' ويتعذب' بتذكر سالف الأيام .

الا هل لها يوماً من الدهر اوية^{٣٥٠} وهل لنجوم قد افلن طلوع
هذا وان كاتبكم على عهدكم المعروف ، وعلى حاله المألوف ،
من التعلق بأذيال الكرام ، والتخلق بأخلاق السفلة اللئام (350) ، الهمة
السفلى ، والشهوة في العلا ، فربما تكسف لديه شمس الرجا ، فتغطي
نجومه حوالك الدجا ، فيحاول انجلاءها باستحضار ادلة ، واستطلاع
اهلة ، ومن اقوامها التعلق بأذيال سيادتكم ، والتعلق بين يدي كريم
مجاتكم ، فسبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل
عليه ، ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه ، والمعتقد في وفاء
سيدنا الا يتكدر عنصر وداده ، وان لا يحرمننا من فضله وارفاده ، وان
لا يعاملنا الا بما عودنا من حسن الوفا ، واحتمال ما تعودنا منا من النقص
والجفا ، وان قطع عنا ما كان ينعمشنا به من رسائله الشهية ، ويحييتنا به
من مراسله البهية ، فالظن جميل ، وما طبع عليه من الوفاء اقطع دليل ،
فحاشا مقام سيدنا من وصف الاغفال ، لمن يعد نفسه من العيال ، فلا شك
ان الزمان تكدرت مشاربه ، وتجرع المرارة شاربه ، وبدل الأخلاء
اعداء ، وصير الدواء داء ، فمن كان يستغاث به صار الآن يستغاث منه ،
ومن كان ينتصر به اضحى الآن يفقر منه ، هاج بحر الأحوال ، وتغيرت
لأجل ذلك الأحوال ، فما من شر عياداً بالله الا وانفتحت ابوابه ، وامتدت
اطنابيه ، غلاء الأسعار ، واستيلاء الأشرار ، ونزور الأمطار ، وتباعد ما بين
الأقطار ، بانقطاع سبلها ، وكثرة عللها ... فقد كتبنا اليكم مراراً ، وشكونا اليكم
اشراراً ، وسألناكم عوناً وانتصاراً ، وافتخرنا بكم على الزمان واهله افتخاراً ،
وما زلنا ننتظر النصره ، وارتداد الكرة ، وقد جاءتنا بعض اجوبتكم على الشكاية
المرفوعة الى كريم ابوابكم ، وعظيم اعتباركم ، فتعرفنا منها عدم مصادفة

(350) كان المتصوفة يستعملون مثل هذا الكلام ، قهرا للنفس وابتعادا عن
الكبرياء فهما معوجا لمقوله تعالى (ولا تزكوا انفسكم ، هو اعلم بمن اتقى)
وللائر : من تواضع لله رفعه ، وقريب من هذا العبارة التي وصف بها ابن ابي محلي
في الفقرة المتقدمة (ذي الهمة العلية ، والنفس الارضية)

وقت الغلبة ، وموافاة حال الحمية ، فما اشوقنا الى شهى انبائكم ، لما عزّ
وشحّ الزمانُ ببهي لقائكم .

ولقد ورد علينا خيرُ وفودكم الكريم على البلد السجلماسية ، فطمعنا
في الملاقاة الجسمانية ، فتحرّكت اليها القلوب ، وعظمت لعدمها الكروب ، فما
تحققنا الورود حتى تحققنا الصدور ، والى ربنا جلّ وعلا شكايتنا في جميع
الأمر ، قد كنا نتنعم بالأقدام ، ثم صرنا نتأنّس بالأقلام ، فهذا زمانٌ عدمننا
فيه طيفَ المنام ، انا لله وانا اليه راجعون ، وانا الى ربنا لمنقلبون ، اويتمّ
الى الرمال ، ومسارح الرثال ، وغادرتمونا بين امواج الأهوال ، فلا نصرة
سرية ، ولا زورة جهرية ، ولا تعزية بالمقال ، ما هذا المظنون بحبل الوفاء ،
ولا هو اليقين بعنصر الصفاء ، انما اشكو بثّي وحزني الى عرفانكم والنقص
منا ومنكم الكمال ، وعهدتمونا والقطعُ منا ومنكم الوصال ، فلولا كمالكم
ما عرفناكم ، ولولا وصالكم ما الفناكم ، وما في الفؤاد لا تفي به الرسائل ،
وما بالقلب من النَم البعاد لا يفتقر الى الاستدلال عليه بالدلائل ، فلنمسكُ
عنانَ القلم ، عما لا يكفي فيه الا القدم ، واللهُ يجمعُ شملنا المشتت ،
وجمعنا المفتت ، واللهِ درُّ القائل ، لقد اعربَ عما في الضمير وابلغ ، فالحمد
يرحمه حيث قال :

فما امٌ خِشْفٍ ضلّ يوماً وليلة	تُدْفقنه بيداءُ ظمآنٍ صاديا
تهيمٌ فلا تدري الى ان تنتهي	مولّهةٌ حيرى تجوبُ الفيافيا
اضرٌ بها حرُّ الهجير فلم تجد	لغلّتها من بارد الماء شافيا
فلما دنت من خشفها انعطفت له	فألقتّه مهلوف الجرانج طاويا
بأوجع منه (35I) يوم شدت حملهم	ونادى منادي الحيّ ان لا تلاقيا

والسلام معادٌ عليكم والرحمةُ والبركة وعلى جملة اهل داركم
المحروسة ، وخصوصا الدرة النفيسة ، سيدي العربي واخوته الكرام ،

وعلى الصفي الوفي الشيخ عبد الله بن شمس الدين ، وعلى كافة من له تعلقٌ بجنابكم الرفيع ، ووالدنا رزقنا الله رضاه على محبتكم وعهدكم ، وبه من الاشتياق اليكم ما لا اصفه لكم ، وقد كتبت اليكم في غيبة عنه على اسباب الزرع ، والدار على خير ، حفظها الله من هذا الغلاء ، نساله سبحانه دوامَ الستر والعافية بمحمد وعاله ، والسلام .

محبكم وخديمكم ، العاكف على ودكم ، غبار انعلتكم ، عبيد الله تعالى ، محمد بن ابي بكر وفقه الله ... وادع لنا بخير ولاولادنا واخوتنا واهل دارنا ، ويسلم عليكم المحب الصفي الحفي سيدي محمد السنأوي . وفي الرابع والعشرين من ذي القعدة عام ستة عشر والـ الف عرفنا الله خيره ، وكفانا ضيئه .

ومما مدح به ابن ابي محلي قول عبد الحكم بن عبد الكريم بن احمد بن محمد بن المسعود المريني شاعر جرارة (352) :

خطط العلاء وقد سما محرابها	خطبت ففصّحَ معجماً اعرابها
والكون عن كنه المراد مترجم	بعبارة اغرى بها اغرابها
قالت مبشرة بخدن إيالة	تسمو بحكم رعوسها اذنايها
بزغت بحمد الله من نور النبي	شمس الهدى ويغربنا البايها
لمتوع وجه فتى عتاً لجهائه	وجه الأنام كما صبت البايها
فتباشرت افاقها وتباهجت	ارجاؤها لما اضمحل لوابها
وتزيّلت بوسى الأسى والسّمهي (353)	عن شملها وتقطعت اسبابها
وتمطّطت للملة السّمحا به	من بعد عقور رسوما اطنابها
وتملأت من درء كرم سعوده	للأمّلات حلابها اوطابها

(352) جرارة بجيم بدوية مدينة ومنطقة باقليم توات ، كانت تعرف قديماً بصيفتها البربرية تيكورارين .

(353) السّمهي : بضم السين وتشديد الميم المفتوحة : مخاط الشيطان وهو ما يتراءى للانسان في عين الشمس كالخيوط والسّمهي بالتصغير مشددة الميم ومخففتها الاباطيل وهو المراد .

بساواة التمكين فهو عجايبها
لكماله فتقاعست خطايبها
وتضوعت حب اللقاء سخايبها (354)
حتى اتيح له وساخ لعابها
ليرى لها كسب الورى ورقايبها
ليلى الجمال وقد انيط نقايبها
بسلافة طابت ولذ شرايبها
بظلال ذي صدا يروق حبايبها
لسماعين تقاعدت اصحابها
بعد التوثق منه فهو عيايبها
عند الحليل وفي حماه رحايبها
بسناه زاح عن القلوب حجايبها
للأمة العرجا فحيط جنايبها
راموز كل فضيلة ونطايبها
للمكرمات سياجها ووثايبها
فضلا عليه وانه لكتايبها
زين القساور فخرها وصيايبها
لندن البرية دوخت وصعايبها
يهمي عليه بالدوام ربايبها
يغدو يعانقها المصون شبايبها
من باقل لولا المحبة صايبها
وتعاضمت من شؤمها اوصايبها
مما دهاها لم يرم ينقايبها

واحلّه القدوس جلّ جلاله
ورنا جمال الأمجدية راكنا
وتمايست طرباً به وتغنّجت
لله ما هام الحبيب وما صبا
من بعد اصداق البقا عقب الفنا
فانظر ترى قيس الكمال مئاغماً (355)
قد اصبحا ثملين في خان الرضا
بتنا ويان كؤوسها برخودة
وعليهما غنّت قيان صبايصة
فهناك بثّت عنده اسرارها
وعرى الشريعة والحقيقة احكمت
بدء اذيع له الثناء جميله
حبا به سوجان دهر قد سجا
اليلمعي اللودعي فخيّمه
الأحودي المذمذي (356) فصيته
حاوي المفاخز قضاها بقضيضها
ذاك المأم ابو العزائم قدوتي
نجل لعبد الله احمد من له
ازكى التحية لا يزال علاؤه
مشفوعة بتفوق وترحّم
مقروءة بلسان ابلد شيمية
من وازر اوزار نفس قد طغت
المشفق المستعزز المتأوه

(354) السخاب بكسر السين ، قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها لؤلؤ ولا جواهر

(355) المئاغمة : الملائمة

(356) المذمّاذ الصياح الكثير الكلام

يا ابن الأماجد يا أئبراً وسيلة
هل للعليل المستطبٌ لديك من
إني وحققك من أساك لآمل
ان لا تكن لي بالمنى متكفلاً
فاضرع لمولانا تضرع مخبت
واستوهبتني منه فيها علتي
فعااه يرحمني فاتي ءامنا
فقرا العبيد محبكم عبد الحكم
خذها برهمة وحيدة نسجها
زارتك يا بحر الكمال ومهرها
وعلى النبي الهاشمي محمد
ولآله مع صحبه شرف الرضا

عند المهيمن يكتسى جلبابها
ظرف المراهم ما يصح لبابها
في رشفة يشفي السليم رضاها
ياخبية للنفس جل مصابها
في دعوة يرجا القمين جوابها
انجو من النار الاليم عذابها
دار النعيم وفتحت ابوابها
قد انقضته من الذنوب هضابها
يرضيك منها دلها ودعابها
حسن التقبيل والثناء ملابها
داما الصلاة المستدام عباها
اثر الصلاة به يتم حسابها

توفي بهراکش في رمضان عام 1022 ودفن شلوه بمقبرة القاضي
عياض تحت المكتب المعلق هناك على المسجد الجامع ، وما ذكره الأستاذ
عبد المجيد القدوري من ان وفاته كانت يوم 8 رمضان هو سبق قلم ، فذلك
اليوم هو يوم خروج يحيى الحيجي من زاويته بجبال الأطلس لمقاتلته وليس
يوم قتله (357)

(1532) احمد الجزولي ، سفير مغربي ارسله السلطان زيدان بن
احمد المنصور السعدي الى هولاندة وفرنسا للسعي في ارجاع كتبه التي
كلف قنصل فرنسا كاستيلان Costelane بنقلها الى اجدير فاستولى عليها ثم

(357) ابن أبي محلي الفقيه الثائر (الكتاب كله) ، والأدب المغربي ص 61
والاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 16 والتقاط الدر 2 : 61 والأعلام للزركلي
1 : 161 والأعلام ، بمن حل مراکش واغماط من الاعلام 2 : 286 ع 224 والاستقصا
6 : 26 وابلغ ص 15 وایضاح المكنون 1 : 91 و 2 : 78 و 574 وتذكرة المحبين
(مخطوطة مصورة) ص 131 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 97 ودعوة
الحق (مجلة) ص 11 ع 1 سنة 1989 ومعجم المؤلفين 1 : 300 والموسوعة 3 : 83 و III
ونزهة الحادي ص 200 والمحاضرات ص 261 ونشر المثاني 1 : 188 وفهارس علماء
المغرب (اطروحة مرقونة) ص 717 وشجرة النور الزكية ص 298 ع 1155 (فيه وفاته
عام 1031 بأحواس سوس وذاك غلط) ، وهدية العارفين ص 154 والجواقيت الذهبية 1 : 27

استولى عليها قراصنة اسبان وذهبوا بها الى بلدهم حيث اودعت مكتبة دير الاسكوريال القريب من مدريد ، وقد ذهب السفير المذكور الى هولاندة عام 1021 هـ (1612م) واستقبل في لاهاي من طرف مجلس الولايات العامة وقدم له رسالة سلطانه وطلب منه أن يتوسط لدى ملك فرنسا لاعادة الكتب المنهوبة اليه عملاً بمعاهدة الصداقة المبرمة بين الدولتين قبل سنتين (358) ، فاستجاب مجلس الولايات العامة لطلب السلطان وكتب الى ملك فرنسا وسفير هولاندة بباريس يطلب منح السفير المغربي اذنًا بالدخول الى فرنسا ، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت منح الاذن ، فلما علم السلطان زيان بالخبر استدعى سفيره المذكور للعودة الى المغرب .

ولا اعرف عن هذا السفير اكثر من هذا ، وهو من اهل سوس كما تدل على ذلك نسبته ، وهي نسبة عامة تشمل كل القبائل التي تسكن جبال جزولة ، لذلك لا يبعد ان يكون واحداً من الأحمديين المنسوبين الى قبائل جزولة والذين كان يمتليء بهم البلاط السعودي في ذلك العهد (359)

1533) احمد بن قاسم معيوب الأندلسي ، عالم من المغرب الأقصى اخذ عن يوسف الخولاصي ، وكان عارفاً بالتعاليم من حساب وفلك وهياة ، والف في ذلك كتاب المسامرة ، في تقويم السيارة .

أخذ عنه سعيد بن محمد البردعي .

توفي بمراكش عام 1022 سمّهُ السلطان زيدان السعودي في دجاجة ، لأنه كان سائراً مع السلطان المذكور في بعض حروبه فسأله لمن تكون الغلبة ؟ فقال له أعفني من الجواب ، فالحّ عليه فقال له لا اخيرك حتى تعطيتني الأمان ، فأمنّه وقال له : والله لا سألت منك قطرة دم ، فأخبره

(358) انظر ترجمة احمد بن عبد الله المرني المتقدمة في ص 275 ع 1527 من هذا الجزء .

(359) الموسوعة 3 : 121 نقلا عن مجلة هسبيريس - تمودة المجلد الرابع (1963) .

انه سيهزم هزيمة شنيعة ، فخاف زيدان' ان يخبرَ الناس' بذلك فيفشلوا
وتذهب ریحهم ، فسمّ له دجاجة وقدمها له ، فلما اكلها ماتَ من حينه ،
ورای زيدان' انه لم يحنث' في يمينه ، لأنه لم يُسل' له دما ! (360)

(1534) احمد بن محمد اذفال الحسني الدرعي ، فقيه من المغرب
الأقصى من اسرة بمنطقة لكتاوة تنتمي لآل البيت ، يذكرون انهم
من شرفاء فجيح وانهم كانوا يعرفون بأولاد السوساني .

ولد بقرية أذفال احدى قرى ناحية لكتاوة باقليم ورزازات ، قرب
عام 930 ومات ابوه وهو صغير° فكفله الشيخ محمد بن علي المكَرُوتِي
ورباه في زاويته وعلمه ، ولما اشتد في الطلب ارسله الى فاس فأخذ بها عن
شيوخ جامع القرويين كعبد الوهاب الزقاق وعلي بن هارون وطبقتهما ،
وبعدما اكمل دراسته ولّى وجهه شطر الجنوب فدخل مراكش ، ولقيّ
بحاجة الشيخ يحيى بن عبد المنعم الداودي الحياحي ، وبسوس الشيخ
الشهير احمد بن موسى الجزولي وصحبه عشرة اعوام ، ورحل الى الشرق
مرتين اجتمع فيهما بعدد كبير من الفقهاء والعلماء والمحدثين وذاكرهم
كزين العابدين محمد البكري ويحيى الحطاب ومحمد بن عيسى التلمساني
واجازه منهم نجم الدين الغيطي والعلمي والسيد المقدسي وعبد الوهاب
الهندي ، وعاد الى المغرب وقد جمع بين اسانيد علمائه وبين اسانيد علماء
المشرق ، فاستقرّ بقريته بيتاً للعلم ويهذب النفوس مستعيناً على التعليم
والوعظ بخزانة جمعت عدداً كبيراً من الكتب مما اقتناه بوطنه او اشتراه
من البلدان التي مرّ بها في رحلتيه المشرقيتين ، وانتفع به طلبةٌ عديدون
من ناحية درعة .

من الآخذين عنه محمد ابن الوقاد التلمساني سمع منه بجامع الشرفاء
بمراكش في جمادى الأخرى سنة 991 .

(360) الاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام 2 : 285 ع 223 والاعلام
للزركلي 1 : 188 ومعجم المؤلفين 2 : 50 وصفوة من انتشر ص 104

الف رسالة في ترجمة شيخه احمد بن موسى وكتب وصية قيمة لابنائه توجد منها نسخة" بدار الكتب الناصرية بتمكروت ضمن مجموع رقمه 2035 .

توفي بدرعة عام 1023 وقيده بها شهير (361)

1535) احمد بن عبد العزيز النائب الطرابلسي ، فقيه من طرابلس الغرب من اسرة شهيرة بها ، اخذ العلم عن شيوخها وتولى قضاءها .

توفي ليلة الاثنين 6 ربيع الاول عام 1023 هـ ، وهو غير سميته احمد بن عبد الرحمان النائب الآتية ترجمته مع احمد بن علي القرن الثاني عشر (362)

1536) احمد تروي السوداني ، فقيه من السودان الغربي ، كان عدلا خيراً صالحاً وتولى القضاء .

توفي بمدينة جن في جمادى الأولى عام 1024 (363)

1537) احمد بن عبد الواحد الونشريسي ، فقيه من اهل فاس ، وهو حفيد جده وسميه احمد بن يحيى الونشريسي التلمساني صاحب المعيار متقدم الترجمة في هذا الجزء .

توفي عام 1024 وهذا الفقيه لم اقف على اخباره فيما بين يدي من المراجع ، وانما اوردته للتذكير فقط (364)

361) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 17 والنقاط الدرر 2 : 66 والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 294 ع 225 واقتفاء الاثر ص 98 - 99 والبيغ ص 24 وتذكرة المحبين ص 132 (مخطوطة مصورة) ، والدرر المرصعة (مخطوطة مصورة) ص 5 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 138 وطبقات الحضبيكي 1 : 41 - 43 ونشر المثاني 1 : 200 وصفوة من انتشار ص 21 والفوائد الجمة (مخطوطة مصورة) ص 353

362) اعلام ليبيا ص 39 ودليل المؤلفين العرب الليبيين ص 53

363) فتح الشكور ص 38 ع 12

364) الاكليل والتاج ص 17 والنقاط الدرر 2 : 69 ونشر المثاني 1 : 208

(1538) احمد بن محمد ابن القاضي المكناسي ، عالم كبير ومؤرخ شهير من اهل بيت نبيه بفاس كانوا يسكنون بعد هجرتهم من مكناسة درب السبع لويات المجاور لجامع القرويين ، يرجع نسبهم الى بني أبي العافية اسرة شهيرة بقبيلة مكناسة التي لا تزال بقاياها بظاهر مدينة تازة (365) ، وشهرتهم بأولاد ابن القاضي جاءتهم من جدهم الفقيه أبي العز ابن أبي العافية الذي كان قاضياً بتلك القبيلة .

ولد بفاس في جمادى الأولى عام 960 هـ ، وتلقى العلم بجامع القرويين متخرجاً على أيدي علمائه الكبار كأحمد المنجور ومحمد القصار ويحيى السراج ومحمد ابن مجبر المساري ومحمد ابن جلال التلمساني ويعقوب اليدري ، وسمع - وهو كبير - من آخرين او تدبَّح بهم (366) كأحمد بابا السوداني واحمد بن محمد المقبري التلمساني ، وسافر الى المشرق بقصد الحج عام 987 هـ وجاور بالحرمين مدة سمع خلالها او اثناء سفره من عدد من الشيوخ كابراهيم بن عبد الرحمان العلقمي وسالم بن عبد الله السنهوري وعلي بن احمد القرافي وعلي بن محمد بن غانم المقدسي وراشد بن عبد الله البغدادي ، ومحمود بن عبد الله الرومي التركي ومحمد بن علي شلبي التركي ، واجازه غير واحد من علماء المشرق والمغرب ، وله فهزس اسمه رائد الفلاح ، بعوالي الاسانيد الصحاح ذكر فيه اسانيده ، لكنه لم يذكر فيه من شيوخه الا احد عشر شيخاً خمسة منهم فقط من المغاربة .

ولما عزم على الرجوع الى المغرب حمل معه رسائل توصية كتبها الى السلطان احمد المنصور السعدي بعض شيوخ الحرمين ، وبعد ما وصل فاس واستقر بها بعض الوقت لحق بمراكش وتلطف حتى وصل

(365) مكناسة : قبيلة صغيرة تقع بظاهر مدينة تازة تتألف من ثلاث بطون : بني علي ، وبني هيثم ، وأولاد بكار ، والقبيلة بحجمها الحالي لا تمثل قبيلة مكناسة التاريخية الكبرى .

(366) التدبير : اخذ احد الرجلين عن الآخر

الى السلطان بمداخلة اهل بساطه من العلماء والكتاب ، ومنهم الكاتب الوزير عبد العزيز الفشتالي ، فحظيَ لديه واشتمل رضاه ، وانتظم في سلك أولى المراتب المرعية (367) ، بيد ان الحنين الى المشرق عاوده للتطوع بحجة والاستزادة من العلم ولقاء الشيوخ ، ولما استأذن السلطان في السفر وجد منه موافقةً وقَبُولاً ووصله ، لأنه كان هوَ يرغبُ في ايفاد احد العلماء الى المشرق لتعريف اهله بما له من النفوذ القوي والجاه العظيم في غرب العالم الاسلامي ، فاستعدَّ للسفر وفي نيته القيامُ بالأميرين معاً : الاستزادة من العلم والدعوة لمخدومه في الأقطار المشرقية التي لم يكن سكانها يعرفون غير السلطان العثماني ، وكان فصوله عن المغرب من مرتيل - مرسى تطوان - ولكنه لم يكدُ يبتعدُ عن الساحل المغربي حتى اعترض الأسطول الاسباني يوم الخميس 14 شعبان عام 994 هـ (31 يوليو سنة 1586 م) السفينة التي كان يركبها امام هُنَيْنِ مرسى تلمسان فاستولى عليها واسر ركابها واقتادهم الى جزيرة مالطة فعانى المترجم فيها محناً عظمتها من جوع وبرد وضرب وتكليف بما لا يطاق مما لا يمكن وصفه من العذاب على حد تعبيره (368)

وخلال محنته التي طالت أحدَ عَشَرَ شهراً كان ابنُ القاضي يستصرخُ المنصورَ ويدعوه لفدائه برسائل نثرية وقصائيد شعرية ، فاستجاب له وكتَّف عامله على تطوان وامينته بها ان يسعي ل فك رقبته ، فدارتُ بينهما وبين ءاسريه مفاوضات انتهتُ باطلاق سراحه يوم الثلاثاء 17 رجب عام 995 هـ (23 يونيو سنة 1587 م) مقابل فدية قدرها 20 ألف وقية (369) .

فلما خلس من الأسر وعاد الى المغرب كافأ السلطان احمد المنصور على عنايته به واحسانه اليه بتأليف كتابه المنتقى المقصور ، على

(367) مناهل الصفا ص 153 طبع تطوان

(368) المنتقى المقصور ص 251

(369) وقية هي الألة وتعرفها نصف رطل ، وفي عرف المغاربة هي عشر المثقال (وحدة نقدية) ، وتنقسم الى اربع موزونات ، وهي ايضا بالنسبة لما يوزن جزء من ستة عشر جزءا من الرطل .

مآثر الخليفة المنصور ومدحه بقصائد واهداه كل ما ألف من الكتب بعد ذلك ، ولكنه لم يخدمه في ديوانه ، وإنما تولّى له قضاء سلا بين عامي 998 و 1010 هـ ، فلما تخلّى عن القضاء عاد الى بلده فاس وصار يعقد مجالس للتدريس بجامع القرويين يحضرها الطلبة وشيوخهم معاً ، وخرج بعد وفاة المنصور الى الزاوية الدلائية (370) واقام فيها مدة ثمانية اعوام يدرس علوم الأدب والحساب والتوقيت ، وكان من الآخذين عنه بها محمد بن ابي بكر الدلائي ، ثم عاد الى فاس وعكف على تدريس صحيح البخاري بجامع الأبارين الكائن بزنقة رحبة القيس ، وكان السارد بين يديه في هذه المجالس البخارية هو الفقيه عبد الواحد ابن عاشر ناظم الرجز الشهير المسمّى المرشد المعين ، على الضروري من علوم الدين ، كما كان من شهورها كبار العلماء مثل احمد بن يوسف الفاسي متقدم الترجمة (5 : 881 ع 1529) والحافظ احمد بن محمد المقرئ التلمساني مفتي فاس وخطيب الجامع القروي ءاتي الترجمة قريباً .

كان ابن القاضي محدثاً حافظاً وفقهياً مطلعاً ومؤرخاً اخبارياً ثقة سيال القلم سلس العبارة مستجمعاً لأدوات الأدب ، ينظم الشعر نظم الفقهاء ، مشاركاً في كثير من العلوم والفنون ، سيما التاريخ والرياضيات ، ملحوظاً بعين التقدير والاكبار من معاصريه ، وصفه احمد المقرئ في روضة الآس بالشيخ الفقيه القاضي ، امام اهل الفرائض والحساب ، ذي الأدب المنساب ، الى ما انضاف الى ذلك من الفقه والنحو والأصليين والعروض (371) ، ونعته محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس بالشيخ الامام النحرير ، العالم العلامة الشهير ، الفقيه المحدث الأديب ،

(370) الزاوية الدلائية بلدة كانت بجبال الاطلس المتوسط حيث زاوية آلية اسحاق الحالية ، بدأت مركزاً من مراكز العلم ثم صارت مركزاً سياسياً لدولة ذر قرنها في وسط القرن الحادي عشر الهجري ، وكان خرابها على يد السلطان مولاي رشيد بن الشريف ثاني سلاطين الأسرة الملكية العلوية .

الاجباري المؤرخ الأريب (372) ، ولكن رغم كل هذه النوعت الطنانة وغيرها مما وصفه ءآخرون بمثلها واكثرَ منها فان مراجعةَ كتبه تشعُرُ بأن الرجل كان نسخة طبق الأصل لفقهاء عصره وعلمائه ، اي انه كان يجتُرُ معارفَ منَ تقدمه ويرددها في مجالسه وتآليفه ، لا يزيد عليها ولا ينقص منها ، وحتى التاريخ الذي كان له به ولوعٌ واهتمام لم يكن منهاجُه فيه مستقيماً ، ففي بعض مؤلفاته التاريخية فوضى وخطُ واضطراب ونقول حرفية من كتب الغير دون نسبتها الى اربابها ، لكن يبقى له على ذلك فضل كبير في جمع كثير من المعلومات واثباتها كما تيسر له ، ان لولا ذلك لضاعت اخبار واندثرت ءآثار قد لا يعثرُ عليها عند سواه .

وقد خلّف ابنُ القاضي عدداً من التآليف بعضها في التاريخ وبعضٌ في الحساب والهندسة والفقه والمنطق ، اقلّها مطبوعٌ واكثرها مخطوط ، نذكرها فيما يلي مرتبةً ترتيبَ الحروف الهجائية المغربية .

1 - جندوة الاقباس فيمن حلّ من الاعلام مدينة فاس ، التّفة عام 1004 واهداه السلطان احمد المنصور ، وصف فيه مدينة فاس وبيّن محاسنها ، ثم ذكر اعلامها من ملوك وامراء وعلماء وفقهاء وشعراء وما لهم من اشعار وتآليف ، وكذا اعيان الغرياء الوافدين عليها ، وقد طُبِعَ هذا الكتاب اولاً على الحجر بفاس عام 1309 هـ ثم طبعته دار المنصور بالرباط بتحقيقي سنة 1973 في سبعمئة صفحة .

2 - درة الحجال ، في غرة اسماء الرجال ، كتاب ترجم فيه لآلف وخمسمئة واثنين وعشرين رجلا وامراة ، حاول ان يجعله ذيلاً لكتاب وفيات الأعيان لأحمد بن محمد ابن خلكان المتوفى عام 681 هـ ولكن شتان ما بين الثرى والثريا ، التّفة عام 999 هـ برسم خزانة السلطان احمد المنصور السعدي ، طُبِعَ اولاً بالرباط (34 - 1936) في جزأين من 618

صفحة ، ثم طبع ثانية بالقاهرة سنة 1970 في ثلاثة أجزاء بعناية الدكتور محمد الأحمدى ، وهذه الطبعة مليئة بالتحريف والاططاء ، وتنحصر فائدتها في فهارسها التي تسهل على المطالع الحصول على ما يريد من تراجمها .

3 - درة السلوك ، فيمن حوى الملك من الملوك ، ارجوزة من اربعمئة بيت ذيل بها رقم الحائل ، في نظم الدول لمحمد ابن الخطيب السلّماني ، وهي سقيمة معقدة قليلة الفائدة ، توجد منها نسخ عديدة منها ثلاث نسخ بالخرزانة العامة بالرباط ارقامها 763 د و 1428 د و 487 د

4 - الدر الحلوك ، المشرق يدرة السلوك ، شرح به ما غمض من المنظومة السابقة ، انتهى من تحريره بمراكش يوم الجمعة 10 رجب عام 1000 هـ وهو قليل الأهمية كالأرجوزة نفسها ، توجد منه ثلاث نسخ منها ثلاث نسخ بالخرزانة العامة بالرباط ارقامها 487 د و 763 د و 1428 د

5 - رائد الفلاح ، يعوالي الأسانيد الصحاح ، فهرسة التفها عام 1010 هـ وأجاز بها الأمير زيدان بن السلطان احمد المنصور ، ذكر فيها اسانيد في 314 كتاباً بأسمائها ، وفي عموم 243 كتاباً . آخر ، وهو يروي في هذه الفهرسة عن أحد عشر شيخاً منهم خمسة مغاربة وستة مشاركة ، بدأ بأسانيد في القراءات والتجويد والتفسير ، وختم بكتب الأدب والشعر ، وأثبت فيها ثمانين قطع شعرية للمجاز بها الأمير زيدان ، تعرف من هذه الفهرسة نسخة خطية فريدة محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمديرية تحت رقم 17 وقد وصفها ولخص ما فيها الأستاذ المرحوم ابراهيم الكتاني متقدم الترجمة في مجلة دعوة الحق (ع 9 - 10 يوليوز 1966 م) ، وبلغني أنها كانت موضوع أطروحة لأحد طلبة كلية الآداب بالرباط وان نسخة مصورة منها محفوظة بمكتبة تلك الكلية .

6 - الرانض ، لطالبي فهم الناهض ، بأعباء علم الفرائض ، كتاب شرح به ارجوزة في الفرائض للفقير الشهير احمد بن علي البلوي الأندلسي الشهير بابن داود التلمساني متقدم الترجمة (5 : 150 ع 1460) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة الملكية الحسنية بالرباط تحت عدد 8840 .

7 - زهرة' البستان ، المتزوعة' بمحاسن ابناء الزمان ، ذكرها في المنتقى المقصور (373) وقال انها ضاعت منه اثناء اسره .

8 - لقط' الفرائد ، من لفاظة حقق الفوائد ، كتاب' في الوفيات اكمله عام 1000 هـ ثم اُضاف اليه وفياتٍ عديدة وصلت الى عام 1009 ، توجد منه نسخ خطية عديدة بمكتبات كثيرة ، وطبع عام 1976 بالرباط ضمن مجموع اسمه الف سنة من الوفيات .

9 - مختصر المعيار ، كتاب أراد أن يختصر به المعيار المعرب لأحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني متقدم الترجمة (5 : 108 ع 1444)، لكنه لم يكمله لفقده نسخة أصله .

10 - مدخل في الهندسة ، ذكره له احمد المقرئ التلمساني في ترجمته من روضة الآس ، ولا يُعرف لوجوده مكان .

11 - المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة المنصور ، كتاب الثقه في محاسن مخدومه السلطان احمد المنصور السعدي متقدم الترجمة ، حاول ان يحاكي به كتاب محمد ابن مرزوق التلمساني في السلطان ابي الحسن علي بن عثمان المريني المسمى المسند الصحيح الحسن ، في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن ، ولكن مع فارق كبير ، الثقه اعترافاً بفضل مخدومه عليه ، وانتهى منه حوالي عام 998 وجعل له من الأبواب عشرين يختص كل باب منها بذكر منقبة من مناقب السلطان وشيمة زكية من شيمه ، ويبدأ كل باب بما ورد في الخصلة التي يتصف بها السلطان من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم وأمثال وأشعار ، ويكون الحديث عن الخصلة أحياناً أكبر من الحديث عن اتصاف السلطان بها ، ويقتصر في بعض الأحيان على الحديث عن الفضائل والخصال دون ان يقدم أمثلة تدل على تخلق السلطان بها ، وربما عقد باباً وتركه غفلاً لا يذكر فيه

وصفاً ولا موصوفاً ، وفي الكتاب حشو " كثير" لا علاقة له بموضوعه ، وهو وان كان لا يخلو من فوائد فاهميته أقل بكثير مما كان يتصور عنه قبل ظهوره ، وليس ببعيد أن تكون الأيدي عبثت به لأسباب سياسية لا تخفى ، وقد كانت نسخته المخطوطة نادرة حتى ظهرت في بداية هذا القرن ، ثم طبعت بالرباط عام 1986 في جزأين بدراسة الأستاذ محمد رزوق وتحقيقه .

12 - نظم تلخيص ابن البنا . أي تلخيص أعمال الحساب لأحمد بن محمد ابن البنا الأزدي المراكشي متقدم الترجمة (4 : 262 ع 126I) ذكر أحمد المقرئ في روضة الأس انه ضاع في أسرته .

13 - نظم منطق السعد ، ذكر أحمد المقرئ أنه ضاع أيضا في أسرته

14 - نيل' الأمل ، فيما به بين المالكية جرى العمل ، كتاب في الفقه ذكره المقرئ في ترجمته من روضة الأس .

15 - غنية' الرائض ، في طبقات اهل الحساب والفرائض ، ذكره محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس .

16 - فتح الخبير ، بحسن التدبير ، لفك' رموز الاكسير ، في صناعة التفسير ، شرح به باختصار ارجوزة العالم سعيد ابن ليون المسماة بالاكسير بدأ تأليفه يوم 10 شوال عام 1017 واكمه يوم 5 ربيع الأول عام 1018 معرفاً في بدايته بابن ليون المؤلف ، توجد مخطوطته بالخزانة الملكية الحسنية بالرباط محفوظة تحت عدد 5455

17 - الفتح النبيل ، بما تضمنته من العدد ومعنى الحساب والتنزيل ، فرغ من تأليفه بسلا يوم الاثنين 16 رجب عام 1006 برسم خزانة السلطان احمد المنصور ، وقصد به ذكر بعض ما وجد في أي القرءان من اسماء العدد ومعنى الحساب ، توجد منه مخطوطة" محفوظة" بالخزانة العامة بمراكش تحت عدد 472 .

18 - القانون الوفي ، بجداول الحوافي ، كتاب في الفرائض
ألفه برسم السلطان أحمد المنصور السعدي ، ولما رفعه إليه كتب على
أول ورقة منه البيتين التاليين من نظمه :

لما رأيت مقامك السامي الذي ملك العنلا والنصر صار مطيعاً
أيقنت انك وارث الدنيا لذا أهدت علم الارث فيه جميعاً

وينسب لأحمد ابن القاضي المترجم عدد من المؤلفات وهي
ليست من تأليفه ، وسبب ذلك تعدد أفراد أسرة ابن القاضي الذين يتسمون
باسمه وتألّفهم في نفس المواضيع التي ألف فيها .

وللمترجم اشعار متوسطة تميل الى النزول لفظاً ومعنى ووزناً
أورد بعضها احمد المقرئ في كتابه روضة الآس ، فمنها ما كتبه - وهو
في الأسر بمالطة - الى السلطان احمد المنصور السعدي يحثه
على فدائه :

تجلت عن العاني الأسير المكبل
بذكر الامام الهاشمي الذي سما
إمام العنلا المنصور فخر أئمة
به راق وجه الأرض واقترى ثغره
إمام همام همته طول همة
فكم تضحك الخيرات في بطن كفه
وكم جاوز الغايات حتى لو أنه
فغتر الليالي من سناه توقدت
زكي زهي للسماح سماؤه
إمام الهدى بحر الندى قسور الردى
بحق الذي أولاك ملكاً فنجني
وكن يا إمام العدل في عون خائر
لقد قرفت أيدي الزمان وريداه

هموم سرت في الجسم في كل مفصل
بسيمة خير الخلق في كل محفل
به قد تحلى كل جدير معطل
وحلي جيد منه بالدر والحلي
ظبي ما له غير المعالي بصيقل
ويبكي دماء كل رمح ومنصل
أراد الثريا أمها في التنزيل
ضياء بنور للخلافة مشعل
جناح لنسر النصر في كل جحفل
الى المعطي والفاجر المتضلل
من الهلك يا قصد الأسير المكبل
أسير كسير ذي جناح مذلل
ودارت عليه الدائرات كججل

وأخنى عليه الدهر من كل وجهة
فعافاك ربُّ العرش ياملك العُلا
ولا زلت حجّ المعتفين وكعبة

ومنها يُخاطبه لما أخلتُ
إسبانيا مدينةً أصيلةً الساحليةً فسي
شهر ذي القعدة من عام 997 هـ :

ياأيُّها المنصورُ أبشرُ بالعلّاء
أنضاكم سيفاً لحتف عداته
وهزمتُمُ الشوك المبينَ بعزمكم
وأدبتمُ كيدَ الخبيث مهابةً
وغدتُ من الناقوس صيفراً بلقماً
أبشرُ لواءُ الفتح معقودٌ لكم
أكرمُ به من مالكٍ ببلِّ صالح
لا زال في أفقِ الهندي شمساً وفي

وقوله يمدحُ أحدَ أبناءِ السلطان :

يامالكاً حازَ المفاخرَ والثنا
يانجلَ منصورٍ تملكَت العُلا
ما أبصرتُ عيناىَ جوداً كالذي
كم بينَ منْ أضحى لجودك مالكا
عند الأنام جوادهم من جوده
قد حزتمُ أسنى المحامد والعلّاء
فاليسُ من الحمد المعطر حلةً
إنَّ الشبابَ جديدها يبلّى ولا

يادُرّةً في غرةِ الأيام
فافخرُ بما أوتيتَ من انعام
أضحى لكمُ من جملة الخدام
أمُ بينَ منْ في الجودِ في تهيام
في طبعه يُحصَى من الأكرام
وخصّصتمُ بالمدح والاعظام
تبقى محاسنها مع الأيام
يبلّى الثنا من السنن الأقالم

تَلُوفِيّ بِفَاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ 6 شَعْبَانَ عَامِ 1025 هـ (19 غُشْتِ سَنَةِ 1616 م) ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِجَامِعِ الْقُرُوبِيِّينَ إِمَامُهُ الْفَقِيهُ 'الْأَدِيبُ' أَحْمَدُ الْمَقْرِي ، وَدَفِنَ بِبَابِ عَجِيْسَةَ قَرِبَ ضَرِيحِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (374)

(1539) أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَلْمِي (375) الشَّفِشَاوْنِي، عَالِمٌ مَغْرِبِيٌّ مِنْ أَهْلِ شَفِشَاوْنِ (376) ، وَلَدَ بِهَا يَوْمَ 10 ذِي الْحِجَّةِ عَامِ 971 هـ وَنَشَأَ بِهَا مُجْتَهِدًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى فَاسَ لِلِاسْتِزَادَةِ مِنْهُ ، فَسَكَنَ بَيْتًا بِمَدْرَسَةِ الْحَلْفَاوِيِّينَ (377) وَتَكَفَّلَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ بِهَا الشَّيْخُ يُوسُفُ الْفَاسِي ، وَكَانَ رَفِيقًا فِي الدِّرَاسَةِ ابْنَهُ أَحْمَدُ مُتَقَدِّمُ التَّرْجِمَةِ (5 : 281 ع 1529) وَعَمَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْفَاسِي ، فَأَخَذَ بِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ كَأَحْمَدِ الْقُدُومِيِّ وَأَحْمَدِ الْمَنْجُورِيِّ وَمُحَمَّدِ الزِّيَّاتِيِّ وَيَحْيَى السَّرَاجِيِّ وَعَبْدِ

(374) إِبْتِهَاجُ الْقُلُوبِ (مَخْطُوطَةٌ مَصُورَةٌ) ص 261 وَاتِّحَافُ أَعْلَامِ النَّاسِ 1 : 326 وَالْأَكْلِيلُ وَالنَّجَاحُ (مَخْطُوطَةٌ مَصُورَةٌ) ص 17 وَالتَّقَاطُؤُ الدَّرَجَاتِ 2 : 69 وَالْف سَنَةُ مِنَ الْوَفَايَاتِ (الْمَقْدَمَةُ) وَالْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 1 : 236 وَالْأَعْلَامُ ، بِمَنْ حَلَّ مَرَاكِشَ وَأَعْمَاتَ مِنَ الْأَعْلَامِ 2 : 295 ع 226 وَإيضَاحُ الْمَكْنُونِ 1 : 360 وَ 457 وَ 2 : 149 وَالبَحْثُ الْعَلْمِي (مَجْلَدٌ) ع 14 - 15 : 201 وَالبُدُورُ الضَّائِئَةُ (مَخْطُوطَةٌ مَصُورَةٌ) ، وَتَارِيخُ تَطَوَّانَ 1 : 129 وَتَذَكُّرَةُ الْمُحِبِّينَ (مَخْطُوطَةٌ مَصُورَةٌ) ص 132 وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص 366 (الطَّبْعَةُ الْجَدِيدَةُ) ، وَدِرَّةُ الْحِجَالِ (مَقْدَمَةٌ طَبْعَةُ تُونِسَ) وَالدَّرَرُ الْبِهِيَّةُ 2 : 252 وَرَوْضَةُ الْأَسِّ ص 239 ع 22 وَطَبَقَاتُ الْحَضِيكِيِّ 1 : 57 وَمَنَاهِلُ الصِّفَا ص 91 وَ 153 - 154 - 155 طَبْعَةُ تَطَوَّانَ ، وَالْمُنْتَخِبَاتُ الْعَبْقَرِيَّةُ ص 28 وَالْمُنْتَقَى الْمُقْصُورُ (دِرَاسَةُ الْإِسْتِزَادَةِ مُحَمَّدِ رَزُوقِ) وَالنَّبُوءُ الْمَغْرِبِيُّ ص 253 وَنَشْرُ الْمَثَانِيِّ 1 : 213 وَصَفْوَةٌ مِنْ أُنْتِشَرِ ص 77 وَفَهْرَسُ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ (أَطْرُوحَةُ مَرْقُونَةُ) ص 712 وَفَهْرَسُ الْفَهْرَسِيِّ 1 : 114 وَسَلُوكُ الْإِنْفَاسِ 3 : 133 وَشَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ 1 : 297 ع 1150 وَهَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ ص 154 وَاليَوَاقِيتُ الثَّمِينَةُ 1 : 24 وَمِرْعَاةُ الْمَحَاسِنِ ص 167

(375) فِيمَا يَلِي مَشْجَرَ نَسَبِهِ : أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلَالِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيْشَ (اسْمُهُ سَلِيمَانُ) بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَرَمَةَ بْنِ عِيْسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامِ بْنِ مَزْوَارِ بْنِ حَيْدِرَةَ (اسْمُهُ عَلِيٌّ) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَامِلِ بْنِ الْحَسَنِ الثَّمَنِيِّ بْنِ الْحَسَنِ السَّبِيطِ بْنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) .

(376) شَفِشَاوْنُ : انْظُرِ التَّلْفِيحَ رَقْمَ 240 فِي ص 212 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ

(377) مَدْرَسَةُ الْحَلْفَاوِيِّينَ : انْظُرِ التَّلْفِيحَ رَقْمَ 233 فِي ص 208 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ

الرحمان الحميدي وأبي القاسم ابن سودة ، ولما امتلأ وطأبه علماً عاد الى بلده فاستقرَّ به وتأهل ووليَ خطابة جامعهِ الكبير فاستحسن الناس - خاصتهم وعامتهم - خطبَه لفصاحة لسانه وحسن تطرقه فيها لمواضيع وقتية تستأثرُ باهتمامهم واجمعوا على انه لم يتقدم مثله في بلده خطيب ولا امام ، ولازم في شفشاون قاضيها محمد بن الحسن ابن عرضون ، وكان عالماً متبحراً - فاستفاد ما عنده ، ولم يزل معه في اللفة كاملة الى ان توفي عام 1012 هـ فخلفه في منصب القضاء وسار فيه احسن مسير ، واعجب الناس في تلك البلدة وما جاورها بطريقته في اصدار الأحكام وتنفيذها بالعدل ، وهو على ذلك يسعى في التنصل من الخطة التي وليها جبراً قائلاً : انه لم يكن في سلفه من انتمى للمخزن (الحكومة) او دخل مدخله غير ابيه بسبب روح ترامت عليه ، وقد تحقَّق له ما كان يرجوه ويؤمله ، فأعفيَ من القضاء ، وبقيَ على ذلك مرجوعاً اليه متوقفاً عليه معظماً من الخاصة والعامة .

ومن اخبار المترجم انه بعد رجوعه الى شفشاون وتزوجه به خطب بنتاً لشيوخه يوسف الفاسي فزوجه اياها بفاس ، واسكنهما داراً قريبة من داره ، فصار لأجل ذلك يقسم السنة بين فاس وشفشاون ، فيسكن احدهما ستة اشهر ويسكن الأخرى ستة اشهر ، وتمَّ ذلك برضا اهل بلده ، ولم يزل على تلك الحال الى ان توفيت زوجته الفاسية فصار يستقرُّ السنة كلها بشفشاون .

وكان المترجم به متقناً ضابطاً حسن الخط نسخ به كتباً كثيرة ، بارعاً في الوثائق والأحكام وانواع من العلوم ، كثير الانصاف فصيح العبارة حسن الشمائل انتصب للتدريس ببلده فأقبل عليه الطلبة مما قرب منه وبعد وانتفعوا به .

وله مصنّفاتٌ في الأنساب ، والفقه والتوحيد ، منها جزءٌ في
انساب اهل جيل العلم (378) ، وشجرة انساب بني عبد السلام منهم ،
وحاشية على صغرى السنوسي في التوحيد ، وجزءٌ في نقل الميت من قبر
الى قبر ، وجمع كلام شيخه سيدي يوسف الفاسي ، مع مقيدات كثيرة في
الفقه والاصول والعربية والطب والتاريخ تشتمل على فوائد كثيرة .

وفيما يلي نصٌ إجازة الشيخ العلامة محمد بن قاسم القصار له
كتبها على ظهر اول ورقة من شرح الصغرى للسنوسي ، وهي :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي نسباً
الغرناطي اصلاً واباً القصار لقباً عفا الله عنهم :

قرأ عليّ سيدنا الفقيه المتفتن الفاضل سيدي احمد بن السيد الكبير ،
الحاج المجاهد الشهير ، سيدي علي الشريف الحسني ، حفيد قطب
الاقطاب ، سيدنا عبد السلام نفعا الله به ءامين ، علم العقائد وعلم الكلام
وغيره ، واجزت له اجازة عامة وقلت :

اجزت لكم مروينا مطلقاً وما لنا سائلاً ان تتحفوا بدعاء

واخذت علم العقائد وعلم الكلام عن جماعة كالشيخ الامام المتفتن
الرحال سيدي محمد اليسيتني ، والشيخ الامام سيدي محمد ابن جلال ،
والشيخ الامام سيدي شقرون بن هبة ، وكلّهم اخذوا عن اصحاب السنوسي
وابن زكري ، واخذتُهما عن الشيخ الامام ، جار الله ، سيدي محمد خروف

(378) جيل العلم ، جبل شهير بقبيلة بني عروس (اقليم العرائش) حيث قبر
الشيخ عبد السلام بن مشيش ، واليه نسبة الاشراف العلميين .

التونسي الأنصاري ، وعن الشيخ الامام الحافظ سيدي علي بن عمر السنوسي ،
وعن الشيخ الامام ، سيدي محمد ابن قنزع التلمساني ، واخذ شيخنا ولي²
الله سيدي علي بن عيسى عن الوجدي عن السنوسي ، واخذ شيخنا ولي²
الله سيدي ابو شامة عن سيدي احمد بن جيدة واخذ عن السنوسي .

وكتب في آخر عام احد عشر والف

محمد المذكور

عفا الله تعالى عنه

توفي بهشفشاون عام 1027 ودفن في مقابر سلفه محاذياً للامير
علي بن راشد (379)

1540) احمد بن عبد العزيز الدرعي ، شاعر² من المغرب الأقصى
منسوب² الى وادي درعة (380) الجاري وراء جبال الأطلس الكبير ، لقيه
احمد المقرئ التلمساني بفاس عام 1009 ووصفه في روضة الآس بال كاتب
المجيد الناظم النائر ، وقال انه من كتاب ولي العهد وان له فهماً حسناً ونظماً
جيداً ومشاركة² في العلوم ، وسمع منه كثيراً من نظمه وتناوله منه مكتوباً .

فمنه قوله في دولاب :

379) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 18 والتقاط الدرر 2 : 72 وابتهاج
القلوب (مخطوطة مصورة) ، والأعلام للزركلي 1 : 180 وابن عريشون الكبير ص 79
ومرآة المحاسن ص 167 - 189 ونشر المثاني 1 : 220

380) وادي درعة : نهر تتبع عناصره من السفوح الجنوبية لجبال الأطلس
ويصب في المحيط الأطلسي غير بعيد عن مدينة طنطن بعد ما يقطع من المنبع الى
الجيب مسافة تزيد على 1200 كلم ، وبه سميت المنطقة التي يجري في وسطها
بأقليم ورزازات .

ودولابٍ كأنَّ الماءَ فيه سيوفٌ جُرُدتُ يومَ اللقاءِ
ويحكى في سناه إذا تبدي بروق الجوّ في كبد السماءِ
توفي عام 1027 (381)

(1541) احمد زروق ابن عمار الجزائري ، فقيه من مدينة الجزائر ، كان ذا ثروة وجاه محبوباً من أهل بلده معظماً عند أهل الديوان (ادارة الأتراك) ، ذكر عبد الكريم ابن الفكون في (منشور الهداية) انه كان خطيب الجامع الأعظم بالجزائر وانه دخل قسنطينة صحبة بعض العلماء وزار بها الشيخ محمد بن مزيان التواتي المغربي اتي الترجمة في المصمدين ، وفي (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر) ان ولاة الترك كانوا يحرصون على توليته ليساره ، وانه اصلح من ماله الخاص سور الجامع الكبير الواقع في جهة البحر ، وانه كان مفتياً ، ولما عزل من الافتاء عام 1028 خلفته فيه الشيخ سعيد قدورة حينما عاد الى مدينة الجزائر بعد ما اكمل دراسته بفاس .

لم أقف على تاريخ وفاته ، ووجدت في كتاب (مختارات مجهولة من الشعر العربي) قصيدة رثاه بها الشاعر محمد القوجيلي رايت اثباتها فيما يلي للمناسبة :

ما للأماني اخلفت ميعادا	ما للمسرة اعقبت انكادا
ما للليالي كلما قلنا لقد	ابدت صلاحاً تستحيل فسادا
ما للمنايا تصطفي اخيارنا	ما للدواهي فرقت انكادا
ما للمحب يبين عنه حبيبه	هذي الرزية قطعت اكبادا
كم من مصائب قد مضت فنسيتها	والدهر يردد برقه ارعادا

381 (روضة الآس ص 108 ونشر المثنائي 1 : 226) جعله القادري ممن توفوا في ذلك العام ولم يعرف به) .

ومصيبة' الزروق اعظم رزئه
خطفته من بين الأحبة بغتة
ناديته والترب' حائل بيننا
ما لي اراك عن الاجابة حائراً
أجفوتني؟ حاشاك تجفو صاحباً
نادى لسان' الحال هيهات اللقاء
فسكبت' امثال' (النجيع) مدامعاً
اني على الزروق باك' كلما
تبكي الدفاتر' عند فقد' انيسها
خل' وفي' صادق' ومؤانس
حبر' نجيب' عالم' متبـدع
فعليه مني كلما هبت صبا
من كان مسرورا بموتك فليعد
فعليه رحمة' ربنا وسلامه

حلت بنا فإبادت الاطوادا
ايدي الزمان واودع الألحادا
رمت' الجواب' فما وجدت' مرادا
والعهد' منك تجيب حين تنادي
يبكي عليك ويكثر التعدادا
الا بجنات الخلود معاددا
وحرمت' عيني ان تنالَ رقادا
ذكرَ الحبيب' ولا اطيع' جلادا
حتى المحابر لا تليق مدادا
صافي السريرة فاقَ من قد سادا
متفنن' فاق السراة' وزادا
تسليم' مشتاق لقبرك عادا
للموت درعاً مانعاً وجوادا
وأمده رضوانه امدادا

وهو غير سميّه وبلديّه الأديب الكبير احمد ابن عمّار اتي
الترجمة مع أحمدى القرن الثالث عشر (382)

(1542) احمد بن يحيى التينزري ، فقيه من ناحية سوس بالمغرب
الأقصا يعرف بنسبته الى بطن تينزرت من قبيلة الرحالة باقليم رودانة ،
أخذ عن الشيخ مسعود بن علي الهشتوكي ، وكان يدرس بالمسجد الجديد
برودانة ويجتهد في تعليم الطلبة ، ويصلي بالناس التراويح في ليالي
رمضان فيصلي معه خلق كثير لحسن صوته وترتيله ، ثم دعاه داعسي

(382) تاريخ الجزائر الثقافي 2 : 236 و 292 ومختارات مجهولة من الشعر
العربي ص 130 وصفحات من تاريخ مدينة الجزائر ص 279

الشوق الى الحج فسافر خفية دون ان يعلم احد بشأنه ، وتأسف الناس لما علموا بسفره ولم يجدوا من يقوم مقامه .

توفي بمكة المكرمة بعد فراغه من حجه في شهر ذي الحجة عام 1030 (383) .

1543) احمد بن مسعود الهوزالي ، قاضي مغربي من اهل ناحية سوس ، اخذ عن ابن اخيه سعيد بن علي الهوزالي وعيسى الجراري وعلي بن احمد الحياتي ، وكان مشاركاً في فنون كثيرة عارفاً بالتوازل ممارساً للأحكام ، تولّى القضاء ببعض جهات سوس ، وكان يأخذ أجره في الأول من الأحياس (384) وسكان القبيلة على عادة قضاة ذلك العهد ، ثم تورع فرداً للأحياس والناس ما اخذ منهم ، وانصرف الى التكسب بالفلاحة والتجارة فأثرى واجتمع له مال كثير .

قال عبد الرحمان المناري (385) في مؤلفه (الفوائد الجمعة) : لما ابتليت بقضاء تارودانت (رودانة) كتب صاحب الترجمة إليّ ما نصه : بلغني انهم ابتلوك بالقضاء ، فسرتني ذلك مرة وساءني مراراً ، فعليك بتقوى الله واتباع العلماء والتأني في الأمور ، والله يّعينك ، والسلام .

توفي في رمضان عام 1030 وقد أضاف على التسعين (386) .

1544) احمد بن محمد القسطلي ، فقيه من مدينة مراكش من حفيدة الشيخ ابي عمر القسطلي ، اخذ عن الشيخ عبد الرحمان الفاسي الملقب بالعارف التفسير والحديث وغيرهما .

(383) طبقات الحضبيكي I : 49

(384) الأحياس ج حبس بضم الباء : الوقف

(385) نسبة الى قرية المنارة (بربريها تمنارت وبهذه الصيغة تعرف اليوم) .

(386) طبقات الحضبيكي I : 47 ومعلمة المغرب 3 : 896 والمصول 7 : 51

وصفوة من انتشر ص 106 والفوائد الجمعة (مخطوطة مصورة) ص 73 .

ورد ذكره في (نفح الطيب) في رسالة وجهها الفقيه الأديب محمد بن يوسف التاملي الى مؤلفه الفقيه الأديب احمد بن محمد المقرئ التلمساني يقول فيها : « اما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى بـ (ازهار الرياض ، في اخبار عياض ، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح" وللعلل ارتياض) فقد انتشر بهذه الأقطار المراكشية وانتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرجوم سيدي احمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي ابي عمر ، وكسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلباب القبول ، فما رءاه احد" الا نسخته ، وعندني النسخة التي كتبها بخطه السيد احمد المذكور بخط حسن ، وعلى هامشها في بعض الأماكن خطكم الرائق ، وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق » .

توفي في حدود عام 1030 (387)

1545) احمد بن عيسى النقسي ، مجاهد مغربي اشتهر - كرجال عشيرته - بمحاربة المحتلين الاسبانيين بناحية تطوان ، وتولى حكم هذه المدينة عام 1019 فضبظها وثبت الأمن فيها وفي ناحيتها واعساد اليهما السكنية ، وكانت تجري بينه وبين ممثلي الدول الأجنبية مفاوضات ومذكرات تتعلق بمنطقة حكمه استقلالا من غير رجوع الى سلطان شرعي في ذلك الوقت الذي كثر فيه الخلاف على الملك بين ذرية السلطان احمد المنصور السعدي .

كانت وفاته بتطوان يوم الاثنين 18 حجة عام 1031 هـ (24 اكتوبر عام 1622 م) ، وحضر جنازته خلق كثير ، وقبره معروف بأعلا مقابرها الى اليوم (388)

387) ازهار البستان (مخطوطة مصورة) ص 24 والاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 18 والبقايط الدرر 2 : 77 والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 : 302 ع 231 ونشر المثاني 1 : 234 ونفح الطيب 2 : 474

388) تاريخ تطوان 1 : 176 و 201 و 246 ومناهل الصفا ص 49 طبع تطوان ،

1546) أحمد بن موسى المرابي ، متصوف زجال من اهل فاس واصل سلفه من الأندلس ، كان فقيهاً اديباً عارفاً وراقاً (389) حسن الصوت فصيح اللسان يسرد كتب السير والتصوف صباحاً بجامع القرويين ، صحب الشيخ رضوان الجبّوني وبعده الشيخ يوسف الفاسي الشهير بكنية أبي المحاسن ، وله مقطعات شعرية تقيّد فيها بقواعد اللغة ، وازجال موشحات سلك فيها مسلك الزجالين والشّاحين لا يتقيد بنحو ولا صرف ، ولذلك شبّهه معاصروه بعلي الشُّشْتُرِي في القُدّامى ويعبد الله العثماني الذي يُخَيَّلُ اليّ انه كان معاصراً له او قريباً من عصره .

له كتاب في مناقب شيخه رضوان المذكور سماه (تحفة الاخوان ، ومواهب الامتتان ، في مناقب الشيخ رضوان) ، ، وديوان شعر سماه (روضة العشاق ، وانيسة المشتاق) وقف عليه الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي مكتوباً بخطه ، ونقل بعض ما فيه في كتابه (ابتهاج القلوب) .

فمن ذلك قوله :

لقد طال شوقي واكتتامي لحبها	ودمعي ابي يبيدي الذي انا حامل
واني غلى ليلى اموت صباية	ومن لم يمت في حبها فهو جاهل
اهيم بها ما دمت حياً وان امت	اقاخر من يهوى لها واصايل
حنيني اليها كل حين ومهجتي	لها امل في وصلها ووسائل

وقوله :

389) الوراق : فقيه ينتصب على كرسي بمسجد ، يتصفح اوراق كتب الحديث والسيرة النبوية والتصوف ويتلو ما فيها من مواعظ بصوت حسن على الحاضرين ، وكان لكرسي الوراق احباس وفيرة يعطى ريعها لمن يتولى الوعظ فوقه ، وقد استمر ذلك الى ان بطل في السنين الاخيرة

وايُّ محبٍ راحٍ بالحبِّ سالما
وان لم تكنُ تهوى فكنْ لي راحما

كذا كلُّ مَنْ يهوى يقاسي بحبه
فداوِرِ كِلامَ الحبِّ بالصبرِ يافتى

وقوله :

وقلبي المعنَى تحتَه صبور
وفي قبضة المحبوب قلبي اسير

كتائبُ اهواءٍ على القلبِ قد رستُ
مقيمٌ كما شاء الحبيبُ وكيف لا

وقوله في الرسول عليه السلام :

على سيد السادات من آل هاشم
ابو القاسم المختارُ شمسُ العوالم

صلاةٌ وتسليمٌ كسحُ الغمامِ
هنائي ، منى قلبي ، ومالكُ مهجتي

وقوله من زجل اولئه :

نصارِ المحبِّ والوداد
فيك انْجَمع كلُّ المراد

حبك زند لي في الفؤاد
ياراحة القلب العليل

* * *

اخرجتُ من سجنِ الأسي
فصرتُ بيكَ مُؤنَّسا
من الصباحِ الى المساء

لما بدا منك القَبول
وزجَّ في عيني الوصول
ولستَ من قلبي تقول (390)

* * *

مَنْ ذا يطيقُ عنك البعاد
فيك انْجَمع كلُّ المراد

وكمُ كلَّي لكَ يميل
ياراحة القلب العليل

ومن موشحاته الموشحة التالية (39I) قالها في شيخه
يوسف الفاسي :

ياهلٌ ودي طيَّبوا سمعي بمَن
سيدي وبغيّتي قطبُ الزمان
طابتُ أنفاسي
يوسفُ الفاسي

* * *

ياله من سيّدٍ احيى الطريق
وقلوبٌ اشرفتُ منه حقيق
عارفٌ بالله محسنٌ شفيق
طيبُ الحالاتُ
بعد ما ماتتُ
ويهِ طابتُ
طيبُ الحالاتُ

* * *

بحرٌ من نورٍ وعرقانٍ لمَن
سيدي وبغيّتي قطبُ الزمان
قلبه قاسي
يوسفُ الفاسي

* * *

ياله من سيّدٍ احيى الطريق
جاءنا بسنة الهادي حقيق
وعلومٍ ترتضى منه تريق
آخرَ الأزمان
النجي العدنان
ادمعَ الأجفان

* * *

قد بدت للطلابين بالعيان
هوَ شيخُ الوقت هوَ عينُ الزمان
توقظ الناسي
يوسفُ الفاسي

* * *

(39I) هذه الموشحة وردت مرتين في كتاب (ابتهاج القلوب) مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان ، وقد اعدنا ترتيب النصين حسب اجتهادنا من غير تصرف فيهما .

شيخ لم يلف بفاس مثله
كل من ياتي ويدخل حزبه
لم يره اصلا مليحاً غيره
ما له ثاني
قاصر او داني
سيما الجاني

* * *

حين يلفظ بعلوم كالجمان
سيدي وبغيتي قطب الزمان
توقظ الناسي
يوسف الفاسي

* * *

لو رايتم سيدي في حضرته
بيدو نور طالع من وجنته
كانه ظبي ربي في روضته
يشبه السلطان
يسحر الأذهان
جنة الرضوان

* * *

فهنيئاً لي بدا لي بالعيسان
ورضاً عني وبلغني الأمان
بين جلّاسي
يوسف الفاسي

* * *

كل من يهواه نال ما يريد
نال عزاً وافتخاراً في العبيد
سعد من اضحى خديماً او مرید
من جميع الاشيا
ورقا العليا
له في الدنيا

* * *

ايها الندمان خل من ومن
من شراب قطبنا شيخ الزمان
واملا لي كاسي
يوسف الفاسي

* * *

كيف لا يعلو ويزهو مَنْ يكون
نَالَ منه العزَّ والسرَّ المصون
يا حياة القلب يا نور العيون
شيخه المحذوب
وغدا محبوب
انت لي مرغوب

* * *

مذ بدت انواره لناظري
زدت فيه غبطة بخاطري
هو قوت الروح ذخري ناصر
نلت مرغوبي
صار محبوبني
هو مشروبي

* * *

انت هو عين الرضا والامتنان
جد على عبد (محب لك) لا
طب افلاسي
تقطع اياسي

* * *

نعم مَنْ ادخلني حصن الامان
سيدي وبغيتي قطب الزمان
وذهب باسي
يوسف الفاسي

* * *

مَنْ يرد يسقى ويدرك المنى
يقصد الفاسي وينظر لسنى
سعد مَنْ يهواه او منه جنى
ويرى الانوار
وجهه الاقمر
خمره الاطهر

* * *

لم يزل بيدي علوما للعيان
قد بدت للحاضرين من جنان
بين جلاسي
يوسف الفاسي

توفي عام 1034 (392)

(392) ابتهاج القلوب (مخطوطة مصورة) ص 169 و 251 والتقاط الدرر 2 : 84
والاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 19 وايضاح المكنون ص 18 وطبقات الحفيكي
1 : 73 ونشر المثاني 1 : 263 وصفوة من انتشار ص 225 وسلوة الانفاس 2 : 261
وهدية العارفين ص 156

1547) احمد بابا بن احمد التنبكتي السوداني ، فقيه كبير من السودان المغربي (جمهورية مالي الحالية) ومؤرخ شهير لفقهاء المذهب المالكي ، ينتمي الى أسرة اقيت ذات المجد والثراء والصيت الذائع في الفقه والقضاء ، وهي أسرة" ترجع بنسبها الى قبيلة مسوفة الصنهاجية .

ولد بتنبكتو ليلة الأحد 21 ذي الحجة عام 963 هـ (26 أكتوبر 1556 م) ، ونشأ بها جاداً في طلب العلم وتحصيله . فحفظ بعض المتون الشهيرة واجال النظر والفكر في عديد من الأمهات تفسيراً وحديثاً وفقهاً وأصولاً ونحواً وبيانا وتصوفاً ، مستعينا على الادراك والتحصيل بعسده من الفقهاء من آل بيته واهل بلدته كوالده احمد بن الحاج احمد بن عمر ، وعمه ابي بكر بن الحاج احمد بن عمر ، والشيخ محمد بغيغ الونكري ، وهم عمدته في كل ما قرأ ، لاسيما الأخير منهم ، واجازه عدد من كبار العلماء بالمغرب والمشرق .

واشتغل احمد بابا في صغره بما يشتغل به امثاله من اولى البيوتات العلمية الغنية ، فكان يعلم ويتعلم ويكاتب العلماء ويطالع ويؤلف حتى اصبح من ذوي الكلمة المسموعة وممن تتجه اليهم الأفكار والأنظار لاصلاح ذات البين وحل المعضلات والافتاء بمقتضى الشرع ، وقد كانت هذه المكانة سبباً له ولأسرته في محنة طالت اربعة عشر عاماً ، وبيان ذلك ان اهل السودان لم يرتاحوا للحكم المغربي واخذوا يعدون العدة للثورة عليه ، فبلغ ذلك الباشا محمود ابن زرقون قائد الجيش المغربي بالسودان ، كما بلغه ان آل اقيت - أسرة احمد بابا المترجم - ربما يتزعمون حركتهم ، فأمر باعتقالهم واعتقال جملة من اعيان تنبكتو معهم بلغ عددهم جميعاً نيفاً وسبعين نفراً ، وكان ذلك يوم الأربعاء 24 محرم عام 1002 ونهبت ساعة اعتقالهم كتبهم وامتعتهم ، ومنها كتب المترجم ، ذكر صاحب (بذل المناصحة) انه سمع الشيخ احمد بابا يقول : انا اقل عشيرتي كتباً ، وقد نهب لي الف" وستمئة مجلد ، وفي يوم السبت 25 جمادى الثانية أرسلهم

الباشا محمود ابن زرقون مصفدين في الاغلال الى مراكش بعد ما اقاموا في السجن خمسة اشهر ، وعانوا خلال طريقهم الطويل - رجالا ونساء وءاباء وبنين وحفدة - من المصاعب والمشاق ما لا يطاق ، حتى ان المترجم سقط عن ظهر الجمل الذي كان يركبه واندقت قدمه ، ويحكي انهم لما كانوا في طريقهم الى مراكش مروا بقريّة امسكندف (393) فخرج فتيانها للمتفرج عليهم فرأوا من بينهم الشيخ احمد بابا وكان قبيح الصورة ذا شفتين غليظتين ، فأخذوا يخزون شفتيه بالشوك ، فأجال فيهم عينيه فرءاهم كالجعلان (394) قبيحاً وسواداً ، فتلا قوله تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكدا) ! ثم دعا عليهم بدعاء سيء نكروا ان تأثيره ظهر في اهل تلك القرية (395) ، فلما وصلوا مراكش في I رمضان اقيموا بها مع عيالهم جميعاً في حكم الثقافة (396) واستمر ذلك الى ان امر السلطان احمد المنصور السعدي بتسريحهم يوم 2I رمضان عام 1004 هـ بعد ما شرط عليهم ان لا يخرجوا من المدينة .

ويذكر ان السلطان ابدى رغبته في الاجتماع به والتذاكر معه بعد خروجه من السجن ، فلما ادخل عليه بقصر البديع وجده المترجم يكلم الناس وراء حجاب ، بحيث يسمعون صوته ولا يرون وجهه ، فقال له : ان الله تبارك وتعالى يقول: (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب) ، وانت

393 امسكندف قرية كانت في بسيط تلوين وسط ااقه ، خربها سيدي الهاشم بن علي الايليغي

394 الجعلان بكسر الجيم جمع جعل بضم اوله وفتح ثانية : نوع من الخنافيس

395 من خلال جزولة ج 3 ص 80

396 قال عبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان ص 112 : وفي ثامن عشر من ذي الحجة الحرام آخر شهور العام الثاني بعد الألف ورد في مدينة تنبكتو كتاب الفقيه القاضي ابي حفص عمر بن الفقيه القاضي محمود ببشارة وصولهم مراكش سالمين .

تشبّهت برب الأرياب ، فان كان لك حاجة في الكلام معنا فانزل الينا وارفع الحجاب عنا ، فنزل السلطان ، فسأله احمد بابا عن السبب الذي دفعه الى نفيه من تنبكتو والاتيان به الى مراکش وامتحانه ، فأجاب السلطان : اردنا ان تجتمع الكلمة ، فقال له احمد بابا : هلا جمعت الكلمة بترك تلمسان وما يليها من البلدان ؟ فانهم اقرب اليك منا ، فأجاب السلطان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اتركوا الترك ما تركوكم) ، فردّ عليه احمد بابا قائلاً : ذلك زمان ، وبعده هذا زمان ، قال ابن عباس : (لا تتركوا الترك وان تركوكم) ، فسكت السلطان .

وخفّف اطلاق سراحه بعض ما كان يجد من اسى في نفسه وهو في السجن ، وطلب منه ان ينتصب لأقراء العلم فامتنع في الأول ثم قبل واقبل على التدريس ، وكان يعقد لذلك مجالس بجامع الشرفاء المسمّى اليوم بجامع المواسين يدرس فيها الحديث والتفسير والفقه والاصول والسيرة والتصوف ، وكان الطلبة يحضرون دروسه بكثرة لتضلعه في الفقه ومعرفته بتراجم الرجال رغم ما كانوا يجدون من الصعوبة في فهم كلامه بسبب لكنته السودانية ، كما كان يحضر تلك المجالس عدد مماثل من رجال الدولة والفقهاء والعلماء الذين كانوا يتعاطفون معه لعلنه ولما لقي من شدة اثناء اعتقاله ونفيه وثقافته ، واكثرهم لم يكن متفقاً مع السلطان احمد المنصور في غزو السودان ولا راضياً باسترقاق اهله المسلمين ، ومن اشهر هؤلاء العلماء ابو القاسم بن ابي النعيم الغساني قاضي القضاة بفاس ، ومحمد بن عبد الله الرجراجي مفتي مراکش ، وعلي بن عمران السلاسي الفاسي ، واحمد ابن القاضي متقدم الترجمة ، ومحمد بن يعقوب الايسي الاديب المؤرخ الخ ... وبسبب هذه المجالس العلمية ذاع صيته كفقيه محقق ، وصار الناس في مراکش وفي الآفاق يستفتونه في مسائل يحبون معرفة حكم الشرع فيها ، فكان يتطوع بالاجابة عن اسئلتهم ، وعيّنّه المخزن (الحكومة) للفتوى مرات عديدة ، فكان يتنصل منها ويسال الله ان يصرفها عنه .

وكما نشط احمد بابا في التدريس والافتاء نشط في التأليف لما وجدته في مراكش من باعث عليه لكثرة مَنْ بها من العلماء والأدباء ووفرة ما بها من خزائن الكتب ، حتى ذكروا انه الف خلال المدة التي قضاها بها تسعة وعشرين كتابا ، وقد صرح هو في غير ما موضع من كتبه بفضل مراكش عليه في تأليف ما لَفَّ ، منها قوله في مقدمة (نيل الابتهاج) : « فقيدت فيه بحسب المنة والامكان وذلك حين كنت ببلدنا البعيد عن نيل المقصد من ذلك حتى تفضل عليّ مَنْ له الفضل ، وأحسن اليّ مَنْ له الطَّوْل ، سبحانه عزَّ وجلَّ ، بوصولي الى منبع العلم في الديار المغربية ، حضرة الامامة العلية ، المولوية الهاشمية ، الأحمدية المنصورية ، حاطها الله من طوارق الزمان ... فرايت بها اسباب السعادة متيسرة ، وايادي الأمانى فيها مبدولة .. ونشددت الضالة فوجدتها اقرب من ظلي ... فبادرت حينئذ الى كتب ذلك الدليل ... ورايت حضرة مَنْ تسمو الآمال لسدة بابيه ، ويسعى الخلق لخدمة ركايبه ، مالك المغربيين بالأسل والنصال ، ما بين قطر الجنوب والشمال ، عالم الملوك وملك العلماء ، فخر السلاطين الكرام ، ابي العباس مولانا احمد المنصور ... فبادرت الى اخذ حظي من خدمة خزائنه المشتملة على الظم والرم من كتب العلم ،

وكان يزور بمرآكش اصدقاءه من الفقهاء ويكتب العلماء شرقاً وغرباً ، ويحيز من طلب اجازته ، كما كان يتردد على اضرحة مَنْ اقبير بها وبجهااتها من الصالحين كآبي العباس السبتي وابي عبد الله الهزميري دفين اغمات .

وباختصار فان لمراكش فضلا كبيرا على ما عرف له من نشاط في ميداني التدريس والتأليف ، كما ان ابعاده اليها واقامته فيها كانا من اهم الأسباب في ذبوع شهرته وانتشار صيته الى ما وراء حدود المغرب السعدي من تلمسان والجزائر وبجاية .

ولما توفي السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1012. وقامت
الفتن والحروب بين إبنائه على قدم وساق طلباً للملك وحباً في الرئاسة
خفاً عن المترجم ما كان يعاني من ضيق وصار في امكانه ان يسافر من
مراكش الى غيرها من مدن المغرب وقراه ، ويظهر من كلامه انه دخل فاساً
وزار بها قبر الفقيه دراس بن اسماعيل والفقيه علي بن حرزهم (حرازم)
دقين خارج باب فتوح ، كما وجد في بعض التقايب
انه تلا على بعض اهل فاس حين اتاها هذه الآية الكريمة
من سورة الأحقاف (اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)
فتلّسوا عليه الآية الكريمة من سورة الرحمان (ولمن خاف مقام ربه
جنتان) ! وتبقى زيارته لفاس على ذلك امراً غريباً ، لأن احداً من المؤرخين
المعاصرين له - كأحمد ابن القاضي وأحمد المقرئ او الذين جاءوا بعده
كمحمد اليفرني ومحمد القادري - لم يشر إليها ، مع انه ذكر دخوله فاس
أكثر من مرة في كتابه (كفاية المحتاج) الذي كان في متناول ايديهم ، ومن
المراجع المعتمدة في كتبهم (397)

وفي عام 1016 انتهى السلطان زيدان السعدي محنة أحمد بابا
المترجم بالنفي الذي طال اربعة عشر عاماً واثن له بالرجوع الى بلده ،
يحكى انه وعده بذلك اثناء الفتن والحروب التي قامت بينه وبين الأمراء
من اسرته بعد موت ابيه (398) ، قائلاً : لئن منّ الله علي بدار أبي لأسرحك
واعيدك الى دار ابيك ، وكتب له بذلك عهداً ، فلما استقر زيدان في ذلك العام
بدار الملك بمراكش صادف أحمد بابا يكاد يختم تفسير صحيح الامام
البخاري ، وفي يوم الختم حضر زيدان حفلته ، فاستنجزه المترجم

397) انظر مثلاً قوله في آخر ترجمة علي بن حرزهم من (كفاية المحتاج) :
قلت وقد زرت قبره بفاس

398) ذكر عبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان ص 218 ان السلطان
زيدان السعدي وعد المترجم بتلك في حياة ابيه ، وهو امر مستبعد وغير معقول .

في نهايتها الوعد واستوفاه العهد ، واستظهر بالورقة التي كتب له فيها
عهده ، فما وسعه الا ان ينجز له ما وعده به ، ويأذن له بالرجوع الى دار
ايه بتنبؤكتو ، فخرج من مراكش مسرعاً لا يلوي على شيء ، مخلفاً في مقابرها
عدداً كبيراً من افراد أسرته واعيان تنبؤكتو الذين كانوا منفيين معه وحصدهم
فيها منجل' الأوبئة المتفشية يومئذ في المغرب حصداً ، ولما كان
خارجاً اخذ بعض مشيعيه بيده وتلا عليه قول الله تعالى (ان الذي فرض
عليك القرآن لَترادك إلى مَعاد) ، فنزع يده من يده بسرعة وقال له :
لا ردني الله الى هذا المعاد ، ولا ارجعني الى هذه البلاد !

وسار احمد بابا الى بلده عن طريق درعة وقيلالة ، ومرّ في طريقه
بقرية مكروطة (تامكروت) التي تبعد عن مراكش 400 كلم من جهة الجنوب
الشرقي ، فأقامَ فيها بعضَ الوقت ، وحررَ فيها فتواه المسماة (اللمخ ،
في الاشارة الى حكم طَبَخ) التي فرغ منها يوم 19 جمادى الثانية عسام
1016 ثم واصل سيره حتى بلغ تنبؤكتو يوم الثلاثاء 10 ذي القعدة من نفس
العام (26 يبراير سنة 1608 م) ، ولم يكن استقباله فيها مَرَضياً حتى انه قال
لأهلها : انتم تدخلون النارَ باطلا ! واقام بها العشرين سنة الأخيرة من
حياته يؤلف ويدرس ويفتي الى ان ادركه بها الموت .

ويقال ان السلطان زيدان ندم على الاذن له بالرجوع الى بلده ،
وارسل في اثره من يحاول اقناعه بالعودة الى مراكش ، فأدركه قد قطع
وادي درعة ، فلما عرض عليه رغبة السلطان في الرجوع امتنع ورفض ،
وواصل سيره الى بلده .

* * *

كان احمد بابا دميم الخلقة اسود اللون غليظ الشفتين ، يتكلم
العربية بلهجة سودانية تجعلها لا تكاد تُفهم ، وقد تقدم انه لما مرّ مع
عشيرته بأمسكُف وهو في الطريق الى منفاه بمراكش وقف فتيانها

يسخرون منه ويستهزئون لغرابية شكله ، وكان حاد المزاج جريئاً في مقابلة
العظماء ، يدلُّ على ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين السلطان احمد
المنصور بعد اطلاق سراحه ، وامتناعه في الأول من التدريس والفتوى لما
عرضا عليه ، واستفزازه لأهل فاس ، وقولته الجافة للرجل الذي خرج
لتوديعه يومَ اذن له السلطان زيدان بالانصراف عن مراكش والرجوع الى وطنه.

ولم يكن كاتباً بارعاً ولا شاعراً مطبوعاً (399) ، والأبيات التي ذكرها
له مترجموه في الشوق الى كاغو والحنين الى سنكري والأخرى التي ذيل بها
بيتاً في الرغبة في الأكل تنحط عن مستوى انظام الفقهاء لفظاً ومعنى ووزناً
وقافية ، ولهذا لم نشأ اثباتها في هذه الصفحات (400) ، كما انه لم يكن
سوى فقيه حافظ من جملة الفقهاء الحفاظ الذي ظهوروا في هذا الجناح الغربي
من العالم الاسلامي في القرنين الهجريين العاشر والحادي عشر لا يتميز
عنهم باجتهاد ولا عرف له رأي "مخالف" لما عرف لهم من آراء ، سوى
قوله بحلية التبغ (طابا - الدخان) وقولهم بتحريمه ، استناداً منه الى القاعدة
الأصولية التي تقول ان الأصل في الأشياء الحلية الا ما ورد نص صريح
بتحريمه ، ورغم ان علماء وقته ومن جاء بعدهم من العلماء والمؤرخين
بالغوا في الثناء عليه واطنبوا في ذكر مواهبه وتنافسوا في الحصول على
اجازته (401) فان النظر في آثاره الفقهية واللغوية لا يدل على مواهب
خارقة ، وأظن ان شهرته وتعاطف الناس معه انما جاءه من معاناته ومحنته ،
ومما كتبه عن فقهاء المذهب المالكي من كتب اصيحت مرجعاً لا يستغنى
عنه .

(399) انظر صفوة من انقشر ص 55

(400) انظر الابيات التي يتشوق فيها الى كاغو في نزهة الحادي ص 98 وابياته
في الاكل في روضة الاس ص 313

(401) انظر اجازتيه لأحمد المقرئ في روضة الاس ص 304 و 305

وينبغي ان لا ننسى ان الرجلَ كان خرافى الفكر يدعيه ، فقد
ذكروا انه زار في مراکش قبر الشيخ ابي العباس السبتي اكثر من خمسمئة
مرة ، وانه كان ياتي في كل زيارة ببطاقة مختوم عليها ويضعها على قبره
قائلاً : اني اسألك ما في هذه البراءة (402) ، وهذا يدل على غفلته وعدم
استفادته مما كان يحفظ من ابي واحاديث ويدرس الناس من عقائد ، لأن
عملاً مثل هذا يتنافى مع عقيدة التوحيد .

وقد خلّفَ احمد بابا عدداً وفيراً من المصنفات او عناوينها
احصاها بعضهم فبلغت نيفاً وستين عنواناً معظمها في اللغة والفقه واقلها
في المنطق والسير والتصوف والتاريخ ، وهي في جملتها بسيطة المبني
تافهة المعنى ليست الا ترجيعاً لما سبقه به الأقدمون ، كما ان بعضها
لا يتجاوز عدد صفحاته عدد اصابع اليد ، وبعضاً اخر
ليس الا فتاوي او اختصاراً لمؤلفات اكبر حجماً له او لغيره ، وبعضاً ثالثاً
يتكرر فيه العنوان لموضوع واحد ، واحسن كتبه المعروفة واكثرها تداولاً
الكتاب المسمى (نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج) والكتاب المسمى (كفاية
المحتاج ، لمعرفة من ليس في الديباج) ، كلاهما في طبقات اعيان فقهاء
المذهب المالكي ، ترجم في الكتاب الأول لأكثر من 800 من الفقهاء ،
وترجم في الثاني لـ 704 منهم لم يذكروا في كتاب (الديباج المذهب ، في معرفة
أعيان علماء المذهب) لابراهيم ابن فرحون اليعمري دفين المدينة المنورة ،
وقد طبع (نيل الابتهاج) طبعة حجرية بفاس عام 1317 هـ ثم طبع بالقاهرة عام
1329 هـ ثم طبع بها عام 1351 هـ على هامش (الديباج المذهب) ، وطبع اخيراً
طبعة انيقة بطرابلس الغرب سنة 1989م ، اما (كفاية المحتاج) فلم يطبع حتى
الآن ، وتوجد منه نسخ كثيرة بأهم مكتبات العالم الاسلامي واوريا ، نذكر منها
على الخصوص نسختي الخزانة الحسنية الملكية بالرباط المحفوظتين تحت عدد

68I وعدد 1970 وخمس نسخ اخرى مساعدة ، ونسختي* الخزانة العامة بالرباط المحفوظتين تحت عدد 709 ج و 2390 ك ، ونسخة خزانة ابن يوسف بمراكش المحفوظة تحت عدد 62 ... الخ . وقد قام السيد محمد مطيع الطالب بكلية الآداب بالرباط بدراسة (الكفاية) وتحقيقتها وتقدمَ بها عام 1987 لنيل دبلوم الدراسات العليا من الكلية المذكورة .

ومما ذكر لأحمد بابا من مؤلفات في التاريخ كتاب (درر السلوك ، بذكر الخلفاء وافاضل الملوك) الذي يقال ان نسخة خطية منه توجد بخزانة خاصة بتنبيكتو ، و (القول المنيف ، في ترجمة الامام ابي عبد الله الشريف) لخص به جزءاً لبعض التلمسانيين عرف فيه بمحمد بن احمد الشريف التلمساني وولديه ، و(اللآلي السندسية ، في الفضائل السنوسية) اختصر به كتاب (المواهب القدوسية ، في المناقب السنوسية) تاليف محمد بن ابراهيم الملالي ، توجد منه مخطوطتان بالخزانة العامة بالرباط محفوظتان تحت عدد 984 د وعدد 2100 د ، و (منظومة" في المبعوثين على راس كل مئة سنة) .

ومن مؤلفاته في اللغة (الابداء والاعادة ، في مساواة الفاعل للمبتدئ في شروط الافادة) الفه قبل تاليفه (النكت المستجادة) واختصره بكتيب او ورقات سماها (غاية الاجادة) ، وله شرح الفية ابن مالك في النحو سماه (النكت الوفية ، في شرح الألفية) و (شرح رجز المكودي) في التصريف ، و (المسك الأنم ، في معرفة هكلم) .

وله في الفقه مصنفات عديدة اكثرها في شرح مختصر الشيخ خليل بن اسحاق المصري أو جمل او احكام منه ، منها (شرح مختصر خليل) منه نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت عدد 1360 د وثلاث نسخ بخزانة الجامع الكبير بمكناس محفوظة تحت عدد 26 وعدد 49 وعدد 236 ، ومنها في جزئيات المختصر (افهام السامع ، بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع) ، و (انفس الاعلاق ، في فتح الاستغلاق ، من فهم

كلام خليل في درك الصداق) ، و(تنبيه الواقف ، على تحقيق وخصصت نية' الحالف) ، و(الزند' الوري ، في مسألة تخيير المشتري) ، و(فتح الرزاق ، في مسألة الشك في الطلاق) ، و(منن الرب' الجليل ، ببيان مهمات خليل) .. الخ الخ ، ومن اعماله الفقهية ايضاً (ترتيب جامع المعيار) لأحمد بن يحيى الونشريسي الطلمساني دفين فاس .

ومن تفاريق مؤلفاته (امتاع الاسماع ، بما قيل في اجراء الفضاظ الحديث مجرى السماع) ، و(تنوير القلوب ، بتكفير الأعمال الصالحة للذنوب) ، و(جلب' النعمة ، ودفع' النعمة ، بمجانبة الظلمة) ، و(خمائل' الزهر ، فيما ورد من كيفية الصلاة على سيد البشر) ، و(رسالة في التصوف) ، و(شرح' الصدور وتنوير القلب ، لبيان مغفرة ما نسب' للجانب النبوي من الذنب) ، و(اللمغ ، في الاشارة الى حكم طبغ) ، و(تحفة' الفضلا ، ببعض فضائل العلماء) حققه السيد سعيد سامي وترجمه الى الفرنسية الأستاذ' محمد زنيير ، وطبع النص العربي والترجمة الفرنسية معاً في سفر واحد معهد' الدراسات الافريقية بجامعة محمد الخامس بالرباط عام 1413 هـ - 1992 م ، و(معراج الصعود ، الى نيل حكم مجلب السود) ، اجاب به عن استفقاء وجهه بعض اعيان اقليم توات اليه والى علماء السودان حول العبيد المجلوبين من بعض جهات السودان التي تقرر اسلام' اهلها ، وقد انتقد كثير من العلماء ابحاثه فسي هذا الكتاب استرقاق بعض اصناف السودانيين لانهم كانوا لا يزالون على الكفر ، ومنهم الشيخ احمد الناصري الذي قال في كتابه (الاستقصا) :

ان تفصيل أبي العباس (أي' تفريق احمد بابا بين سكان السودان من حيث عقائدهم) إنما ينفع اهل تلك البلاد المجاورين لهم والمطلعين على المجلوب منهم ومن غيرهم ، فأما اهل' المغرب الذين هم من وراء وراء ، وبينهم وبين ارض السودان مهامه' فيح ، وقفار' لايعمرها الا الريح ، فمن

الذي يحقق لهم ذلك ؟ (403) ، ولهذا الكتاب نسخ " مخطوطة " متعددة ، منها ثلاث ' بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط ارقامها 3565 و 7248 و 7579 و اربع " بالخزانة العامة بالرباط ارقامها 100 ج و 194 د و 478 د و 1079 د و 1724 د ، وواحدة بالمكتبة الوطنية بباريس محفوظة تحت عدد 2559 A R A

وتتبع ما لأحمد بابا من مؤلفات ومختصرات وفتاوي وتحريرات وذكر اماكن حفظها امران طويلان فلنكتف بما ذكر .

وقد تتلمذ للمترجم جملة " من العلماء ، منهم من اهل المغرب محمد بن يعقوب الايسي المراكشي ، وابو القاسم الغساني الفاسي ، واحمد المنقري التلمساني ، واحمد بن علي الصنهاجي السوسي ، وعبد الرحمان المناري ، ومن اهل السودان المصطفى بن احمد ... بغيغ ' ومحمد كوزد الفلاني وعبد الرحمان بن عبد الله السعدي والحاج احمد ابن ابي فهدى .

وخلاصة القول في حق الرجل انه كان من حفاظ الفقه المالكي ، واكبر من انجبه بلده من الاعلام لكثرة ما الف وصنف وخالط من الرجال وخلف من التلاميذ والمتعاطفين ، وانه خليق بتكريم مسؤولي حكومة مالي التي اسست في مدينة تنبكتو مركزا ثقافيا سمته باسمه .

توفي بتنبكتو ضحوة يوم الخميس 6 شعبان عام 1036 هـ (22 ابريل سنة 1627 م) ودفن في جوار والده (404)

403 الاستقصا 5 : 133

404) ازهار البستان من 140 وازهار الرياض 2 : 76 والكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 20 والنقاط الدرر 2 : 86 والاعلام ، بمن حل مراكش واغامت من الاعلام 2 : 302 ع 232 و ايليج ص 28 وايضاح المكنون صفحات كثيرة ، ودرة الحجال (المقدمة) ص 15 طبع تونس ، ودليل مكتبة دار الكتب الناصرية ص 89 وروضة الآس ص 303 وطبقات الحضبيكي 1 : 43 وكفاية المحتاج (نسخة مرقونة - دراسة الاستاذ محمد مطيع) والمناهل (مجلة) ع 3 ص 178 و ع 6 ص 144 - 224 ومعجم المؤلفين 1 : 145 ونشر المثاني 1 : 151 و 271 ونوادير المخطوطات 1 : 252 وصفوة من انتشر ص 52 وفتح الشكور ص 31 ع 8 والفكر السامي 2 : 275 والفوائد الجمة (مخطوطة مصورة) ص 71

(1548) احمد محمد بن عيد العزيز الأندلسي ، عالم نحوي يظهر أنه من مهاجرة الأندلس ، ذكر عبد الله حاجي خليفة في (كشف الظنون) أنه شرح مختصراً شهيراً في النحو اسمه (بناء الأفعال) ، وسمي الشرح (مانح الغناء ، ومزيل العنا ، عن كتاب البنا) ، وأنه فرغ منه في شوال عام 1038

ولم اقف من خبره على اكثر من ذلك (405)

(1549) احمد بن ابراهيم الراسي البطوي ، فقيه من اهل ريف المغرب الأقصى ، وبطوية او بطوية التي ينتسب اليها قبيلة كبيرة كانت تسكن بجوار وادي نكور حيث مساكن قبيلة بني ورياغل الحالية ، ولها بطن يسكن شرقي مدينة وهران حيث تسمى باسمها بلدة ساحلية هناك ، بدأ المترجم قراءته اولا ببلده ، ثم انتقل الى تازة وتلمسان لمتابعة الدراسة ، واقام بالمدينة الأخيرة سنين عديدة حتى تفقه في كل فن ، ومن شيوخه بها محمد ابن مريم المليتي مؤلف كتاب (البستان ، في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان) ، ثم عاد الى قبيلته بطوية حوالي عام 996 هـ وانصرف الى العلم والتدريس وارشاد الناس ، وكان له حرص على نشر العلم واجتهاد في نصح المسلمين .

توفي عام 1039 (406)

(1550) احمد بن محمد بن علي السالمي ، فقيه كبير تولى الفتوى بمراكش سنين عديدة ، وصفه محمد اليفرنى في (صفوة من أنتشر) بالشيخ الامام الصدر الشهير ، وقال انه كان من اهل الرسوخ في العلوم ، والبراعة في المعقول والمنقول ، وذكر انه وقعت بينه وبين قاضي الجماعة

وفهارس الخزانة العامة بالرباط صفحات كثيرة ، وفهرس مخطوطات المكتبة الصبيحية صفحات كثيرة ، وفهرس الفهارس 1 : 113 - 294 وشجرة النور الزكية 2 : 198 ع 1157 وهدية العارفين ص 155

(405) كشف الظنون 1 : 255

(406) مطلب الفوز والفلاح (مخطوطة الخزانة الحسنية الملكية بالرباط - عدد 1667)

عيسى السكتاني محاورات في مسائل شتى ، وانه كان يرى في عشبة
الدخان الوقفَ عن التحليل والتحریم لتعارض الأدلة فيها ، وانه كان موسعاً
عليه في العيش متمولاً .

كتب إليه الفقيه محمد بن الحسن الأبيات التاليةَ يمدحه فيها عن
جواب أجابه به في نازلة :

يا ايها المؤتمرُ مراكشا	ألممٌ يربع الماجد العالم
الأوحد الصدر الجليل الرضى	مفتي الأنام أحمدَ السالمي
السالم الصدر البعيد المدى	في السؤدد البريء من ثالم
وحيثه من ملدم امريء	صباً به من بينه ألم
فما يزالُ بعد قرص النوى	حب لها شجو الحشا كادم
لله انت من مجيب شفى	مستأصل للوهم لا قالم
مقدر المعنى بلفظٍ حَلا	محرر مهذب سالم
فمن رأى ان لكم في الحجا	والعلم مثلاً فهو كالحالم

أخذ عنه يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحيجي

توفيَ في منتصف ذي القعدة عام 1040 (407)

1551) احمد بن سعيد بن يعقوب التَّملي الرجراجي ، فقيه" من اهل
سوس بالمغرب الأقصى ، تولى قضاء بلده المسمى بالعربية (تحت الرمال)
وبالشلحة دؤيمالسن ، وكان مشهوراً بالفضل والصلاح .

توفي عام 1040 ودفن ببلده تحت الرمال (408)

407) الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2:307ع233 ودرة الحجال
1 : 173 ع 218 وطبقات الحضيكي 1 : 48 وصفوة من انتشار ص 110 والفوائد الجمعة
(مخطوطة مصورة) ص 79 والسعادة الإيدية 2 : 132 واليواقيت الثمينة 1 : 28

408) طبقات الحضيكي 1 : 54 والمعسول 4 : 21

1552) احمد بن محمد المقرئ القرشي ، فقيه كبير ، واديب شهير طبقت شهرته الافاق بما التّفَ وأفتى وخطب وحدث ، خصوصا لموسوعتيه عن القاضي عياض ومحمد ابن الخطيب السلماني الآتي ذكرهما ، من اهل المغرب الأوسط .

ولد بتلمسان عام 986 هـ ، ويُنسبُ بها بيت " نبيه " شهير ، يُعرفُ اهلُه بأولاد المَقْرِي بفتح الميم وسكون القاف نسبة الى قرية بسـزاب افريقية تعرف بمقرّة جاء منها جدهم عبد الرحمان بن ابي بكر في القرن السادس صحبة الشيخ شعيب بن الحسين الاشبيلي الشهير بكنية ابي مدين ولقب الغوث متقدم الترجمة (2 : 15 ع 314) ، وبهذه الصيغة ، صيغة المَقْرِي ، عرفوا قديماً بتلمسان ويعرفون حديثاً بوجدة وتازة وفاس بعد ان انقطع نسلهم منها (409) ، وضبط بعضهم اسمَ مقرّة بفتح الميم وتشديد القاف فصاروا يدعون بأولاد المقرئ تارة وأولاد المَقْرِي تارة اخرى . وحكى المترجم الصيغتين معاً في كتابه (نفع الطيب) لما ترجم لجدّه محمد المقرئ قاضي القضاة بفاس (410) ، وقال ان على الصيغة الثانية (مشددة القاف) عول اكثرُ المتأخرين ، ويغلب على ظني انه هو لم يُعولُ عليها الا بعدما هاجر الى المشرق دفعاً لالتباسها بصيغة المَقْرِي (اسم فاعل أقرأ) التي قد تنقصُ دعوتَه بها من قدره وقدر أسرته ، لأن الاقراء هو دون ما كانوا ينتحلون من علم وادب بكثير ، واقلُ من الخطط التي تولوها بالمغرب كالتدريس والخطابة والافتاء والقضاء ، وقد بحثت بنفسي عن تلك القرية التي وقعت نسبةُ أسرته اليها ، وسألتُ عنها سكان الزاب ، ومنهم علماء وادباء ومؤرخون معاصرون كبار ، كالكتور ابي القاسم سعد الله ، فأكدوا

409) انقطع نسل آل المقرئ من تلمسان منذ القرن الماضي ، اذ هاجروا كلهم الى المغرب بعدما احتلها الفرنسيون ، ولم يبق ما يذكر بهم فيها الا دارهم الكبرى الكائنة بدرب السلسلة ، وهم اليوم موجودون بوجدة وتازة وفاس ، وقد تولوا بعد هجرتهم الى المغرب مناصب عالمية به ، كالتدريس بجامع القرويين والامانة والحسبة والباشوية والوزارة والصدارة العظمى (الوزارة الاولى) والرتب العالية في الجيش .

لي انها قرية" معروفة حتى اليوم هناك ، وانها مخففة القاف ساكنتها MAGRA كذلك ينطق بها الناس ، وكذلك تكتب في معالم الطرق ولافتاتها ، وهي تبعد 40 كلم عن مدينة بريكة ، و60 كلم عن المسيلة في منطقة الزيبان (الزاب القديم) (421) ، وكذلك ضبطها جغرافيون ومؤرخون كبار كياقوت الحموي وعبد الرحمان ابن خلدون واسماعيل ابن الأحمر ، وتؤديها صيغ' اسماء الكتب التي الّفت عن المقرئين ، مثل (النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقرّي) لمحمد بن احمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني (الحفيد) ، و(العنبر الشحري ، فيما أنشدنيه صاحبنا ابو العباس المقرّي) لمحمد بن علي الغماد الوجدي ، و(الورود العطرّي ، في قرشية بني المقرّي) لمحمد بن رشيد العراقي الحسيني الفاسي (II2).

وفي تلمسان نشأ المترجم' وتلقّى العلم من افواه من بقي بها - بعد الاستيلاء التركي - من الفقهاء والعلماء والأدباء ، وكان عمدته في التأديب والتعلّم عمه سعيد بن احمد المقرّي (توفي عام 1010 هـ) الذي تولى بها خطة الافتاء مدة ستين عاما ، قرأ عليه - من جملة ما قرأ - صحيح البخاري سبع مرات ، وروى عنه الكتب الستة بسنده الى القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي بأسانيده المذكورة في كتابه (الشفا ، في التعريف بحق المصطفى) ، وكان عمّه سعيد المذكور - الذي كان على صلة وثيقة بعلماء فاس - يُحِبُّ اليه الانتقال اليها لاستكمال

(411) ذكر الاستاذ عبد الرحمان الجيلالي في تاريخ الجزائر العام 3 : 244 انه يوجد مكان اسمه برج مقرة بتشديد القاف المفتوحة جنوبي جبال الحضنة على بعد نحو 20 كلم الى الشرق من مدينة المسيلة ، فعمل المقرئين جاءوا من القرية الاولى ساكنة القاف وبالنسبة اليها عرفوا في تلمسان ، ثم جاء من تخيل انهم جاءوا من برج مقرة مشددة القاف فنسبهم اليها ، والاول ارجح على كل حال لتواتر سماعه ، ووجود ما يرجحه .

(412) وعلى الصيغة الثانية مشددة القاف عول محمد الصغير اليفرنسي في تسمية كتابه (الوشي العبقري ، في ضبط لفظة المقرّي) .

قراءته وتوسيع دائرة العلوم والآداب التي حصل عليها ببلده ،
وطمعاً في أن يتبوأ منصبا علميا او سياسياً رفيعاً في دولة السلطان احمد
المنصور السعدي الملقب بالذهبي الذي كان قبيلة أنظار المسلمين في
المغرب العربي يومئذ ، وقد تقدمت لهم تجربة في ذلك عندما استقر جدهم
محمد المقري الكبير بفاس وعيّنهُ السلطان ابو عنان : فارس بن علي المريني
قاضياً للقضاة وبني له بها المدرسة المتوكلية (البوعنانية) المعروفة في
في طالعتها ، فاستجاب المترجم لنصائح عمه وعميل بوصاياها ،
وسافر الى فاس فوصلها يوم 4 صفر عام 1009 هـ فتيّ العود غضاً الاهاب
لا يتجاوز من العمر الثالثة والعشرين ، فنزل بدار القاضي عبد الوهاب بن
عبد الواحد الحميدي قاضي فاس الجديد ، وقصد يوم وصوله جامع القرويين
وحضر مجلساً للشيخ علي بن عمران السلاسي وناقشه في بعض المسائل
الفقهية التي اشكلت عليه ، وهو من هو يومئذ رسوخاً في الفقه وتضلّعا
فيه ، فاعترف له السلاسي وأنصفه ، ومن يومها طار صيته كل مطار ،
واقبل على الناس واقبلوا عليه ، وخالط الطلبة والادباء وخالطوه ،
واستجاز العلماء لنفسه وطلبوا الاجازة من عمّه سعيد بواسطته ، وكان
يبهرُ اساتيدَ فاس وتلاميذها بقوة عارضته وحضور بديهته وكثرة حفظه ،
حتى كتب جماعة منهم الى عمّه بتلمسان يشكرونه على اتحاف فاس به ،
ومنهم المؤرخ احمد بن محمد ابن القاضي متقدم الترجمة (5 : 311 ع 1538)
الذي كتب الى عمه رسالة ضمّنها قطعة شعرية منها هذه الأبيات :

قد ابهرت وغلّت لها الأسوام
قد بارك الله - به - السلام
جمع العلاء وزكت به الأحلام
لهداية بمناره الأفهام
بابن الأخ العلامة الصمصام

ارسلت للمغرب القصي بدره
جمع العلوم على حداثة سنّه
اكرم به من عالم علامة
بيت به طاق العلوم واسرجت
فجزيت خيراً ياسعيد عن الورى

ادبته هذبته علمته
ضاعت بكم يامقري سما العلا
دامت كرامتكم ودام المجد في
ما ان يقاس بعلمه بهرام (413)
وعلت بكم بين الوري اقوام
اكتنافكم ما جلست الأقالم

وصادف وصول المقري الى فاس وصول القائد ابراهيم بن محمد
الايسي اليها من مراكش لبناء سد بوطوبة المعروف خارج الباب الجديد ، فلفت
المقري نظره ، وكان القائد الايسي من بيت علم وسراوة ، فأراد ان يتحف
به مخدومه السلطان احمد المنصور السعدي ويزين به مجلسه ، فلما اتم
بناء السد صحبه الى مراكش حيث انزله بمنزله وغمره برا وكراماً ، ويحدث
المقري انه زار بمراكش بستان المسرة (المصاراة) في رمضان من عام
1009 هـ وان الفقيه المؤرخ ابن القاضي اجازه بها يوم عرفة من نفس العام ،
وان الفقيه السوداني احمد التنبكتي (5 : 333 ع 1547) اجازه بها في
منتصف شهر محرم من عام 1010 وانه شهد بها بعد شهرين حفلات المولد
النبي بحضرة السلطان احمد المنصور .

وتعرف المقري خلال اقامته بمراكش بطائفة من العلماء
والأدباء الذين كان قصر السلطان احمد المنصور يزدان بهم ، كأحمد
الصومعي (5 : 266 ع 1520) والحسن بن احمد المسفيوي وعبد العزيز
الفتالي وعلي بن منصور الشيطمي وسعيد الماغوسي ، واستجازهم
وشاركهم فيما كان يروج بينهم من مساجلات ومداعبات وقضايا علمية ، كما
ارتاد بها خزانات كتبها وفي مقدمتها خزانة السلطان احمد المنصور
وخزانة اخيه السلطان قبله عبد الله الغالب بالله ، وملا عيبته بمجموعة

(413) بهرام بن عبد الله الديرقي فقيه مصري ولد بمدينة فرية قرب
دمياط عام 734 هـ انتهت اليه رئاسة المالكية في زمنه ، أفتى ودرس وناب عن
القضاة في مصر ، واستقل به عام 791 - 792 هـ كان محمود السيرة لين الجانب ،
انتفع به الطلبة بعد صرفه عن القضاء ، له كتب كثيرة في فقه المذهب المالكي ،
توفى عام 805 هـ

نفيسة من الكتب والدواوين النفيسة التي اشتراها بماله او اهديت اليه ونقل بعضها الى بلده فكان اول من ادخلها اليه .

وفي يوم السبت 15 ربيع الثاني عام 1010 عاد الى فاس ، فأقام بها نحواً من ستة اشهر كانت ايامها حافلة بالقراءة والتحصيل والأخذ عن كبار العلماء كأبي القاسم : قاسم بن محمد الوزير الغساني (2 : 144 ع 423) وأبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني (2 : 148 ع 426) الذي اعتنى به وقضى له حاجات عند ولي العهد محمد الشيخ المامون ، ثم انقلب راجعاً إلى تلمسان يوم الخميس 17 ذي القعدة من نفس العام بعدما شاهد في المغرب عظمة الملك وأبهة السلطان ، واطن ان رجوعه العاجل اليها كان بسبب ما بلغه من وفاة عمه سعيد الذي ادركه اجله في ذلك العام .

ولم يمكث المترجم بتلمسان الا بقدر ما دبّر اموره وصفى علاقاته ، لان الشوق الى المغرب والرغبة في الاستقرار به استأثرا باهتمامه ولعبا بنهاه كما نحس بذلك في مواضع كثيرة من كتابه (روضة الآس) الذي شرع في تأليفه برسم خزانة السلطان احمد المنصور السعدي اثر خروج من فاس ، ولم يكن موت هذا السلطان عام 1012 ليغيّر رأيه ويصرفه عن الهجرة الى المغرب ، وكذلك نجده يرحل عن تلمسان في بداية عام 1013 هـ بصفة نهائية وفي نيته ان يستقر بفاس بصفة نهائية ايضاً ، ونفسه يتنازعها في ان واحد عاملان اثنان : عامل الارتياح بالاستقرار في موطنه الجديد ، وعامل الحسرة على فراق بلده الحبيب ، موطن اباائه واجداده ، ومستودع طارفه وتلاذه ، كما يحس بذلك قاريء مقدمة كتابه (ازهار الرياض) .

وفي فاس وجد المترجم ضالته المنشودة وحقق امله المرغوب ، من مجالس علم وخزانات كتب واندية فقهاء وعلماء ، فأخذ واعطى ، وعلم وتعلم ، وشارك فيما يشارك فيه امثاله من شؤون العلم والسياسة ، فتألق نجمه ، وعرف فضله ، وصار مجلسه بجامع

القرويين مجلساً مفضلاً عند طلاب العلم وعشاق الأدب ، واقبل العلماء' والأدباء' على سماع احاديثه وقراءة كتبه وتنافسوا في نسخها ، وطلب الكثير منهم اجازته والتمسوا الرواية عنه ، وازداد رفعة في اعيُن الناس لوقوفه اشرفَ المواقف دفاعاً عن قداسة الدين ووحدة الوطن لما استفتى السلطان' محمد الشيخ' السعدي الملقب' بالمأمون علماء فاس راجباً في تبرير تسليمه مدينة العرائش لاسبانيا بفتواهم ، وبلغ من علو شأنه ان وليّ الافتاء والامامة والخطابة بجامع القرويين في جمادى الأولى عام 1022 هـ خلفاً للفقير محمد الهواري ، وهي خطب لا تسند الا للراسخين في العلم والتقوى ، وكان يسكن - لما اسندت اليه هذه الخطب - دار الشيخ ابن عباد المحبسة على ايمة جامع القرويين وخطبائه ، واظن انها السدار الكائنة في الزاوية الواقعة بين درب ابن حيون والمدرسة المصباحية ، سكنها خمسة اعوام وبضعة اشهر .

وكانت الأحوال في المغرب يومئذ تسير من سييء الى اسوا بسبب تقاتل ابناء السلطان احمد المنصور السعدي وفساد اخلاقهم وتعاونهم مع نصارى اسبانيا ضداً على استقلال الوطن ووحدة ترابه ، حتى انعدم الأمن وغلّت الأسعار وانتشرت الأوبئة وهتكت الحرمات واخذ العلماء والأعيان بالظنة ، فوقف المقرري ازاء هذه الحالة مشدوهاً وازداد خوفه لما اتهم بالميل الى قبائل شراقة (414) الآتية من ناحية تلمسان والمستقرة بحوض سبو قرب فاس ، فعزم على الهجرة الى الحجاز (مستعملاً الى الحقيقة المجاز) ، فراراً من هذا البحر الخضم المصطخبة امواجه بالحروب والفتن والدسائس ،

(414) شراقة بقاف بدوية جمع مفرده شرقي تعني في عامية سكان المغرب العربي من يسكنون الجهة الشرقية وعكسها الغرابية والغريسي ، فساكن تازة شرقي بالنسبة لساكن فاس وساكن الرباط غربي بالنسبة لساكن مكناس : وشراقة هنا تعني القبائل التي آتت في العصر السعدي من ناحية تلمسان واستقرت بحوض سبو قرب فاس كمديونة وبني عامر وبني سنوس ، وهذه القبيلة تتبع اليوم اداريا دائرة قرية ابا محمد باقليم تاونات .

ولما اخبر تلاميذه واصدقائه بعزمه على الحج عزّ عليهم فراقه ، وكتب اليه صديقته الفقيه علي الشامي ممثلاً بما كتب به احمد ابن خاتمة الأنصاري (4 : 36I ع 1347) إلى بعض شيوخه :

اشمسَ الغربَ حقاً ما سمعنا بأنك قد سئمت من الاقامة
وانك قد عزمت على طلوع الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب بحق الله لا تقم القيامة (415)

ولكنّ توسلاتهم لم تثنيه عن عزمه ، فاستأذن السلطان عبد الله بن محمد الشيخ في اداء فريضة الحج التي ليس الى منعه من ادائها من سبيل ، وانشده ممثلاً بقول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

محبتي تقتضي مقامي وحالتي تقتضي الرحيل
هاذان خصمان لست اقصي بينهما خوف ان اميلا
فلا يزالان في خصام حتى ارى رايتك الجميلا

فأذن له السلطان بالسفر ، وكتب له مع الاذن هذا البيت :

لا اوحش الله منك قوماً تعودوا صنعك الجميلا

فنعم المقري بالا وطاب نفساً ، وسافر من فاس يوم 28 رمضان عام 1027 هـ (خارجاً منها كمائها بعد ان دخلها كمائها) (416) تاركاً المنصب والزوج والبنات والأم ، وشيعة بجان الخادم الذي يباب الجيسة - احد ابواب فاس - جماعة من اصدقائه وتلاميذه منهم تلميذه محمد اليفرني فأنشدهم

اودعكم واودعكم جناني وانثر ادمعي مثل الجمان
فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

(415) في الأثر: من اشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها .

(416) هذه الكلمة قالها ايضاً الفقيه الاديب الحسن اليوسي لما خرج من فاس ، وماء فاس يدخلها طاهراً نقياً ويخرج منها نجساً متسخاً

وسار نحو مدينة تطوان التي ابهر في ذي القعدة من مينائها - مرتيل -
قاصدا جزائر بني مزغنة ، وبين جوانحه نيران " مضطربة " حزناً على
فراق المغرب الأقصى (الذي تمت محاسنُه لولا ان سمسرة الفتن
سامت بضائع امنه نقصا ، وطما به بحرُ الأهوال فاستعملت
شعراء العيث في كامل رونقه من الزحاف اضراراً وقطعا
ووقصاً) على حد تعبيره .

ويحس قارئ مقدمة كتابه (نفع الطيب) بحزنه الشديد على فراق
فاس والمغرب الأقصى الذي اواه ووجد فيه مبتغاه مثلما يحس بحزنه
الشديد على فرق بلده الأول تلمسان من قراءة مقدمة كتابه الآخر (ازهار
الرياض) ، كتب في ذلك صفحات طويلة تضمنت نثراً بليغاً وشعراً انيقاً
ينعبر عن نار تكري حشاه اسفاً على بعده عن دار هجرته وحينئذ الى صحابته
الذين خلّفهم بها ، وكم يعجبني من ذلك القطعتان التاليتان اللتان خللَ بهما
نثره منشئاً او متمثلاً ، اولهما :

بكيته وقد يبكيك ما انت ذاكر
بكل خليج نممته الأزاهر
تساقط منه اللؤلؤ المتناثر
عبير وكافور وراح وعاطر
وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
وروحى وقلبي والمنى والخواطر
عهوداً مضت لي وهي خضر فواضر
فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
وايامنا سلك ونحن جواهر
بها ملك اللذات ناه وعامر
موارد افراح تلتها مصادر

واربع الاف اذا ما ذكرتها
بطاح وادواح يروقك حسنها
فما هو الا فضة في زبرجد
بحيث الصبأ والترب والماء والهوى
وما جنة الدنيا سوى ما ذكرته
بلادي التي اهلي بها واحبتي
تذكرني انجادهما ووادهما
اذ العيش صاف والزمان مساعد
بحيث ليالينا كغض شبابنا
ليالي كانت للشبيبة دولة
سلام على تلك العهود فانها

وثانيتها :
كساها الحيا برد الشباب فانها
نكرت بها عهد الصبا فكانما
ليالي لا الوي على رشد ناصح
انال سهادي من عيون نواعس
وليل لنا بالسد (417) بين معاطف
تمر الينا ثم عنا كأنهسا
وبتنا ولا واشر نخاف كأنما

بلاد بها عق الشباب تماشى
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
عناني ولا اثنيه عن غي لائم
واجني مرادي من غصون نواعم
من النهر ينساب انسياب الأراقم
حواسد تمشي بيننا بالنعائم
حللنا مكان السر من صدر كاتم !

وعانى المقرري في رحلته البحرية هذه احوالا قبل ان يحل بمدينة
الجزائر ، ولما حل بها وسمع به علماؤها وفقهاؤها اقبلوا عليه بوجه
البشر والايناس وقابلوه بحفاوة بالغة وانزلوه ضيفا عليهم ، وكانت مكانته
معروفة لديهم وشهرته بالعلم والأدب سبقتهم اليهم ، فعقد خلال مقامه
بين اظهرهم مجالس لاقراء الحديث ، وجرت بينه وبين احدهم : سعيد بن
ابراهيم قدورة مساجلات ومداعبات (418) ، ثم ركب السفينة وتوجه الى
تونس ، وعانى في رحلته الثانية من احوال البحر ومخاوفه مثلما عانى
في رحلته الأولى (419) ، ولا تحدثنا المراجع المطبوعة والمخطوطة التي
اطلعنا عليها - وهي كثيرة - بشيء عن مقامه بتونس سوى انه لقي بها
محمد بن ابي بكر البكري العثماني امام جامع الزيتونة الملقب بتاج العارفين

(417) السد هو سد بوطوية الواقع خارج باب الجديد ، وهو من ميانى
السلطان احمد المنصور السعدي واثاره بفاس كما تقدم ، وقد انقطع عنه الماء
في السنوات الأخيرة بعد ان حجز من منابعه ب (راس الماء) في سهل سايس
لامداد اهل فاس به للشرب في قنوات عصرية

(418) انظر منشور الهداية ص 223 وما بعدها .

(419) سترد في آخر هذه الترجمة عبارات يصف بها ما لقي في رحلته
البحرية من احوال .

ءاتي الترجمة ، وانه سافر واياه الى سوسة حيث ابخرنا معاً الى الاسكندرية
ومننا ذهبنا الى القاهرة فأقاما بها قليلا ثم واصلا السيرَ الى السويس
فأبخرنا الى جدة ، واتخذ المقري سبيلَه الى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة ،
فحجَّ وزار ، ثم انقلبَ راجعاً الى مصر في شهر محرم عام 1029 هـ
وفي نيته ان يعودَ الى المغرب الذي لم يجدَ صبِراً على فراقه كما نستشف ذلك
من قصيدة مخمسة قالها وهوَ يُغادرُ الحرمَيْن الشريفين وكأنه يعتذرُ
للنبيِّ (ص) غن رحيله عنهما وهي :

ياخيرَ خلقِ الله دعوةَ حائِرٍ يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلمُ في هواك سرائري وهوَ الذي ارجو لعفو جرائري
متوسلا بجنابك المتأطر
لولا حقوقَ عيَّنت بمغارب لمكثتُ عندك كي تتاحَ مآربي
ويكونُ في الزرقاءِ عذبُ مشاربي حتى احليَ من ثراك ترائبي
وانالَ دفناً في بقيع الغرقد

ولكنه لم يعدَ الى المغرب ، وانما شدَّ رحالَه بعد شهرين (ربيع الأول) الى
القدس الشريف فزار مآثره المقدسةَ ثم عاد بعد الزيارة الى القاهرة
فاستوطنها وتزوج بها سيدة من الأسرة الوفاية احدى اسرها النبوية ، وتكررت
بعد استقراره بها زيارته للحرمين الشريفين حتى بلغتْ عام 1037 خمس
زيارات عقد فيها مجالسَ علمية بالحرم المكي والروضة النبوية الطاهرة
والفَّ بعضاً من كتبه او صحَّحها ونقَّحها واجتمع بهديد من الشخصيات
العلمية التي تقدُّ عليهما من العالم الاسلامي كل عام بقصد الحجِّ والزيارة .

ويظهر ان المقري لقيَ بمصر عنَتاً من اهلها وسوءَ
معاملة من علمائها سببها الغيرةُ والحسد ، فكانت تقعُ بينه وبينهم
مشاحنات ، من ذلك انه حضرَ يوماً بسوق الكتب ، وهو يومئذ غيرُ معروف ،

فوقع في يده جزء من تفسير غريب تعرض فيه مؤلفه لمسألة فقهية عند شرحه لآية كريمة من سورة النور ذكرَ ما فيها من الخلاف وأعقبه تفصيلاً وتحقيقاً ، فاستوعب ذلك كله وحفظه على الفور ، واتفق أن اجتمع علماء البلد بعد ذلك في وليمة حضرها معهم ، فلما استقر بهم المجلس إذا سائل بيده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها ، فتناولها أول كبار الفقهاء الحاضرين وتأملها ولما لم يستحضر عنها جواباً دفعها للذي يليه فلم يحضره أيضاً جواب فدفعها للذي يليه ، وهكذا حتى وصلت ليد المقرئ ، فلما تناولها وتأمل ما فيها استدعى دواة وقلماً وكتب جواباً مطابقاً لما رأى في شرح سورة النور من الكتاب المذكور ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين ، فلما فرغ من الكتابة تعاطوا الورقة وسألوه عمّن ذكر ذلك ، فقال ذكرها فلان في تفسيره لسورة النور ، فأحضروا الكتاب فإذا الأمر كما ذكر ، فدخلهم الحسد بسبب ذلك .

وعلقَ الفقيهُ الأديبُ الحسنُ اليوسي على موقف علماء مصر من المقرئ فقال : وليس هذا ببدع ، فما زال هذا الجنس يتحاملون على من تواسموا فيه شفوفاً عليهم أو مزاحمةً في رتبة أو حظ الامن عصمه الله وقليل ما هم :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لدميم (420)

ويقال ان المقرئ سئل عن حظه بمصر فأجاب دخلها قبلنا ابن الحاجب وأنشد فيها قوله :

يا اهل مصر وجدت ايديكم في بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرى بأرضكم اكلت كتبي كأنني ارضه !

وانشد فيها قوله :

تركت رسومَ عزي في بلادي وصرتُ بمصرَ منسيَّ الرسومِ
ونفسي عفتها بالذلِّ فيهِــسا وقلتُ لها عن العلياءِ صومي
ولي عزمٌ كحدِّ السيفِ ماضٍ ولكنَّ الليالي من خصومي

وفي شهر رجب من عام 1037 سافرَ من القاهرة الـى
القدس الشريف وأقام به 25 يوماً سافر بعدها الى دمشق فدخلها في اوائل
شعبان واعجبته منظرها الذي يشبه منظر بليده تلمسان وفاس ، لاسيما
قرية الصالحية التي ذكر انها تشبه قرية العباد بتلمسان ، كما استحسنت
اخلاق اهلها ولين طباعهم وكرم انفسهم ، وارسل اليه احدُ علمائها
وسراتها احمد ابن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية ومعه هذه الأبيات :

كفّ المقريّ شيخي مقريّ واليه من الزمان مقري
كفّ مثل صدره في اتساع وعلوم كالبحر في ضمن بحر
ايّ بدر قد اطلع الغرب منه ملأ الشرق نوره ؟ اي بدر
احمد سيدي وشيخي وذخري وسميّي ، وذاك اشرف نخر
لو بغير الأقدام يسعى مشوق جنّته زائرا على وجه شكري

فأجابه المقري بقوله :

اي نظم في حسنه حار فكري وتحلّى بدره صدرُ نكري
طائر الصيت لابن شاهين ينما من بروض الندى له خيرُ زهر
احمد الممتطين ذروة مجد لعوان من المعالي وبكر
حلّ مفتاح وصله باب وصل من معاني تعريفه دون نكر
يابديع الزمان دم في ازدياد بالعلا وازدياد تجنيس شكر

ولم يمكثَ المقرئ الا بمقدار ما استراح من عَناء السفر فشرع يلقي دروسا علمية بمساجد دمشق ومدارسها على عادته في كل بلد حصل به ، ومن جملة ما درس بها صحيح الامام البخاري ، كان يمليه تحت قبة النسر بالجامع الأموي بعد صلاة الصبح ، ولما كثر ازدحام الناس عليه لسماء: خرج الى الصحن تجاه القبة الباعونية ، ولم يكن يتخلف عنه احد من العلماء ولا من الطلبة ، وكان يوم ختمه (الاربعاء 27 رمضان عام 1037 هـ) من الأيام الخالدة بالشام ، حضره الألوفا من الناس وعلت اصواتهم بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس الى وسط الصحن ثم الى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في أيام الجمع من شهور رجب وشعبان ورمضان ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، وختم الدرس بأبيات قالها حين ودع الرسول عليه السلام وهي :

ياشفيح العصاة انت رجائي	كيف يخشى الرجاة عندك خبيبه
واذا كنتَ حاضراً بفؤادي	غيبه الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع	اطيب العيش ما يكون بطيبه

ولما نزل عن الكرسي ازدحم الناس عليه يقبلون يده ويطلبون دعاءه ، ولم يتفق لأحد من العلماء الذين زاروا دمشق قبله مثل ما اتفق له من الاقبال والقبول ، ويمكن القول ان المقرئ لم يجد عزاء ولا سلوى منذ غادر فاسا الا في دمشق كما يدل على ذلك ما اضفى عليها في (نوح الطيب) من حائل الاطراء والمديح ، مما جعله ينجذب نحو اهلها ويفكر في استيطانها ، وبعد ما اقام فيها نحواً من اربعين يوماً رحل عنها يوم 5 شوال عام 1037 وتوجه الى القاهرة ، ولكنه بقي مشغول البال بها دائم التفكير فيما لقي من احتفاء وتكريم من اهلها ، وعاد اليها مرة ثانية في اواخر شعبان سنة 1040 هـ فلقى فيها من القبول مثل الذي لقي في زيارته الأولى ، ولما رحل عنها ثانية رحل وفي نيته الرجوع للاستقرار الدائم بها ، ولسانه ينشد قوله فيها :

ان شام قلبي عنك بارق' سلوة
كَمْ راحل عنها لفرط ضرورة
ياشام كنت كمن يخون' ويفدر
وعلى القَرار بغيرها لا يقدر
ومتساعدَ الزفرات مكلومَ الحشا
والدمع' من اجفانه يتصدر

ولما وصلَ القاهرةَ طلقَ زوجَه الوفائيةَ وشرعَ يُصفي اغراضه
وتعلقاته ، وبينما هو يُعد العدةَ للرجوعِ إلى دمشق فاجأه الموتُ قبلَ ان
يتحقق له ما عزم عليه .

* * *

كان احمد المقرئ من اشهر الشخصيات التي ظهرت على صعيد
المغرب العربي خلال القرن الحادي عشر الهجري لما كان يتقن من العلوم
الدينية والفنون الأدبية ، ويبهر الناس باطلاعه الواسع وذاكرته القوية وقدرته
على استحضار الشواهد والنصوص ، وتذكر الأحداث والأخبار ، كان فقيهاً
محدثاً اديباً مؤرخاً شاعراً كاتباً مذاكراً لبقاً يكتب النثر البليغ الفائق ويخلله
بأشعار رائقة من نظمه او نظم غيره ، وهو في الترسل ابلغ منه في الشعر
واطول باعاً ، واسلوبه فيهما اسلوبٌ اندلسي ، وشعره يخلو من القوة
وليس فيه ما في اشعار الشعراء الفحول من الحكيم والامثال
والنصاعة ، واكثره في المديح النبوي ، كما ان نثره يكثر فيه
الاستطراد والخروج من موضوع الى موضوع كما يتراءى لمطالعي
كتبه ، خاصةً (ازهارَ الرياض) و(نفتحَ الطيب) ، فالكتاب
الأول جعل القاضي عياض بن موسى اليحصبي قطب رحاه ، ولكنه ضمته
اخباراً كثيرة جغرافية وتاريخية وأدبية لغوية مما لا علاقة له بالقاضي
المذكور ، وكذلك فعلَ في الكتاب الثاني الذي جعل محمد ابن الخطيب
السلماني فلماً تسبج فيه كثير من الكواكب والنجوم ، وقد اجمع من عرفوا
به ووصفوه على قوة حفظه وحضور بديهته وحسن القائه واستحسان الناس
لفتاويه وخطبه وأجوبته ، سيما مجالسه الحديثية التي عقدها بفاس والجزائر
وكل مكان زاره او اقام به ، مع قوة ايمان وشدة تواضع وطهارة ذئبل وعفة

لسان ، على انه ككل فذٌ نبيه لم يسلمٌ من غمز الحسدة والمنافسين ، فقال بعضهم عنه انه كان اذا طرحت عليه اسئلةٌ لغويةٌ تأنق في الاجابة عنها شكلاً وقصراً موضوعاً (421) ، واذا طرحت عليه اسئلةٌ حديثة تلام من ذاكرته عشرات الأحاديث دون ان يعرف مبلغها من الصحة ولا درجة روايتها في سلم المحدثين ، فهو عندهم (حافظٌ ضابطٌ غير ثقة) (422) ، لعنايته بالدراية اكثر من عنايته بالرواية وضبط الأسانيد ، واخبارٌ نقد بعض العلماء له ومناقستهم له في الجزائر ومصر معروفة فلا نطيل بذكرها ، وقد اشير الى بعضها فيما سبق من هذه الترجمة . وجماع القول ان الرجل كان باقعة اطلع على كثير من الكتب والدواوين واستوعبها واثبت منها ما اثبت في كتبه استحقاقاً او استطراداً ، وحسنأ فعل ، لأنه لو لم يفعل لضاعت أخبارٌ كثيرة وادابٌ وفيرة ، فعددٌ عديدٌ من الكتب التي كان ينقل منها ويستشهد بما فيها ضاع مع ما ضاع من كتب التراث في الخمسمئة سنة الأخيرة .

* * *

اخذ المقرئ عن جماعة كبيرة من الفقهاء والعلماء والمحدثين وتذبج بعضهم وانتفع بأخرين واستفاد منهم ، فمن شيوخه بتلمسان عمه سعيد بن احمد المقرئ الذي كان عمدته في كل ما قرأ بها ، ولقي بفاس ومراكش احمد ابن القاضي و احمد بن ابي القاسم الصومعي التادلي و احمد بابا التنبكتي السوداني والحسن بن احمد المسفيوي والحسين الزرويلي الياصوتي ، وعبد العزيز الفشتالي وعلي بن عمران السلاسي ومحمد بن ابي بكر الدلائي ومحمد القصار ، وسعيد الماغوسي ، وغيرهم ، ولقي بالمشرق عبد الرؤوف المناوي وعلي الأجهوري ومحمد بن عمر العلمي المقدسي الخ

ومن اصحابه احمد ابن الخرديس الفاسي (5 : 276 ع 1528) و احمد بن محمد الايسي ، و ابو بكر السكتاني ، وعبد الرحمان المشنزايني

421 منشور الهداية ص 232

422 نشر المثاني I : 323

وعبد الرحمان الفاسي (العارف) ، وسعيد قدورة الجزائري وعبد الكريم
ابن الفقون القسنطيني الخ

ومن الآخذين عنه احمد بن علي البوسعيدي واحمد بن محمد الأبار
وعبد القادر الفاسي وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نزيل الجزائر
ومحمد بن احمد ميارة ومحمد بن ابي القاسم ابن القاضي ومحمد البوعناني
ومحمد ابن عطية الزناتي ، واخذ عنه بالمشرق ابراهيم بن عبد الرحمان
العمادي واحمد الشاهيني وعبد القادر الغصين وعيسى الثعالبي الجزائري
وابو القاسم المسراتي الطرابلسي ويوسف الطهوائي الخ

واثنى عليه العلماء والأدباء من معاصرين ومَن جاء بعدهم ، ووصفوا
ما كان يتحلى به من حسن خلق وسعة علم وقوة ذاكرة ، فمنهم المؤرخ احمد
ابن القاضي الذي نعته بالفاضل النبيه النزيه الكريم المناسب ، امام المشكلات ،
كعبة العلوم ، العالم العلامة الفقيه المشارك المتفطن الحافظ ، ومنهم الأديب
محمد الغماد الوجدي الذي حلاه بالفقيه الأديب النبيه العلم السامي الجلال
الحافظ الفقيه العالم الأبرع الخطيب المجيد المصقع الناظم الناثر الماهر
اللوزعي العبقرى ، والفقيه ابو بكر العُمري الذي جعله قطب الاقطاب في الفقه
الاسلامي لما حلاه بمالك العصر وشافعيه واحمده ونعمانه ، وغيرهم كثير ،

* * *

وقد خلف المقري مؤلفات عديدة بعضها في العلوم الدينية وبعضها
في الادب والتاريخ والتراجم ، وبعض ثالث ذو مواضيع مختلفة ، اهمها
مطبوع او معروفة مواضع حفظه ، وفيما يلي اسماؤها مرتبة ترتيب الحروف
الهجائية :

١ - اتحاف اهل السيادة ، بضوابط حروف الزيادة ، رسالة ذكر
في (نفع الطيب) انه جمع مادتها بالمغرب ، ولا ذكر لها في فهارس المكتبات
العمومية والخصوصية التي اطلعت عليها .

2 - اتحاف' المغرب المغري ، في شرح السنوسية الصغرى ، كتاب' في التوحيد شرح به العقيدة الصغرى لمحمد بن يوسف السنوسي التلمساني ، توجد' منه نسخة مخطوطة بخزانة جامع القرويين بفاس ، واخريان بالخزانة الحسنية بالرباط محفوظتان تحت نمرة 3544 ونمرة 5928 ورابعة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 2884

3 - اتحاف' المغرب المغري ، في تكميل شرح الصغرى ، توجد منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب الناصرية بمكرونة (تامكروت) محفوظتان ضمن مجموعين نمرة' اولهما 612 ونمرة' ثانيهما 2588 ولعل هذا (التكميل) هوَ الحاشية' التي ذكر المحببي في (خلاصة الأثر) ان المَقري جعلها على شرح (امُ البراهين) للسنوسي .

4 - اجوبة في اجتناب الدخان ، توجد بالخزانة الحسنية بالرباط محفوظة تحت نمرة 7579

5 - ازهار الرياض ، في اخبار القاضي عياض ، وغيره مما يحصل به للنفس ارتياح' وللعقل ارتياض ، من امهات كتب الأدب الأندلسي المغربي ، نسخهُ المخطوطة كثيرة شرقاً وغرباً ، طبعت اجزأه الثلاثة' الأولى عام 1358 هـ - 1939 م بالقاهرة بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ضمن مطبوعات المعهد الخلفي للأبحاث المغربية بتطوان بتحقيق الاساتذة مصطفى السقّا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ثم اعادت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية طبع تلك الأجزاء بالأوفست سنة 1980 بمطبعة فضالة بمدينة المحمدية وامتت طبعَ جزأيه الرابع والخامس في نفس السنة بتحقيق الأساتذة ، سعيد اعراب ومحمد ابن تاويت وعبد السلام الهراس .

6 - ازهار' الكمامة ، في شرف العمامة ، كتاب' ضخم' الفه المترجم' في الروضة النبوية تجاه راس المصطفى (ص) ، ووصفه في رسالة بعث بها الى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بأنه (في مجلد كبير ، فاح مده

عنير" وعبير) ، وكان قصده ان يبعثَ به اليه عام 1041 هـ ولكنَّ واحداً من حكام القاهرة الكبار اخذه منذ ولم يبق عند المقرئ الا الأصل ، ثم ضاع الأصل نفسه مع ما ضاع من كتبه ولم تبق الا ارجوزة" من 320 بيتاً لخصه بها وجعلها في خاتمة ، وهي التي ارسلها الى شيخه الدلائي لما ضاق الوقت عن نسخ الكتاب من الأصل الذي بقي عنده وارسله اليه ، وعلى يد الدلائي شاعت الأرجوزة وتنافس العلماء والطلبة في نسخها ، وتوجد منها اليوم نسخ" مخطوطة عديدة بكثير من المكتبات ، منها نسخة بخزانة علال الفاسي بالرباط نمرتها 209 ع واخرى بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 286 ك ، وكانت هذه الأرجوزة في المدة الأخيرة موضوعَ دراسة واسعة قام بها الطالب بدر المقرئ وتقدم بها سنة 1992 لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي القديم من كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الاول بوجدة .

7 - الأصفياء رسالة" او كتاب" ذكر في (نفح الطيب) انه ارسل نسخة منها الى تلميذه احمد الشاهيني الدمشقي .

8 - اضاءة الدجنة ، بعقائد اهل السنة ، منظومة في التوحيد سلسلة النظم حسنة المساق مشتملة على فوائد عديدة ، بدأ نظمها عام 1029 بالحجاز واكملها بعد رجوعه الى مصر ، توجد منها نسخ مخطوطة كثيرة بعديد من المكتبات في الاقطار الاسلامية والاوربية ، وطُبعت بالقاهرة عام 1304 هـ بهامش شرح العقيدة السنوسية للشيخ عlish ، وشرحها كثير" من العلماء المتأخرين ، منهم محمد بن احمد الشنجيطي الملقب بالداه ، وعبد القادر بن محمد بن محمد بن سالم المجلسي الصحراوي ومحمد بن المختار ابن الأعمش العلوي الشنجيطي الذي سمى شرحه (فتوحات ذي الرحمة والمنّة ، في شرح اضاءة الدجنة) وهو موجود" بدار الكتب الناصرية بمكروتة (تامكروت) محفوظ تحت نمرة 1746

9 - اعراب' القراءان توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية

بباريس .

10 - أعمال' الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس ، الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس ، تاليف اجاب' به عن مسائلَ مختلفة الأجناس والفصول ، من مهمات الفروع والأصول ، جمعها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وجعلها في صورة اسئلة وبعث بها اليه ليجيب عن كل واحد منها بما ظهر له من موافقة او مخالفة ، وقد ادرجَ سليمان الحوات نصاً هذه الأجوبة في كتابه (البذور الضاوية ، في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية) ، وذكرَ انها لما بلغت الشيخَ الدلائي سنراً بها سرورَ مَنْ نال وطره وبلغَ مناه .

11 - البداة' والفتاة' ، ديوان جمعَ فيه المقرئ مختارات ادبية انتقاها من اشعار ادباء اندلسيين ومغاربة ومشاركة ، توجد منها نسخة مخطوطة في 103 ورقة محفوظة بدار الكتب القومية بتونس تحت عدد 18327 .

12 - تاليف في الفقه مبتور الأول والأخير تحفظ' الخزانة' العامة' بالرباط نسخة خطية منه تحت نمرة 2879 ك .

13 - الجنايذ وهو ثبته الثاني بعد (روضة الآس) ذكره عبد الله (ابو سالم) بن محمد العياشي في كتابه (اقتفاء الأثر) ورواه عنه الشيخ عبد الحي الكتاني بأسانيده اليه ، ويعتبر' من اثاره الضائعة التي لا يُعرف' لها وجود في المكتبات الخصوصية والعمومية .

14 - خطب' المقرئ ، ذكر بعضهم انها محفوظة بمدير دون ان يبينَ المكتبة المحفوظة فيها .

15 - الدر' الثمين ، في اسماء الهادي الأمين ، يوجد محفوظاً بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت نمرة 24.266 ب

16 - ديوان المقرئ ، للمقرئ اشعار' كثيرة' لم يجمعها ديوان واحد ، اكثرها في المديح الذوي ، واقلها في الشوق والحنين إلى الأحبة

ورسومهم ، وهي مفرقة في كتب كثيرة مفردة ومجموعة ، وفي النية جمع ما
امكن العثور عليه منها في ديوان وطبعه .

I7 - رفع الغلط ، عن المخمس الخالي الوسط ، صحَّحَ به اغلاطاً
وردت في رسالته (نيل المرام المغتبط) الآتي ذكره ، ذكر انه محفوظ باحدى
خزانات القاهرة .

I8 - روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من
اعلام الحضرتين مراکش وفاس ، كتابٌ نفيس كان في حكم المفقود حتى
عثرت عليه في خزانة الكتب السلطانية بفاس قبل ان انقلها الى الرباط بأمر
ص. ج الملك الحسن الثاني ، وهو مبثور الأول ومكتوب بخط المؤلف ،
وقد حققته وقدمته وطبعته مرتين بمطبعة القصر الملكي بالرباط ، اولهما
سنة 1964 ، ثم اخبرت بوجود نسخة ثانية منه بدار الكتب القومية
بتونس مبثورة اوراقها الأولى ايضاً ، وحصلت على مصورتها ، وفي النية
مقارنة النسختين المغربية والتونسية عند العزم على طبعه طبعةً ثالثة ان
شاء الله .

وقد كان هذا الكتاب موضوع رسالة تقدمت بها الأنسة حفيظة
غرمول سنة 1986 لنيل الاجازة في الادب من كلية الآداب والعلوم الانسانية
بجامعة الحسن الثاني .

I9 - روضة التعليم ، في ذكر الصلاة والتسليم ، على من خصته
الله تعالى بالاسراء والمعaine والتكليم ، ذكره المترجم في (نفع الطيب)
ولا ذكر له في فهارس المكتبات التي اطلعت عليها .

20 - كناش يشتمل على عدد كبير من القصائد والقطع الشعرية
لشعراء مغاربة واندلسيين ومشاركة جمعها المقري انتخاباً واختياراً ، وكان
هذا الكناش في مكتبة العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب التي نقلت
بعد موته الى دار الكتب القومية بتونس حيث هو محفوظ بها تحت نمرة I8327

وقد وصفه الأستاذ 'عبد' الحفيظ منصور وصفاً مسهباً في فهرسته المسماة (رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب) ص 199 وجاء في آخر هذا الكناش ما يلي : « واعلم ان جميع ما اكتنف هذا الديوان من الأدبيات نظماً ونثراً فانما كتبتنه من حفطي والنثر فيه من انشائي بديهية ، فعلى ناظره النظر بالعين الكلية ، قاله احمد بن محمد المقرئ »

وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ ابراهيم ابن مراد الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس وشكك في نسبه الى المقرئ ونشرته دار الغرب الاسلامي ببيروت عام 1406 هـ (1986 م) تحت هذا الاسم (مختارات من الشعر المغربي الأندلسي لم يسبق نشرها) .

21 - نفع الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، وهو أهم كتب المقرئ واكبرها حجماً واسيرها ذكراً ، الفقه برغبة من طلبة دمشق بعد رجوعه منها الى القاهرة ، وكان فراغه من كتابته عشية يوم الأحد 27 رمضان عام 1038 ، ثم الحق به كثيراً في العام التالي ، وكان ينوي في الأول تسميته (عرف الطيب ، في التعريف بالوزير ابن الخطيب) ، فلما اتسعت مادته وهو يكتبه واستفاضت بحيث شملت ابن الخطيب وغيره عدل عن ذلك الاسم وسماه (نفع الطيب الخ) وقسمه قسمين ، احدهما خصه بالأندلس عامة ، وثانيهما بمحمد ابن الخطيب ، في كل قسم منهما ثمانية فصول ، وتظهر في هذا الكتاب - الذي يُعتبر ديواناً للأدب والتواريخ الأندلسية المغربية - براعة المقرئ الأدبية وقوة ذاكرته ومقدرته الفائقة على الاقتباس والتنسيق ، وبصيرة المرء وهو يقرؤه كأنه في جنة وريفة الظلال ، شهية الغلال ، يطعم فيها من كل فاكهة لذيدة ويروي من كل عذب زلال ، تحتفظ خزائن الكتب الشرقية والغربية بنسخ مخطوطة عديدة منه ، وطبع لأول مرة بليدن (هولاندة) سنة 1855 م بعناية المستشرقين دوزي ودوجا وكريل ، وطبع بالمشرق عدة طبعات اولاما بمطبعة بولاق بالقاهرة عام 1279 هـ

واخراها بمطبعة دار صادر ببيروت عام 1388 هـ (1968 م) في ثمانية اجزاء بتحقيق الأستاذ احسان عباس ، وهي احسن الطباعات لدقة تصحيحها وحسن ضبطها وجودة ورقها وشرح غامضها والاشارة الى مراجع مواضيعها ، ولتخصيص المحقق جزأها الثامن لفهارس اعلامها واشعارها وما ذكر فيها من كتب ... الخ

وقد ولى بعض الأدباء باختصار (نفع الطيب) ، منهم يوسف بن محمد ابن الوكيل الميولي الذي سمى مختصره (تغريد العنديل ، على غصن الأندلس الرطيب) ، الموجودة منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط (نمرة 228 ك ونمرة 722 ك) ونسخة ثالثة بمكتبة الاستاذ محمد بن عبد الهادي المنوني بمكناس (نمرة 1366) ، وعلي بن احمد الحريشي الذي توجد من مختصره نسخة " مخطوطة " محفوظة " بالخزانة الحسنية بالرباط (نمرة 11393 ن) وفيه فوائد وزيادات كثيرة لا وجود لها في الأصل المختصر منه ، واحمد بن محمد الرهوني التطواني الذي سمى مختصره (اللؤلؤ المصيب ، من نفع الطيب) المطبوع جزؤه الأول بتطوان عام 1346 هـ - 1927 م دون ان يتم طبع بقية الأجزاء .

22 - فيل المرام المغتبط ، لطالب الخمس خالي الوسيط ، كتاب " في علم الحروف ، توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 2878 ك .

23 - عرف النشيق ، في اخبار دمشق ، كتاب " اشار المترجم في (نفع الطيب 2 : 484) إلى انه ينوي تأليفه ليجمع فيه ما قيل في مدح دمشق من قصائد ومقطعات ، واختار له اسماً هو (نشر عرف دمشق) او (مشق قلم المدح لدمشق) ، ولكن محمد المحبي ذكر في كتابه (خلاصة الأثر 1 : 303) - وهو يعدد مؤلفات المقرئ في ترجمته - كتاب (عرف النشيق ، في اخبار دمشق) مما يدل على ان المقرئ اتم تأليفه وان المحبي رءاه ، فاذا صح ذلك فان الكتاب يعتبر من كتب المقرئ الضائعة .

24 - فتسحُ المتعال ، في مدح النعال ، المتشرفة بخير الأنام ، عليه الصلاة والسلام ، وما يتبعه من الكلام ووصف المثال ، اتمَّ المقرئ تأليفَ في شوال عام 1030 هـ بالقاهرة ، وارسل نسخاً منه الى مختلف البلدان ، ثم زاد فيه بعد ذلك ، واشهر نسخه هي التي حررها في رمضان عام 1033 بين قبر الرسول والمنبر بالمدينة المنورة ، وقد طبع هذا الكتابُ الرائعُ عام 1334 هـ بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد الدكن (الهند) ، ومخطوطاته كثيرة بالعالم الاسلامي واوربا ، منها نسختان بالخزانة الحسينية بالرباط محفوظتان تحت نمرة 3611 ونمرة 4915 ونسخة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 565 ج وهي احسنُ النسخ ، واخرى بدار الكتب الناصرية بمكرونة (تامكروت) محفوظة تحت نمرة 82 الخ ، وله مختصر سماه مؤلفه (النفحات العنبرية ، في نعل خير البرية) توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 565 ج

25 - قطف المهتصر ، من افنان المختصر ، شرح به مختصر الشيخ خليل بن اسحاق المصري في الفقه المالكي .

26 - القواعد السرية ، في حل مشكلات الشجرة النعمانية ، جعلته بعضُ المصادر البيبليوغرافية من جملة تأليفه ، وذكر ان نسخة منه محفوظة بمكتبة برلين تحت نمرة 4.222

27 - الشفاء ، في بديع الاكتفاء ، ذكر في (نفع الطيب) انه من جملة كتبه التي ارسلها الى تلميذه احمد الشاهيني .

وذكر المقرئ في كتبه مشاريع مؤلفات كان ينوي انجازها واختارَ بالفعل اسماءها ، منها (انواء نيسان ، في انباء تلمسان) ، كما نسبت اليه كتب هي من تأليف غيره ، مثل (بلوغ الأراب ، في لطائف العتاب) الذي هو من تأليف محمد بن احمد

ابن الأنباري المقرئ ، و (الجمان ، في أخبار الزمان) تاليف محمد بن علي ابن الحاج الشطبي دفين قرية تازغرة إحدى قرى قبيلة بني زروال باقليم تاونات ، و(حسن الثنا ، في العفو عن جنى) تاليف عمر شلبي الرومي ، و(كنز الأسرار ، ومعدن الأنوار ، في مال بيت النبي المختار) المطبوع بفاس عام 1349 هـ وهو تاليف لمقرئ آخر من تلمسان اسمه احمد بن محمد بن عبد الله الكليبي .

وينبغي ان لا نغفل ذكر مؤلفين جمع فيهما صديقان للمقرئ بعض اماليه واشعاره ، اولهما (امالي المقرئ) التي جمعها تلميذه الدمشقي يحيى المحاسني ، وثانيهما (العنبر الشحري ، فيما انشدنيه صاحبنا ابو العباس المقرئ) لمحمد بن علي الغماد الوجدي ءاتي الترجمة .

* * *

ونختم هذه الترجمة بايراد امثلة من نثره وشعره نعرف منها درجته في سلم الأدب والصنعة ، ونثره ينقسم قسمين ، نثر فني تأتق فيه وتفنن ، وبرع في محاكاة منشئي الأندلس وكتابها الأكاير ، حتى ليحس قارئه انه يقرأ ما انشأ الفتح ابن خاقان ومحمد ابن الخطيب ومحمد ابن زمرك من رسائل ومقامات ، ونثر عادي لكنه مصقول بليغ لا يخلو من محسنات البديع ، فمن امثلة القسم الأول قوله يصف رحيله من تلمسان واستقراره بفاس :

« ... انه لما سبق القضاء وجرت الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المحبوب والقرار ، بعد ان شيمت عراره النجدي ولا اشجان ولا اكدار ، في عشية لم يكن بعدها من عرار (423) ، ونزحت عن بلد ، به الوالد وما

(423) العرار : نبت طيب الرائحة ، وهو بهار البر ، والمقرئ يشير الى قول الصمة القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ولد ، محلّ قطع التمام ، وفتح الكمام ، سقى الله عهاده صوب الغمام :
بلدٌ تحفُّ به الرياضُ كأنه وجهٌ جميلٌ والرياضُ عذاره
وكأتمًا واديه معصمٌ غادة ومن الجسور المحكمات سواره
وكانَ ذلكَ وغصنُ النشاطِ يانع ، ويردُّ الشبابُ قشيب ، وشملُ
النفسِ مجتمعٌ دون مانع ، وكأسُ الأنسِ مزج بتسنيم (424) القرب وشيب ،
وفودُ (425) الراس غيرُ خاضع ولا خانع ، انْ لمْ تطرقْ ساحته ولمْ
تجسْ خلاله جيوشُ المشيب ، حللتُ الحضرةَ الفاسيةَ - حاطها الله -
حيثُ المجالسُ غاصّة ، بالعامّةِ والخاصّة ، والمساجدُ ءاهلةٌ معمورة ،
والمشاهدُ بالزوار مغمورة ، وحلّلُ المعارفِ فضفاضة ، والعوافُ الجليّةُ
مفاضة ، حضرةٌ ديباجها ربيعي ، وامتزاجها بالنفوسِ طبيعي ، ولمْ لا وقد
نظمت المفاخرَ ونسقتّها ، وجمعت المائرَ ووسقتّها ، جادتّها غرّ
السحبِ وسقتّها :

بلادٌ بها الحصباءُ درٌ وتربها عبيرٌ وانفاسُ الرياحِ شمول
تسلسلٌ منها ماؤها وهو مطلقٌ وصحّ نسيمُ الروضِ وهو عليل
فألقيتُ بها عصا التسيار ، وقاما الله من الآفاتِ والأغيار ... الخ (426)

ولهُ يصفُ ما عاناه من أهوال البحر ومخاوفه خلالَ سفره البحري
من مرسى مرتيل (تطوان) الى مدينة الجزائر ثم الى تونس فالاسكندرية :

« ... ثمَّ جدّ بنا السيرُ في البرِّ أياماً ، ونأيننا عن الأوطان التي
اظنبتنا في الحديث حباً لها وهيأماً ، وكنا عن تفاعيل فصلها نيأماً ، الى ان

(424) التسنيم : ماء في الجنة ، وفي القرآن الكريم : (ومزاجه من تسنيم) .

(425) القود : معظم شعر الراس مما يلي الأذن .

(426) ازهار الرياض I : 3

ركبتنا البحر ، وحلطنا منه بينَ السحرِ والنحر ، وشاهدنا من احواله ،
وتغافي احواله ، ما لا يُعبّرُ عنه ، ولا يُبلّغُ له كُنْه :

البحرُ صعبُ المَرَامِ جِداً لا جُعِلَتْ حاجتي اليُسّه
اليُس ماءً ونصنُ طيناً فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتُنا امواجهُ بوجوهِ بواسر ، وطارتُ اليُنا من شرعهِ
عقبانُ كواسر ، قد ازعجتُها اكفُ الريح من وكرها ، كما نبهت اللجج من
سكرها ، فلم تَبق شيئاً من قوتِها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيراً ، وللرياح
دويّاً عظيماً وزفيراً ، وتيقننا انا لا نجدُ من ذلك الا فضلَ الله مُجيراً وخفيراً ،
(واذا مسكُم الضُرُّ في البحرِ ضلَّ مَنْ تدعون الا اياه) ، وايسننا من
الحياة ، لصوتِ تلك العواصفِ والمياه ، فلا حياءَ الله ذلك الهولَ المُزعجَ
ولا بياهُ ، والموجُ يصفقُ لسماعِ اصواتِ الرياحِ فيضطربُ بل يضطرب ،
فكانه من كاسِ الجنونِ يشربُ او شرب ، فيبتعدُ ويقترب ، وفرقه تلتطم
وتصطفق ، وتختلف ولا تكادُ تنفق ، فتخال الجوّ ياخذُ بنواصيها ، وتجذبُها
ايديه من اقاصيها ، حتى كادَ سطحُ الارضِ يكشفُ من خلالها ، وعنانُ
السحبِ يخطفُ في استقلالها ، وقد اشرفتِ النفوسُ على التلّف من خوفها
واعتلالها ، وءاذنت الاحوالُ بعد انتظامها باختلالها ، وساءت الظنون ،
وتراءتُ في صورها المنون ، والشراعُ في قراعِ مع جيوش
الأمواج ، التي امدت منها الأفواجُ بالافواج ، ونحن قعود ، كدود على عود ،
ما بين فرادى وازواج ، ... ان البحرُ وحده لا كميّ يُقارعه ، ولا قسويّ
يُصارعه ، ولا شكلَ يضارعه ، ولا يؤمنُ على حال ، ولا يفرق بين عاطلٍ
وحال ، ولا بين اعزلٍ وشاك ، ومتباكٍ وباك :

ثلاثةٌ ليس لها أمانُ البحرُ والسلطانُ والزمانُ

فكيف وقد انضمَّ اليه خوفُ العدوِّ الغادرِ الخائنِ ، والكافرِ الحائنِ ،

الى ان قضى الله بالنجاة وكلُّ ما اراد فهو الكائن ، وان نهى عنه
واخطأ المائن ... الخ (427) .

اما شعره فهو على سلاسته وحسن سبكه (بارد) كأنما اظلمت خمائل
شنترين (428) وجرى في عوده ماء الوادي الكبير (429) ، ليس فيه ما في
اشعار كبار الشعراء من قعقة وحمية وحرارة ، ولعله تظامن للجناح النبوي
واستكان ، لأن اكثره في مديحه صلى الله عليه وسلم والتقويه بقدره
والاشادة بجاهه .

فمنه القصيدة الدالية التالية :

جارك الوسمي ^١ يامغنى السعود	وحباك الدهر انجاز الوعود
فلکم اوردتنا صفو المنى	فانتثينا بالهناء غب الورود
ورعا الله قباباً بقبسا	ومنى والجزع مع وادي زدود
وحمی دولة سعد بالنقما	ساعدتنا في اللقا منها الجنود
فيها نلنا قصی ءامالنا	واقتنصنا من امانينا الشرود
وانتهزنا فرصة الوصل على	رغم انف من رقيب او حقود
واقطفنا زهر عيش يانع	وارتشفنا ثغره العذب البرود
في ليالٍ قابلتنا بالرضى	فانتظمنا كللال في عقود
ورياض راقط الطرف سنا	اذكرتنا حسن جنات الخلود
ذات انهار على در جرت	انقنت ریح الصبا منها الزرود
ان شدت او انشدت اطيارها	فوق ايك تنثني منها القودود

(427) نفع الطيب I : 33

(428) شنترين : مدينة اندلسية جميلة تقع بالبرتغال غير بعيدة عن لشبونة ،
اشتهرت بوفرة الماء واعتدال الهواء وكثرة الحدائق والبساتين .
(429) الوادي الكبير : من اكبر انهار الأندلس يمر باشبيلية ويصب في
البحر المتوسط .

طرزت كفه الحيا تلك البرود
انها وقت الجفا تُرضي الحسود
انسنا الماضي سريعاً هل يعود
ويريح القلب من تلك القيود
وتداعوا يوم باتوا بالصدود
من رمال وجبال وهسود
بالحما شأنهم حفظ العهد
حشوما نار الغضا ذات الوقود
نم بالسفح على مبدي الجمود
خدن شجو واشتياق وهجود
غير مدح المصطفى زين الوجود
غرّ اباة ومن اسما جودود
للبريا او بتعيين الصدود
حاز فضل سبق في فضل وجود
حائزاً في حضرة القدس الشهود
من به الأغوار سمرت والنجود
عنه في التنزيل (اوفوا بالعقود)
يوم بعث الناس من بطن اللود
واتحه الأمن في اليوم الكؤود
من كريم فضله عند الوفود
الك الراقين في اوج الصعود
غنت الورقاء في روض بعود
او اتى ام القرى مأوى الحشود
كمل الله له كل القصود

وبطاح كبرود وشيكت
ما لأيام الصفا عيب سوى
ليت شعري والأمانى حسرة
ويزيح القرب اعباء النوى
وبروحى معشر حثوا السرى
يعسفون البيد في جنح الدجا
ياحداة العيس حيوا جيرة
خيّموا بالمنحنى من اضلع
واسألوا من عقيق الدمع ما
وانكروا صباً غريباً نازحاً
ما له حسن خلاص يرتجبا
احمد المختار في العلياء من
خير من جاء بتبيين الهدى
من له التقديم في خلق ومن
من به الرحمان اسرى للعلا
من به الاكوان طراً شرفت
يارسول الله يامن جاءنا
اشفع اشفع للفقير المقترى
وادفع ادفع كيد من قد كاده
فهو ذو ذنب ولكن يرتجى
وعليك الله صلى وعلى
وكذا الأصحاب والاتباع ما
او نوى الركب بعزم طيبة
او اتيح الختم بالحسنى لمن

ومنه قوله لما عزم على الرحيل من المدينة عام 1033 هـ ولها

قصة (430) :

حياك يا حجرةَ خير الأنام
وعطرتُ ذاك الحما نسمةً
يزروحُ الأرجاءَ منكِ الشذا
وينتحي الروضةَ ذاتَ السنا
ومهبطاً للوحي يهفو لسه
لله ما أحلا زماناً مضى
حيثُ كؤوسُ الشربِ قد اترعت
ونحنُ في حضرةِ خير السورى
نهارنا والليلُ فيها سوا
ياليتَ شعري هل لنا بالحما
ويجمعُ الشمْلُ ويقصّي العنا
وترفعُ الأشجانُ عن مدنف
فيغتدي في العهد مستمسكاً
في معهد المختار طهَ الذي
كذلك الحصباءُ في كفه

من سحب التعظيم صوب الغمام
قدسيةً قد طاب منها انقسام
منها بما يخجلُ زهرَ الأكام
والمنبرَ الأسنا وباب السلام
مَنْ قال ربُّ اللهُ ثم استقام (431)
في ذلك المغنى بشهر الصيام
من عينها الرزقاء تشفي الأوام
وكلنا يُدعا نزيل الكرام
درسٌ وذكرٌ واعتنا واغتنام
من عودةٍ قبلَ اقترابِ الحِمام
وينجلي الغيمُ وينفى اغتمام
قد جرَّ أذيالَ الهوى والغرام
بالعروة الوثقى بدون انفصام
حنَّ له الجذعُ وابدى الهيام
قد سبحتُ مفصحةً بالكلام

(430) قال احمد المقري : لما عزمت على الرحيل من طيبة على ساكنها الصلاة والسلام سنة 1033 بشوال رايت في عالم النوم كائني انظم قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم وانشدته اياها صلى الله عليه وسلم في النوم ومضمونها الاعتذار عن الرحلة عن جنابه الشريف ، فلما استيقظت علق بحفظي منها مطلعها وهو (حياك يا حجرة خير الانام * من سحب الرضوان صوب الغمام) ، وعلق ايضا بحفظي منها قولتي في الاعتذار (ان كان جسمي عنكم قد نأى * فان قلبي عنكم قد اقام) ، ثم نسجت على منوالها في اليقظة وهيئات ، وادخلت فيها ما تعلق بحفظي من الابيات (من مجموع مخلوط في الأمداح النبوية محفوظ بخزانة الاستاذ محمد المنوني) .

(431) مقتبس من قول الله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)

عذباً نَفَى الغلَّةَ عن كلِّ ظام
- والجوِّ صافٍ - قد همتْ بانسجام
اذْ اشبعَ الألفَ بصاع الطعام
قضباً حُسَاماً ياله من حُسَام
بقبضةٍ ولَّوا وهمٌ في انهزام
جيوشهم لكنما اللهُ رام (432)
بدتْ له الأسرارُ دون اكتتام
للقدس ، ما اعظمه من امام
منقادةً من امره في زمام
تصديقه ما بينَ تلك الفئام
قد اكَّدتْ في الستر حومَ الحمام
نارٌ مضى من وقدها الفُ عام
وإن للايوان فيها انهدام
لم تُحصَ بالنثر ولا بالنظام

والماءُ من أصبعه قد جرى
والسحبُ في الخطبة لما دعا
والنزرُ قد صار كثيراً بسه
والجزلُ قد عادَ بيوم الوغا
ومذُ رمى الكفارَ من كفه
فما رمى خيرُ الورى اذُ رمى
وحينَ اسرى به للعُلا
وامٌ رسلَ الله في حضرةٍ
وجاءت الأشجارُ تسعى له
والبردُ قد شقَّ له مظهراً
وعنكبوت الغار في نسجها
وليلة الميلاد فيها خبت
والنهرُ قد امسكَ عن جريه
وكمُ له من معجزاتٍ سمتُ

* * *

يامنٌ له في الفضل اعلام مقام
كلُّ امرئ من نفسه في اهتمام
ياخيرَ من يرجا لرعي الذمام
تفاقتْ واسودَّ منها القتام
يامنٌ به يقضى المنى والمرام
من نظرة فيها شفاءُ السقام
ببعض ابياتٍ له في المنام

ياخيرَ مبعوث اتى بالهدى
ياشافعَ الخلق غداً ان غدا
يامنقى الرحمان من خلقه
ياملجاً للهفان ان ازمة
يامنٌ به يفتحُ باب الندى
المقريُّ العبدُ لا تنسه
وهو الذي خاطبكم منشداً

(432) مقتبس من قول الله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

ان كان جسمي عنكم' قد نأى فان قلبي عنكم قد اقام
وان يكن' بالذنب فكري دجا فنوركم والله ينفي الظلام
فاشفع' فما لي موئل غيركم في هذه الدنيا ويوم القيام

توفي بالقاهرة في جمادى الأخرى عام 1041هـ (يناير سنة

1632 م) (433)

1553) احمد بن (اندغ) محمد السوداني ، قاضي تَنبُكُتو حاضرة
السودان المغربي ، و(اندغ) تقرن' باسمائهم للمتعميم ،
ولد عام 971هـ وقرأ على جماعة من فقهاء بلده ، عمدته من بينهم
الفقيه محمد بن محمود بغيغ' ، قرأ عليه امهات كتب النحو والفقه
المالكي ، وكان من فقهاء السودان ونحاته ، يتقن اصول الفقه واصول الدين ،
فصيح اللسان حسن الملابس ابيض اللون مهيبا ، درس (الألفية) و(قطر

433) اعتمدنا في شهر الوفاة على المحبي في خلاصة الأثر
I : 311 وانظر الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 13 والاعلام للزركلي I : 237
والاعلام ، بمن حل مراکش وغمات من الاعلام 2 : 308 ع 234 وازهار البستان لابن
عجيبة (مخطوطة مصورة) ص 143 والتقاط الدرر 2 : 94 وايضاح المكنون صفحات عديدة ،
وتاريخ الأدب الجزائري ص 238 وتاريخ الجزائر الثقافي 2 : 221 - 233 وتراجم
اسلامية ص 373 وتعريف الخلف ، برجال السلف I : 44 وخلاصة الأثر I : 302
ودراسات اندلسية (مجلة تونسية) ع 9 ص 52 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
ص 47 - 58 - 142 - 143 والرحلة الناصرية 2 : 306 وروضة الاس (المقدمة) ، ومجلة
المجمع العلمي العربي (دمشق) ع 39 ص 39 والمحاضرات ص 172 - 176 ومنشور الهداية
ص 223 ومعجم المحدثين والمفسرين ص 17 ومعلمة القرآن والحديث ص 157 والمقري
صاحب نفع الطيب (الكتاب كله) ، والمقري وكتابه نفع الطيب (الكتاب كله) ، والموسوعة
3 : 129 ونشر المثاني I : 291 ونوادر المخطوطات 2 : 435 وصفوة من انتشر ص 72
والعربي (مجلة) ع 52 ص 45 والفكر السامي 2 : 276 وفهارس الخزانة الحسينية I : 27
- 129 - 201 - 290 - 345 وفهارس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط I : 93 - 98 - 129
و 3 : 78 - 203 وفهارس علماء المغرب ص 723 و 1041 وفهرس الخزانة العلمية الصبيحية
ص 113 وفهرس مخطوطات خزانة القرويين نمرات 290 - 270 - 571 - 577 - 753 - 1380
وفهرس الشهارس والاثبات I : 450 - 574 وشجرة النور الزكية I : 300 ع 1162 وهدية
المعارفين ص 157 واليواقيت الثمينة I : 29 ، ورصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب
ص 199 ومختارات من الشعر المغربي الاندلسي (المقدمة) .

(الندى) و(شذور الذهب) و(التسهيل) و(الرسالة) و(المختصر) و(تحفة الحكام) وسواها ، وعلق على (المرادي) وشرح (الجرومية) في النحو شرحاً سماه (الفتوح القيومية) كان متداولاً بفاس معتنّى به من طلبتها .

دخل المغرب واجتمع بعلمائه ، ودرس مدةً بإيلغ حيث زاوية الشيخ احمد بن موسى السملالي ، وولاه النباشا محمود لذك والي السودان السعدي قضاء تنبكتو بعد وفاة اخيه القاضي محمد عام 1020 هـ فبقي يتولاه الى ان مات .

توفي بتنبكتو ضحوة يوم الجمعة 13 محرم عام 1045 هـ (434)

1554) احمد بن علي البوسعيدي السوسي ، فقيه من المغرب الأقصى ، اصله من قبيلة هشتوكة الصنهاجية الموجودة مساكنها بناحية الصويرة ، وبها ولد في حدود عام 990 هـ ، واسرته اسرة علمية شهيرة .
قرأ القرآن ببلده على الفقيه محمد بن احمد الباعقلي ، والفقه العربية على محمد بن عبد الرحمان الجرسيفي ، ولازم الشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحيحي الى ان مات ، واخذ بمراكش عن احمد بابا التنبكتي السوداني واجازه ، وعبد الله بن علي بن طاهر الجسني وقاسم ابن ابي النعيم ، وانتقل الى زاوية فيلاللة بجبل درن (435) والى بزو (436) والزاوية الدلائية قبل ان ينتقل الى فاس لاستكمال دراسته بجامعة القرويين ، فسكن المدرسة المصباحية واخذ عن جلة العلماء كالفقيه عبد ابن عاشور الأنصاري والحافظ احمد المقرئ القرشي وسمع منه المقصورة التي نظمها في سور القرآن ، ولازم الشيخ عبد الرحمان الفاسي وكان يحضر مجالسه كثيراً .

434) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 19 والتقاط الدرر 2 : 19 وتاريخ السودان للسعدي ص 295 و 308 وتعريف الخلف ، برجال السلف 1 : 37 ومعجم المؤلفين 1 : 149 ونشر المثاني 1 : 331 وفتح الشكور ص 39 وفهرس التيمورية 3 : 250

435) زاوية سيدي يحيى بن عبد الله بن سعيد وابيه

436) بزو والنسبة اليها بزويوي : بلدة صغيرة تقع شرقي مدينة قلعة السراغنة وشمال مدينة دمنات ، تتألف من عدة قرى جميلة فوق كدى مشجرة تطل على الشط الأيسر لوادي العبيد .

كان فقيهاً مطلعاً زاهداً متقللاً حَصوراً لم يتزوج قط ، اتفق الناس على صلاحه ، لكنه كان - على ما يظهر من احواله ووصافه - ممروراً بلغ به الورع' والتقوى الى حدّ الوسواس والقيام بأعمال لا يقوم' بها العقلاء ، درس علومَ القرآن والحديث والفقه والسير ، والفنّ نحو عشرة كتب ، وصفه الشيخ' محمد ميارة في آخر كتابه (الدرّ الثمين ، على المرشد المعين) بالسيد الأجلّ ، العالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، عالم عصره ، وسيد اهل وقته ... الخ

من مؤلفاته ورسائله :

I - اشراق' البدر ، في التعريف بأهل بدر ، توجد منه نسخة مخطوطة' بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة الى دار الكتب القومية بتونس ضمن مجموع محفوظ بها تحت نمرة 18.557

2 - بذل المناصحة في فضل المصافحة ، وهو أهم' كتبه ، الفقه باسم مجيزه محمد بن محمد البوعناني الحسني الفاسي وجعله كالفهرسة ترجم فيه لشيوخه وذكرَ اسانيدهم واجازاتهم له ، ذكر الشيخ عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس والأنبات) انه اطلع على نسخة مبتورة منه كانت بيد محمد بن الطيب القادري صاحب (نشر المثنائي) وقال عنه صديقنا المرحوم الأستاذ المختار السوسي في كتابه (سوس العالمية) انه موجود .

3 - تاليف' في صحابة النبي' الكرام وازواجه الطاهرات ، ذكر محمد بن الطيب القادري في (نشر المثنائي) انه وقف عليه ، واخبر الاستاذ المختار السوسي في (سوس العالمية) انه موجود .

4 - جواب' حول ظنيّة الأسماب ، يوجد ضمن مجموع محفوظ بدار الكتب الناصرية نمرة 1463

5 - ذيل' في التاريخ ، قصيد ذيل بها قصيدة اخرى له في التاريخ توجد' في الخزانة العامة بالرباط محفوظة' تحت نمرة 1594 د

- 6 - ذيل " لألفية العراقي في الوفيات ذكر الأستاذ المختار السوسي في كتابيه (خلال جزولة) و (سوس العالمية) انه موجود .
- 7 - كلام" في تقسيم اهل الخصوصية ، عليه شرح" لشارح مجهول الاسم يوجد ضمن مجموع محفوظ بالخرزانة العامة بالرباط نمرته 984 د
- 8 - مؤلف" حول القرءان ، ذكر الأستاذ المختار السوسي في (سوس العالمية) انه موجود .
- 9 - نوازل' فقهية ، ذكر في (سوس العالمية) انها موجودة .
- 10 - صلة الزلفي ، في التقرب بال المصطفى ، ذكر الاستاذ المختار السوسي في (سوس العالمية) انه موجود ، وتوجد منه نسخة" مخطوطة بالخرزانة الفاسية بفاس .
- وله وصايا وانظام" في مدح الرسول عليه السلام ، وغالب كلامه في الوعظ والارشاد والتذكير بأحوال الآخرة .
- ومما يؤثر عنه انه كان يكره المبالغة في تحلية الناس بالنعوت الرفيعة وينتقد تسامح المؤلفين وغلوهم في ذلك ، حكى صديقه محمد ميارة انه لما قدم اليه شرحه على (المرشد المعين) المسمى (الدر الثمين) كتب عليه تعليقا وسطا استعرض فيه محاسن الكتاب باقتضاب ، وتخلص لانتقادها على تساهله في منح الألقاب العالية لمن يذكرهم من العلماء قائلا :
- « وكذا يظهر لي ان لا يباليخ المؤرخ في الثناء بما يختص الله بعلمه من افعال القلوب ، كالزهد والولاية ، الا ان يكون من اهل الاذن ! فان الزهد هو خلوص القلب عن الميل الى الدنيا ، فقد يكون الانسان تاركاً للدنيا ولم يكن بيده شيء منها لعدم القسمة الأزلية له منها ، ولكن قلبه مقتون بها ، فهذا ليس بزاهد ، وقد تكون يده عامرة وقلبه فارغ من حبها يرى انه امين في التصرف فهذا زاهد ، فمتى تعرف وتصل الى ما في قلبه فتشهد عليه ؟

« ويقتصر' المؤرخ على الأوصاف الظاهرة الصادقة كاتقان العلوم والفهم الثاقب والادراك والذكاء والحفظ وقوة العقل والنباهة والاصابة وعدم الخطأ والفصاحة والنجابة في التدريس ... ويعتبر' هذا كله وما اشبهه مما يوصف' به اما بالممارسة واما بالنقل الصحيح ، وقد علمت انهم نصوا على ان التزكية بعد ما يسافر' معه » (437)

كما يؤثر' عنه راي' في الاجازة التي وليع الأقدمون وبعض' المحدثين بطلبها او اعطائها عبر عنه في (بذل المناصحة) بقوله :

« توسع' بعض الناس في الاجازة سيما المحدثين منهم ، فمنهم من يجيز' اهل مجلسه ، ومنهم من يجيز' اهل البلد واهل العصر ، ويقولون بالشرط المعتمد فيوسعون لمن ادرك الدرجة ان يحدث' اذا حصل' الشرط' ولو لم يره ولا لقيه ، الحاصل' ان مطلق' الاجازة عندهم لا يدل' على الاتقان ولا على الدراية ، وانما توسعوا مجازا اعادة' وادماجاً وادراجاً لمن حصل' الشرط' ولو بعد حين ، فمن تنتقل به القدم' تقدم ولا فلا يتكلم' ، وقلت' مرة لسيدي عبد الواحد ابن عاشر : هاؤلاء الذين تجيزون لهم شهدتم لهم بالاتقان ؟ فقال : لو لم يجيزوا الا لمن اتقن' ما بلغنا شي » (438)

توفي بفاس ليلة الجمعة 14 ذي القعدة عام 1046 هـ ودفن بالكخادين قرب وادي الزيتون عن يمين الطالع من راس الزاوية (439)

(437) الدر الثمين 2 : 339 - 341

(438) فهرس الفهارس والإثبات ص 408

(439) ابتهاج القلوب (مخطوطة مصورة) ص 193 وازهار البستان للفاسي (مخطوطة مصورة) ص 24 والتقاط الدرر 2 : 105 والاعلام للزركلي ص 181 والاعلام ، بمن حل مراکش واغامت من الاعلام 2 : 214 وايامح المكنون 1 : 175 و 2 : 710 والحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في شفشاون ص 385 وخلال جزولة 2 : 51 - 52 والدر الثمين 2 : 339 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 80 ورصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب ص 361 والروض العاطر الأنفاس (مخطوطة مصورة) ص 155 وطبقات الحضبيكي 1 : 55 ومباحث الأنوار (نسخة مرقونة) 2 : 220 ومعجم المؤلفين 2 : 9 ومؤرخو الشرفاء ص 255 - 257 والموسوعة 3 : 118 ونشر المثنائي 1 : 171 ع 356 وصفوة من انتشار ص 68 - 69 والفكر السامي 2 : 276 وفهارس علماء المغرب (نسخة مرقونة) ص 180 و 724 وفهارس مخطوطات الخزائن العامة بالرباط 1 : 107 و 2 : 177 وفهرس الفهارس والإثبات ص 113 - 240 - 248 - 249 - 396 - 408 - 435 - 470 وسلوة الأنفاس 2 : 85 وسوسن العالمية ص 180 وشجرة النور الزكية 1 : 301 ع 1163 وهديّة العارفين ص 159 والخواص الثمينة 1 : 31

1555) احمد بن عبد الحميد المرید الأنصاري ، عالمٌ من اهل مدينة
مراكش ، أخذ عن محمد بن يوسف الترغبي وعبد الواحد بن احمد الشريف
السجلماسي ، وكان فقيهاً وأديباً يكتبُ نثراً جيّداً وينظمُ شعراً متوسطاً
اكثره في الهجوُّ ، مشاركاً في الطب ، متقدماً في غير ذلك من العلوم
والفنون ، درس العلم بجامع ابن يوسف بمراكش بالقبة التي تحت الصومعة ،
ومن الكتب التي كان يدرسها للمطيلة كتاب (الارشاد) لامام الحرمين ، وكان
مولعاً بالمعميات والألغاز ، وطرح الأسئلة التي يصعبُ الجوابُ عنها .

لقيه احمدُ المقرئ في مراكش ولم يتذاكرُ معه في شيء ،
ووصفه في (روضة الآس) بالفقيه الكاتب القوي الادراك نابغة زمانه ،
وما وصفه به محمد اليفرنى في (صفوة من انتشر) من انه كان دمثَ الأخلاق
متواضعاً ساقط الدعوى ينفية شعره الذي يقخر فيه بنفسه ويهجو الناسَ
اقذع هجو ، وقول المقرئ عنه ان كان ذا لسان قلَّ ان يسلمَ منه احد ،
كثيرَ الهجاء لأهل عصره لا يبالي بأحد

من شعره يخاطبُ السلطان احمدَ المنصورَ السعدي لما منعه
حاجبه من الدخول عليه :

تفديك نفسي ادام اللهُ مجدكم	سامي الذرا يامليكا زانه الكرم
فان حاجبكم مولايَ يمنعني	من الدخول مع الأقران دونهم
فمره مولاي ان جئتُ يقدمني	قبْلُ الارضِ اجلالا لقدركم

وقوله مفتخراً من قصيدة :

اصكُ بسيف الهجو سمع لئام	وارميهمُ عن قوسيه بسهام
واحمي بها عيرضي المصونَ حماية	اذودُ بها من رامتني بخصام

وقوله :

وانّ مقامي فيه ايّ مقام
وافراسه ملجومة بلجامي
وان مقالتي اليوم قول حذام (440)

الم تر ان الشعر عبد ملكته
الم تر اني قد مسكت زمامه
الم تدر ان الشعر عندي سليقة

وقوله :

يدل على تركيب جهل جهول
وليس له عن جهله م سبيل

اتاني قريض القرد نظماً مهلهلاً
هو الجهل وابن الهجل والجهل خلفه

وقوله :

فذاك على فضلي القديم دليل
ولا متقناً نظم القريض جهول

لئن سبّني بعض اللئام بمقول
وما ضرني ان قال لست بشاعر

وقال يهجو بعض الناس من قصيدة طويلة ترك المقرئ اكثرها لما
فيه من الخنا :

تبكي وتبكي عيون العلم والدين
بها الورى بين مأسوف ومحزون
حماية الدين يا أهل المواسين (440)
لم تقدروا فبقول الحق يكفيني
من لبس عوف له في سالف الحين
لبس جذام فابكيها وتبكييني
حمية لبيوت الله تحمينني
واين انصار هذا الدين يحموني

لقد سمعت فجاج الأرض صارخة
وتشتكي جوراً دهر في معاملة
وتستغيث ولات حين منتصر
حماية الدين اما بالسيوف وان
فبالمنابر ما بالخد من اسف
وعج محرابها مثل المطارف من
ونادت الأرض بالكلمين فهل
اين النفوس التي لله ناهضة

(440) يشير الى قول الشاعر :

فان القول ما قالت حذام

اذا قالت حذام فصدقوها

(441) حومة شهيرة بمراكش

أنهو الشكاية للمنصور ان له
واستنهضوا ابن سليمان الزكي عسى
ياءل بيت نبي الله فانتصروا
والبستني ثياب العز ضافية
عناية ببيوت الله تننجيني
يذود عنه خبيثا لا يواتيني
فطالما كانت الآباء تآويني
واليوم البس ثوب الذل والهون

وقوله في فتى وسيم سجن ثم سرح عن قريب :

على كل جفن ان يفيض شؤونا
وكل يد ان يلطم الخد كفتها
فتى غارت الأيام من حسن وجهه
وشقت جيوب الصبر كفت تأسفي
ولولا بدو البدر قرب مغيبه
وكل فؤاد ان يذوب حزينا
لتقضي من حق الضياء ديونا
فدامت به بعد الظهور كمونا
وقاضت جفوني بالدماء عيونا
لكنت بأثواب السقام دفيننا

ومن انشائه الرسالة التالية الموجهة الى السلطان الوليد بن
زيدان بن احمد المنصور السعدي :

الجلال الذي لو لاحظته عيون الفراقد لأكبرته ، والعظمة التي
ما رام الكفر مقاومتها الا امانته واقبرته ، والهمة التي داست سنابك
عزائمها انوف الأعداء في اقصى اقاليمها ، واناخت بكل كل مهابتها
على قنن القياصرة فانستها تقاسيم اقانيمها ، والايالة التي سحبت
ذيول النسيان ، على كراسي ملوك سالف الأزمان ، والمثابة التي لا تزال
السعود تخدمها مشمرة عن سوقها ، والفضائل ملأ اوقار القطار نافقة
بسوقها ، والمكانة التي تجلت على منصة السناء تزدهي بما به تحلت من
درر المائر ، والعزة التي اشرفت شمس فضلها في سماء المعالي ،
واحرزت المجد المقدم والتالي ، واعتجرت بتليد المفاخر ، والمقام الذي
سما بسروره الصميم على قمة النسرين ، واقتعد بسؤده الضخم على
كاهل الفرقدين : مقام السلطان بن السلطان بن السلطان ، فخر ملوك بني
زيدان ، الملك الأشمخ ، والطود الأرسخ ، الكبير الأعظم ، الشهير الأفخم ،

انسانِ عينِ الزمان ، والقطب الذي عليه مدارُ الجِلَّةِ والأعيان ، ذي الشَّاورِ
المديد ، والصَّيِّتِ البعيد ، والمجدِّ الباذخ ، والشرفِ الراسخ ، الذي ليس
وراءهما مزيد ، مولانا امير المومنين الوليد ، امده الله بالنصر والتأييد ،
وابقاه ومركب التيسيرِ لملكه ذلولا ، ومغنى الايالة به مانوسا ماهولا ،
ولا زال النصرُ لركابه العليِّ لزيما ، والسعدُ لبابه العلي خديماً .

سلام" تهدي لذلك الفخر الملوكي نفحاته ، تصحبه رحمة' الله
وبركاته .

وبعدُ فقدُ وصلَ الكتابُ الاماميُّ الكريم لعبدِه المنغمس في بحرِ
نداه ، المقتبسِ من نورِ هداه ، فلان ، وصلَ اللهُ لذلك الصدرِ الأشرفِ
عادةَ العلوِّ ، وسعادةَ الرواحِ والغدوِّ ، باهرَ السُّورِ والاعجاز ، رائقَ
الصدورِ والاعجاز ، معطى من صنوِّ البلاغة ابهاها ، لابساً من حُسلِ
البراعةِ ما يقصرُ عن حسنه كلِّ حسنٍ وانْ تناهى ، وحقُّ لكتابِ ابدعته
الحِكْمُ الجليَّةُ ، واملته الهمةُ العلية ، انْ يكونَ الكتابُ المطهَّرُ ،
والعلمُ المشهَّرُ ، والطالعُ الذي ابتُ اياتُ فضله الا انْ تظهرَ وتبهَرُ ،
فتلوتُ نصّه الذي هوَ اعلا درجاتِ النصوص ، ولفظته الذي لا ينكرُ عمومَ
فضله اريابُ الخصوص ، متفضلاً بالاستفهام عنْ حال عبد مجده ، ومقتطف
ثمارِ رفته ، فالعبدُ كما تعلمونَ ما بيّنَ دعاءِ لكم مرفوع ، وثناءِ عليكم
مسموع ، وعلمِ يفيدهُ أوْ يستفيدهُ ، وعمَلِ صالحِ بفضلِ الله يزيده او
يستزيده ، مواصلَ الدعاءِ للمقامِ العليِّ بما يزيده عزّاً وظهوراً ، ويجعله
في عيون الوجود نوراً ، ويبقيه مؤيداً منصوراً ، امرأ يقفُ الزمان امامه
ماموراً ، فالدعاءُ للامامِ سلاح ، وبه لأبوابِ البركاتِ قرع واففتاح .

وجرى به السؤالُ عن احوال الحضرة المراكشية ، ومقرِّ الايالة
الهاشمية ، حاطها الله الذي لا تاخذه سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ ، وجعلَ ايامه
لا يلحقها في الاخلال بمُراده لَوْمٌ ، ولا يكثرُ منها الا باسعاده يَوْمٌ ، وعن
سيرة مَنْ بها من الخُدّام ، فالبلدُ بحمدِ الله في غاية الاطمئنان والسكون ،

والهدوء والهدون ، ممتدّ الرجاء ، ساكنُ الأرجاء ، واهله رافلون في حلالِ العافية الضافية ، والنعم المتوالية الموافية ، من بركة أيامكم التي اوقاتُها كلها منواسم ، قد تعطّرتُ بأنباءِ عدلها الرياحُ النواسم .

أما صاحبُ الشرطة ، فما تعدى شرطه ، وأما البواب ، فما صدرت منه كبيرةٌ تُنكّر ، ولا صغيرةٌ تغفر ، عدا مسألةَ بناء الأنتاب ، وقد رجعَ عن ذلك وءاب ، وإذا نُهيَ ينتهي ، ولا يخرجُ عن المنهيع المتعارف المعتاد ، وقد نُسبت إليه اشياء غيرُ كائنة استقصينا الفحصَ عنها فوجدناها ضعيفةَ الاسناد .

ولا زائدَ ببركة الايالة العليّة الوليدية التي عمّت البسيطة انوارها ، وتكاثرتُ البحارُ المحيطة بحارها ، وتَملي على الأيام ، من عاداتها الكرام ، ما تطيبُ به اصائلُها واسحارها ، ويجري على الاختيار ، باسعاد الأقدار ، ليلها ونهارها ، فعصركم السعيدُ هوَ بيت قصيدة العصور ، وحاملُ لواء الشرف المنصور ، علّمت فضيلته باليقيني من الأدلة ، وزادَ على ما قبّله زيادةَ البدور على الأهلة ، والتزمَ الخاصُ العامُ من الشكر لخصائصه فروضاً ، وعلّموا ان للرزق به والرفق منه باباً مفتوحاً وجناحاً محفوظاً ، فالحمدُ لله الذي حلاه بحلّى المفاخر ، وخفض بجوده نكر البحور الزواجر .

وعندهم من خلوص الطاعة ، والتزام ما يجبُ للنعمة من الشكر والاذاعة ، ما يجبُ ان يكونَ عندَ ارقئاء تالدِ المنّة وطارفها ، الاحقّاء باستيفاء ما يتعيّنُ عليهم من وظائفها .

واللهُ المسؤولُ بمنّهُ ان يديمَ نصركم ، ويخلّدَ للمسلمين والاسلام فخركم ، ويكبّت بتأييدكم الأعداء ، ويُهيجَ بظهوركم الأوداء ، والسلام (442) .

(442) وله فصل بليغ من كتاب يحض فيه على الطاعة ينظر في رسائل سعديّة

أخذ عنه محمد بن سعيد المرغيتي (المقنع) ، وذكر في جواب له ان المترجمَ به كان يرى المنعَ من قراءة القرآن بلا تجويد أصلاً إلا إذا كان القارئ متعلماً مبتدئاً في التجويد على الشيوخ لم يقطع التعلّم .

له كتاب (الحدود) على العقيدة الصغرى لمحمد بن يوسف السنوسي محفوظ ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة 5/2123 د .

مات عام 1048 هـ (443)

1556) احمد بن ابراهيم المناري ، فقيه من اسرة بني الشيخ اللكوسيين بتمنارت احد روافد نهر درعة من المغرب الأقصى واليهما ينسب (444) ، كان فاضلاً ورعاً بارعاً في اللغة والفقه والأصول ، أخذ عن والده وعن عمه محمد بن ابراهيم واخيه محمد بن ابراهيم الحفيد ، وءال اليه التدريس بجامع تمنارت (المنارة) بعد وفاة اخيه المذكور .

أخذ عنه عبد الله بن يعقوب السملالي وعبد الرحمان المناري صاحب (الفوائد الجمّة) ووصفه فيها بالفقيه الصالح .

ونذكر صديقنا المرحوم ' الأستاذ ' المختار ' السوسي انه وقف له على فتاوى تدل على امعان وسمو نظر بين فتاوى معاصريه ، واثبت رسالة بعث بها اليه السلطان احمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي يعزيه بها في

443) الاعلام ، بمن حل مراكز و اغمات من الاعلام 2 : 316 ع 236 برسائل سعديّة ص 109 و 113 وروضة الآس ص 213 والطب العربي في المغرب لمحمد العبدوي الكانوني (نسخة مرقونة) ص 97 وطبقات الحضيكي 1 : 69 ونشر المثاني 1 : 375 وصفوة من انتشر ص 110 وفهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط 3 : 104 واليوافيت الثمينة 1 : 32

444) او التمنارتي ، والمغاربة ينسبون الى مثل هذه الصيغ البربرية او البربرية بحذف تاءها الأولى والاخيرة ، فيقولون في المنسوب الى تافيلالت وتارودانت وتامصلوحت : الفيلالي ، والروداني ، والمصلوحي .

وفاة اخيه وشيخه محمد المذكور ، هذا نصّها بعد حمد الله والصلاة على رسوله :
« من عبد الله تعالى ، المجاهد في سبيله ، الامام المنصور بالله ، امير المؤمنين

(الطغراء السلطانية)

الى المرابطِ الخيّرِ الأثير ، الأرضى الأحب الأزكى ، الفقيه سيدي
احمد بن ابراهيم التامانارتي

وصل الله رعايتكم ، ووالى بمنّه حمايتكم ، سلامٌ عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته .

اما بعد ، فكتابتنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ، ولا
جديدَ بحمد الله الا الخير والعافية ، ونعم الله المتوافية ، لله المنّة والحمد .

هذا وانه اتصل بعلي مقامنا كتابكم معرفاً بما نزل به القدرُ
المحتوم من وفاة اخيكم المقدس الفقيه العابد الناسك الزاهد الخير
سيدي محمد بن ابراهيم ، قدسَ اللهُ تربته ، وانّسَ غربته ، فتأسّفنا لذلك
علم الله تأسّفنا موجعا للحشا ، وتألّمنا لفقده تالماً ذاع منا وفشا ، اذ
كان رحمه الله من اهل الخير الذين يعزّو علينا فقدهم ، ومن اهل الدين الذين
يرضى الله ويرضينا في كل حالٍ صدورهم وورودهم ، الى ما يمتّ به
ايضاً بيتكم لعلّي هذا المقام من المحبة وقديم السبقية التي توارثها
الأخلاف من الاسلاف ، وارتفع في عقائدها الصحيحة الخلاف ، وقد
شاركناكم لأجل هذه الخصال ، والموودات التي لا تزال لكم لدينا مرعية في
كل حال ، فيما المّ بكم من رزء مصابه ، وتجرعنا ما تجرعتم من مضيه
واوصابه ، والله تعالى يمنحكم الصبرَ على فقده ويواليكم على ذلك
بجزيل الأجر والثواب ، ويفضي به من غرف الجنان الى حسن المسأب ،
ونحنُ نوصيكم ببذل الجهد ان شاء الله في اقتفاء اثره ، والاقتداء في طاعة
الله بجميل سيره .

ويصلكم ظهيرنا الكريم بالاذن لكم فيما كان لنظره من فصل نوازل
تلك القبائل المنوطة بكم ، المنسوبة اليكم ، والله تعالى يصل توفيقكم ،
ويُسدد طريقكم .

وفي صدر صفر الخير من عام خمسة وألف ،

توفي عام 1048 (445)

(1557) احمد بن محمد ابن جلال المغراوي ، فقيه من اهل فاس ،
واصل اسرته من تلمسان هاجر منها جده محمد بن عبد الرحمان آتي الترجمة
وأستقر بفاس عام 958 في صدر ايام السلطان محمد الشيخ السعدي ، وكان
متقناً للفقهِ بارعاً في الخطابة

مات عام 1048 (446)

هـ

انتهى الجزء الخامس ، يليه الجزء السادس اوله احمد بن قاسم
افوقاي الحجري الاندلسي .

(446) طبقات الحضيكي 1 : 47 والمعسول 7 : 52 و 53 والفوائد الجمة (مخطوطة
مصورة) ص 70

(446) الاكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 19 والنقاط الدرر 2 : 108 ونشر
المثاني 1 : 372

ملاحق



1 : 192 ع 193

يزاد في آخر ترجمة إبراهيم بن احمد الكتاني ما يلي :
توفي رحمه الله بالرباط في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم
الأحد 29 ربيع الثاني عام 1411 هـ - 8 نونبر سنة 1990 م وصلي عليه بمسجد
السنة بعد صلاة عصر يوم الاثنين ، ودفن بمقبرة الشهداء بحومة العلو

1 : 221 ع 206

يزداد في آخر ترجمة ابن سالم (بنسالم) بن ابي بكر
جسوس ما يلي :
توفي رحمه الله بالدار البيضاء بعد مرض عضال فجر يوم الأربعاء
28 ذي القعدة عام 1411 هـ - 12 يونيو سنة 1991 م

1 : 273 ع 271

يزداد في آخر ترجمة ابو بكر بن احمد بغاني ما يلي :
مات رحمه الله بالرباط يوم الاثنين 13 رمضان عام 1307 - 12 ماي
1987 م .

1 : 280 ع 273

يزداد في آخر ترجمة ابو بكر بن محمد بومهدي ما يلي :
توفي رحمه الله بالرباط يوم الثلاثاء 3 ربيع الاول عام 1413 هـ -
1 شتنبر سنة 1992 م

1 : 282 ع 274

يزاد في آخر ترجمة ابو بكر بن محمد البوخصيبي ما يلي :
مات رحمة الله عليه بسطات يوم السبت 21 شوال عام 1413 هـ
- 13 ابريل سنة 1993 م

تصويب أخطاء

صواب	خطأ	سطر	صفحة
923	921 هـ	7	119
905	955 هـ	13	163
كان	كان كان	9	335

فهرس

الجزء الخامس من (اعلام المغرب العربي)

<u>نمرة الصفحة</u>	<u>نمرة الترجمة</u>
5	1371 احمد بن علي الفشتالي القصير
5	1372 احمد بن عبد الخالق المجاصي
5	1373 احمد بن علي القبائلي
6	1374 احمد بن اءدم الشقوري الأندلسي
7	1375 احمد بن يوسف ابن مزني الأثبيجي
8	1376 احمد المروقت
8	1377 احمد بن الحسن ابن قنفذ القسنطيني
13	1378 احمد بن عبد الرحمان النقاوسي البجائي
14	1379 احمد بن علي الحسني الفاسي
14	1380 احمد بن محمد المغراوي
15	1381 احمد بن سليمان ابن فركون الغرناطي
20	1382 احمد بن عبد السلام الصقلي التونسي
22	1383 احمد بن محمد ابن سرحان السلمي التونسي
22	1384 احمد بن عيسى الصنهاجي
22	1385 احمد بن احمد المغازلي الخميري التونسي
23	1386 احمد بن عبد الرحمان ابن الأستاذ الندرومي

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- I387 أحمد بن محمد بن عبد الله ابن مسكين الحكمي التونسي 23
- I388 أحمد بن محمد الشماع الهنتاتي التونسي 24
- I389 أحمد بن علي ابن منصور الحميري البجائي 27
- I390 أحمد بن محمد المصمودي التاجزي (او الماجري) 28
- I391 أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني 28
- I392 أحمد بن ابراهيم البجائي 29
- I393 أحمد بن محمد الداودي البجائي 29
- I394 أحمد بن محمد الماواسي 29
- I395 أحمد بن عيسى البطوي التلمساني 30
- I396 أحمد بن محمد بن عيسى الجايي الفاسي 30
- I397 أحمد بن محمد ابن زاغو الخزري المغراوي التلمساني 31
- I398 أحمد بن محمد بن عيسى زروق البرنسي الفاسي 34
- I399 أحمد بن محمد المقري 34
- I400 أحمد بن سعيد الجريري المرادي القيرواني 35
- I401 أحمد بن عيسى الداودي الأوراسي 36
- I402 أحمد بن علي الغرناطي 36
- I403 أحمد بن الناصر بن ابي حمّو الزياني التلمساني 38
- I404 أحمد بن يحيى بن عيسى الصنهاجي 39
- I405 أحمد بن صالح ابن خلاصة الزواوي 39
- I406 أحمد بن محمد نور الله الفشتالي 39
- I407 أحمد بن عبد الله ابن العجل الزروالي 40
- I409 أحمد بن محمد الأبيدي البجائي 40
- I410 أحمد البنزرتي التونسي 40
- I411 أحمد بن علي بن صالح الفيلاي السجلماسي 42

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 42 احمد بن محمد بن عبد الله القلشائي التونسي (I4I2)
- 44 احمد بن قاسم القسنطيني الوشتاتي (I4I3)
- 45 احمد بن عمر المرزجلي الفاسي (I4I4)
- 46 احمد عسيلة التونسي (I4I5)
- 46 احمد بن محمد بن عبد الله ابن كحيل التُّجَّاني التونسي (I4I6)
- 48 احمد بن ابي حمو الثاني الزياتي سلطان تلمسان (I4I7)
- 50 احمد بن محمد (حمو) الشريف التلمساني (I4I8)
- 50 احمد بن عبد الله ابن عروس الهواري التونسي (I4I9)
- 52 احمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبَّادي التلمساني (I420)
- 52 احمد بن محمد بن يعقوب العبَّادي العجيسي التلمساني (I42I)
- 53 احمد المنستيري التونسي (I422)
- 53 احمد القروي (I423)
- 53 احمد بن سعيد الحبّاك القَيْجَميسي المكناسي (I424)
- 56 احمد بن الحسن الغماري دفين تلمسان (I425)
- 57 احمد بن يونس الحميري القسنطيني (I426)
- 58 احمد بن شبوان ابن ابي الجود الحصيني (I427)
- 59 احمد بن عبد الله الجزائري (I428)
- 63 احمد بن عمر المسراقي التونسي (I429)
- 64 احمد بن محمد ابن فاكهة اللباني (I430)
- 64 احمد بن ابي بكر ابن عوانة الحسيني التونسي (I43I)
- 65 احمد بن ابي القاسم الرصافي الغرناطي (I432)
- 65 احمد بن عبد الرحمان (ابي يحيى) الشريف التلمساني (I433)
- 66 احمد بن محمد ابن المريني (I434)
- 66 احمد بن مخلوف الشابي التونسي (I435)

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1436) احمد بن عبد الرحمان حلولو اليزليتي القيرواني 68
1437) احمد بن محمد ابن الخلوف الفاسي ثم القسنطيني ثم التونسي .. 69
1438) احمد بن حاتم السطّي الصنهاجي الفاسي 84
1439) احمد بن احمد زروق البرنسي الفاسي دفين مسراتة 85
1440) احمد بن محمد ابن زكري المغراوي التلمساني 101
1441) احمد بن عبد الله البقّيّي الغرناطي 101
1442) احمد ابن شقير التونسي 107
1443) احمد بن عيسى الماواصي البطيوي 107
1444) احمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي 108
1445) احمد بن يوسف الونغالي التواتي 117
1446) احمد بن محمد (الكفيف) ابن مرزوق العجيسي التلمساني 117
1447) احمد شقرون بن ابي جمعة المغراوي الرهراني 118
1448) احمد بن قاسم البجباح الحسني التلمساني 119
1449) احمد بن عيسى العزاني الفاسي 119
1450) احمد بن محمد الدقّون الصنهاجي الأندلسي 120
1451) احمد بن عبد الله بن ابي تاشفين الزياني سلطان تلمسان .. 125
1452) احمد بن سعيد الشمّاخي اليفرني الطرابلسي 125
1453) احمد بن محمد ابن الحاج اليبّدي التلمساني 126
1454) احمد بن محمد التباسي التوزري 137
1455) احمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة 137
1456) احمد بن علي الزقاق التجيبي الفاسي 147
1457) احمد بن علي ابن القاضي الغبريني 147
1458) احمد بن عمران السلاسي 149
1459) احمد بن محمد الحبّاك الفاسي 149
1460) احمد بن علي ابن داوود البلوي الأندلسي 150

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- I461 احمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي 158
- I462 احمد بن عمر اقيت التكروري السوداني 158
- I463 احمد بن عبد الواحد الشيبه الجوطي الادريسي المكناسي 159
- I464 احمد بن محمد ابن غازي العثماني الفاسي 160
- I465 احمد الكبير الاندلسي دفين البليدة 161
- I466 احمد بن موسى الادريسي التلمساني 161
- I467 احمد بن محمد ابن جيدة المديوني الوهراني 161
- I468 احمد بن ابراهيم الجرفطي 162
- I469 احمد بن علي ابن القاضي المكناسي 163
- I470 احمد بن عيسى كاتب السلطان احمد المنصور السعدي 163
- I471 احمد بن محمد بن ميمون المسطاسي 163
- I472 احمد بن عبد الرحمان المسجداقي الزركيني 163
- I473 احمد بن محمد (البرتغالي) الوطاسي سلطان المغرب 169
- I474 احمد بن عيسى الرميادي 172
- I475 احمد بن عبد الرحمان الطرون الأموي 172
- I476 احمد بن محمد العربي الغماري 173
- I477 احمد (الاعرج) بن محمد القائم بامر الله السعدي 173
- I478 احمد ابن البيطار 178
- I479 احمد بن الحسن التسولي الفاسي 179
- I480 احمد ابن باديس القسنطيني 179
- I481 احمد بن ابي العيش العيسى التونسي 179
- I482 احمد بن محمد ابن ابراهيم المشنزائي الفاسي 180
- I483 احمد بن موسى السملالي الحسني 180
- I484 احمد بوحلاسة 183

<u>نمرة الصفحة</u>	<u>نمرة الترجمة</u>
I84	احمد بن محمد بن سعيد التنبكتي السوداني
I85	احمد بن محمد بن مسعود الدرعي
I85	احمد (يَغْيُغْ) بن محمود بن ابي بكر اقيت السوداني
I86	احمد بن عبد الحميد بحر السماح اليربوعي الليبي
I86	احمد بن محمد العقباني التلمساني
I87	احمد (الثاني) بن الحسن الحفصي سلطان تونس
I88	احمد بن سليمان السجيري
I89	احمد بن سليمان بن يحيى الرسموكي
I89	احمد بن احمد العبادي التلمساني
I91	احمد بن عبد الله بن حسيْن المغاري الادريسي دفين مصلوحة
I92	احمد بن احمد بن عمر اقيت التنبكتي السوداني
I93	احمد بن علي الشريف الحسني الفاسي
I94	احمد بن قاسم القدومي الغسّاني
I95	احمد بن الحسن ابن عرضون الزجلي
I97	احمد بن محمد ابن رضوان النجاري الفاسي
200	احمد بن يحيى الهوزالي
202	احمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور
206	احمد بن سعيد الحامدي الايسي
207	احمد بن حسن الصغير الورياجلي
208	احمد بن عثمان الميموني اللمطي الفاسي
208	احمد بن حميدة المطرفي
210	احمد التقلّيتي
210	احمد بن علي الزموري الفاسي
212	احمد بن يحيى الادريسي الشفشاوني

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 212 احمد بن الحسن العمري (I509)
- 213 احمد بن (اندغ) محمد التنبكتي السوداني (I510)
- 213 احمد بن يوسف ابن مهدي الزياتي (I511)
- 215 احمد بن محمد احشموض المانوزي (I512)
- 215 احمد بن عبد الرحمان السجلماسي (I513)
- 215 احمد بن عبد الله الياالصوتي (I514)
- 216 احمد بن عبد الواحد الحسني السجلماسي (I515)
- 218 احمد بن ابي القاسم بن علي الشاطبي المراكشي (I516)
- 218 احمد بن محمد ابن الطالب (I517)
- 218 احمد بن محمد الايسي (I518)
- 220 احمد (المنصور) بن محمد (الشيخ) السعدي الذهبي (I519)
- 266 احمد بن ابي القاسم الصومعي التادلي (I520)
- 271 احمد بن علي حَبَيْبُ الرندي الفاسي (I521)
- 272 احمد بن سعيد الهشتوكي (I522)
- 273 احمد بن محمد الشاوي دفين فاس (I523)
- 273 احمد بن محمد ابن عطية الزناتي السلوي (I524)
- 274 احمد بن شعيب الزياتي (I525)
- 274 احمد بن عبد الرحمان النجاني الزياتي (I526)
- 275 احمد بن عبد الله المرني (I527)
- 276 احمد بن محمد الغرديس التغلبي الفاسي (I528)
- 281 احمد بن يوسف الفاسي الفهري (I529)
- 285 احمد بن محمد بن عبد الوارث الياالصوتي (I530)
- 286 احمد بن عبد الله ابن ابي محلي العباسي الفيلاي (I531)
- 307 احمد الجزولي (I532)

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 308 أحمد بن قاسم معيوب الأندلسي I533
- 309 أحمد بن محمد أذقال الحسني الدرعي I534
- 310 أحمد بن عبد العزيز النائب الطرابلسي I535
- 310 — أحمد تروي السوداني I536
- 310 أحمد بن عبد الواحد الونشريسي I537
- 311 أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي الفاسي I538
- 320 أحمد بن علي العلمي الشفشاوني I539
- 323 أحمد بن عبد العزيز الدرعي I540
- 324 أحمد زروق ابن عمار الجزائري I541
- 325 أحمد بن يحيى التينزري السوسي I542
- 326 أحمد بن مسعود الهوزالي I543
- 326 أحمد بن محمد القسطلي المراكشي I544
- 327 أحمد بن عيسى النقسيس I545
- 328 أحمد بن موسى المرابي الفاسي I546
- 333 أحمد بابا بن أحمد التثبكتي السوداني I547
- 344 أحمد بن محمد بن عبد العزيز الأندلسي I548
- 344 أحمد بن ابراهيم الراسي البطيوي I549
- 344 أحمد بن محمد بن علي السالمي I550
- 345 أحمد بن سعيد بن يعقوب القملي الرجرجي I551
- 346 أحمد بن محمد المقرئ القرشي التلمساني I552
- 376 أحمد بن (اندغ) محمد السوداني I553
- 377 أحمد بن علي البوسعيدي السوسي I554
- 381 أحمد بن عبد الحميد المرید الأنصاري I555
- 386 أحمد بن ابراهيم المناري I556
- 388 أحمد بن محمد ابن جلال المغراوي I557

تحت الطبع

انبعاث أمة

الجزء الثامن والثلاثون

* * *

أعلام المغرب العربي

(الجزء السادس)

* * *

تاريخ الدولة السعدية

لمؤلف مجهول

* * *

قبائل المغرب

الجزء الأول - (طبعة ثانية)